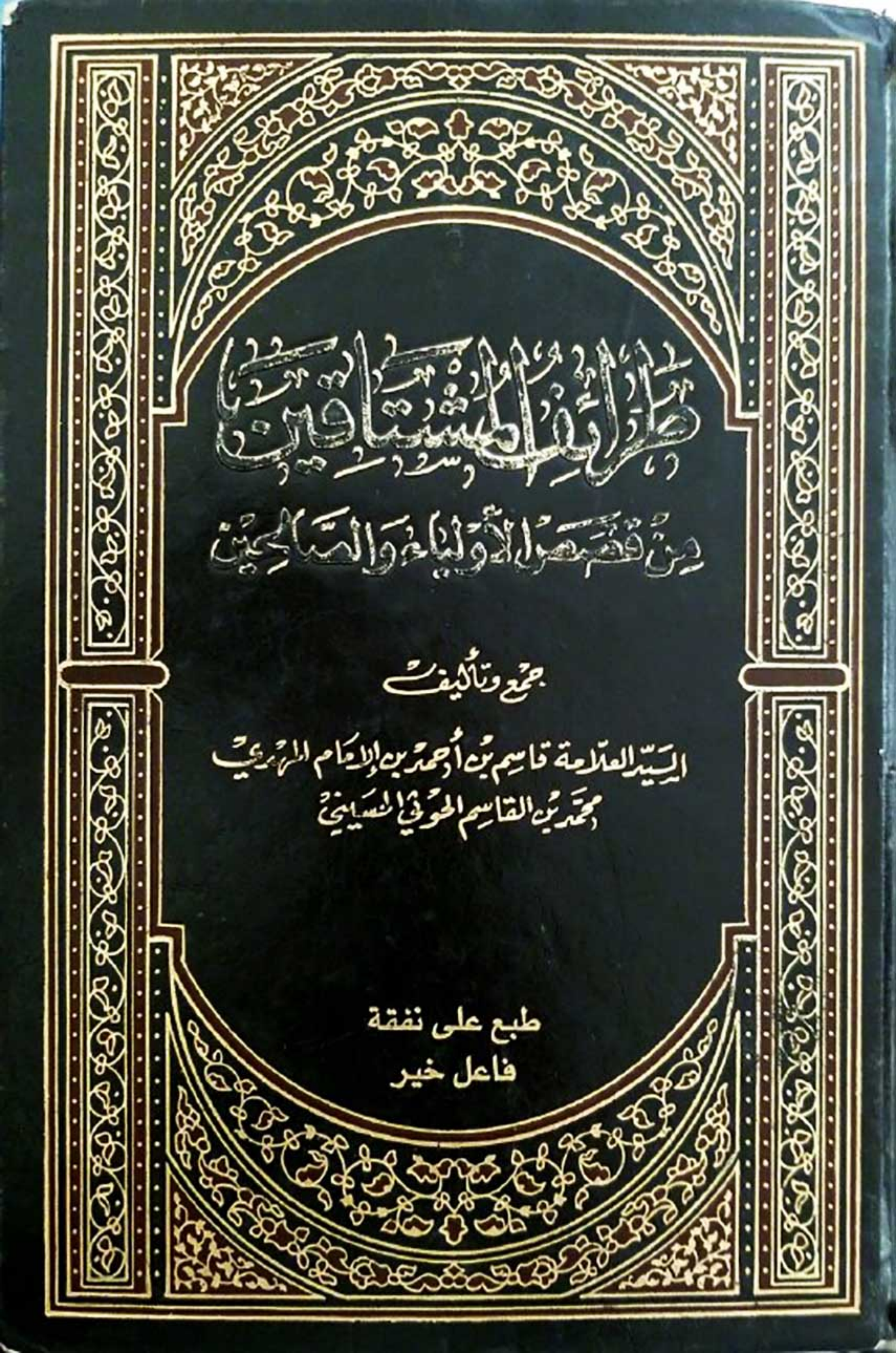

طرائف المشتاقين
من قصص الأولياء والصالحين
جمع وتأليف
السيد العلامة قاسم بن أحمد بن الإمام المهدي
محمد بن القاسم الحوثي الحسيني
طبع على نفقة
فاعل خير

طرائف المشتاقين

من قصص الأولياء والصالحين

جمع وتأليف

السيد العلامة قاسم بن أحمد بن الإمام المهدي

محمد بن القاسم الحوثي الحسيني

طرائف المشتاقين

من قصص الأولياء والصالحين

الطبعة الثانية

١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م

تم الإخراج بمؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

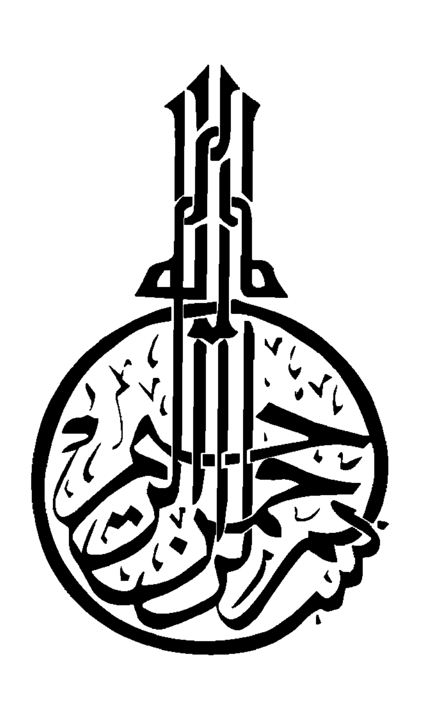
إخراج: حفظ الله أحمد أحمد عقيل

مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

ص.ب. ١٥١٣٤ تلفون (٢٠٥٧٧٧-١-٠٠٩٦٧١)

فاكس (٢٠٥٧٧١-١-٠٠٩٦٧١) صنعاء - الجمهورية اليمنية

Website: www. izbacf.org ; email :info@izbacf. org


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بقلم/ عبد الله بن حمود العزي

تقديم (الطبعة الثانية)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، ورضي الله عن صحابته المتقين الراشدين، وبعـــد:

فهذا كتاب (طرائف المشتاقين من قصص الأولياء والصالحين) في طبعته (الثانية) بعد نفاد طبعته (الأولى) وقد تزايد الطلب له، والإقبال عليه من مختلف الطبقات، وما ذلك إلا دليل على حسن اختيار مؤلفه السيد العلامة قاسم بن أحمد بن الإمام المهدي محمد بن القاسم الحوثي الحسيني ـ حفظه الله تعالى ـ لقصصه المؤثرة، وحكاياته الشيقة..

إنها قصص تحاكي واقع أصحابها ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١] فهي عبرة لمن اعتبر، وذكرى لمن تذكر، ونور لمن استبصر.. لقد عم نفعها، وظهرت فوائدها، فكم من قلب بعيد من الله ألانت، وكم من عين قاحلة أبكت وأسالت، وكم من نفس أمارة بالسوء أصلحت، فجزى الله مؤلفه خير الجزاء.

وهذا الأسلوب الذي انتهجه المؤلف يمثل أسلوباً رائعاً وفذاً في إصلاح

النفوس البعيدة عن الله، وتليين القلوب القاسية، والمؤلف حفظه الله يسعى دائماً في كتاباته إلى الترغيب في الطاعة، والترهيب من المعصية، وكتابه الآخر (المسنونات والمندوبات والمستحبات من الصلوات) شاهد بذلك ناطق به.

والحقيقة .. أن الناس أحوج ما يكونوا إلى هذا النوع من التأليف ـ خصوصاً في هذا العصر ـ الذي انتشر فيه الفساد، وازداد فيه الإعراض والابتعاد، والتنكب عن طريق الخير والرشاد.

فلعل وعسى أن يتجه الغافلون إلى الطاعة بالاستفادة من قصة لنبي، أو حكاية لرسول، أو كرامة لولي، ويقلع العاصون عن المعصية بالاستفادة من موقف لعاص، أو نهاية لظالم، فالسعيد من وعظ بغيره، والكيس من عمل لآخرته وتزود لمعاده: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

والدنيا دروس وعبر، وهي مزرعة للآخرة، فمن زرع خيراً حصده، ومن زرع شراً وجده.

ولعل بعض القرّاء قد يسعى إلى التشكيك في بعض القصص هنا، وهي قليلة، ولكننا نقول له: لا بأس عليك استفد من القصة، فالقضية هي قضية ترغيب وترهيب، ليست قضية تصحيح وتنقيب؛ لأنه لا ينبني عليها حكم، ولا يترتب على الاستفادة منها إثم.

وقد تساهل فقهاء وعلماء في قبول الأحاديث الضعيفة في أبواب الترغيب والترهيب، وقالوا: «لا بأس بالاستفادة منها في العمل مع عدم اعتقاد الصحة» فما بالك بقصص وحكايات قد أسندها جامعها إلى مصادرها، وهو بذلك خرج من عهدة المتابعة، وسلم من شنشنة من يهوى الجدال والمنازعة.

وقد حاولنا في هذه (الطبعة الثانية) التي بين يديك الكريمتين استدراك ما فات في (الطبعة الأولى) سواء من ناحية الأخطاء المطبعية، أو من ناحية التنسيق الفني، نسأل الله أن ينفع به، وأن يكتب أجر وثواب مؤلفه .. إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

هذا وقد كنت في (الطبعة الأولى) كتبت ترجمة متواضعة للمؤلف، ولكنه عاتبني في ذلك، وأمرني بحذفها، ولم تجدي دفاعاتي شيئاً في مقابل تصميمه على ذلك.

ومع أنه يصعب عليَّ جداً عدم النزول عند رغبته في حذفها، إلا أنه يصعب عليّ أكثر أن يحرم طالب علم من معرفة هذا الرجل، أو عن الاقتداء والتأسي به، إذ ليس الغرض من إثباتها ــ كما يعلم الله ــ سوى المعرفة والإقتداء، وليقيني أن المؤلف ممن لا يفرحه مدح مادح، ولا يحزنه قدح قادح.

ثم أن هذا الأسلوب قد استحسنه الأوائل، وسار عليه الأواخر، ولولا إثبات التراجم ما عرفنا التاريخ ولا رجاله، ولذا فليعذرني سماحته لكوني لم أرعوي لطلبه، علماً بأنني لم أحاول فيما كتبته عنه أن أقدّمه كما هو أو بما هو عليه حاله من الخلق الرفيع، ومن العلم، والعبادة، والورع، والزهادة، وعسى أن يكون في هذا بعض عزاءه.

مرة أخرى ألتمس من فضيلته العذر في عدم النزول عند رغبته بحذفها، وليعذرني القارئ الكريم عن التقصير، وعدم الإيفاء بحق المؤلف الفاضل، فإلى الترجمة..

ترجمة المؤلف

نسبه

هو السيد العلامة التقي القاسم بن أحمد بن الإمام المهدي محمد بن القاسم بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن محمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن عبد الله بن محمد بن الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم بن يوسف بن علي بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن إدريس بن جعفر بن الإمام علي الهادي بن الإمام الجواد محمد بن الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي السجاد بن الإمام الحسين السبط بن أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب عليهم السلام..

سلسلة من ذهب	منوطة بالشهب
ونسبة ترددت	بين وصي ونبي
سبحان من طهرها	من شائبات النسب

مولده ومشائخه

ولد ـ حفظه الله تعالى ـ سنة ١٣٥٤هـ، ونشأ نشأة مباركة. والده السيد العلامة أحمد بن الإمام المهدي، استشهد مسموماً سنة ١٣٦٣هـ رحمه الله تعالى ـ وقد كان عالماً تقياً. ووالدته الفاضلة عنبرة بنت محمد بن مرشد الدميني استشهدت بالطلق حال الولادة.

سلك قاسمنا حفظه الله مسالك الأخيار، ونهج نهج آبائه الأطهار، وبكر إلى تحصيل العلوم بهمة عالية وعزيمة سامية، وتقلب في حلقات العلم، وتتلمذ على كثير من جهابذة العلماء الأعلام، منهم حجة عصرنا ودرة دهرنا مجد الدين بن محمد المؤيدي ـ أيده الله تعالى ـ والسيد العلامة الولي محمد بن أحمد أبو علي ـ حفظه الله تعالى ـ والسيد العلامة علي بن عبد الله ساري ـ رحمه الله تعالى ـ والسيد العلامة صلاح بن محمد نور الدين ـ رحمه الله تعالى ـ والسيد العلامة زيد بن علي الكبير ـ رحمه الله تعالى ـ والسيد العلامة محمد لطف ساري ـ رحمه الله تعالى ـ والسيد العلامة محمد بن لطف عشيش، والسيد العلامة إسماعيل أحمد المختفي ـ حفظه الله تعالى ـ والقاضي العلامة ثابت بن سعد بهران رحمه الله، والقاضي العلامة عبد الله بن محمد العنسي رحمه الله، والسيد العلامة عبد الله بن القاسم بن الهادي رحمه الله تعالي، والفاضل القاضي عبد الله محمد الشرعي رحمه الله تعالى والسيد العلامة عبد الله بن عباس المؤيد رحمه الله تعالى والقاضي العلامة صلاح بن احمد فليته، والسيد العلامة علي محمد أبو علي رحمه الله تعالى والقاضي العلامة أحمد بن علي حمزة رحمه الله تعالى خريج دار العلوم بصنعاء والسيد العلامة علي عبد الكريم الفضيل والأستاذ محمد الحلبي والأستاذ ريحان والسيد العلامة صلاح بن محمد الهاشمي حفظه الله تعالى والقاضي العلامة الحسين بن يحيى الواسعي رحمه الله تعالى بجامع صنعاء الكبير.. وغيرهم.

وهكذا ظل يتنقل في مجالس العلم وحلقات الدرس حتى أضحى فيها غزير العلم، واسع المعرفة، عظيم الإدراك، وتميز بطيب المنشأ، وسلامة النية، وصفاء الطوية، وطهارة القلب، وكمال العبادة، وكثرة الخشوع، وغزارة الدمعة، وحسن الحكمة، ودماثة الخلق.

مؤلفاته

وله حفظه الله تعالى عدد من المؤلفات المفيدة، والمجاميع العديدة، منها:

١- «مواهب الرحمن في فضائل القرآن» مخطوط بمكتبته.

٢- «النصوص الصحيحة والأخبار الصريحة في محبة رسول الله وأهل بيته» يقع في خمسة أجزاء، مخطوط بمكتبته.(طبع الجزء الأول).

٣- «إحياء الميت فيما يجب للمسيء والمحسن من أهل البيت» مصفوف بأيدينا نسخة منه هدية من المؤلف ـ حفظه الله تعالى ـ .

٤- «الصلوات المندوبات والمستحبات» طبع.

٥- «سيرة الإمام المهدي» ـ مصفوف ـ بأيدينا نسخة منه هدية من المؤلف ـ حفظه الله تعالى ـ. وهي المسماة بالزهر الوردي، وهي غير السيرة.

٦- «طرائف المشتاقين من قصص الأولياء والصالحين» وهو الذي بين يديك الكريمتين.

٧- «الجامعة المهمة في فضائل الأئمة» مخطوط بمكتبته.

٨- «تذييل مقاتل الطالبيين» مخطوط بمكتبته.

٩- «تعليق حول مسألة الولاية» مخطوط بمكتبته.

١٠- «مذكرات حوث» مخطوط بمكتبته.

١١- «مذكرات صنعاء» مخطوط بمكتبته.

١٢- «مذكرات الأردن» مخطوط بمكتبته.

١٣- «مذكرات الرياض» مخطوط بمكتبته.

١٤- «مذكرات نجران» مخطوط بمكتبته.

١٥- «ديوان الإمام الهادي» مخطوط بمكتبته.

١٦- «ديوان الإمام الناصر الأطروش» مخطوط بمكتبته.

١٧- «ديوان الإمام المتوكل يحيى حميد الدين» مخطوط بمكتبته.

١٨- «ديوان الإمام محمد بن إبراهيم حورية» مخطوط بمكتبته.

١٩- «ديوان الإمام مجد الدين بن محمد المؤيدي، المسمى ديوان الحكمة» مطبوع.

٢٠- «المختارات المهمة من أشعار الأئمة» مجلد كبير تحت الطبع.

٢١- «مجموع البسامة لابن الوزير وتكاميلها».

٢٢- «ديوان شعر سماه دموع الغريب» حميني وغيره.

٢٣- «الأدعية المأثورة» تحت الطبع.

٢٤- «مجموعة الأوراد والأذكار» مصفوف بمكتبة المؤلف ولدينا نسخة منه.

نماذج من أشعاره

وللمؤلفَ حفظه الله تعالَى أشعار جميلة في مواضيع عديدة اخترنا منها هذه القصائد، ومنها هذه القصيدة التي أنشأها عندما تحركت لديه الرغبة في تجديد الفراش، فكبح جماحها، وقال:

شيبة قد تعفرتا ومشى مشية الفتى
وانتشى بعد عجزه وصبا بعد أن عتا

مـــا درى أنـــه عتـــا وغـــدى فيـــه ألـــف تـــا

قـــارب الحقـــب عمـــره فمتـــى يرعـــوي متـــى

والتـــوى عظـــم وركـــه وتـــوكى بمنـــستا

يـــا إلهـــى وســـيدي لطـــف الـــصيف والـــشتا

واختـــم العمـــر بالرضـــا واكـــشف الكـــرب إن أتـــى

واعـــف عنـــي وعـــافني بالمثـــاني وهـــل أتـــى

وابعـــد الظلـــم كلـــه وأبـــد كـــل مـــن عتـــى

واصـــلح الـــشان كلـــه إن شـــاني تفلتـــا

غربـــة بعـــد غربـــة يـــا إلهـــي إلى متـــى

وصـــحابي جفـــونني والخفايـــا تعرتـــا

وحـــسود وكائـــد وحقـــود تـــصتتا

وعـــذول يلـــومني وصـــديقي تعتتـــا

وعـــدو مخاتـــل قـــد تـــشفا وشـــمتا

وانحنـــى الظهـــر واكتـــوى بمـــشيب تـــشتتا

لـــزم الـــسيف غمـــده بعـــد أن كـــان مـــصلتا

وتحامـــاه كـــل مـــن كـــان للأمـــر منـــصتا

خـــل عنـــي حـــديثها فالقـــضايا تولتـــا

كيـــف حـــالي بملحـــد ضـــيق قـــد تـــصمتا

وذنـــوبي كثـــيرة قـــد تنامـــت وجلتـــا

أفقـــدتني مـــشاعري أضرجتنـــي وغمتـــا

ومن ذلك في بعض أحواله:

دنيـــا المـــصائب والـــدواهي دار المنـــاهي والمنـــى هـــي

لا راحـــــة فيهـــا ولا عمـــل لمـــا يـــرضي إلهـــي
عبثـــت بنـــا قـــذر الـــذنوب فأورطتنـــــا للملاهــــــي
لا توبـــــة صــــــححتها ولا انتهيــت عـــن المنــاهي
يــــوم ورا يــــوم وقلبـــي في ســـبيل الغـــي لاهـــي
يــــا ويحهـــا أمـــارتي بالــسوء مــا هــذي الــدواهي

ومن ذلك قصيدة اخترنا منها هذه الأبيات:

إنــــما الــــدنيا همـــوم وغمــــــوم ومــــــسبة
كــم رأينــا مــن حــسود قـــد أذاب الحقـــد قلبـــه
قـــد تركنـــا الـــرد عليـــه ووكلنـــــاه لربـــــه
فـــــاتق الله إذا مـــــا كنـــت مـــن اهـــل المحبـــة

وله بعد بلوغه السبعين حفظه الله:

ســبعون عامــاً قــد مــضت وكأنهـــا حلــــم بليــــل
لم أكتــــسب فيهــــا تقــــىً كـــلا ولم أركـــض بخيـــل
إبلـــيس رافقـــه الهـــوى كـــالا لنـــا الأهـــوال كيـــل
ربـــــاه تبـــــت فنجنـــــي رحمـــاك مـــن غـــضب وويـــل

وله حفظه الله:

يـا حـي يـا قيـوم عبـد واقـف لا يرتجـي إلاك يـا مـولاه
يا مـن لعبـد ضـاق عنـه فـسيحها وتنكرت حتى الصديق فـلاه
أخلاقهــم لــؤم وفي أديــانهم ميــل وفي أنــسابهم أشــباه
أواه يـــا مـــولاي مـــالي لا أرى في موطني عدلاً يـضيء هـداه
ساد الضلال على البلاد فأصـبحت في أسره مكبولـــة تخـــشاه

من للغريب الصامت الشكوى إذا — في مقلتيه ترقرقت شكواه
والقاسم المسكين بين أنينه — وحنينه عاداه ما يهواه
فإذا رضيت فذاك كل سؤاله — والصيد كل الصيد أن ترضاه
والناس من حولي ذئاب والدنا — شوك وفي من أصطفيه سفاه
وترقب وتصنت وتجسس — قد آلمت قلبي فطال عناه
وإذا نهيت أو انتقدت لعاكف — في غيه عاداك أن تنهاه
أواه يا مولاي أين تراثنا — القدسي عنا أين غاب ضياه
ما أوحش الدنيا ويا من عاش ما — أشقاه ويا من مات ما أهناه
شهر ورا شهر وعام بعده — عام وعمري ينطوي بطواه
إبليس والنفس الشقية سلطا — لفؤادي الحساس ما أنكاه

وله حفظه الله مشاركة مع الشريف الأديب الشاعر/ حسن بن محمد بن عبد الله دكام، وقد شكا ما يكابده، اخترنا منها هذه الأبيات:

يا من يكابد همه — والهم فتاك القوى
اصبر فغيرك قابع — كل الهموم قد احتوى
بي مثل ما بك يا فتى — قلبي كقلبك ما ارتوى
وأنا الذي في الغيظ عشت — وبت منه في روى
من غربة في غربة — والقلب منهوك القوى
وتحطمت آمالنا — صارت بأدنى لامستوى
والكرب قد بلغ الزبى — والأرض ضاقت بالجوى
دهري على عكس فما — سويته إلا لوى
فلكلما قرب الوصال — نادى غرابي بالنوى
ولكلما قلنا عساها — تنجلي أسدت جوى

صــــبراً بنـــي فإننـــا	في ذي الحيـاة عــلى الــسوى
عمــــري تقــضى تائهـــاً	بــين الــتماني قــد هــوى
يـــا رب عفـــوك إننـــي	قــد تبـت مـن بعـد الغـوى
حــسبي رضـاي بــما قــضى	ولـــو أن قلبـــي في جـــوى
يــا مــن إليـــه المــشتكى	ولكـــل أوصـــابي دوا
امـــنن عـــلي برحمـــة	وأظلنـــي تحــت اللـــوى
مـــن ودفـــضلك فاســـقنا	مـــن كـــوثر فيـــه الـــروى
ثـــم الـــصلاة عـــلى النبـــي	والآل مــــــا راو روى

ثناء العلماء عليه

إن السيد العلامة القاسم بن أحمد المهدي محل إجماع عند جميع العلـماء، فهـم يثنون عليه غاية الثناء، نظـراً لمـا يتمتـع بـه مـن العلـم، والعبـادة، والتواضـع، والزهادة، والأخلاق الكريمة، والسجايا العظيمة، ولا أستطيع أن أسجل في هذه العجالة قوائم شهاداتهم، إلا أني أرى من الضروري ذكر ما قاله شيخنا وحجـة عصرنا ودرة دهرنا مجد الدين المؤيدي ـ حفظه الله تعالى ـ حوله وكفـى، وذلـك من خلال تقريظ أرسله إليه لكتابه «الزهر الوردي في تشجير ذرية المهدي» قـال فيه: «الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعـد: فقد كان الاطلاع على ما حرره سيدي المولى العلامة الأوحد الأمجد نجم آل محمد القاسم بن أحمد بـن الإمام الأعظم المجدد للدين المهدي لدين الله رب العالمين محمد بن القاسم بـن محمد ـ سلام الله عليه ورضوانه عليهم، حفظه الله تعالى وتولاه، وجـزاه أفـضل جزاه، وأدام في الدارين علاه، من التشجير المتقن المحكم لهذه الـشجرة المباركـة الطيبة كما قال تعالى: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]..

وكفاهم شرفاً ما قال الله ـ جل جلاله ـ :﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[آل عمران:٣٣-٣٤]. ففي هذا العمل المبرور والسعي المشكور إيصال للتعارف والتواصل بين ذوي الأرحام، وقد قال عز وجل: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[الأنفال:٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾[النساء:١] ولا تمكن الإحاطة في هذه العجالة بما ورد في ذلك من الكتاب والسنة، ولا طريق لمن جهل الانتساب إلى بلوغ تلك الأسباب، فهذا النسب العلوي النبوي صحيح معتمد معلوم مرسوم عند الجميع من أهل الأنساب الأثبات من أهل البيت النبوي، وغيرهم من المعتمدين الثقات، فيعتمد، والله ولي التوفيق ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[النمل:١٩]، ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[الأحقاف:١٥].

وهكذا هو في عيون أهل الفضل والاستقامة، ولا يعرف الفضل إلا ذووه، ولم يزل ـ حفظه الله تعالى ـ مقيماً في منطقة نجران، ناشراً للعلم والعرفان.

وفي الأخير:

أسأل الله ـ تعالى ـ أن يحفظه، وأن يجزيه خيراً، وأن يمتعنا بحياته، وينفعنا بعلومه، ويجعل أعمالنا جميعاً خالصة لوجهه ـ جل شأنه ـ وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين ..

عبد الله بن حمود بن درهم العزي

اليمن ـ صعدة

١٤٢٨/١/١هـ ـ ٢٠٠٧/١/٢٠م

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله عظيم الشأن، ذي الفضل والمن والامتنان، المتفضل على عباده بالإكرام والإنعام والإحسان، الذي خلق كل شيء،ومنهم الإنس والجان، وزين من شاء بما شاء من نيرات العقول الراجحة، والتجارات الرابحة، والأعمال المشكورة، والمساعي المبرورة، وشرفهم وأعزهم وأكرمهم، وأعلا مقامهم بالرسالة المحمدية، والأنوار المصطفوية، والأخلاق الكريمة العظيمة النبوية، الواضحة المنار، المتألقة الأنوار، الساطعة الوهاجة على مرور الأيام في كل الأعصار، الخاطف نورها بالأبصار، ممثلة في نورها الساطع، وبدرها المنير اللامع، وشمسها المشرقة، وجنانها المونقة، رحمة الله المهداة للعالمين، من أنقذ الله تعالى به البشرية، ومحا به ظلمات الجاهلية سيدنا ومولانا وحبيبنا ونبينا ونور أبصارنا وأفئدتنا ؛ محمد بن عبد الله صلى الله تعالى وسلم وبارك وتحنن وترحم عليه وعلى آله المصطفين الأخيار، وصحابته المنتجبين الأبرار، وعلى التابعين وتابع التابعين، وعلى الأصفياء والأولياء والشهداء والصالحين الأولين والآخرين، أهل الأنوار الإيمانية، والأعمال المرضية، والكرامات المروية، الصلوات والتسليمات التامات الطيبات، والرحمات والتحننات الغاديات الرائحات، والبركات المترادفات المنيرات. دائمات ما اختلف الملوان على كرور الدهور والأزمان.

وبعد: فيقول الفقير إلى الله تعالى المذنب المقصر قاسم بن أحمد المهدي الحوثي: هذه حكم متناثرة ألفتها، وقصص جمعتها، وحكايات استحسنتها، صادقة التعبير، واضحة التصوير، هادفة للندب البصير. قصدت بها:

أولاً: وجه الله تعالى.

ثانياً: النصيحة لكل مسلم، وأنا عضو من ذلك الجسد الكبير، وقد قيل في الحكمة:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

ثالثاً: للاستبصار والاعتبار لمن شطح من الأغمار والشطّار، إن وفق الله تعالى للاقتداء بالصالحين، فقد تكون القصة الجميلة، والحكايات اللطيفة، والنكتة الطريفة لها تأثيرها وموقعها وطريقاً إلى القلب، فتجلو القلوب، وتخفف الكروب، وتجلب السرور والاطمئنان إلى حظيرة الإيمان، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «إن هذه القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد فاجلوها بذكر الله تعالى» وفي رواية: «بالحكمة».

رابعاً: للتبرك بالصالحين، وأقوالهم، وحكاياتهم - رضي الله تعالى عنهم -، وقد ملأت أخبارهم الأسفار، وسارت مسير الليل والنهار. ولأدخل إن شاء الله في الترغيب لمن عمل ذلك، ونشر ما هنالك، وإن كنت قليل البضاعة، غير مجود لتلك الصناعة، وقد قيل:

على المرء أن يسعى إلى الخير جهده
وليس عليه أن تتم المطالب

ومن الترغيب في ذلك قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه أخاه المسلم».

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ما أهدى المسلم إلى أخيه المسلم هدية أفضل من حكمة سمعها، فانطوى عليها ثم علمه إياها، يزيده الله بها هدى، وإنها لتعدل إحياء نفس، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً».

وعن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام: «نعمت الهدية الكلمة من الحكمة يحفظها الرجل حتى يهديها إلى أخيه المسلم، وأفضل الفائدة حديث سمعه الرجل فيحدث به أخاه».

وقال بعض الحكماء: «عند ذكر الصالحين تنزل الرحمات والبركات».

وقال بعضهم أيضا: «الحكمة تزيد الشريف شرفا، وترفع العبد المملوك حتى يجلس في مجالس الملوك».

وقال العلامة الحسن بن محمد النحوي من أعلام تلامذة الإمام يحيى بن حمزة - رضي الله تعالى عنهم - : «ذكر الصالحين وكراماتهم جلاء القلوب القاسية». وغير ذلك الكثير.

وبعد فقد كنت في حديث طويل مع أحد الأعزاء علي، والمكرمين لدي، الذين خشيت عليهم مزالق الدنيا، ومرديات الأهواء، حتى دخلت معه في أخذ ورد عنيين، ودون جدوى أن أتغلب على غفلته كما قيل:

وإذا ضلت العقول إلى شيءٍ فماذا تقوله النصحاءُ

فلا استماع للنصيحة، ولا التفات إلى الموعظة، وكأنه الحيوان الذي لا يهمه إلا الأكل والشرب، والسماع واللعب، يا للهول من قلوبنا القاسية، وطباعنا الجافية، وإعراضنا عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، نستغفر الله العظيم ونتوب إليه، وفي آخر

الحديث قلت له: الدنيا فانية، والأعمار قصيرة، والمدة يسيرة، وإذا كنت في إدبار والموت في إقبال فما أسرع الملتقى، وإذا كانت الأنفاس بالعدد فما أسرع ما تنفذ، ويقال: أنفاس ابن آدم في اليوم والليلة أربعة وعشرون ألفاً، وإن لـه بمشيئة الله تعالى منخرين يتنفس في الليل من اليسار وفي النهار من اليمين، صنع الله الذي أتقن كل شيء، وما دام ذلك القلب الخفاق دائباً ليلاً ونهاراً وهو لحم وبشر فما أسرع ما يتوقف بحكمة مقدرة، وحركات ميسرة، ومدة معلومة.

فليعتبر الإنسان اللجوج بالحقائق الماثلة أمامه، فكم دول بادت، وكم أمم هلكت، وكم قوات تحطمت، وكم جماعات تفرقت وماتت، وكم أغنياء فقروا، وكم فقراء غَنُوا، وكم مبسوطين عنوا، وكم أحوال تغيرت، وكم أهوال ظهرت وانتشرت، وكم ممالك تبعثرت.

ولينظر اللبيب في البعيد منه والقريب في إخوته وأبويه، وأقاربه، وأصحابه، وزملائه، لقوا الله تعالى ولم تبق إلا أعمالهم، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

ذنوبُك يا مغرورُ تُحصى وتحسبُ ... وتجمعُ في لوح حفيظٍ وتكتبُ

وقلبك في سهوٍ ولهوٍ وغفلةٍ ... وأنت على الدنيا حريصٌ معذبُ

تباهي بجمع المال من غير حِلِّهِ ... وتسعى حثيثاً في الذنوبِ وتنصبُ

أما العمرُ يفنى والشبيبةُ تنقضي ... أما الموت آتٍ والمنيةُ تطلبُ

أما أنت زرع الموت حان حصادُه ... وكما تمادى في الزمان سيضربُ

أما تذكرُ الموتَ المفاجيك في غدٍ ... أما أنتَ من بعدِ السلامة تعطبُ

فأدركت منه حسن الإصغاء، فقلت له: يا هذا ما نسبة أعمارنا إلى الماضين، والأمم الغابرين، إلا نسبة ضئيلة قليلة، وتأمل، قيل لنوح عليه السلام وكان أطول

الأنبياء عليه السلام عمراً وقد لبث في قومه ألف سنةٍ إلا خمسين عاما: يا أطول الأنبياء عمراً كيف وجدت الدنيا؟ قال: كدار له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر. ومر أحد الأنبياء عليه السلام بعجوز وهي تبكي فقال لها: مالك يا أمة الله؟ قالت: أبكي على ولدي مات قطفاً، فقال: كم كان عمره؟ فقالت: خمسمائة سنة، فقال: الله أكبر أين أنت من أمة محمد الرسول صلى الله عليه وآله الذي يأتي آخر الزمان تتراوح أعمارهم ما بين الستين إلى السبعين سنة، فقالت: «والله لو كنت من تلك الأمة لانتظرت للموت تحت هذه الشجرة».

ويقول الرسول صلى الله عليه وآله : «معترك أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين» فانتبه يا هذا فلو تتعمر عمر الجبال، أو تملك ملك قارون، أو تتسلط على من في الأرض أو تكون لك جبال الأرض ذهباً وفضة لما نفعك ذلك إلا بتقوى الله تعالى والأعمال الصالحة فلا تغتر بشيء من الدنيا وزخرفها، فإنه يتلاشى ويفنى وتبقى تبعاته ليوم لا تنفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار.

فانظر بعين البصيرة، واعتبر بأمير المؤمنين علي عليه السلام وقد طلق الدنيا ثلاثاً لا رجعة فيها، وانظر على قصذة صاحبه همام وقد وعظه الإمام فبلغت منه الموعظة ذلك المبلغ الذي فارق به الحياة، وانظر معتبراً بالإمام زيد بن علي حليف القرآن، عليه الرحمة والرضوان، وقد كان إذا قرئ عليه القرآن أغمي عليه حتى يظنوا أنه لا يرجع. وإلى زهد العارف بالله إبراهيم الكينعي - رضي الله تعالى عنه - ومريديه، وإلى السري السقطي، والجنيد، والفضيل، وابن أدهم، ورابعة، وغيرهم - رضي الله تعالى عنهم -، وإلى أولئك الأولياء والصالحين الذين نحلت أجسادهم في عبادة ربهم، وفي هذا العصر المشؤوم أهله أخبرني الثقة أن شريفاً لا يحب ذكر اسمه إذا قرئت عليه الآية من القرآن الكريم سقط مغشياً، فقلت :غريب ورب الكعبة! فأين أولئك وأين نحن منهم! يا للهول ويا

للمصيبة من ذهولنا ومن غفلتنا! لا قوة إلا بالله العلي العظيم! فلما بلغت إلى هذا القول إذا دموعه تساقط على لحيته، ويعلو نحيبه، فرجوت الله تعالى له السلامة، وعاهدني أن لا ينظر إلى الدنيا إلا بعين الاحتقار والصغار، وأن يجاهد نفسه الأمارة في الليل والنهار، وأن يجتهد في الالتحاق بالطيبين من السلف الصالح من أهل بيت رسول الله ﷺ ومحبيهم ومواديهم المؤمنين الذين هجروا الشهوات، ولازموا الصلوات المكتوبات والمسنونات، وعملوا الأعمال الصالحات، اللهم اهده إلى ما تحب وترضاه، وعافه في دينه ودنياه، واختم له بالخاتمة المرضية، والميتة السوية آمين. ولله القائل:

لي في التوبة رأيٌ والهوى يغلب رأيي ... كلما داويت قلبي غلب الداء دوائي

ويلتا إن قيل يوماً عذِّبوا هذا المرائي ... كان يعصيني بسر ويرى من أوليائي

قدموه لحساب وعذاب لجزاء ... أترائي الخلق ترضيهم ولم تطلب رضائي

إنما الخلد وأجري لعبيدي الأتقياء

النبي إدريس عليه السلام

روي أن النبي الرسول إدريس -عليه الصلاة والسلام - سمي إدريس لكثرة درسه الكتب والصحف، وكان أول من خط بالقلم، وأول من خاط الثياب ولبس المخيط، وأول من نظر في علم النجوم والحساب، بعثه الله تعالى إلى ولد قابيل، ثم رفعه الله تعالى إلى السماء قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ۝٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[مريم:٥٦، ٥٧].

قال وهب: كان يرفع له كل يوم من العبادة كما يرفع لأهل الأرض جميعهم في زمانه، فعجبت الملائكة واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن الله في زيارته فأذن له،

فأتاه في صورة بني آدم، وكان إدريس عليه السلام يصوم الدهر، فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل وفعل ذلك ثلاث ليال فأنكره، وقال في الليلة الثالثة: إني أريد أن أعلم من أنت؟ قال: أنا ملك الموت استأذنت ربي أن أزورك وأصاحبك فأذن لي في ذلك، فقال إدريس: لي إليك حاجة! فقال: ما هي؟ قال: اقبض روحي، فأوحى الله تعالى إليه: أن اقبض روحه ثم ردها الله عليه بعد ساعة، فقال له ملك الموت: فما الفائدة في سؤالك قبض الروح؟ قال: لأذوق كرب الموت وغمه فأكون له أشد استعداداً، ثم قال: لي إليك حاجة قال: ما هي؟ قال: ترفعني إلى السماء لأنظر إلى النار وإلى الجنة، فأذن له في ذلك، فلما قرب من النار قال: لي إليك حاجة! قال: وما تريد؟ قال: تسأل مالكاً فيفتح لي أبواب النار حتى أراها، ففعل ذلك، ثم قال: فكما أريتني النار فأرني الجنة، فذهب به الى الجنة فاستفتحها ففتحت له أبوابها، فدخلها، فقال له ملك الموت: اخرج لتعود إلى مقرك في الدنيا فتعلق بشجرة وقال: لا أخرج منها، فبعث الله ملكاً حكماً بينهما، فقال له الملك: مالك لا تخرج؟ قال: لأن الله تعالى قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥] وقد ذقته وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم:٧١]، وقد وردتها، وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨] فلست أخرج، فقال الله تعالى لملك الموت: «دعه فإنه بإذني دخل الجنة وبأمري لا يخرج». فهو حي هناك فتارة يعبد الله تعالى في السماء الرابعة وتارة ينعم في الجنة والله أعلم[١].

---

(١) هذه القصة من القصص الترغيبية وأنا أشك في صحتها لعدة أمور:

الأول: هو أن القرآن نزل على سيدنا محمد الأمين صلى الله عليه وآله الطاهرين.

الثاني: أنها لا تتماشى مع أخلاق الأنبياء في الوفاء وهم أوفى الناس.

الثالث: أن حب الله وحب عبادته عند الأنبياء تفوق رغبتهم في الجنة.

صفات رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –

روي أنَّ من كانت عنده صفة النبي ﷺ في منزله، أو في رحله، أو بين أمتعته، أو حفظها عن ظهر قلب وكان ظاعناً أو قاطناً، إلا أمن من السرق والغرق والحرق وجور السلطان، وإلا وتوفق لخير الدنيا والآخرة، ولم يفارق منزله السرور أبداً وبارك الله تعالى له في ماله وولده وعمره، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وروى الإمام زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ورضوان الله تعالى عليهم أجمعين عن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام بينما علي عليه السلام بين أظهرهم بالكوفة في صحن مسجدكم هذا محتبياً بحمائل سيفه، وحولَهُ الناس محدقون به، وأقرب الناس منه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون يلونهم، إذ قال له رجل من أصحابه: يا أمير المؤمنين صف لنا رسول الله ﷺ كأنا ننظر اليه فإنك أحفظ لذلك منا، قال: فصوب رأسه ورقَّ لذكر رسول الله ﷺ واغرورقت عيناه، قال: ثم رفع رأسه، ثم قال: نعم كان رسول الله ﷺ أبيض اللون، مشرباً بحمرة، أدعج العينين، سبط الشعر، دقيق العرنين،أسهل الخدين، دقيق المسربة،كث اللحية، كان شعره مع شحمة أذنيه إذا طال، كأنما عنقه إبريق فضة، له شعر من لبته الى سرته يجري كالقضيب، لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره إلا نبذات في صدره، شثن الكف والقدم، إذا مشى كأنما يقلع من صخر أو ينحدر من صبب،

إذا التفت التفت جميعاً، لم يكن بالطويل ولا بالعاجز اللئيم، كأنما عرقه اللؤلؤ، ريح عرقه أطيب من المسك، لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ .

قال أبو طالب في قصيدته اللامية في مدحه:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وكان أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- إذا رأى رسول الله ﷺ استشهد بقول الأول:

لو كنت من شيء سوى بشر كنت المضيء لليلة البدر

ثم يقول عمر وجلساؤه: كذلك كان رسول الله ﷺ لاغيره.

ولبعض العلماء الأعلام -رضي الله عنهم - في بعض شمائله الشريفة الخَلقية الجِبلية: أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، كان أزهر اللون أدعج أنجل أشهل أهدب الأشفار أبلج أزج أقنى أفلج أشنب عظيم الهامه معتدل القامه، مدور الوجه، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر كأن ماء الذهب يجري في صفحة خده، ورونق الجلال يطرد في أسرة جبينه كأن الجُدُر تلاحك وجهه، ويهب نوره عليها إذا مشى بجانبها كأنه الشمس والقمر مستديراً، واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره، سهل الخدين ضليع الفم، أشكل العين منهوس العقب - أي قليل لحم العقب - أحسن الناس عنقاً كأن عنقه جيد دميةً، في صفاء الفضة، سواء البطن والصدر، واسع الصدر، عظيم المنكبين، ضخم العظام، عبل العضدين والذراعين والأسافل، رحب الراحة شثن الكفين والقدمين، طويل الزندين، سائل الأطراف، سبط العصب، نور المتجرد في ساقيه، فيه حموشة، لو رأيته رأيت الشمس طالعةً، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين

ماسوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، ربع القامة ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد، ومع ذلك لم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله ﷺ، إذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين، وربما اكتنفه الرجلان فيطولها فإذا فارقاه نسبا إلى الطول، ولم يقع ظله على الأرض ولا رئي له ظل في الشمس ولا في القمر لأنه كان نوراً، إذا افتر ضاحكاً افتر عن مثل سناء البرق وعن مثل حب الغمام، جل ضحكه التبسم، وربما ضحك حتى تبدو نواجذه، إذا تكلم رأيت كالنور يخرج من بين ثناياه، جهير الصوت، حسن النغمة في صوته صحل، كان متماسكاً ضرب اللحم، ليس بمطهم ولا مكلثم، مهوس العقب، أخمص الأخمصين، مسيح القدمين، ينبو عنه الماء، رجْلُ الشعر، إن فرقت عقيصته فرقها وإلا فلا يجاوز شعره شحم أذنه إذا هو وفره وربما ظفره، إذا زال تقلعا ويخطو تكفؤاً، ويمشي هوناً، ذريع المشية كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت جميعاً، خاتم النبوة عند مرجع كتفه اليسرى مثل الجمع حولها خيلان، وفي رواية: مثل زر الحجلة أي بيضتها، من لون الجسم، إذا فرح غض طرفه، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر، بين حاجبيه عِرْقٌ يُدِرهُ الغضب، وكان ﷺ إذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربَّد وجهه وصدع فيغلف رأسه بالحنا، ولم يكن في رأسه شيب إلا شعرات في مفرق رأسه، إذا أدهن واراهن الدهن، وكان شيبه أحمر، وكان كثير العرق وعرقه أطيب من العنبر والمسك الأذفر، جِبِلّةً وإن لم يمس طيباً ولا يمر في طريق فيتبعه أحد إلا عرف مسلكه من طيب عَرفه ووجدوا منه ريح المسك وقالوا مر رسول الله ﷺ . كان أحسن الناس خَلْقاً، وأحسن الناس خُلُقاً، وأحسن الناس جوداً، وأحسن الناس كرماً، وأحسن الناس شجاعة، وأحسن الناس براً، وأحسن الناس رحمة،

وأحسن الناس رفقاً وأحسن الناس صبراً، يبيت جائعاً ويصبح طاعماً يطعمه ربه -عز وجل- ويسقيه، تكلم في المهد، وأول كلام تكلم به الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا.

كانت تظلله الغمامة في الحر، يميل إليه فيء الشجرة إذا سُبِقَ اليه، ولا تأكل النار شيئا منه، كان ﷺ أفلج الثنيتين إذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه، كان تنام عيناه ولا ينام قلبه، وما تثاءب قط ولا احتلم قط، لأنه من تلاعب الشيطان ولا سلطان له عليه، يرى من خلفه كما يرى أمامه، ويرى في الليل وفي الظلمة كما يرى بالنهار والضوء، وريقه يعذب المالح، ويجزيء الرضيع، وإبطه أبيض غير متغير اللون ولا شعر عليه، ويبلغ صوته وسمعه ما لايبلغ غيره، فكان إذا خطب في المسجد، سمعه العواتق في خدورهن، والمحجبات في بيوتهن، وخطب فسمعه بنو تميم في منازلهم، وخطب في منى فسمع من فيها.

ومما خص به ﷺ قوة البصر وقال : «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط ما منها موضع قدم إلا وملك ساجد أو راكع أو قائم، لو تكاشفتم لتدافنتم».

كانت الأرض تطوى له إذا مشى، وأوتي قوة أربعين في البطش والجماع، وقيل قوة بضع وسبعين شاباً، وقيل بضع وأربعين رجلاً كل رجل من أهل الجنة وقوة الرجل من أهل الجنة كمائة من أهل الدنيا.

وفي الحديث: « فُضّلت على الناس بالشجاعة والسماحة وكثرة الجماع وبشدة البطش».

وإذا ركب دابة لاتبول ولا تروث وهو راكب عليها، ولم يقع على ثيابه ذباب

قط، ولا آذاه قمل، ولا امتص دمه البعوض، وكان ﷺ يوعك كما يوعك رجلان لمضاعفة الأجر، وخُيِّرَ بين البقاء في الدنيا وبين الرجوع إلى الله تعالى وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فاختار الآخرة.

و لا يبلى جسده الشريف وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهو حي في قبره، يصلي فيه بأذان وإقامة وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وكان ﷺ قليل الأكل فكان أقنع الناس في الغذاء فيقنعه العلقة وتشبعه الحزة، ولم ير له أثر قضاء الحاجة قيل: بل كانت الأرض تبتلعه ويشم من مكانه رائحة المسك وكذلك الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم، ولم يقع في نسبه من لدن آدم عليه السلام سفاح قط، وتقلب في الساجدين حتى خرج نبياً، وما افترقت فرقة إلا كان في خيرها، ولم يلد أبواه غيره.

وتنكست الأصنام لمولده، وتداعى إيوان كسرى، وغاضت بحيرة ساوةً، وسقط عرش إبليس، ورمي الشياطين بالشهب، وولد مختوناً، ومقطوع السرة، ونظيفاً ما به قذر، ووقع على الأرض ساجداً معتمداً على يديه رافعاً إصبعه كالمتضرع المبتهل، ورأت أمه حين ولادته نوراً خرج منها أضاء لها قصور الشام، وكذلك أمهات الأنبياء عليهم السلام، وكان القمر يناغيه وهو في مهده ويميل حيث أشار إليه.

ومن شمائله -صلى الله عليه وآله وسلم-

ومن شمائله ﷺ الخُلقية أنه ﷺ كان خُلُقُه القرآن، يذكر الله تعالى على كل أحيانه لا يعوقه شيء من ذكر الحق -سبحانه- في حالة قيامه وقعوده، ورقوده، وذهابه وإيابه، ودخوله وخروجه، وجميع حالاته لا ينفك عن ذكر الله تعالى.

وكان خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام، كانت قراءته مفسرة لا لبس فيها، حرفاً حرفاً وربما رجع فيها فيكررها ليفهمها الناس، فصلاً يفهمه كل من سمعه لو شاء أحد أن يعد حروف قراءته لعدَّها، وفي كلامه ترتيل أو ترسيل لافضول ولا تقصير، متواصل الأحزان، دائم الفكرة ليست له راحة، طويل السكوت، إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى، وإذا اهتم أكثر مس لحيته الشريفة، وربما نكت الأرض بعود أو مخصرة بيده، كان ﷺ يتختم تارة باليمنى وتارة باليسار، وكان خاتمه فضة فصه منه ومرة فصه حبشياً، كان يجعل فصه مما يلي كفه،وكان نقش خاتمه محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر، هكذا «محمد رسول الله» .

وقبيعة سيفه من فضة، وكان يلبس ما وجده مرة شملة، ومرة جبة من صوف، ومرة حبرة يمانية، ومرة قباء، ومرة برداً، ومرة حلة حمراء، والمراد بالأحمر هنا ما فيه خطوط حمر لا أنه أحمر خالص لأن الأحمر الخالص نهي عنه. ولبس مرة بردين أخضرين، ومرة جبة طيالسية مكفوفة الجيب والكمين والفرجين بالديباج، ومرةً برداً نجرانياً غليظ الحاشية، ومرة جبة رومية ضيقة الكمين، وتوشح مرة بثوب قطري، وربما لبس في بيته مجولاً أو لبس ثوباً من الشعر الأسود، وفي بعض الأحيان ثوباً من كتان مصر، أو حبرة من برود اليمن، وكان ﷺ يصلي في مروط نسائه، وكان يأتزر إلى أنصاف ساقيه، وكان أحب الثياب إليه الواسع. وكان كمه إلى الرسغ، وكان له ثوب لجمعته خاصة، وكان له ﷺ عمامة ويقول: «العمائم تيجان العرب فإذا وضعوها ذلوا»، وكان إذا اعتم سدلها بين كتفيه ذؤابة، وخطب يوماً وعليه عمامة سوداء، وعصب رأسه

مرة بخرقة حمراء ومرة بحاشية برد، وكان لنعله قبالان، وصلى يوما في نعلين مخصوفتين، وكان يحب التيمن ما استطاع في كل شأن من شأنه، وفي تنعله وترجله وطهوره وشأنه كله، وكان ﷺ يجعل يمينه لطعامه وشرابه، وأخذه وعطائه، وكانت اليسرى للاستنجاء ولما كان من أذى، وكان إذا جلس احتبى بيده واحتبى مرة بشماله، واستلقى مرة في المسجد واضعاً إحدى رجليه على الأخرى، وخرج يوماً يتوكأ على أسامة، ومرة على علي والفضل واضعاً كفه الشريف على منكبيهما في مرضه وربما اتكأ على وسادة على يساره، وكان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته كل يوم مرة أو مرتين، وربما أخذ من طول لحيته وعرضها، ولا يفارقه المشط والمرود والإبرة والمخيط والمرآة في حضر ولا سفر. وكان يترجل غباً، ويكثر القناع، وكان ربما صبغ ثيابه بالصفرة، ويكره الخلوق للرجال، ويكره الحمرة من الألوان، وكانت له مكحلة يكتحل منها عند النوم ثلاثاً في كل عين مبتدئاً باليمنى، وكان يسمي الله تعالى في مأكله، ومشربه، وملبسه، ومقعده، وقيامه، ونومه، ويقظته، ومدخله، ومخرجه، وفي كل شأن من شؤونه، وكان يحب من الشاة الذراعين والكتف، ومن القدر الدباء، ومن الشراب الحلو البارد، ومن الأزهار الفاغيه، ومن الألوان الخضرة، ومن الصباغ الخل، ومن التمر العجوة، ومن الفواكه الرطبة البطيخ، والقثا والعنب، وربما أكل العنب حتى يسيل رُؤالُهُ إلى لحيته كاللؤلؤ، وكان يأخذ عنقود العنب بيده اليسرى ويتناول منه حبة حبة بيده اليمنى فيأكل وربما أكله خرطاً، وكان يأكل القثابالرطب والملح، وأكثر طعامه التمر والماء، وكان يأكل البطيخ بالرطب، ويجمع بين الخريز والرطب، وأتي بجمار نخلة فأكل منها، وكان ينقع الزبيب أول الليل فيشربه من الغد إلى مساء الثالثة ثم يأمر به فيهراق، وكان يتمجّع اللبن

بالتمر ويسميها الأطيبين، وأطيب الطعام لديه اللحم، وكان يأكل الثريد باللحم والقرع.

وكان ﷺ يعجبه الفأل الصالح والكلمة الحسنة، ويعجبه إذا خرج لحاجة أن يسمع: يا راشد، يا نجيح، يا تمام ونحوه، وكان لايتطير من شيء فإن كره شيئاً رئي كراهته في وجهه، وكان يعجبه الزبد والتمر والثفل وهو مابقي من الطعام، وكان أكثر ما يأكل خبز الشعير غير منخول، قالت أم سلمة -رضي الله عنها-: ما عرفنا نخل الشعير إلا بعد وفاته ﷺ.

وروي أن سلمى طحنت شعيراً، ثم جعلته في قدر وصبت عليه زيتاً ،ودقت الفلفل والتوابل وقالت: هذا مما كان يعجب النبي ﷺ ، وكان ﷺ يأكل لحم الغنم والإبل والدجاج والحبارى، وقال عتبة: رأيتني وأنا سابع سبعة مع النبي ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر، وكان ﷺ يشرب الحليب ممزوجاً بالماء على الريق يتغذى بعد ذلك بخبز الشعير مع ملح ونحوه أو بقدح عسل ممزوج بالماء، وكان لا يأكل متكئاً وإذا حضر طعامه لايرده، ولا يتكلف في طلبه، ما عاب طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه، وكان يشرب في كل يوم قدحاً من ماء، وكان يمر عليه الهلالان والثلاثة لايوقد في بيته نار، وإذا حضر الطعام وضعوه على السفرة وبسطوها على الأرض، ولم يأكل على خوان مرتفع، وإذا فرغ من الطعام قال: «الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفى ولا مودع ولا مستغن عنه ربنا»، وبعض الأحيان يقول: «الحمد لله الذي أطعم من الطعام، وسقى من الشراب، وكسا من العري، وهدى من الضلال، وبصر من العمى، وفضل على كثير ممن خلق تفضيلاً، الحمد لله رب العالمين».

وكان وصولاً للرحم القريب والبعيد، ويعين على نوائب الدهر، قالت أم

المؤمنين خديجة بنت خويلد - رضي الله تعالى عنها- عند بداية الوحي فارتاع منه: «كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الدهر».

قلت: هي خمس يمن الله تعالى على صاحبها بخير الدنيا والآخرة ، ويصرف عنه شرور الدنيا والآخرة.

وكان ﷺ ينام بعد العشاء الآخرة مبكراً ويستيقظ بعد مضي نصف الليل وأحياناً قبل ذلك وأحيانا عند صياح الديك، وإذا استيقظ مسح بيده على عينيه المباركتين الشريفتين، ثم استعمل السواك ثم توضأ، وكان إذا قرأ من الليل رفع طوراً وخفض طوراً، وربما سمعه من في الحجرة، وكان يعقد التسبيح بيمينه، وكان إذا أصابته شدة دعا وربما رفع يديه حتى يرى بياض إبطيه، وكان إذا أصابه كرب أو غم يقول: «حسبي الرب من المربوبين، حسبي الخالق من المخلوقين، حسبي الرازق من المرزوقين، حسبي الذي هو حسبي، حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم»، وإذا أهمه أمر رفع رأسه إلى السماء وقال: «سبحان الله العظيم»، وإذا اجتهد في الدعاء قال:«يا حي ياقيوم».

كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظٍ، ولا غليظٍ، ولا صخابٍ، ولا فحاشٍ، ولا عيابٍ، ولا مداحٍ، فطَرَهُ الله تعالى على كل ما هو فاضل وكامل وعظيم صلى عليه ربه -عز وجل- وملائكتُه، وأمر المسلمين بالصلاة والسلام عليه ﷺ على طول الأزمان والدهور بركة لهم وقضاء لحاجاتهم ونجاة لهم، اللهم صل على سيدنا محمد صاحب الوجه الأنور، والجبين

الأزهر، والشريعة السمحة، والمحجة البيضاء، وعلى آله، وأصحابه الراشدين، من يومنا إلى يوم الدين يا أرحم الراحمين.

ولله القائل :

وله فضائل لست أحصي عدها　　من رام عد الشهب لم تتعدد

وقال حسان بن ثابت -رضي الله عنه- :

وأحسن منك لم تر قط عيني　　وأجمل منك لم تلد النساء
خُلِقْتَ مبرأً من كلِّ عيبٍ　　كأنك قد خُلِقْتَ كما تشاءُ

وعن عائشة - رضي الله تعالى عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ : «أتاني جبريل فقال: قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر رجلاً أفضل من محمد ولم أر بني أب أفضل من بني هاشم».

وعنها -رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ : «من سأل عني أو سره أن ينظر إلى فلينظر إلى أشعثٍ، شاحبٍ، مشمرٍ، لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة، رفع له علم فشمر إليه، اليوم المضمار وغداً السباق، والغاية الجنة أو النار».

وعن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - : «من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا

نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣].

روي أن عائشة -رضي الله عنها- نظرت إليه ﷺ يوماً وتبسمتْ فسألها مم ذاك؟ فقالت: كأنَّ أبا كبير الهذلي إنما عناك بقوله :

ومبرأ من كل غُبَّر حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل
وإذا نظرتَ الى أَسرّة وجهِهِ برقتْ كبرق العارض المتهلل

وعن أبي مريم قال: كنت حاجاً في بعض السنين فإذا بأعرابي يركض على بعيره، حتى أتى مسجد رسول الله ﷺ فعقل بعيره ثم دخل يؤم القبر فلما نظر الى قبر رسول الله ﷺ قال: بأبي أنت وأمي، لقد بعثك الله بشيراً ونذيراً وأنزل عليك كتاباً مستقيماً أعلمك فيه علم الأولين والآخرين فقال: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

وإني لأعلم أن ربك منجز لك ما وعد، وهاأنا قد أتيتك مقراً بالذنوب مستشفعاً بك عند ربك -عز وجل-، ثم مضى وأنشأ يقول شعراً :

ياخير من دفنت في الترب أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

زاد في رواية:

أنت النبي الذي ترجى شفاعته عند الصراط إذا ما زالت القدم

فرأى العتبي رسول الله ﷺ في النوم فقال: يا عتبي، الحق الأعرابي فبشره بأن الله تعالى قد غفر له.

وزار بعضهم قبره ﷺ وقال :

أتيتـــــك راجـــــــلاً وودت أني ملكـــت ســـواد عينـــي أمتطيـــه
ومـــالي لا أســير عـــلى المـــآقي قـــبرٍ رســـــولُ الله فيــــه

ووقف أمير المؤمنين علي «ع» على قبره ﷺ وقال: «بأبي أنت وأمي يارسول الله، والله إن الجزع لقبيح إلا عليك، وإن الصبر لجميل إلا عنك، وإن المصيبة بك لأجل، وإن ما بعدك وماقبلك لجلل، ثم أنشأ يقول :

مـــا غـــاض دمعـــي عنـــد نازلـــة إلا جعلتـــــك للبكـــــا ســـــببا
فـــإذا ذكرتـــك ســـامحتك بـــه منـــي الجنـــون وفـــاض وانـــسكبا
إني أجـــلُّ ثـــرىً نزلـــت بـــه مـــن أن أُرَى بـــسواه مكتئبـــا

وأقول: اللهم، آته الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد، اللهم اجزه عنا أفضل ما جزيت نبيئاً عن أمته، اللهم لك الحمد أن تفضلت علينا برسولك محمد ﷺ ؛ نبي الرحمة المرسل إلى الأمة، فكَشَفْتَ به الغُمَّة، وشحذت به الهمَّة، وأزلت به كل ملمة، اللهم لك الحمد أن شرفتنا بـه، ومننت علينا برسالته، وأكرمتنا بدعوته، وجعلتنا من أمتـه، وهـديتنا إلى سـنته، وطهرتنا بملته. أكرمـتَ وأعطيـتَ، وأغنيـتَ، وأفنيـتَ، وأجزلـتَ وهـديتَ، وتفضَّلتَ وعافيتَ، وعَلمتَ وكَفيتَ، فلك الحمد والشكر كثيراً على ما أوليت وأسديت، لا نحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، ولك الحمـد عـلى الإسلام، ولك الحمد على الإيمان، ولك الحمد على العافيـة، ولـك الحمـد عـلى الحال، والمال والرجال، أعطيت ما ليس في الحسبان، ومننت وأنت الكريم المنان، تفضلاً منك يا مولاي وإحساناً على مدى القرون والدهور والأزمان، وصلواتك وسلامك عليه وآله.

في فضل العلم

روى الإمام الحجة جعفر بن أحمد بن عبد السلام رضوان الله تعالى عليه في الأربعين العلوية بسنده إلى زيد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، وإنه ليستغفر لطالب العلم من في السموات والأرض حتى حيتان البحر وهوام البر، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب».

وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم : «يحمل هذا الدين من كل خَلَفٍ عدولُهُ ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين».

وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «تعلموا العلم قبل أن يرفع ؛ أما إني لا أقول لكم يرفع هكذا -وأرانا بيده-، ولكن يكون العالم في القبيلة فيموت فيذهب بعلمه فيتخذ الناس رؤساء جُهالاً فيسألون فيقولون بالرأي ويتركون الآثار والسنن فيَضلون ويُضلون فعند ذلك هلكت الأمة».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : «إن الله لا يرفع العلم قبضاً يقبضه من الناس، ولكن يقبض العلماء بعلمهم، فيبقى الناس حيارى في الأرض؛ فعند ذلك لا يعبأ الله بهم شيئاً».

وفيه بذلك الإسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إن صاحب القرآن يُسأل عما يسأل عنه النبيون إلا أنه لا يسأل عن الرسالة».

وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «تعلموا القرآن وتفقهوا فيه، وعلموه الناس،

وفقهوهم به ولا تستأكلوهم به، فإنه سيأتي من بعدي قوم يقرؤونه ويتفقهون فيه يسألون الناس لا خلاق لهم عند الله -عز وجل-».

وقال: قال رسول الله ﷺ : «من قرأ القرآن فحفظه وظن أن أحداً أوتي أفضل مما أوتي فقد عظَّم ما حقَّر الله وحقَّر ما عظَّم الله -عز وجل-».

وروى الحافظ محمد بن سليمان الكوفي وغيره بسنده إلى الحارث الأعور صاحب علي عليه السلام قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث، قال: أو قد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إنها ستكون فتنة فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، لاتزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلَقُ عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن:١-٢] من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هد إلى صراطٍ مستقيم، خذها إليك يا أعور».

وفي حديث آخر عنه ﷺ : «إن أردتم عيش السعداء، وموت الشهداء، والنجاة يوم الحشر، والهدى يوم الضلالة، والظل يوم الحرور، فادرسوا القرآن فإنه كلام الرحمن حرز من الشيطان، ورجحان في الميزان».

وعن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ : «إني تارك فيكم ثقلين أولهما

كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» أخرجه الإمام مجد الدين بن محمد المؤيدي في «لوامع الأنوار»، وذكر من رواه من الموالفين والمخالفين وهو من المتواتر.

وصية أمير المؤمنين لكميل بن زياد

قال كميل بن زياد -رضي الله عنه- أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فأخرجني الى الجبان فلما أصحر تنفس الصعداء ثم قال: « يا كميل بن زياد، إن هذه القلوب أوعيةٌ فخيرُها أوعاها، فاحفظ عني ما أقول لك: الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمجٌ رعاعٌ أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق، يا كميل العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق ،وصنيع المال يزول بزواله.

يا كميل بن زياد، معرفة العلم دين يدان به، به يكسب الإنسان الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد وفاته، والعلم حاكم والمال محكوم عليه.

يا كميل، هلك خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون مابقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة، ها إن هاهنا لعلماً جماً -وأشار بيده إلى صدره- لو أصبت له حملة ..بلى أصبت لقناً غير مأمون عليه، مستعملاً آلة الدين للدنيا، ومستظهراً بنعم الله على خلقه، وبحججه على أوليائه، أو منقاداً

لحملة الحق لا بصيرة له في أحنائه، ينقدح الشك في قلبه لأول عارض من شبهة، ألا لا ذا ولا ذاك، أو منهوماً باللذة، سلس القياد للشهوة، أو مغرماً بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين في شيء، أقرب شيء شبهاً بهما الأنعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامليه.

اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إما ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيناته وكم ذا وأين أولئك؟!.

أولئك والله الأقلون عدداً، والأعظمون عند الله قدراً، يحفظ الله بهم حججه وبيناته حتى يودعوها نظراءهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى، أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه آهٍ آهٍ شوقاً إلى رؤيتهم، انصرف يا كميل إن شئت».

روى هذه الخطبة وأجلَّها وحفظها ووله بها الكثير من أهل السنة والشيعة بالشرح والتحليل، قال بعض العارفين - رضي الله تعالى عنهم - : من حفظها عن ظهر قلب فتح الله عليه باب العرفان، وأيده بالبرهان، ورزقه يقين المعرفة، وملأ قلبه حكمة وإيماناً، وعلمه من كنوز العلم، وجعله من أهل المواهب، سبع هي من زينة الدنيا والآخرة فاحفظها أيها القارئ تتحف بها معلوماتك ومجلسك، وتنير بها إيمانك وفكرك إن شاء الله تعالى، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه الراشدين آمين.

حكاية عن فضائل أهل البيت

عن الإمام الزمخشري من الكشَّاف في تفسير سورة الإنسان قال : «عن ابن عباس -رضي الله عنه- أنَّ الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله ﷺ في ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما إن برءا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام، فشفيا وما معهما شيء، فاستقرض علي من شمعون اليهودي ثلاثة أصواع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة أقراص على عددهم، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياماً، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك، فلما أصبحوا أخذ علي بيد الحسن والحسين وأقبلوا على رسول الله ﷺ فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال: ما أشد مايسوئني ما أرى بكم، وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها، وربما غارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل وقال: «خذها يا محمد هنأك الله في أهل بيتك، فأقرأه السورة «يعني سورة هل أتى على الإنسان».

قصة أصحاب الأخدود

وعن صهيب الرومي -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إليّ غلاماً أعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه، وكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، وكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو على ذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل، فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك مبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علي، وكان الغلام يبريء الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لاأشفي أحداً إنما يشفي الله تعالى، فإن آمنت بالله تعالى دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله تعالى، فأتى الملك : فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من ردَّ عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: أو لك رب غيري؟! قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الغلام، فجيء بالغلام فقال له الملك: أي بني، قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله تعالى، فأخذه فلم يزلّ يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء

بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى سقط شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له:ارجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه وإلاَّ فاطرحوه. فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت. فارتج بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور وتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال: اللهم أكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: بسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع ثم أخذ سهماً من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: بسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه فمات فقال الناس آمنا برب الغلام، فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر قد وقع والله، نزل بك حذرك، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود بأفواه السكك، فخدّت وأضرم فيها النيران وقال من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها، وقيل له اقتحم ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق».

أحاديث قدسية شريفة

عن أبي ذر جندب بن جنادة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى أنَّه قال: «ياعبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا. يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم. يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم. يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً. ياعبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر. يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه».

وعنه ﷺ فيما يرويه عن ربه جل وعلا: «أنا جليس من ذكرني وحيثما طلبني عبدي وجدني».

وعنه ﷺ فيما يرويه عن ربه جل وعلا: «الصوم لي وأنا أجزي به».

وعنه ﷺ فيما يرويه عن ربه جل وعلا: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني».

زيد بن حارثة

زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي أبو أسامة مولى رسول الله ﷺ كان زيد قد أصابه سباء في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام في سوق حباشة، وهو سوق بناحية مكة، كان مجمعاً للعرب يتسوقون بها في كل سنة، اشتراه حكيم لخديجة بنت خويلد فوهبته لرسول الله ﷺ فتبناه رسول الله بمكة قبل النبوة وهو ابن ثمان سنين، وكان رسول الله ﷺ أكبر منه بعشر سنين وقد قيل بعشرين سنة، وطاف به الرسول ﷺ حين تبناه على حلق قريش يقول هذا ابني وارثاً وموروثاً، وقال عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما-: « ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزلت الآية ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾[الأحزاب:٥] » إلى أن قال: وقال أبوه حارثة بن شراحيل حين فقده :

بكيتُ على زيدٍ ولم أدرِ ما فعل
أحيٌّ فيرجى أم أتى دونه الأجل

فوالله ما أدري وإن كنت سائلاً
أغالك سهلَ الأرضِ أم غالَكَ الجبل

فيا ليت شعري هل لك الدهر رجعةٌ
فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل

تذكرنيه الشمس عند طلوعها
وتعرض ذكراه إذا قارب الطفل

وإن هبت الأرواح هيج ذكره
فيا طول ما حزني عليه ويا وجل
سأعمل نص العيس في الأرض جاهداً
ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل
حياتي أو تأتي علي منيتي
وكل امرئ فانٍ وإن غره الأمل
سأوصي به قيساً وعمراً كليهما
وأوصي يزيداً ثم من بعده جبل

يعني جبلة بن حارثة أخا زيدٍ وكان أكبر من زيد، ويعني يزيد أخا زيد لأمّه وهو يزيد بن كعب بن شراحيل، فحج ناس من كلب فرأوا زيداً فعرفهم وعرفوه، فقال لهم أبلغوا أهلي هذه الأبيات فإني أعلم أنهم قد جزعوا عليَّ فقال:

أحن إلى قومي وإن كنت نائياً
فإني قعيد البيت عند المشاعر
فكفوا من الوجد الذي قد شجاكم
ولا تعملوا في الأرض نص الأباعر
فإني بحمد الله في خير أسرة
كرام معد كابراً بعد كابر

فانطلق الكلبيون فأعلموا أباه فقال: «ابني ورب الكعبة» ووصفوا له موضعه وعند من هو، فخرج حارثة وكعب ابنا شراحيل لفدائه، وقدما مكة فسألا عن النبي ﷺ فقيل: هو في المسجد، فدخلا عليه، فقالا : «يابن عبد المطلب، يابن هاشم، يابن سيد قومه أنتم أهل حرم الله وجيرانه، تفكون العاني، وتطعمون

الأسير، جئناك في ابننا عبدك، فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه»،قال: «من هو؟» قالوا: زيد بن حارثة، فقال رسول الله ﷺ : «فهلاً غير ذلك»، قالوا: وما هو؟ قال «ادعوه فأخبروه، فإن اختاركم فهو لكم بدون فداء، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحداً»، قالا: قد زدتنا على النصف وأحسنت، فدعاه فقال: «هل تعرف هؤلاء»؟ قال: نعم، «قال: من هذا»؟ قال: هذا أبي وهذا عمي، قال: «فأنا من قد علمت ورأيت صحبتي لك، فاخترني أو اخترهما»، قال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحداً، أنت مني مكان الأب والعم، فقالا: ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟

قال: نعم، قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر، فقال : «يا من حضر اشهدوا أن زيداً ابني يرثني وأرثه»، فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما فانصرفا، ودعي زيد بن محمد حتى جاء الله بالإسلام فنزلت: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾[الأحزاب:٥] فدعي يومئذٍ زيد بن حارثة، ودعي الأدعياء إلى آبائهم، فدعي المقداد بن عمرو، وكان يقال له قبل ذلك: المقداد بن الأسود؛ لأن الأسود بن عبد يغوث كان تبناه. وذكر معمر في جامعه عن الزهري قال: ما علمنا أحداً أسلم قبل زيد بن حارثة، قال أبو معمر -رضي الله عنه-: وقد روي عن الزهري من وجوه أن أول من أسلم خديجة. وشهد زيد بن حارثة بدراً، فزوجه الرسول ﷺ مولاته أم أيمن فولدت له أسامة بن زيد وبه كان يكنى، وكان يقال لزيد بن حارثة: حب رسول الله ﷺ . روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أحب الناس إليّ من أنعم الله عليه وأنعمت عليه» يعني زيد بن حارثة، أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعم عليه رسول

الله ﷺ بالعتق. وقتل زيد بن حارثة بمؤتة من أرض الشام سنة ثمان من الهجرة، وقد كان الأمير على تلك الغزوة. وقال رسول الله ﷺ : «فإن قتل زيد فجعفر، فإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة، فقتلوا ثلاثتهم في تلك الغزوة، ولما أتى رسول الله ﷺ نعي جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة بكى وقال: أخواي مؤنساي ومحدثاي». انتهى.

وأئمة أهل البيت عليهم السلام يرون أن الأمير كان جعفر، وأنه أول من قتل ، ثم زيد، ثم عبد الله بن رواحة - رضي الله تعالى عنهم -.

قال: حدثنا الليث بن سعد قال: «بلغني أن زيد بن حارثة اكترى من رجل بغلاً من الطائف، اشترط عليه المكري أن ينزله حيث شاء، قال: فمال به إلى خربة فقال له: انزل فنزل فإذا في الخربة قتلى كثيرة، قال: فلما أراد أن يقتله قال له: دعني أصلي ركعتين، قال: صل فقد صلى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئاً، قال: فلما صليت أتاني ليقتلني، قال: فقلت: يا أرحم الراحمين، قال : فسمع صوتاً: لا تقتله، فهاب ذلك فخرج يطلبه فلم يجد شيئاً، فرجع إليَّ فناديت: يا أرحم الراحمين، فعلت ذلك ثلاثاً، فإذا أنا بفارس على فرس في يده حربة حديد في رأسها مشعلة من نار فطعنه بها فأنفذه من ظهره فوقع ميتاً، ثم قال لي: لما دعوت المرة الأولى: يا أرحم الراحمين كنت في السماء السابعة، فلما دعوت المرة الثانية: ياأرحم الراحمين،كنت في السماء الدنيا، فلما دعوت المرة الثالثة:يا أرحم الراحمين أتيتك». انتهى من الاستيعاب.

الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة[١]

عنه ﷺ : «من قرأ إذا سلم الإمام يوم الجمعة قبل أن يثني رجليه فاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس سبعاً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» أخرجه أبو أسعد القشيري في الأربعين عن أنس.

وأخرج ابن أبي شيبة، وأبو بكر المروزي في مسند عثمان والبزار عن عثمان بن عفان سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لايسبغ عبد الوضوء إلا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر». وأخرج أبو عوانة في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ : «من قال حين يسمع المؤذن يقول أشهد أن لا إله إلا الله رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً -وفي لفظ رسولاً- إلا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

وأخرج آدم بن أبي إياس في كتاب الثواب عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ : «من صلى سبحة الضحى ركعتين إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر إلا القصاص».

وأخرج النسائي وقاسم بن أصبغ في مصنفه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «من قام شهر رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

وأخرج أحمد عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : «من صام رمضان إيماناً

---

(١) ملخصاً ومختصراً من «السراج المنير شرح الجامع الصغير ص٣٨١/ ج٣»

واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

وأخرج أبو سعيد النقاش في أماليه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يوم عرفة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

وأخرج أبو داود والبيهقي في الشعب عن أم سلمة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ووجبت له الجنة».

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن عبدالله بن مسعود سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من جاء حاجاً يريد وجه الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

وأخرج أحمد بن منيع وأبو يعلى في مسنديها عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «من قضى نسكه، وسلم المسلمون من لسانه ويده غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

وأخرج الثعالبي في تفسيره عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ آخر سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

وأخرج أبو أحمد الناصح في فوائده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن سعى لأخيه المسلم في حاجة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

وأخرج الحسن بن سفيان وأبو يعلى في مسنديها عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من عبدين يلتقيان فيتصافحان ويصليان على النبي ﷺ لم يتفرقا حتى يغفر الله لهما ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر».

وأخرج أبو داود عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال: «من أكل طعاماً

ثم قال الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول لي ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

قال في السراج المنير:

قال العلقمي: ألفَّ الحافظ ابن حجر كتاباً سماه «الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة»، وسبقه إلى ذلك الحافظ المنذري.

قلت: ولعل غفران هذه الذنوب من الذنوب الصغائر، أما الكبائر فلا بد من التوبة والإنابة، وإرجاع الحقوق وبذلها، والله أعلم وفضل الله تعالى واسع عظيم.

أصحاب الغار

وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلقَ ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم، قال رجل: اللهم،كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا ولداً فنأى بي طلب يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه. قال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحب الناس إليَّ، وفي رواية كنت أحبها كأشدّ ما يحب الرجال النساء

فراودتها عن نفسها فامتنعت مني، حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها، وفي رواية فلما قعدت بين رجليها، قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليّ، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لم يستطيعوا الخروج منها. وقال الثالث: اللهم، إني استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب؛ فثمّرت أجره حتى كثرت من الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله، أدّ إليّ أجري. فقلت: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله،لا تستهزئ بي، فقلت: لا أستهزئ بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون».

فضل الرجال على النساء

ومن «الاستيعاب» لابن عبدالبر -رحمه الله تعالى- قسم النساء، قال : أسماء بنت زيد بن السكن الأنصارية، كانت من المبايعات من ذوات العقل والدين، روي عنها أنها أتت النبي ﷺ فقالت: «إني رسول من ورائي من جماعة النساء المسلمين كلهن يقلن بقولي وعلى مثل رأيي، إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك، ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات، قواعد بيوت، ومواضع شهوات الرجال، وحاملات أولادهم، وإن الرجال فضلوا بالجماعات وشهود الجنائز، والجهاد، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم،

وربينا أولادهم، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟ فالتفتَ رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه فقال: «هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه؟ فقالوا: بلى يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ : انصرفي يا أسماء وأعلمي من ورائك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها لمرضاته، واتباعها لموافقته تعدل كلما ذكرت للرجال، فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر استبشاراً بما قال لها رسول الله ﷺ ».

فضل قل هو الله أحد

عنه ﷺ أنه سمع رجلاً يقرأ (قل هو الله أحد) فقال: «وجبت» قيل: يا رسول الله، وما وجبت؟ قال: «وجبت له الجنة».

وعن كعب بن عجرة أو من حديث رجل من الأنصار عنه ﷺ : «من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات؛ فكأنما قرأ القرآن كله».

وعن معاذ بن أنس الجهني عنه ﷺ : «من قرأ (قل هو الله) أحد حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرا في الجنة» فقال عمر: إذاً سنكثر يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ : «الله أَكثرْ».

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ : «من قرأ (قل هو الله أحد) حين يدخل منزله نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل والجيران».

وعن أنس بن مالك قال: كنا مع رسول الله ﷺ بتبوك فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت فيما مضى بمثله، فأتى جبريل إلى النبي ﷺ

فقال: «يا جبريل،مالي أرى الشمس طلعت اليوم بضياء وشعاع ونور لم أرها طلعت بمثله فيما مضى؟ قال: إن ذلك معاوية بن معاوية الليثي مات بالمدينة اليوم، فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه، قال: وفيِمَ ذلك؟ قال: كان يكثر قراءة (قل هو الله أحد) في الليل والنهار، وفي ممشاه وقيامه وقعوده، فهل لك يا رسول الله أن أقبض الأرض فتصلي عليه قال: نعم فصلى عليه». رواه الحافظ أبو يعلى والبيهقي، ومن طريق أخرى لأبي يعلى عن أنس قال: نزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله فقال: مات معاوية بن معاوية الليثي أفتحب أن تصلي عليه؟ قال: نعم فضرب بجناحيه الأرض فلم تبق شجرة ولا أكمة إلا تضعضعت، فرفع سريره فنظر إليه فكبر عليه وخلفه صفان من الملائكة في كل صف سبعون ألف ملك، فقال النبي صلى الله عليه وآله : « يا جبريل بم نال هذه المنزلة من الله تعالى؟ قال: بحبه (قل هو الله أحد)، وقراءته إياها ذاهباً وجائياً، قائماً وقاعداً، وعلى كل حال».

حديث الأعمش والمنصور

أخرجه ابن المغازلي الشافعي في «المناقب» بسنده إلى سليمان بن سالم حدثني الأعمش، قال بعث إليَّ أبو جعفر المنصور فقلت: لِمَ يريدني أمير المؤمنين؟ قال: لا أعلم، فقلت: أبلغه أني آتيه، ثم تفكرت في نفسي فقلت: ما دعاني في هذا الوقت لخير، ولكن عسى أن يسألني عن فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فإن أخبرته قتلني، قال: فتطهرت ولبست أكفاني وتحنطت، ثم كتبت وصيتي، ثم صرت إليه، فوجدت عنده عمرو بن عبيد فحمدت الله تعالى

على ذلك، وقلت: وجدت عنده عون صدقٍ من النصرة، فقال لي: أُدن يا سليمان، فدنوت، فلما قربت منه أقبلت على عمرو بن عبيد أسأله وفاح مني رائحة الحنوط، فقال: يا سليمان ما هذه الرائحة؟ والله لتصدقني وإلا قتلتك، فقلت: يا أمير المؤمنين أتاني رسولك في جوف الليل، فقلت في نفسي ما بعث إلي أمير المؤمنين في هذه الساعة إلا ليسألني عن فضائل أمير المؤمنين علي، فإن أخبرته قتلني، فكتبت وصيتي ولبست كفني وتحنطت، فاستوى جالساً وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم قال: أتدري يا سليمان ما اسمي؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين قال: ما اسمي؟ قلت: عبد الله الطويل بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب. قال: صدقت، فأخبرني وبقرابتي من رسول الله ﷺ كم رويت في علي من فضيلة من جميع الفقهاء، وكم يكون؟ فقلت: يسير يا أمير المؤمنين، قال: علي ذاك، قلت: عشرة آلاف حديث وما زاد، قال: فقال: يا سليمان لأحدثنك في فضائل علي عليه السلام حديثين يأكلان كل حديث رويته عن جميع الفقهاء، فإن حلفت لي أن لا ترويها لأحد من الشيعة حدثتك بها، فقلت: لا أحلف ولا أخبر بها أحداً منهم، فقال: كنت هارباً من بني مروان، وكنت أدور البلدان أتقرب إلى الناس بحب علي وفضائله وكانوا يؤوونني ويطعمونني، ويزودونني ويكرمونني، ويحملونني، حتى وردت بلاد الشام، وأهل الشام كلما أصبحوا لعنوا علياً عليه السلام في مساجدهم ؛ لأن كلهم خوارج وأصحاب معاوية، فدخلت مسجداً وفي نفسي ما فيها، فأقيمت الصلاة، فصليت الظهر وعليَّ كساء خلق، فلما سلم الإمام اتكأ على الحايط وأهل المسجد حضور، فجلست فلم أر أحداً منهم يتكلم توقيراً لإمامهم، فإذا بصبيين قد دخلا المسجد، فلما نظر إليهما الإمام

قال: ادخلا مرحباً بكما، ومرحباً بمن أسماكما بأسمائهما، والله ما سميتكما بأسمائهما إلا بحب محمد وآل محمد، فإذا أحدهما يقال له: الحسن،والآخر يقال له:الحسين، فقلت:فيما بيني وبين نفسي،قد أصبت اليوم حاجتي ولا قوة إلا بالله،وكان شاب إلى يميني،فسألته:من هذا الشيخ؟ ومن هذان الغلامان؟ فقال: الشيخ جدُّهما، وليس في هذه المدينة أحد يحب علياً عليه السلام غير هذا الشيخ ولذلك سماهما الحسن والحسين، فقمت فرحاً، وإني يومئذٍ لصارم لا أخاف الرجال، فدنوت من الشيخ، فقلت:هل لك في حديث أُقر به عينك؟ قال: ما أحوجني إلى ذلك وإن أقررت عيني أقررت عينك، فقلت: حدثني أبي،عن جدي،عن أبيه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : من والدك ومن جدك فلما عرفت أنه يريد أسماء الرجال، فقلت محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وآله فإذا فاطمةعليها السلام قد أقبلت تبكي فقال النبي صلى الله عليه وآله: «مايبكيك يا فاطمة؟ قالت: يا أبه إن الحسن والحسين قد ذهبا مني اليوم ولا أدري أين هما، وإن علياً يمشي على الدالية منذ خمسة أيام يسقي البستان، وإني قد طلبتهما في منازلك فما أحسست لهما أثرا، وإذا أبو بكر عن يمينه فقال: يا أبا بكر قم فاطلب قرتي ثم قال: يا عمر قم فاطلبهما، يا سلمان، يا أبا ذر، يا فلان، يا فلان، يا فلان قال فأحصيا على رسول الله صلى الله عليه وآله سبعين رجلاً، بعثهم في طلبهما وحثهم، فرجعوا ولم يصيبوهما؛ فاغتم النبي صلى الله عليه وآله لذلك غماً شديداً، ووقف على باب المسجد وهو يقول بحق إبراهيم خليلك، وبحق آدم صفيك إن كانا قرتي وثمرتي فؤادي أخذا براً أو بحراً فاحفظهما أو سلمهما، فإذا جبريل عليه السلام قد هبط فقال: يا رسول الله إن الله يقرئك السلام ويقول لك: لاتحزن ولا تغتم، الصبيان فاضلان في الدنيا والآخرة

وهما في الجنة، وقد وكلت بهما ملكا يحفظهما إذا ناما وإذا قاما، ففرح رسول الله ﷺ فرحاً شديداً، ومضى وجبريل عن يمينه والمسلمون حوله، حتى دخل حظيرة بني النجار فسلم على ذلك الملك الموكل بهما، ثم جثا النبي ﷺ على ركبتيه والحسن معانقا للحسين وهما نائمان، وذلك الملك قد جعل أحد جناحيه تحتهما والآخر فوقهما، وعلى كل واحد منهما دراعة من شعر أو صوف، والمداد على شفتيهما، فما زال النبي ﷺ يلثمهما حتى استيقظا، فحمل النبي ﷺ الحسن، وحمل جبريل الحسين، وخرج النبي ﷺ من الحظيرة.

قال ابن عباس: وجدنا الحسن عن يمين النبي ﷺ والحسين عن يساره وهو يقبلهما ويقول«من أحبكما فقد أحب رسول الله، ومن أبغضكما فقد أبغض رسول الله» فقال أبو بكر: يا رسول الله،أعطني أحدهما أحمله، فقال رسول الله ﷺ : «نعم المحمول ونعم المطية تحتهما»، فلما أن صار إلى باب الحظيرة لقيه عمر،فقال له مثل مقالة أبي بكر فرد عليه رسول الله ﷺ بما رد على أبي بكر فرأينا الحسن متشبثاً بثوب رسول الله ﷺ متكئاً باليمنى على رسول الله ﷺ، ووجدنا يد النبي ﷺ على رأسه، فدخل النبي ﷺ فقال: «لأشرفن ابني اليوم كما شرفهما الله،فقال: يا بلال،عليَّ بالناس» فنادى بهم، فاجتمع الناس فقال النبي ﷺ: «معشر أصحابي بلغوا عن نبيكم محمد سمعنا رسول الله ﷺ يقول: ألا أدلكم اليوم على خير الناس جداً وجدة»؟ قالوا:بلى يا رسول الله، قال:«عليكم بالحسن والحسين فإن، جدهما محمد رسول الله وجدتهما خديجة بنت خويلد سيدة نساء أهل الجنة، هل أدلكم على خير الناس أباً وأماً؟» قالوا: بلى يا رسول الله قال:«عليكم بالحسن والحسين فإن أباهما علي بن أبي طالب، وهو خير منهما

شاب يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ذو المنفعة والمنقبة في الإسلام، وأمهما فاطمة بنت رسول الله سيدة نساء أهل الجنة، معشر الناس ألا أدلكم على خير الناس عماً وعمة؟» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «عليكم بالحسن والحسن،فإن عمهما جعفر ذو الجناحين يطير بهما في الجنات مع الملائكة، وعمتهما أم هانئ بنت أبي طالب. معشر الناس،ألا أدلكم على خير الناس خالاً وخالة؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «عليكم بالحسن والحسين فإن خالهما القاسم ابن رسول الله ، وخالتهما زينب بنت رسول الله، ألا يا معشر الناس أعلمكم أن جدهما في الجنة ، وجدتهما في الجنة، وأبوهما في الجنة، وأمهما في الجنة، وعمهما في الجنة، وعمتهما في الجنة، وخالهما في الجنة، وخالتهما في الجنة، وهما في الجنة، ومن أحب ابني علي فهو معنا غداً في الجنة، ومن أبغضهما فهو في النار، وإن من كرامتهما على الله أنه أسماهما في التوراة:شبّراً، وشبيراً».

فلما سمع الشيخ الإمام هذا مني قدمني، وقال: هذا حالك وأنت تروي في علي هذا؟ فكساني خلعة، وحملني على بغلة بعتها بمائة دينار، ثم قال لي: أدلك على من يفعل بك خيراً؟ هاهنا أخوان لي في هذه المدينة أحدهما كان إمام قوم وكان إذا أصبح لعن علياً ألف مرة كل غداة، وإنه لعنه يوم الجمعة أربعة آلاف مرة، فغير الله ما به من نعمة؛ فصار آية للسائلين، فهو اليوم يحبه، وأخ لي يحب علياً منذ خرج من بطن أمه فقم إليه ولا تحتبس عنده، والله يا سليمان لقد ركبت البغلة وإني يومئذٍ لجائع، فقام معي الشيخ وأهل المسجد حتى صرنا إلى الدار ، وقال الشيخ: انظر لا تحتبس، فدفعت الباب وقد ذهب من كان معي، فإذا شاب أدم قد خرج إليَّ فلما رآني والبغلة قال: مرحباً بك، والله ما كساك أبو فلان

خلعته، ولا حملك على بغلته، إلا لأنك تحب الله ورسوله، لئن أقررت عيني لأقرن عينك. والله يا سليمان إني لأنفس بهذا الحديث الذي يسمعه وتسمعه، أخبرني أبي عن أبيه قال: كنا مع رسول الله ﷺ جلوساً بباب داره، فإذا فاطمة قد أقبلت وهي حاملة الحسين وهي تبكي بكاءً شديداً، فاستقبلها رسول الله ﷺ فتناول الحسين منها وقال لها: «ما يبكيك يا فاطمة»؟ قالت: يا أبه، عيرتني نساء قريش وقلن: زوجَّك أبوك معدماً لا شيء له، فقال الرسول ﷺ : «مهلاً وإياي أن أسمع هذا منك، فإني لم أزوجك حتى زوجك الله من فوق عرشه، وشهد على ذلك جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، وإن الله اطلع إلى أهل الدنيا فاختار من الخلائق أباك فبعثه نبياً، ثم اطلع الثانية فاختار من الخلائق علياً، فأوحى إلي فزوجتك إياه واتخذته وصياً ووزيراً، فعليٌ أشجع الناس قلباً، وأعلم الناس علماً، وأحلم الناس حلماً، وأقدم الناس إسلاماً، وأسمحهم كفاً، وأحسن الناس خلقاً، يا فاطمة إني آخذ لواء الحمد ومفاتيح الجنة بيدي فأدفعها إلى علي، فيكون آدم ومن ولد تحت لوائه، يا فاطمة إني غداً مقيم علياً على حوضي يسقي من عرف من أمتي. يا فاطمة وابنيك الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وكان قد سبق اسمهما في توراة موسى، وكان اسمهما في الجنة شبّرا وشبيرا فسماهما الحسن والحسين لكرامة محمد ﷺ على الله تعالى ولكرامتهما عليه، يا فاطمة يكسى أبوك حلتين من حلل الجنة ويكسى علي حلتين من حلل الجنة ولواء الحمد في يدي وأمتي تحت لوائي فأناوله عليا لكرامته على الله تعالى، وينادي مناد يا محمد نعم الجد جدك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك علي، وإذا دعاني رب العالمين دعا علياً معي، وإذا جثوت جثا علي معي، وإذا شفعني شفع علياً معي، وإذا أجبت أجاب علي معي، وإنه في المقام عوني على مفاتيح الجنة، قومي يا فاطمة إن

علياً وشيعته هم الفائزون غداً.

وقال: بينما فاطمة جالسة إذ أقبل رسول الله ﷺ حتى جلس إليها فقال: يا فاطمة ما لي أراك باكيةً حزينةً؟ قالت: يا أبي وكيف لا أبكي وتريد أن تفارقني، فقال لها: يا فاطمة لا تبكي ولا تحزني فلا بد من مفارقتك، قال: فاشتد بكاء فاطمة عليها السلام ثم قالت يا أبه أين ألقاك؟ قال: تلقيني على تل الحمد أشفع لأمتي، قالت: يا أبه فإن لم ألقك، فقال: تلقيني على الصراط، وجبرائيل عن يميني وميكائيل عن يساري وإسرافيل آخذ بحجزتي، والملائكة من خلفي، وأنا أنادي يارب أمتي أمتي، هون عليهم الحساب، ثم أنظر يميناً وشمالاً إلى أمتي وكل نبي مشتغل بنفسه يقول: يا رب نفسي نفسي وأنا أقول: يا رب أمتي أمتي، فأول من يلحق بي من أمتي يوم القيامة أنت وعلي والحسن والحسين، فيقول الرب: يا محمد إن أمتك لو أتوني بذنوب كأمثال الجبال لعفوت عنهم مالم يشركوا بي شيئاً، ولم يوالوا لي عدواً.

قال: قال: فلما سمع الشاب هذا مني أمر لي بعشرة آلاف درهم، وكساني ثلاثين ثوباً، ثم قال لي: من أين أنت؟ قلت من أهل الكوفة، قال عربي أنت أم مولى؟ قلت بل عربي، قال: فكما أقررت عيني أقررت عينك، ثم قال: ائتني غداً في مسجد بني فلان وإياك أن تخطيء الطريق، فذهبت إلى الشيخ وهو جالس ينتظرني في المسجد، فلما رآني استقبلني وقال: ما فعل معك أبو فلان؟ قلت: كذا وكذا قال: جزاه الله خيراً جمع الله بيننا في الجنة.

فلما أصبحت يا سليمان ركبت البغلة وأخذت في الطريق الذي وصف لي، فلما صرت غير بعيد تشابه علي الطريق، وسمعت إقامة الصلاة في مسجد فقلت: والله لأصلين مع هؤلاء القوم فنزلت عن البغلة ودخلت المسجد فوجدت رجلاً

قامته مثل قامة صاحبي فصرت عن يمينه، فلما صرنا في ركوع وسجود إذا عمامته قد رمى بها من خلفه ، فتفرست في وجهه فإذا وجهه وجه خنزير ورأسه وخلقه ويداه ورجلاه، فلم أعلم ما صليت وما قلت في صلاتي متفكراً في أمره، ولما سلم الإمام وتفرس في وجهي وقال: أنت أتيت أخي بالأمس فأمر لك بكذا وكذا؟ قلت: نعم، فأخذ بيدي وأقامني، فلما رآنا أهل المسجد تبعونا، فقال للغلام: اغلق الباب ولا تدع أحداً يدخل علينا، ثم ضرب بيده إلى قميصه فنزعه فإذا جسده جسد خنزير. فقلت: يا أخي ما هذا الذي أرى بك؟ قال: كنت مؤذن القوم، فكنت كل يوم إذا أصبحت ألعن علياً ألف مرة بين الأذان والإقامة، قال: فخرجت من المسجد ودخلت داري هذه وهو يوم جمعة وقد لعنته أربعة آلاف مرة ولعنت أولاده، فاتكأت على الدكان فذهب بي النوم فرأيت في منامي كأنما أنا في الجنة قد أقبلت فإذا علي متكئ والحسن والحسين معه متكئين بعضهم ببعض مسرورين تحتهم مصليات من نور، وإذا أنا برسول الله ﷺ جالس و الحسن والحسين قدامه وبيد الحسن كأس فقال النبي ﷺ للحسن اسقني فشرب، ثم قال للحسين اسق أباك علياً فشرب، ثم قال للحسن اسق الجماعة فشربوا، ثم قال اسق المتكئ على الدكان فولى الحسن بوجهه عني وقال يا أبه كيف أسقيه وهو يلعن أبي في كل يوم ألف مرة وقد لعنه اليوم أربعة آلاف مرة، فقال النبي ﷺ : مالك لعنك الله تلعن عليا وتشتم أخي، لعنك الله تشتم أولادي الحسن والحسين، ثم بصق النبي ﷺ فملأ وجهي وجسدي، فانتبهت من منامي ووجدت موضع البصاق الذي أصابني من بصاق النبي ﷺ قد مسخت كما ترى وصرت آية للسائلين.

ثم قال: يا سليمان، سمعت في فضائل علي عليه السلام أعجب من هذين الحديثين، يا سليمان «حب علي إيمان وبغضه نفاق، لا يحب علياً إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا كافر»، فقلت: يا أمير المؤمنين،الأمان؟ قال: لك الأمان، قلت: فما تقول يا أمير

المؤمنين فيمن قتل هؤلاء؟ قال: في النار لاشك، فقلت: فما تقول فيمن قتل أولادهم وأولاد أولادهم؟

قال: فنكس رأسه ثم قال: يا سليمان، الملك عقيم، ولكن حدث عن فضائل علي بما شئت، قال: فقلت: فمن قتل ولده فهو في النار، قال عمرو بن عبيد: صدقت يا سليمان الويل لمن قتل ولده، فقال المنصور: يا عمرو اشهد عليه أنه في النار، فقال عمرو: أخبرني الشيخ الصدق يعني الحسن عن أنس «أن من قتل أولاد علي لا يشم رائحة الجنة»، قال: فوجدت أبا جعفر: وقد حمض وجهه، قال: فخرجنا فقال أبو جعفر لولا مكان عمرو ما خرج سليمان إلا مقتولاً».

قلت: وكان المنصور يجل عمرو بن عبيد لزهده، وقد روي أنه دخل عليه مع جماعة من العلماء كل له طلب وحاجة بالمنصور إلا عمرو بن عبيد، فلم يتعرض لشيء من الدنيا، فلما خرج قال المنصور في محضر الجماعة: كلكم يطلب صيداً غير عمرو بن عبيد.

عجيبة من «لوامع الأنوار»

لشيخ الإسلام مجد الدين بن محمد قال: مسألة: قال الناصر للحق ـ يعني الأطروش عليه السلام لا يعرف على وجه الأرض أحد من المسلمين والكافرين دفن سرا غير علي وفاطمة عليهما السلام، وكانا أحب الخلق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا من أعجب العجب. انتهى.

الأبدال

روي عن بكر بن حنيش عن النبي ﷺ قال: «علامة أبدال أمتي أنهم لا يلعنون شيئاً أبداً» رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الأولياء».

وفي «تاريخ صنعاء» للرازي المتوفى سنة ٤٦٠هـ عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم عليه السلام، وأربعون قلوبهم على قلب موسى عليه السلام، وسبعة قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام، وخمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام، وثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام، وواحد قلبه على قلب إسرافيل عليه السلام، فإذا مات الواحد بدل الله مكانه من الثلاثة، ومن مات من الثلاثة بدل الله مكانه من الخمسة، ومن مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة ، ومن مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين، ومن مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة، ومن مات من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة، فبهم يحيي ويميت، ويمطر وينبت، ويدفع أنواع البلاء، قال: فقيل لعبد الله بن مسعود: كيف بهم يحيي ويميت؟ قال: لأنهم يسألون الله تعالى إكثار الأمة فيكثرون، ويدعون على الجبابرة فينقصون، ويستسقون فيسقون، فتنبت الأرض، ويدعون فيندفع بهم أنواع البلايا والصعاب».

زين العابدين والتسبيح

وفي «صحيفة الإمام زين العابدين»، روى الزهري عن سعيد بن المسيب قال كان القوم لا يخرجون من مكة حتى يخرج علي بن الحسين سيد العابدين عليه السلام، فخرج وخرجت معه، فنزل في بعض المنازل فصلى ركعتين، فسبح بهذا التسبيح فلم يبق شجر ولا مدر إلا سبح معه، ففزعنا، فرفع رأسه ؛ فقال: يا سعيد أفزعت؟ فقلت: نعم يابن رسول الله، فقال: هذا التسبيح الأعظم، حدثني أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لا تبقى الذنوب مع هذا التسبيح، وإن الله - جل جلاله- لما خلق جبريل ألهمه هذا التسبيح، وهو اسم الله الأكبر» .

«سبحانك اللهم وحنانيك، سبحانك اللهم وتعاليت، سبحانك اللهم والعز إزارك، سبحانك اللهم والعظمة رداؤك، سبحانك اللهم والكبرياء سلطانك، سبحانك من عظيم ما أعظمك، سبحانك سُبحت في الأعلى، تسمع وترى ما تحت الثرى، سبحانك أنت شاهد كل نجوى، سبحانك حاضر كل ملأ، سبحانك عظيم الرجاء، سبحانك ترى ما في قعر الماء، سبحانك تسمع أنفاس الحيتان في قعور البحار، سبحانك تعلم وزن السماوات، سبحانك تعلم وزن الأرضين، سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر، سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور، سبحانك تعلم وزن الفيء والهواء، سبحانك تعلم وزن الريح كم هي من مثقال ذرة، سبحانك قدوس قدوس قدوس، سبحانك عجباً من عرفك كيف لا يخافك، سبحانك اللهم وبحمدك، سبحانك اللهم ربي العلي العظيم».

بعض صفات أمير المؤمنين -عليه السلام-

من «الروضة الندية شرح التحفة العلوية» للأمير الصنعاني، نقلاً عن ابن عبد البر وصاحب «الصفوة» عن ضرار الصدائي[1] أنَّ معاوية قال له: صف لي علياً قال: اعفني، قال: لتصفنه لي، قال: أما إذا لا بد من وصفه فكان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، وكان والله غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، كان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا، وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظم أهل الدين، ويقرب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضاً على لحيته، يتململ تململ الأليم[2] ، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غري غيري، إلي تعرضت أم إلي تشوقت؟ هيهات هيهات قد باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك حقير، آهٍ آهٍ من قلة الزاد وبعد السفر، ووحشة الطريق، فبكى معاوية، وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، كيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح واحدها في حجرها.

---

(١) لعله الضبابي أو الضابي كما في النهج.

(٢) في النهج:السليم أي الملدوغ.

حكاية الدنيا مع أمير المؤمنين

روي أن الدنيا تمثلت لعلي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - ورضي عنه في صورة امرأةٍ قد تزينت له بكل زينة، وهي تظن أنه لا يعرفها، فلما رآها قال لها: ألست الدنيا؟ قالت: بلى، فكيف عرفتني؟ فقال: كشف لي الغطاء فعرفتك، فقالت له: كلمني كلمة واحدة، فقال لها: أنتِ مطلقتي، وكلام المطلقة حرام، أخرجي من داري، قالت له: الدار داري، قال: صدقت وخرج هو وتركها، فخرجت خلفه لتقد قميصه كزليخا مع يوسف عليه السلام، فلم تجد إلا درعاً فقالت: سلمت مني يا علي، فقال لها: اخدعي غيري وأنشد:

وماهي إلا جيفة مستحيلة ... عليها كلاب همهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سلماً لأهلها ... وإن تجتذبها نازعتك كلابها

وأنشد الشريف الرضي:

عتبتُ على الدنيا فقلت: إلى متى ... أكابد هماً ليلُه غيرُ منجلي
أكل كريم من علي جدوده ... حرام عليه الرزق غير محلل
فقالت: نعم يابن الكرام رميتكم ... بسهم عناد منذ طلقني علي

وقال غيره:

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ... ونال من الدنيا سروراً وأنعما
كبانٍ بنى بنيانه فأتمه ... فلما استوى ما قد بناه تهدما

حكاية عن سلمان

جاء ضيف إلى سلمان الفارسي -رضي الله عنه- فخرج إلى الصحراء فوجد ظباءً وطيوراً فأشار إلى ظبي وطير فأقبلا، فقال الضيف: سبحان الله قد سخر الله لك الظباء والطير!! فقال سلمان: هل رأيت عبداً أطاع الله تعالى فعُصِيَ عليه شيء.

عاش سلمان الفارسي مائتين وخمسين سنة، وروى عن النبي ﷺ ستين حديثاً، ثم مات سنة ست وثلاثين في خلافة عثمان، وله قصة في زواجه بالكندية ستأتي في أثناء هذه الوريقات.

حكاية الخليل مع جبريل وميكائيل -عليه السلام-

روي لما اتخذ الله تعالى إبراهيم خليلاً قالت الملائكة: له زوجة وولد، فقال الله تعالى: مافي قلبه غيري، اذهبوا فجربوه، فجاءه جبريل وميكائيل عليهما السلام وهو يرعى غنماً وله أربعة آلاف كلب، في عنق كل كلب طوق من ذهب، فسألاه عن ذلك فقال: لأن الدنيا جيفة وطلابها كلاب، فقدم لهما طعاماً فقالا له: لا نأكله إلا بثمنه فقال: ثمنه بسم الله الرحمن الرحيم في أوله والحمد لله في آخره، فقالا له: يحق لك أن تكون خليلاً، ثم قالا بصوت حسن: سبحان الله من قديم ما أقدمه، ومن كريم ما أكرمه، ومن رحيم ما أرحمه، سبوح قدوس رب الملائكة والروح، فقال إبراهيم من الطرب: قولا مرة ثانية، فقالا: ما نقول إلا بشيء، فقال: قد وهبتكما جميع ما أملكه من الأغنام: فقالا بصوت أحسن من الأول، فقال: قولا مرة ثالثة، فقالا: لا نقول إلا بشيء، فقال: قد وهبتكما جميع ما في الدار من المتاع

والأولاد، فقالا بصوت أحسن من الأول، فقال: قولا مرة رابعه، فقالا: ما نقول إلا بشيء، فقال: قد وهبتكما نفسي أكون لكما راعياً، فقالا له: بارك الله فيك وفي مالك وأولادك أنا جبريل وهذا ميكائيل، فقال: وأنا خليل الله فلا أرجع في هبتي، فأمره الله أن يبيعها ويشتري بثمنها الضياع ويجعلها وقفاً لله تعالى لعباده.

حكاية الإمام علي مع جبريل وميكائيل -عليهم السلام-

خرج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - يبيع إزار فاطمة -رضي الله تعالى عنها- ليأكلوا بثمنه فباعه بستة دراهم، فرآه سائل فأعطاه إياها، فجاء جبريل عليه السلام في صورة أعرابي ومعه ناقة فقال: يا أبا الحسن اشتر هذه الناقة، فقال: ما معي ثمنها، قال: إلى أجل، فاشتراها بمائة، ثم عرض ميكائيل في طريقه فقال: أتبيع هذه الناقة؟ قال: نعم واشتريتها بمائة، قال: ولك من الربح ستون، فباعها له، فعرض له جبريل قال: بعت الناقة؟ قال: نعم، قال: ادفع لي ديني، فدفع له مائة ورجع بستين، فقالت فاطمة: من أين لك هذا؟ قال: تاجرت مع الله بستة فأعطاني ستين، ثم جاء إلى النبي ﷺ وأخبره بذلك فقال: «البائع جبريل والمشتري ميكائيل، والناقة لفاطمة تركبها يوم القيامة».

حكاية المجوسي والأشراف

قال في «جواهر العقدين» ومن ذلك ما رواه سبط بن الجوزي قال: قرأت على عبدالله بن أحمد المقدسي سنة أربع وستمائة، قال: وجدت في «كتاب الجوهري» عن ابن أبي الدنيا أن رجلاً رأى رسول الله ﷺ في منامه وهو يقول امض إلى فلان

المجوسي وقل له: قد أجيبت الدعوة، فامتنع الرجل من أداء الرسالة لئلا يظن المجوسي أنه يتعرض له، وكان الرجل -أي المجوسي- في دنيا واسعة، فرأى الرجل رسول الله ﷺ ثانياً فأصبح وأتى المجوسي وقال له في خلوة من الناس: أنا رسول رسول الله ﷺ إليك، ويقول لك: قد أجيبت الدعوة، فقال: أتعرفني؟ قال: نعم، قال: فإني أنكر دين الإسلام ونبوة محمد، فقال: أنا أعرف هذا، وهو الذي أرسلني إليك مرة ومرة، فقال: أنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ودعا أهله وأصحابه وقال لهم: كنت على ضلال وقد رجعت إلى الحق فأسلموا، فمن أسلم فما في يده فهو له، ومن أبى فلينزع مالي من عنده، قال: فأسلم القوم وأهله، وكانت له ابنة مزوجة من ابنه ففرق بينهما، ثم قال لي أتدري ما الدعوة؟ قلت: لا والله، وأنا أريد أن أسألك الساعة، فقال: لما تزوجت ابنتي صنعنا طعاماً ودعوت الناس فأجابوا وكان إلى جانبنا أشراف فقراء لا مال لهم، فأمرت غلماني أن يبسطوا لي حُصراً في وسط الدار، قال: فسمعت صبية تقول لأمها يا أماه قد آذانا هذا المجوسي برائحة طعامه، قال: فأرسلت إليهم بطعام كثير وكسوةٍ ودنانير للجميع، فلما نظروا إلى ذلك قالت الصبية للباقيات: والله ما نأكل حتى ندعو له، فرفعن أيديهن، وقالت: حشرك الله مع جدنا رسول الله ﷺ وأمَّن بعضهم، فتلك الدعوة التي أجيبت.

حكاية العلوية وابن المبارك

ومنه ما رواه سبط بن الجوزي بسنده إلى عبدالله بن المبارك، وكان يحج سنة، ويغزو سنة قال: فخرجت بخمسمائة دينارٍ إلى موقف الجمال بالكوفة لأشتري جمالاً فرأيت امرأة على بعض المزابل تنتف ريش بطة منتنة، فقدمت إليها فقلت:

لم تفعلين هذا؟ فقالت: يا عبد الله لا تسأل عما لا يعنيك، قال: فوقع في خاطري شيء فألححت عليها فقالت: يا عبدالله قد ألجأتني إلى كشف سري إليك، أنا امرأة علوية، ولي أربع بنات يتامى مات أبوهن من قريب وهذا اليوم الرابع ما أكلنا شيئاً، وقد حلت لنا الميتة فأخذت هذه البطة أصلحها وأحملها الى بناتي فنأكلها، قال: فقلت في نفسي: ويحك يابن المبارك أين أنت عن هذه؟ فقلت: افتحي حجرك، ففتحته، فصببت الدنانير في طرف إزارها وهي مطرقة لا تلتفت، قال: ومضيت إلى المنزل ونزع الله من قلبي شهوة الحج في ذلك العام، ثم تجهزت إلى بلادي، وأقمت حتى حج الناس وعادوا فخرجت تلقاء جيراني وأصحابي فجعلت كل من أقول له قبل الله حجك وشكر سعيك، يقول لي وأنت قبل الله حجك وشكر سعيك، أما قد اجتمعنا بك في مكان كذا وكذا؟ وأكثر علي الناس في القول، فبت مفكراً في ذلك فرأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول: يا عبد الله لا تعجب فإنك أغثت ملهوفة من ولدي فسألت الله أن يخلق على صورتك ملكاً يحج عنك كل عام ، فإن شئت أن تحج وإن شئت أن لا تحج.

حكاية العلوية والمجوسي

ومنه أيضا ما ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه «الملتقط» قال: كان ببلخ رجل من العلويين نازلاً بها، وكان له زوجة وبنات فتوفي الرجل، قالت المرأة: فخرجت بالبنات إلى سمرقند خوفاً من شماتة الأعداء، فوصلت في شدة البرد فأدخلت البنات المسجد ومضيت لأحتال لهن في القوت، فرأيت الناس مجتمعين إلى شيخ فسألت عنه، قالوا: هذا شيخ البلد ، فقدمت إليه وشرحت حالي لهم،

فقال: أقيمي عندي البينة أنك علوية، ولم يلتفت إليَّ فيئست منه وعدت إلى المسجد، فرأيت في طريقي شيخاً جالساً على دكة وحوله جماعة، فقلت: من هذا؟ قالوا: ضامن أمن البلد وهو مجوسي، فقلت: عسى أن يكون عنده فرج فتقدمت إليه وحدثته حديثي وما جرى لي مع شيخ البلد، وأنَّ بناتي في المسجد ما لهن شيء يقتاتون به، فصاح بخادم له فخرج فقال: قل لسيدتك تلبس ثيابها، فدخل -أي الخادم- وخرجت امرأته معها جواري فقال: اذهبي مع هذه المرأة إلى المسجد الفلاني واحملي بناتها إلى الدار، فجاءت معي وحملت البنات، وقد أفرد لنا داراً في داره، وأدخلنا الحمام، وكسانا ثيابا فاخرة، ومال علينا بألوان الأطعمة، وبتنا بأطيب ليلة، فلما كان نصف الليل رأى شيخ البلد المسلم في منامه كأن القيامة قد قامت، واللواء على رأس رسول الله، وإذا قصر من الزمرد الأخضر فقال: لمن هذا القصر؟ قيل: لرجل مسلم موحد فتقدم إلى رسول الله ﷺ فأعرض عنه، فقال: يا رسول الله تعرض عني وأنا رجل مسلم؟ فقال له: أقم البينة أنك مسلم، فتحير الرجل فقال رسول الله ﷺ نسيت ما قلت للعلوية وهذا القصر للذي هي في داره، فانتبه الرجل وهو يلطم ويبكي، وبث غلمانه في البلد وخرج بنفسه يدور على العلوية، فأُخبر أنها في دار المجوسي، فجاء إليه فقال: أين العلوية؟ قال: عندي قال: إني أريدها قال: ما إلى هذا سبيل قال: هذا ألف دينار وتسلمهن إليَّ فقال: لاوالله ولا بمائة ألف، فلما ألحَّ عليه قال له: المنام الذي رأيته أنا أيضاً رأيته والقصر الذي رأيته لي خلق، وأنت تدل علي بإسلامك، والله ما نمت ولا أحد في داري إلا وقد أسلمنا كلنا على يد العلوية وعادت بركاتها علينا، ورأيت رسول الله ﷺ فقال لي: القصر لك ولأهلك بما فعلت مع العلوية وأنتم من أهل الجنة.

ماتوا من خشية الله

حكاية قال منصور بن عمار: دخلت الكوفة فبينما أنا أمشي في ظلمة إذ سمعت بكاء رجل بصوت شجيٍ من داخل الدار، وهو يقول:يا إلهي، وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، ولكن عصيتك بجهلي، فالآن من ينقذني من عذابك، وبحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عني، وآ ذنوباه وآ غوثاه يا الله، قال منصور بن عمار: فأبكاني كلامه فوقفت فقرأت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[التحريم:٦] فسمعت رجلاً يضطرب اضطراباً شديداً وصياحاً فوقفت حتى انقطع صوته، ومضيت، فلما أصبحت أتيت إلى الدار فوجدت الرجل قد مات والناس في تجهيزه، وعجوز تبكي فسألت عنها، فقيل: هي أمه،فتقدمت إليها وسألتها عن حاله، فقالت: كان يصوم النهار، ويقوم الليل، ويتكسب الحلال، فيقسم كسبه أثلاثاً، ثلثاً يفطر عليه، وثلثاً ينفقه علي، وثلثاً يتصدق به، فلما كان البارحة مر إنسان وهو يقرأ فسمع آية من القرآن ففارق الدنيا.

حكاية

قال صالح المري: قدم علينا ابن السماك فقال: أرني بعض عجائب عُبأَّدكم، فذهبت به إلى رجل في خص فاستأذنا عليه ودخلنا، فإذا هو يعمل الخوص فقرأت عليه ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ٦٩

ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر:٦٩-٧٢] فشهق الرجل ووقع مغشياً عليه، فخرجنا وذهب إلى آخر وقرأعليه الآية فوقع مغشياً عليه، ثم جئت به إلى ثالث فقال: ادخلوا إن لم تشغلونا عن ربنا، فدخلنا فقرأت عليه: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾[إبراهيم:١٤] الآيات فوقع مغشياً عليه، فأدرته على ستة رجال كل واحد نخرج ونتركه مغشياً عليه، ثم أتينا إلى السابع فدخلنا على شيخ فانٍ وهو في مصلاه فسلمنا فلم يشعر بسلامنا، فقلت بصوت عالٍ إن للخلايق غداً مقاماً. فصاح بين يدي، وبقي فاتحاً فاه يصيح بصوت ضعيف، فرحنا وتركناه، ثم بعد ذلك سألنا عن أحوالهم فقيل لي مات منهم ثلاثة، [ومنهم من] بقي على حاله ثلاثة أيام ثم أفاق.

وكان الإمام زيد بن علي زين العابدين عليهما السلام في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قرئ عليه القرآن أغُمي عليه، وكان يقال له: حليف القرآن.

وروي عن داود عليه السلام «لأسبحن تسبيحاً ما سبحه به أحد من خلقه» فناداه ضفدع أتفخر على الله بتسبيحك، وأنا منذ سبعين عاماً ما جف لساني عن ذكره ، ولي عشرة ليال اشتغالا بكلمتين، قال: ما هما؟ قال: يا مسبحاً بكل لسان، ومذكوراً في كل مكان.

حكاية

قال ذو النون المصري: رأيت عبداً أسود قد أشرق ذلك المكان من نوره، وهو يقول: سبحان من أيقنت القلوب بربوبيته، وعذبت الألسن بوحدانيته، فالفراعنة له خاضعون، والقرون الماضية في قبضته مجتمعون، فقلت: السلام عليك فقال: وعليك السلام يا ذا النون، فقلت: من أين عرفتني ولم ترني قبل ذلك؟ قال: أوقدت في قلبي مصابيح الهدى، فعرفتك بمعرفة من على العرش استوى، قلت: ما اسمك؟ قال: صندل، قلت متى يصلح العبد للولاية؟ قال: إذا نشرت عليه أعلام الهداية،وشملته أنوار الرعاية، فعند ذلك تلوح له رايات النهاية، فقلت: له زدني قال: إن لله تعالى عباداً أقلوا الكلام، وألفوا الظلام، والتحفوا بالصيام، حتى وصلوا إلى ذي الجلال والإكرام.

حكاية

رأى بعض الزهاد طعاماً قد فاحت رائحته فاشتهاه، وتبع صاحبه إلى السوق، فسمع قائلاً يقول: إن اللص أخذ من جيب فلان دراهم فنظروا إلى الزاهد فرأوه غريباً فأخذه الوالي إلى السجن، وكان ذلك الطعام محمولاً لبعض الأكابر، فلما قدمه بين يديه قال للزاهد: كل فأكل حتى شبع، ثم قال: يا إلهي كنت قادراً أن تطعمني هذا الطعام بغير تهمة السرقة والسجن، فهتف به هاتف من طلب الجيف فليصبر على عض الكلاب، وإذا بقائل يقول: قد وجدنا اللص فأطلقوا الغريب.

حكاية عن موسى -عليه السلام-

يروى أن موسى -عليه الصلاة والسلام- قال: يارب أرني عدلك، قال -عز وجل-: اذهب إلى مكان كذا، ففعل، فوجد عيناً وشجرة فجلس تحتها، فجاء فارس فشرب من العين ونسي كيساً فيه ألف دينار، فجاء صبيٌ فأخذه، ثم جاء رجل أعمى فتوضأ من العين، فتذكر الفارس كيسه فرجع وسأل الأعمى عنه، فقال: ما وجدته، فضربه فقتله، فتعجب موسى -عليه الصلاة والسلام- من ذلك فأوحى الله تعالى إليه أنَّ الصبي قد أخذ حقه لأن الفارس أخذ من والد الصبي ألف دينار، وأما الأعمى فإنه قتل أبا الفارس فأوصلت إلى كل ذي حق حقه.

حكاية عن الخضر -عليه السلام-

قال وهب بن منبه -رضي الله تعالى عنه-: بينما الخضر عليه السلام على شاطيء البحر إذ جاءه رجل فقال له: سألتك بحق الله أن تعطيني شيئاً لله، فقال: لا أملك إلاَّ نفسي وقد وهبتك إياها، فأخذه وباعه لرجل له بستان، فاستعمله فيه فعمل عملاً عظيماً، فقال: صاحب البستان: بحق الله من أنت؟ قال: أنا الخضر فقال: أنت حر لوجه الله تعالى فسجد شكراً لله على ذلك، فنودي يا خضر طلبت الدنيا واتخذتها سكناً حتى ابتلاك الله بالرق وذلك أنه كان قد بنى صومعة له وغرس إلى جانبها شجرة.

حكاية شارب الخمر

حكاه من «الترغيب والترهيب» عن بعض التابعين أنه مر علـى حـي فوجـد مقبرة فانشق منها قبر بعد العصر، فخرج منه رجل رأسه كـرأس الحـمار وبدنـه كبدن الآدمي، فنهق ثلاث مرات ثم انطبق عليه القبر، فسأل امرأة عنه فقالـت: كان يشرب الخمر فتقول له أمه: اتق الله،فيقول لها: انهقـي كـالحمار، فـمات بعـد العصر، فهو كل يوم بعد العصر ينشق عنه القبر وينهق ثلاث مرات.

وكان زين العابدينعليه السلام لا يأكل مع أمه، فسألته عن ذلك فقال: أخاف أن آكل شيئاً سبق إليه نظرك فأكون عاقاً لك، فقالت: كل وأنت في حل.

حكاية

قال ابن الجوزي جاء في الحـديث النبـوي عـلى قائلـه وآلـه أفـضل الـصلاة والسلام «كل الأعاجيب في بني إسرائيل فحدثوا عنهم ولا حرج» ولأحـدثنكم بحديث العجوزين، قال: كان رجل في بني إسرائيل له امرأة يحبها وله أم عجوز كبيرة امرأة صدق، ولامرأته أم عجوز كبيرة امرأة سوء، وكانت تغري ابنتها بأم زوجها، وكان العجوزان قد ذهب بصرهما فلم تزل به امرأته حتـى خـرج بأمـه ووضعها في فلاة من الأرض ليس معها طعام ولا شراب، لتأكلهـا الـسباع ثـم انصرف عنها، فغشيتها السباع، فجاءها ملك فقـال: مـا هـذه الأصـوات التـي أسمع حولك؟ قالت: خيراً هذه أصوات إبل وبقر وغنم، قال: خيراً فلـيكن إن

شاء الله ثم انصرف عنها، فلما أصبحت أصبح الوادي ممتلئاً إبلاً وبقراً وغنماً، فقال ابنها: لو ذهبت فنظرت ما فعلت أمي، فجاء فإذا الوادي قد امتلأ من الإبل والبقر والغنم، فقال: أي أماه ما هذه؟ فقالت: يابني عققتني وأطعت امرأتك، فاحتمل أمه وساق معها ما أعطاها الله تعالى ورجع بأمه إلى امرأته فقالت له امرأته: والله لا أرضى حتى تذهب بأمي فتضعها حيث وضعت أمك، فانطلق بها فلما أمست غشيتها السباع، فجاءها الملك الذي جاء لأمه، فقال: أيتها العجوز ما هذه الأصوات؟ قالت: شراً هذه أصوات السباع تريد أن تأكلني فقال: شراً فليكن، ثم انصرف، فجاءها سبع فأكلها، فلما أصبح قالت امرأته: اذهب فانظر ما فعلت أمي؟ فذهب فما وجد منها إلا ما فضل عن السبع فأخذ عظامها وأتى امرأته فماتت كمداً.

حكاية

كان في بني إسرائيل رجلٌ صالحٌ وله زوجة صالحة، فأوحى الله إلى نبي زمانهما قل للعابد: إني قد قضيت أن نصف عمره يمضي في الغنى ونصفه في الفقر، فإن اختار الغنى في شبابه أغنيناه أو في كبره فعلنا، فاختار الغنى في كبره لئلا يشتغل بالكسب عن العبادة في آخر عمره، واختارت الزوجة أن يكون الغنى في صغرها لأنه أقوى لها على العبادة والكبير لا يليق به إلا الزهد والانقطاع إلى ربه، فأوحى الله تعالى إلى ذلك النبي عليه السلام قل لهما: لمَّا آثرتما طاعتي، واجتهدتما على عبادتي قد قضيت أن جميع عمركما يكون في الغنى لتحصل لكما الدنيا والآخرة.

حكاية عن سليمان -عليه السلام-

قال مكحول: مر سليمان عليه السلام على بساط الريح بحراث، فقال: وددت أني أكلم سليمان ثلاث كلمات، فأخبره الله تعالى بذلك، فنزل إليه، وقال: أخبرني عن الثلاث كلمات، فقال: يا نبي الله أنت لاتجد لذة أمس وأنا لا أجد تعبه فأنا وأنت سواء، وأنت تموت وأنا أموت فنحن سواء، وأنت تحاسب على قدر ما أعطاك الله، وأنا أحاسب على قدر ما أعطاني الله، فبكى سليمان وقال: يا رب لولا أنك كريم لا ترجع في هبتك لسألتك الرجوع فيها.

وروي أن رجلاً صالحاً من أهل صنعاء رأى النبي الخضر عليه السلام في جامع صنعاء في غربي مؤخر المقدم، فقال له: أنت النبي الخضر؟ فقال له: نعم، فقال: ادع الله تعالى لي، فقال: يسر الله عليك طاعته، فقال له: زدني، فقال: ما أجد زيادة.

من كلام الباقر -عليه السلام-

ذكر أبو نعيم في «الحلية» عن جابر -يعني الجعفي- قال: قال لي محمد بن علي -يعني الباقر-: يا جابر إني لمحزون وإني لمشتغل القلب، قلت: ولم حزنك وشغل قلبك؟ قال: يا جابر إنه من دخل و قلبه صافٍ خالص دينه لله شغله عما سواه، يا جابر، ما الدنيا وما عسى أن تكون! هل هو إلا مركب ركبته، أو ثوب لبسته، أو امرأة أصبتها، يا جابر إن المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا لبقاء فيها، ولم يأمنوا

قدوم الآخرة عليهم، ولم يصممهم عن ذكر الله ما سمعوا بآذانهم من الفتنة، ولم يعمهم عن نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة، ففازوا بثواب الأبرار، إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة، وأكثرهم لك معونة، إن نسيت ذكروك، وإن ذكرت أعانوك، قوَّالين بحق الله، قوامين بأمر الله، قطعوا محبتهم بمحبة الله عزوجل، ونظروا إلى الله -عز وجل-، وإلى محبته بقلوبهم، وتوحشوا من الدنيا لطاعة مليكهم، وعلموا أن ذلك منظور إليهم من شأنهم، فأنزل الدنيا بمنزلٍ نزلتَ به وارتحلتَ عنه، أو كمالٍ أصبته في منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء، واحفظ الله تعالى ما استرعاك من دينه وحكمته.

ومن مأثور قوله -رضوان الله عليه وسلامه-: الإيمان ثابت في القلوب، واليقين خطرات، فيمر اليقين بالقلوب فيصير كأنه زبر الحديد، ويخرج منه فيصير كأنه خرق بالية.

ومن مأثور قوله رضوان الله تعالى عليه: ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ما دخله من ذلك قل ذلك أو كثر.

ومن مأثور قوله: عالم ينتفع بعلمه أفضل من ألف عابد.

ومن مأثور قوله لابنه: إياك والكسل والضجر؛ فإنهما مفتاح كل شر، إنك إن كسلت لم تؤد حقاً، وإن ضجرت لم تصبر على حق.

ومن ذلك: أشد الأعمال ثلاثة: ذكر الله على كل حال، وإنصافك من نفسك، ومواساة الأخ في المال.

حكاية القاتل والشريفة

وفي «جواهر العقدين» قال : ومن ذلك ما ذكر المسعودي في «المروج» عن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، وكان على شرطة بغداد أنه رأى رسول الله ﷺ في منامه وهو يقول: أطلق القاتل، فانتبه مرعوباً وسأل أصحابه، فقالوا: عندنا رجل اتّهم بقتل، فأحضره وقال: اصدقني الحديث، فقال: أخبرك نحن جماعة نجتمع على المحرمات كل ليلة، فلما كان بالأمس جاءت عجوز كانت تختلف إلينا تجلب لنا النساء، فدخلت الدار ومعها جارية بارعة الجمال، فلما توسطت الدار ورأت مانحن عليه صاحت صيحة وأغمي عليها، فأدخلتها بيتاً، فلما أفاقت سألتها عن حالها فقالت: يا فتيان الله فيَّ فإن هذه العجوز غرتني وأخبرتني أن عندها حُقاً من جوهر ليس في الدنيا مثله، فشوقتني إلى النظر إلى ما فيه فخرجت معها ثقة بقولها لأنظر فيه، فهجمت بي عليكم، وأناشريفة وجدي رسول الله ﷺ وأمي فاطمة بنته فاحفظوهم فيَّ، قال: فخرجت إلى أصحابي وعرفتهم حالها وقلت: لا تتعرضوا لها فكأني أغريتهم بها، فقاموا إليها وقالوا: لما قضيت حاجتك منها صرفتنا عنها، قال: فقمت دونها قلت: والله مايصل أحد منكم إليها وأنا حي، فتفاقم الأمر بيننا إلى أن نالتني جراح وعمدت إلى أشدِّهم حرصاً على ذلك فقتلته، ثم حاميت عنها إلى أن خلصتها وأخرجتها من الدار فسمعتها وهي تقول: سترك الله كما سترتني، وكان لك كما كنت لي، وسمع الجيران الصيحة فاجتمعوا ودخلوا الدار والسكين في يدي والرجل مقتول فجاءوا بي إلى الشرطة في تلك الحال، فقال له إسحاق: قد وهبتك لله ولرسوله، ولحفظ المرأة وتاب الرجل وحسنت توبته.

حكاية العجوز والفتاة

ومايقارب هذه الحكاية ماروي أن قاضياً بصنعاء اليمن بالقرن السابع مشهور بالعدل والصلاح وشدة الغيرة على أهله، وكان له ابنة ذات حسن وجمال، علمها القرآن، وعلمها من فنون العلم والأدب، خطبها كثير من أهل الجاه والثراء فكانت ترفضهم ولاترضى بالزواج من أحد منهم، وكان لايدخل عليها وعلى أهلها أحد من الجيران إلا من يثق بهم من أهل التقوى والاستقامة والصلاح، وكانت عجوز تتردد عليهم من حين لآخر؛ تقول: إنَّها صائمة النهار قائمة الليل لاتفتر من ذكر الله تعالى، فكانت تغشاهم فيرحب بها القاضي ويرحب بها أهله، فلا ترى إلا في ذكر، وذات يوم انفردت بالبنت وقالت لها: يابنتي كم هذا الرفض من الأزواج وأنت من بنات المناصب العالية وقد خطبك الكثير من الرجال الأكفاء من الأثرياء وأهل الدنيا الواسعة، ومن العلماء والفضلاء، فأجابتها لولا أنك محبوبة لدينا وأبي وأمي، وإخواني يحترمونك لفضلك وصلاحك ما كلمتك، أنا لا أتزوج إلا من رجل تطمئن له نفسي، ويرغب إليه قلبي، وأبي وأمي لا يجبرونني على شيء لا أرغبه ولا أريده، فقالت العجوز: بارك الله فيك ومتعك بأبيك هذا التقي، وأمك الطيبة، ولكن لو خرجت عند الجيران مع أمك لترتاحي وتقلبي الجو من وحشة الوحدة، والقراءة، والكتب، وعمل البيت، وفي المثل ساعة لربي وساعة لقلبي، فقالت الفتاة: إن أبي غير آذنٍ لي بالخروج وأمي لا تخالف له رأياً، فقالت العجوز: بارك الله فيك أيتها الصبية المباركة ذات الجمال الفائق، ولكني من قد علمت

حبي لك ولأبيك مطعم المساكين وأمك صاحبة الخير والمساعدة فلـو خرجـتِ معي ليلة الجمعة بعد خمسة أيـام ففـي حارتنـا عـرس لأحـد الجـيران الأغنيـاء تتفرجين وقد جاءتني دعوة لي ولمن أحب، وسأكون معك ملازمة مثل الظل، لا أزول عنك، وإذا شئت جلست في بيتي وكوني عـلى الـشباك في المنظـر وأفـراح العرس بجنب بيتي كأنك عندهم في الحفلـة إذا لم تريـدي أن تخرجـي عنـدهم، انظري ما أحسن هذا الرأي وسترتاحين حين ترين البنات الجميلات اللابسات أحسن الثياب والعروسة بينهن، وتسمعين الزفة الصنعانية بين زغاريد الـصبايا والمحجبات مثلك من كل بيت، والمغنيـات اللـواتي يأخـذن بمجـامع القلـوب وترتاحين وتخرجين من هذه الغمة ولو لمدة ساعة، وأردك بنفسي لا أركـن بـك على أحد، فقالت الفتاة: ومعك شباك مثل شباك مكان أبي مطـلٌ عـلى الحفلـة؟ قالت: نعم ومفروش بـسجادة جميلـة وفي نوافـذه شـتلات النـرجس والـورود والريحان، أقضي فيه أيامي ساعة أذكر ربي وسـاعة أتفـرج عـلى النـاس، وعـلى الغادي والرائح، وعلى أطفال الحارة وهم يلعبون، صدقيني إنها متعة لـو تـرين ذلك لارتحتِ كثيراً، قالت البنت: وسيحضر العرس بنات مثلي؟ قالت العجوز: ياللعجب كل بنات الحارة والكثير من بنات صنعاء، حتى بنات الإمـام وبنـات الحاكم والعامل والمشايخ، قالت البنت: وأجلس أتفرج من الكشك ولا أخرج وأنت عندي لأنني أستحيي، قالـت العجـوز: هـذا عـلى اختيـارك فـإن شـئت خرجت أنا وإياك ولا أفارقك لحظة واحدة، وسترين بنات مثلك يرقصن ويغنين ويزغـــردن لأن الـــدف جـــائز في الأعـــراس، افهمينـــي افهمينـــي .. فقالـــت الفتاة: شوقتيني ولكن أبي لا يأذن لي عند أحد، قالت العجوز: ولكني سـأكلمه وصدقيني ستفرحين وتمرحين مع البنات الجميلات وتنظرين العـروس متوجـة

والورد على رأسها، ساعة فقط وأردك إلى البيت، وقاطعت الحديث الفتاة: والبنات أجمل مني؟ قالت العجوز: كلا ما رأت عيني مثلك في بنات صنعاء كلهن الله يقرع الشيطان، مارأيك يابنتي أقل للقاضي وأمك؟ قالت: نعم. وقامت الفتاة تستأذن للعجوز من أبيها، وقالت له: هذه العجوز الفاضلة تريد أن تسلم عليك يا أبي مسكينة طيبة، دعوها تسلم عليكم واعطوها شيئاً، فقامت العجوز ونشرت مسبحة طويلة وتسترت بستارها الكبير وذكرت: الله الله الله ما شاء الله على الصالحين، ودخلت على القاضي، صباح الخير يا قاضي كيف حالكم؟ لم أعد أقدر على القيام إذا قعدت، ماشاء الله عليكم يا قاضي رجعتم شباب، ماشاء الله ما هذه الصورة الطيبة؟ قال القاضي: اتركي الهزل إنما هو خضاب وليس شباب، فقالت العجوز: هنيئاً لك الدنيا والآخرة، الجميع يذكركم بالخير ويثني عليكم، وقالت: ابنتكم هذه الجوهرة النفيسة لماذا لا تزوجوها؟ قال: قد خطبها أناس طيبون أكفاء شرفاء كرام، ولكن لم تقبل منهم أحداً ماذا نفعل؟ أنا مرتاح منها جالسة على مصحفها وكتابها لا تفارقها، قالت: ما شاء الله، ما شاء الله، قرع الله الشيطان منكم ومن بنتكم وزوجتكم، الطيب لا يأتي إلا بطيب، ونهضت العجوز وهي تقول مع السلامة، وحنت ونت، واستوت قائمة وقالت: مارأيكم يا قاضي عند جيراننا عرس ليلة الجمعة لو تأذنوا لبنتكم تخرج معي، فقاطعها الأب لا لا لم تخرج من قبل عند أحد، فغمزت البنت للعجوز أن أعيدي له ما قلت لي، فقالت العجوز: إنني سوف ألازمها ولا أفارقها ولمدة ساعتين، وإذا مرادها أن لا تخرج إلى العرس جلست في الكشك تتفرج إلى أن تتم الحفلة والزفة، وسأرجعها بنفسي، بالله عليكم يا قاضي ائذنوا لها وأنا ملتزمة لكم أنني ما أفارقها، أجابت الأم: ائذنوا لها تسمر قليلاً وتردها هذه

العجوز الطيبة، قال الأب: لا بأس على رأيها هي مباركة ولا تحب مجامع النساء ، لكن إذا كانت ستتفرج من الكشك فلا بأس، وقاطعت العجوز: أعدكم أنني ما أفارقها إلى أن ترجع. دعوها تروح عن نفسها ساعة إلى متى وهي مع الكتب والقراءة مغلقٌ عليها،أجاب القاضي ما رأيك يا بنتي؟ قالت: الرأي لكم أنت وأمي، فقال: لابأس أن تحضري بعد العشاء ليلة الجمعة نصلي وتذهب معك، وكوني حريصةً عليها لا تفارقيها، وفارقتهم قائلة سآتيكم ليلة الجمعة، وطاش عقل المسكينة لما قد أغرتها العجوز من وصف العروس، وبنات الإمام، والترايب اللواتي من ورائها، وانتظرت الفتاة بفارغ الصبر تحسب لياليها وأيامها وساعاتها ودقائقها، ولم تدر ما وراء تلك العجوز من البلاء والجرائم، وجاءت ليلة الجمعة وحضرت العجوز على الموعد، وقرعت الباب بعد أن رأتها الفتاة من النافذة فانطلقت حتى كادت تقفز من جرف المفرج، وفتحت لها ورحبت بها وسهلت. قالت العجوز: هل لبستِ أسرعي فالبسي أحسن ما عندك من الثياب ؛ لتكوني أحسن البنات الحاضرات، فأسرعت البنت ولبست أحسن ما معها، وقد كانت تجهزت من قبل بالحمام والحنا والنقش والكحل المتعارف به عندهم، ولما أصلحت من نفسها دخلت على أبيها وأمها، قال الأب: ما شاء الله أحسن من بنات الترك، هل جاءت العجوز؟ قالت الأم: نعم جاءت وسبحان الله ما أطيب هذه العجوز لا ترفع رجلها ولا تطرحها إلا ذكرت الله، فقال الأب والأم: مع السلامة يا قرة العين الله يهنئ من أنت من نصيبه، وقامت الأم لتؤكد على العجوز، وعلى ابنتها أن لاتتأخر عن الساعة السادسة أو قبل منتصف الليل، وقابلتها العجوز: اطمئنوا فسأرجعها بعد أن تنظر إلى العروس، وبعد أن ترقص مع البنات أمثالها، فسمعها الأب وخرج من غرفته قائلا: لا لا ابنتي لا تعرف

الرقص، هي زنجبيل بغباره، حورية من حور الجنة لا تعرف الرقص ولا اللعب، لم تخرج عند أحد، ولكن تتفرج، انتبهي يـابنتي، وخرجـت العجـوز بهـا محـلاة مكحلة منقشة بأحسن زينتها وثيابها ودخلت بها من زقاق إلى آخر، ومن حـارة إلى حارة، حتى ضيعت كل مدارك البنـت وهـي تقـول إلى متـى يغلـق عليـك أهلك؟ وإلى متى وأنت على الكتب؟ الآن اعـرفي النـاس وسـتذكريني وتقـولي رعى الله تلك العجوز، وافهمي مني كوني مؤدبة ومطيعة ولا يرتفع لك صوت، ولا تنزعجي من الذي ستدخلي عنده، وكم مثلك كن منزعجات وهكذا الدنيا.

وصك هذا الكلام سمع الفتاة، ما هذا الكلام؟ أظن العجوز تخرف!! أين أنا وأين بيتنا؟ وقالت للعجوز: ما اسم هذه الحارة؟ قالت العجوز: هذه حارة أهل الهوى، فقالت الفتاة: يا ويلاه ما هذا الكلام يا عجوز؟ قالت لها: لا تخافي كـوني مؤدبة، فكم مثلك قد قرعت هذا الباب، وقرعت باباً إلى الشارع، وبأسرع مـن لمح البصر فتح الباب مـن كـان عـلى الموعـد وبانتظـار، ودفعتهـا إلى الـداخل، وأغلقت الباب من الخارج وجعلت عليه قفلاً وأقفل من الداخل، وتلقاها شاب ممتلئ الجسم عليه آثار النعيم، ويظهر أنه من الناس الأغنياء المترفين ورحب بها، وعرفت الفتاة الحيلة فأخذها ما بعد ومـا قـرب، فتعلقـت بالبـاب، وصـاحت وانتحبت وكادت تسقط مغمى عليها، ولكنه زفها بين يديه إلى الداخل ومنه إلى الأعلى وهو يقبلها ويطمئنها ويحاول أن تسكت من البكاء ويقول لها: المال يـأتي بالجن المربطة اطمئني فأنا العريس وأنت العروس، ولا يوجد بنت في هذه الحارة إلا جاءت بها هذه العجوز إلى هنا حتى أكثر من عشرين بنتاً، وكـل واحـدة إذا أدخلتها العجوز لاتتكلم بكلمة واحدة وتصبر ثم تخرج مع العجوز على الموعد، ولا أحد يدري لا أبوها ولا أمها ولا إخوتها، وبعضهن الآن يـأتين إلي اختيـارا

بدون العجوز عند ما عرفن أني كريم، وأني طيب معهن وأحب الجمال، وأقـول لك ما قد رأيت مثلك بالحسن والجمال، وهذه العجوز قد أعطيتها من الـدراهم والدنانير بغير حساب، وقد صارت من الأغنياء، وإنها تواعدني بك منذ أكثر من سنة وقد أعطيت أكثر من خمسمائة دينار من أجلك خاصة، كيس مليء بالـذهب لما وصفت لي هذا الجمال والحسن البديع الذي جعله الله فيـك، واطمئنـي فعلى الموعد تعودين إلى بيتكم بعد منتصف الليل بعد أن نكون جميعاً قد ارتحنا، وربما تتألف القلوب فتأتيني بـك العجـوز في كـل جمعـه، لقـد انتظـرت وانتظـرت، وحاولت أكثر من عشرين مرة، والعجوز تعدني بك وتختلف، إنني في شوق كبير لما وصفوا لي الناس ووصفت لي العجوز. اسكتي يا هذه فسأعطيكِ كل ما أملك مقابل بسمة واحدة، ولم تكف الفتاة عن البكاء والنحيب، وهو يقبـل ويـداعب ويغمز. وقدم لها أجمل أنواع الحلوى والمسكّرات منه طبق قد كتب عليه اسمها، ولم ترق لها دمعة، ولم يهدأ لها صوت، وهي تقول:اتق الله، راقب الله، خـاف الله، حرام عليك، وتقول لنفسها:أنفعل المنكـر، أنغـضب الله؟ أنعـصي الله؟ أنفعـل الحرام؟ أأعصي أبي وأمي، أتفعل بي العجوز هذا الفعل الشنيع الـذي لا يفعلـه أحد، ماذا سنلقى من العذاب؟ ماذا سنلقى من الحساب؟ ماذا سـألقى والـدي ووالدتي وإخواني به؟ يا ويلاه يا ويلاه، يا الله، يا الله، يا الله صدقنا تسبيح العجوز ولم نعرف أنها قوّادة. وهو يقبل ويداعب ويغمزها في كل مكان من جسمها، ولم تمكنه من شيء مما يريد، وهو يقول: اطمئني لست وحدك، لقد جاءت العجـوز بأكثر من عشرين بنتاً أبكاراً، ومثلما فعلت لك العجوز ترجعهن بيوت أهلـيهن على الوعد لا يطلع أحد.

واستمر العراك بينها وبينه أكثر من أربع ساعات حتى تمزقت ثيابها، وتناثرت

حليتها، وسال دمها من أوجانها وشفتيها، وصبغت ثيابها بـدمائها مـن وجههـا ورقبتها وأذنيها، وهو كذلك فقد ضربته بنعالها وأحذيته، وما تمكنت من قبـضه من الأرض حتى شجته في وجهه، ووفقها الله تعـالى بـضربات متتابعـة بكعـب قنطرتها على رأسه ووجهه، سقط أرضاً مغمى عليه، فقامت وقـد نـشف ريقهـا ودموعها تسيل كالمطر ، ودخلت المرحاض وإذا له نافذة، فرجعت وأخذت ما أمكنها من حليتها المتناثرة وستارتها ورأت حـبلاً قـصيراً في الحجـرة، وأخذتـه وأخذت ثيابه المعلقة في غرفته وأدخلتها المرحاض، وغلقت عليها، وأصـلحت من نفسها بستارتها ما يستر التمزق، وأخذت ثيابه وأوصلت بها الحبل وربطتها بالنافذة، وأخرجت الحبـال إلى الخـارج، وقـدمت رجليهـا وأمـسكت بالحبـل وكررت قراءة «قل هو الله أحد»، و«رب نجني من القوم الظالمين»، ونزلت مـن ثلاثة أدوار، ولما وصلت الدور الأول انقطعت الثيـاب فوقعـت عـلى الأرض لم يصبها أذى، وكأنها مولودة من ساعتها أو كأنها في حلم لنجاتها وسلامتها فقـد نجت من كلاب الإنس، وبقي الكلاب في الشارع التي أحاطـت بهـا مـن كـل جانب، قدرت الوقت أنه نصف الليل، ودعـت الله تعـالى وأخلـصت الـدعاء، واطمأنت أنها مع الكلاب الحقيقيين ولم تكن مع كلاب بني آدم الذين لم يبق لهم ضمير إلا إشباع نزواتهم وشهواتهم، مشت لا تدري أين تذهب وثيابها وذيولها مقددة، ولكن ستارتها غطت كل شيء، واحتوشتها الكلاب ، من كـل جانـب، وكلما ذهبت من شارع دخلت في آخر.

وهكذا حتى دخلت في زقاق هرباً من الكلاب، ولكن تلقاه مسدوداً وترجع إلى الوراء ثم تدخل في شارع إلى أن سبح المسبح في الجامع الكبير مـؤذن بوقـت السحر للمتسحرين والصائمين، وأنست بأصوات المذكرين بالأسحار، ولكـن

بقي عليها أنها لا تعرف الطريق ولا الاتجاه فلا تعرف الشرق من الغرب، ولا الشمال والجنوب، ولكنها عرفت أنها بأعلى صنعاء قريب من قصر غمدان، وفي أثناء ذلك وقد ضايقتها الكلاب، وهي تبكي وتدعو الله تعالى اضطرتها الكلاب إلى دخول باب مفتوح،إنه باب مسجد،، يا للأمان، وإذا سراج ضعيف في آخر المدخل على اليمين قصدته وعندها بعض الاطمئنان أنها في صرح مسجد، وتبعت النور وإذا هو منزلة صغيرة من منازل المهاجرين لطلب العلم، وإذا أمامها فتى كأنه قطعة من القمر مع السمت الحسن، ولوائح النجابة والصلاح والتقوى ظاهرة على وجهه، وعنده رزمٌ من الكتب عن يمين وشمال وأمام وهو عاكف عليها لا يرفع نظره، فقالت: السلام عليكم، فرفع رأسه فلما رأى امرأة خجل وانحنى، فقالت: نجني نجاك الله من عذابه، أجاب: بماذا؟ فقالت: أقعد هنا حتى يطلع الفجر ويكثر الذاهبون إلى المساجد ويقل الأذى، تقول هذا وهي تطالع أنفاسها وتبكي. قال: اقعدي ولا حول ولا قوة إلا بالله، وما شأنك أيتها المرأة؟ قالت: مكروبة وضائعة ولم أعرف جهة بيتنا في هذا الظلام الدامس، ثم قعدت وجمعت عليها ثيابها، ولمح منها ما يضيع العقول من بياض رجليها واليدين والقوام والصوت الذي يقد القلوب، فدخل التفكير في أعماقه وهو على كتبه كلما قرأ من كتاب انتقل إلى غيره وهكذا. . . وكانت الفتاة حافية القدمين، وربما سارقته النظر وكانت مغرية القوام، وكأن ثيابها تنطق بما ورائها، فثارت الغريزة عند الشاب وتدفقت عيناه بالدموع على الكتاب، وأخذ طرف ثوبه ينشف الدمع عن الكتاب وهي تلاحظه وتراه يرفع يديه إلى السماء قائلاً: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران:٨] وكررها فتخبو تلك الجذوة، ويعود إلى الكتاب،

وتسمعه وهو يردد ﴿رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون:٩٧-٩٨] أعوذ بالله من غضبه وعقابه، ومن شر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون. ويعود إلى الكتاب ثم أخذ مصحفاً وجعله على صدره وهو يكرر الدعاء والتعوذ، فعل ذلك عدة مرات، وفي الأخيرة وضع إصبع يده اليسرى على السراج حتى يقزقز اللحم، وانبعثت له رائحة ثم يقرأ ويرجع إلى تحريق أصابعه الخمس إصبعاً إصبعاً، وكانت الفتاة تنظر إلى ذلك وتعرف ما وراءه وهي الذكية الألمعية المتعلمة المؤمنة، ورددت في نفسها: اللهم احفظه واحفظني، قالت: وكنت أردد قراءة السبع المنقذات والفاتحة، وبينما هما كذلك إذ ارتفع صوت الحق بأذان الفجر، فلم تشعر الفتاة إلا بدموعه تسيل على الكتاب وأكب عليه وهو يردد الآية الكريمة، فقال: الحمد لله الآن أذن المؤذن، مع السلامة يا فتاة فقد أثرت عواطفي، وبلبلت بالي، واشتغلت عن مراجعة كتبي، لاقوة إلا بالله، فقامت وقلبه وروحه معها، ولكن كيف وهو المعتصم بحبل الله المتين، فقالت: أنا أريد غرب السائلة فأين أذهب بعد الباب، اليمين أم اليسار؟ قال: اذهبي إلى اليمين بعد أن تخرجي من الباب الذي دخلت منه، وفي أسفل الشارع تلقين طريقين اسلكي اليمين، والحمد لله قد خلت الشوارع من الكلاب لأن الناس خرجوا من بيوتهم إلى المساجد. وردد في نفسه ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف:٨٦] قالت: وخرجت وكأني قد ملكت الدنيا بالسلامة من تلك الليلة الرهيبة وردد لساني الآية الكريمة ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق:٢] ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٤]، ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق:٥] اللهم النجاة، اللهم السلامة، اللهم التوفيق، ماذا أقول لأبي الغيور وأمي الفاضلة وإخوتي،

يارب وفقني الوصول إلى البيت كذلك ودموعها تسيل لا ترفع قدماً ولا تضعها إلا بالفكر والذكر، وهي تقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، والحمد والشكر لله الذي نجاها حتى تجاوزت السائلة وعرفت الحارة التي يسكنونها، وقد ضحضح الصباح فما كادت تشرق الشمس حتى قرعت باب البيت، وفتحوا فما دخلت الباب وأمنت حتى ارتمت مغشياً عليها ليس بها حراك، وهب الأب والأم والأخوة، ماذا بك؟ ماذا بك؟ مالك مالك؟ حركوها وإذا هي مغمى عليها ليس فيها إلا النفس، وجاءوا بالماء البارد ورشوه عليها وأفاقت، وقادوها إلى غرفة أبيها وهي خرساء لا تتكلم بكلمة حتى جلست، ورأوا ثيابها المقددة، والدماء وآثارها على وجهها، فقالوا: ماذا بك؟ ماذا بك؟ فاسترجعت أنفاسها وعلا نحيبها ونشيجها وهي تقول: تلك العجوز الكافرة، تلك العجوز القوّادة ، تلك العجوز الكذا كذا قادتني إلى بعيد ومن شارع، إلى شارع ، ثم إلى بيت خالٍ ليس فيه إلا رجل شاب من أهل الدعارة والخباثة والأعمال السيئة قد تلطخت يداه بالمعاصي والأعمال الفاجرة ، واسترجعت أنفاسها وقصت عليهم القصة من أولها إلى آخرها، فبهتوا، ودهشوا، وخرسوا، ولم يستطع أيهم أن ينطق بكلمة واحدة، وبعد قليل قال الأب للأم: وهل تعرفون بيت هذه العجوز وممن هي؟ قالوا: لا لانعرفها إلا بترددها إلينا كل حين ونعطيها شيئاً، وقد رأيتموها لا أحد يشك في صلاحها. الله أكبر إنا لله وإنا إليه راجعون من هذه الفعلة الشنيعة القبيحة وقد رأيتم كان لنا ليلة لم نعرفها في حياتنا من القلق والخوف والتوقع خصوصاً بعد أن تجاوز الموعد، ثم قال الأب للأم: اخرجي إلى مكان آخر أنت والبنت واكشفي عليها هل لعب بها هذا الفاجر. وجعل يردد :-

إذا سبحت حيزوم فابشر بزلة وإن هللت فابشر بأم الكبائر

ويقول: رضي الله عن أمير المؤمنين وصلوات الله عليه إذ يقول عليه السلام «أحب إليَّ أن أجد في منزلي مائة لـص يسرقونه أهـون علـيَّ مـن أجـد فيـه عجـوزاً لا أعرفها». فخرجت الأم وكشفت على ابنتها ورجعت إليه تطمئنه أنـه لم يحـدث شيء إلا أورام وكدمات في كل جسمها وجرح في أنفها، فحمـد الله تعـالى عـلى السلامة من العار والنار والشنار، وأوجب على نفسه كرامة يقدمها لطلبة العلم والمهاجرين وحملة كتاب الله العزيز في المساجد بـصنعاء كلهـا طعـام وكـسوة ومساعدة شكراً لله تعالى على نجاة ابنته، ولمعرفة ذلك الشاب الذي ذكرته ابنتـه ووصفت كل ما رأته منه. فأمر أولاده وخدمه أن يذهبوا إلى كل مسجد بصنعاء أعلاها وأسفلها وطولها وعرضها، وأن يحضروا كل المهاجرين فيهـا مـن طلبـة العلم وغيرهـم من ضعفة الحال، وأمروهـم بالحضور إلى المسجد المجـاور لبيتـه لصلاة الجمعة، ثم للطعام ببيته، فتباشر المهاجرون بذلك، وكان هـذا القـاضي معروفاً بالخير والسعة ومحبته أهل المساجد، فحضروا عن بكرة أبيهم، واجتمـع خلق كثير من ضعفة الحال والعميان، فلما استكملوا خرج إليهم ورحـب بهـم، وصافحهم واحداً، واحداً وهو يتأمل ذلك الفتى ولم يحصل على تلك الأوصاف، وقال لهم: هل بقي أحد منكم؟ قالوا: قد حضرنا جميعاً، فقـال: لابـد أنـه بقـي بعض، فقالوا: لم يبق أحد، فاستدعاهم إلى الطعام، ولكنـه أخـذ عـلى نفـسه أن يباشر بنفسه غسل أيديهم حتى انتهوا، فقال: إنه بقي منكم جماعة فتذكر أحدهم أنه بقي مهاجر في المسجد الفلاني في أعلى صنعاء، فأمر الخادم أن يذهب ليأتي به، فلما أتى به عرفه بالوصف وباشر عليه يغسل يديه فمسك اليمنى وغـسلها، ثـم رفع اليسرى فتناولها القاضي وإذا آثار النار على خمسها، وقال: ماذا بـك؟ قـال: هذا من النار وأنت تدري بحال المهاجرين في المنزلة أنهـم يبـاشرون كـل عمـل لتحصيل طعامهم، قال القاضي الآن الحمد لله أدخل للطعام، فطعموا ما لم يروا

أحسن منه ، وباشر خدمته عليهم بالطيب والورد، ثم أعطى كل واحد كسوة ، وقميصاً وعمامةً ورداءً، وديناراً وخمسين درهماً، ودعوا له ولأولاده وتبرك بدعواتهم، ففي الأثر: «إكرام طلبة العلم صلاح للذرية»، وودعوه وخرجوا من عنده، ولكنه أمسك ذلك الفتى ولم يأذن له بالخروج، فلما بقي هو وإياه، قال القاضي: ما شأن هذه الحروق التي في يدك؟ فقال الشاب: أنا مهاجر بالمسجد ولا بد أن أباشر إصلاح بعض الأشياء من الطعام في المنزلة وكذا حال المهاجرين، قال القاضي: أخبرني بالحقيقة فالأمر غير هذا، فقال الشاب: ليس غير ما سمعت وقد خامره التعجب من السؤال والإلحاح، وماذا تريد من هذا السؤال؟ ألست القاضي فلان؟ وقد هاجرت في المنزلة وعرفت كل شيء؟ وأكثر العلماء قد هاجروا وعرفوا؟ فقال القاضي: أنا أعرف أكثر وأكثر، وأسألك بالله إلا ما أخبرتني، فسكت الشاب، ولكن القاضي دخل وأخرج الفتاة محجبة وقال هل تعرفين هذا الشاب؟ قالت: نعم هو هو وخرجت، فعرف الشاب أن الأمر قد وضح وقص القصة إلى آخرها، وقال القاضي: ما وراء تلك التعويذات التي كانت الفتاة تسمعها؟ فقال: كنت أتذكر لقاء الله تعالى وما أعده لمن عصاه، وماذا أقول لجدي رسول الله ﷺ ؟ وماذا أقول لجدي أمير المؤمنين علي؟ وماذا أقول لجدتي فاطمة الزهراء؟ وماذا أقول لجدي الحسين عليهم السلام جميعاً، فكنت أتضرع إلى الله جلت قدرته أن يجنبني من تلك البلوى والحمد لله تعالى نجاني ونجى ابنتك من الكلاب التي طاردتها في الشوارع، فقال القاضي: الحمد لله الذي عرفني عليك بعد محنة بالغة وبلوى شديدة، وأنت الآن كأحد أولادي، وهذه الفتاة زوجتك إن شاء الله في الدنيا والآخرة، وقد كتبها الله تعالى لك بعد أن خطبها الكثير من الناس فامدد يدك لأملك بها لك، فقال الشاب: إنه ليس لدي بيت ولا مال والزواج يحتاج إلى الشيء الكثير، فقال القاضي: لا تحتاج بيتاً

ولا مالاً، هذا بيتي بيتك ومالي كمالك، وقد زوجتك بها، بارك الله تعالى لك فيها وجمع بينكما في خير وعافية، وأخرج منكما كثيراً طيباً، واستدعى شهوداً وأدخلها عليه في الحال زوجة صالحة، مباركة فائقة الجمال والحالِ راضيةً مرضيةً ، ودوداً ولوداً، معينة على طاعة الله وعبادته وعلى الدراسة، معينة على نوائب الدهر.

فأول ما استجلاها تبسمت له وقالت: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق:٢] أنا صاحبتك البارحة، الحمد لله الذي جمعنا بقدرته، لقد استجاب الله تعالى ضراعتك بسرعة، واستجاب لي فأمن روعتي وحفظني وردني إلى أهلي سالمة غانمة، فقال: الحمد لله رب العالمين لا نحصي ثناء عليه، فقومي فلنصل لله تعالى فنشكره أن جمعنا، ووفقنا ، وهدانا، وحفظنا، فصليا ما شاء الله تعالى، وصلح حالهما، ولازم الجلوس عندها وفي منزلته بالجامع للدراسة حتى بلغ درجة الاجتهاد، وكان له من الأخبار ما ملأ البلاد والوهاد، ومن المؤلفات ما استفاد منها الكثير من العباد، ومن الذرية الصالحة ما تقر به العيون، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فمن طلب الغنى من الله أغناه، ومن طلب الكفاية منه كفاه،وكما قيل:

ذاك السوار لمثلِ ذاك المعصم

وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
روي عن رسول الله ﷺ : «طوبى للمخلصين أولئك مصابيح الدجى» ولله القائل :-

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم ... يا كاشف الضر والبلوى مع السَّقَم

هب لي بجودك ما أخطأت من جرمي ... يا من إليه أشار الخلق بالكرم

إن كان عفوك لم يسبق لمجترم ... فمن يجود على العاصين بالنعم

حكاية

قال بعض الصالحين: رأيت امرأة في الطواف وهي تقول: يا لطيف، يا لطيف، يا لطيف، يا كريم بلطفك القديم، فإن قلبي إلى العهد مقيم، فسألتها عن ذلك؟ فقالت: انظر إلى هذا الصبي النائم فإني خرجت إلى الحج في البحر فانكسر المركب، وصرت على لوح فوضعته في تلك الشدة في حجري وأنا علياللوح، فبينما الموج يقذفني والصبي في حجري وإذا برجل على لوح فراودني عن نفسي، فامتنعت منه فأخذ الصبي وطرحه في البحر فرفعت طرفي إلى السماء وقلت: اللهم يامن يحول بين المرء وقلبه حل بيني وبين هذا العبد، فخرجت دابة من البحر فأخذته، ثم ساق الله تعالى مركباً فأخذوني من على اللوح، فرأيت هذا الصبي بينهم فسألتهم عنه فقالوا: وجدناه على ظهر دابة وهو يرضع من إبهامه لبناً فقلت: إنه ولدي، وأخبرتهم بقصتي. قال: فأردت أن أدفع لها دراهم فقالت: «يابطال» أحدثك عن لطفه وجميل فعله وآخذ الرزق من غيره، وأنشدت: -

وكم لله من لطف خفي ... يدق خفاه عن فهم الذكي

وكم يسر أتى من بعد عسر ... ففرج كربة القلب الشجي

وكم أمر تساء به صباحاً ... وتأتيك المسرة بالعشي

إذا ضاقت بك الأسباب يوماً ... فثق بالواحد الفرد العلي

حكاية عن بني إسرائيل

سافر بعض قضاة بني إسرائيل إلى الحج واستخلف أخاه، فدخل يوماً على زوجة أخيه وراودها عن نفسها، فقالت له: اتق الله ولاتخن أخاك، فجاء إبليس في صورة رجل وقال: أقم عليها الحد بالزنا وارجمها إن لم تطاوعك، فأخبرها بذلك، فقالت: افعل ما شئت، فأقام عليها الحد ورجمها، فمر بها رجل ليلاً فسمع أنينها فأخرجها وأخذها إلى منزله، فدخل بعض أصحابه فرآها جميله فراودها عن نفسها فامتنعت، فدخل ليلاً ليذبحها فذبح ولد الجمال، وكان قد ألف بها دون معصية، فقالت امرأة الجمال: ما ذبحه إلا هي وأنت تدافع عنها لفسادك بها، فأعطاها دراهم وقال لها: اخرجي من منزلي، فخرجت على وجهها فرأت شخصاً مصلوباً على دين فخلصته بتلك الدراهم، فقال: لأكونن عبداً لك، فسار معها إلى ساحل البحر فراودها عن نفسها، فقالت: هذا جزائي منك؟ فلما أيس منها قال لتاجر في مركب: عندي جارية جميلة وأريد بيعها، فلما رآها التاجر دفع له عنها ثلاثمائة دينار، فقالت: أنا حرة، فأخذها قهراً، فلما كان الليل مد يده عليها فقالت: اتق الله، فضرب وجهها فعصفت الرياح على سفينته فغرقت، وحفظ الله المرأة حتى وصلت إلى ملك عادل فأخبرته بخبرها فبنى لها صومعة تتعبد فيها، فشاع خبرها لصلاحها، فقصدها أصحاب العاهات تدعو لهم فيعافيهم الله تعالى ببركة دعائها، فلما جاء زوجها من الحج سأل عنها، فقيل له: إنها زنت فرجمت، فدخل على أخيه فوجده عمي، وأمّا الشهود فوقعت الآكلة في أفواههم. فقيل لزوجها: خذ أخاك واذهب به إلى امرأة صالحة بمكان

كذا وكذا لتدعو له، فسار به وتبعه الشهود، ورأوا في الطريق الجمال ومعه صاحبه الذي ذبح ولده وقد أصابه عاهة، ثم وجدوا شاباً أعمى وهو الذي خلصته من الصلب، ثم وجدوا التاجر قد قذفه الموج وهو عظيم البلاء، فلما وصلوا إليها وطلبوا منها الدعاء قالت: كل من اعترف بذنبه دعوت له، فقال أخو زوجها: أنا أستحي من ذنبي، فقال: لابأس عليك، فقال: إني راودت امرأة أخي عن نفسها فامتنعت فأقمت عليها هؤلاء الشهود بالزنا زوراً، وقال صاحب الجمّال: أنا وجدت امرأة عند هذا الرجل فراودتها عن نفسها فامتنعت فأردت ذبحها فأصابت السكين ولده، وقال الشاب الذي خلصته من الصلب: إن امرأة خلصتني من الصلب فراودتها فامتنعت فبعتها بثلاثمائة دينار، وقال التاجر: وأنا اشتريت جارية فراودتها فامتنعت فضربت وجهها فعصفت علينا الرياح. فقالت لزوجها: أدنُ مني فكشفت عن وجهها فلما رآها قال: والله أعلم إنك بريئة، فقالت: سمعت كلام أخيك والشهود. وقالت للجمّال: هذا قاتل ولدك. وللتاجر هذا الذي باعني لك وأخذ مالك فإن شئتم القصاص أو العفو، وأما أنا فقد عفوت عنهم لله تعالى، اللهم اكشف عنهم ضرهم فعافاهم الله تعالى أجمعين وذهبت مع زوجها.

وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[الطلاق: ٢، ٣]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾[الطلاق: ٤]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾[الطلاق: ٥].

رواية عن الإمام الصادق في حال أهل البلاء

روي عن الإمام الصادق رضوان الله تعالى عليه قوله: يؤتى بالمرأة الحسناء يوم القيامة التي قد افتتنت وفتنت في حسنها فتقول: يا رب حسنت خلقي حتى لقيت ما لقيت. فيجاء بمريم عليها السلام فيقال: أأنت أحسن أم هذه فقد حسنَّاها فلم تفتتن؟ ويجاء بالرجل الحسن الذي قد افتتن في حسنه فيقول: يا رب حسنت خلقي حتى لقيت من النساء ما لقيت، فيجاء بيوسف عليه السلام فيقال: أأنت أحسن أم هذا قد حسناه فلم يفتتن، ويجاء بصاحب البلاء الذي أصابته الفتنة في بلائه، فيقول: يا رب شددت علي البلاء حتى افتتنت فيؤتى بأيوب عليه السلام فيقال: أبليتك أشد أم بلية هذا فقد ابتلي فلم يفتتن؟

في الحياء

وحكي أن طاووس اليماني كان بمكة فراودته امرأة عن نفسه وهو يتمنع، فلم يزل حتى أتى بها إلى المسجد الحرام والناس مجتمعون، فقال لها: أقضي ما تريدين، قالت: في هذا الموضع والناس ينظرون؟ قال: فالحياء من الله تعالى أحق، فتابت المرأة وحسنت توبتها.

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب

فلا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

في حقيقة العبودية

ومن الصلة: قيل لإبراهيم بن أدهم أنت عبد؟ قال: نعم، قيل: لمن؟ قال: فلما أراد أن يقول غشي عليه، فلما أفاق جعل يقول: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾[مريم:٩٣].

ثم قال :-

إذا سميتني عبداً فقد أجللت من قدري
ولو سميتني مولاً ومولاي الذي تدري
ولو فتشت عن قلبي ترى اسمك في قلبي
ولو ناديتني ميتاً لجاوبتك من قبري

وقال سليمان الخوّاص: ما من أحد يكون به داء إلا وأنا أرجو دواءه، إلا من طلب الرياسة من القراء والإخوان العلماء فبماذا أداويه؟! والقرآن والسنة عقاقير المسلمين الذين يتداوون بهما، فإذا لم ينتفعوا بهما فماذا من الأدوية يشفيهم ؟!

دعاء الفرج

وأخرج العلامة عبد الواسع الواسعي في كتاب «الدر الفريد الجامع لمتفرقات الأسانيد» الحديث المسلسل، يقول: كل راوٍ كتبته وهاهو في جيبي، وذكر السند إلى محمد بن سهل عن الربيع قال: لما استقلّت لأبي جعفر المنصور الخلافة قال: ياربيع ابعث إلى جعفر بن محمد، فقمت بين يديه وقلت: أي بلية يريد أن يفعل

وأوهمته أني أفعل، ثم أتيته بعد ساعة فقال: ألم أقل لـك: ابعـث إلى جعفـر بـن محمد، فوالله لتأتيني به أو لأقتلنك أشر قتلة، فذهبت إليه فقلت: أبا عبدالله أجب أمير المؤمنين، فقام معي فلما دنونا من الباب قام فحرك شفتيه، ثم دخل فسلم فلم يرد عليه، ووقـف فلـم يجلسه، ثـم رفـع رأسـه وقـال: يـا جعفر،أنـت الـذي كيت وكيت، فحدثني أبي عن أبيه عن جـده عـن النبـي ﷺ : «يبعـث للغـادر لواء يعرف به».

قال جعفر بن محمد: حدثني أبي عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «ينادي منادٍ يوم القيامة من بطنان العرش:ألا ليقم من كان أجره على الله تعالى، فلا يقوم من عباده إلا المتفضلون» فما زال يقول حتى سكت ما بـه وألان لـه، فقـال لـه: اجلس أبا عبدالله، ارتفع أبا عبدالله، بعالية فيها دهن فأراقه عليه بيده، والعاليـة تقطر من بين أنامل أمير المؤمنين، ثم قال: انصرف أبا عبدالله في حفظ الله تعالى، ثم قال: ياربيع أتبع أبا عبدالله جائزته وأضعفها له، فخرجت فقلت: أبا عبدالله تعرف محبتي لك، قال: أنت منا حدثني أبي عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قـال: «مولى القوم منهم» فقلت: يا أباعبدالله شهدت ما لم تشهد، وسمعت ما لم تسمع، وقد دخلت ورأيتك تحرك شفتيك عند دخولك إليه، قال: دعاء كنت أدعو بـه، قلت : دعاء حفظته عن آبائك الطاهرين؟ قال: حدثني أبي عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ كان إذا أحزنه أمر دعا بهذا الدعاء وكان يقول: إنه دعاء الفرج ....

«اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنـك الـذي لا يـرام، وارحمنـي بقدرتك علي[فلا أهلك]، أنت ثقتي ورجائي، فكم من نعمة أنعمت بها علي قل لك بها شكري، وكم بلية ابتليتني بها قل لك بها صبري، فيا من قل عند نعمته شكري فلم يحرمني، ويا من قل عند بلائه صبري فلم يخذلني، ويا مـن رآني عـلى الخطايـا فلـم

يفضحني، ويا ذا المعروف الذي لا ينقضي أبداً، ويا ذا النعماء التي لا تحصى عدداً أسألك أن تصلي وتسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت وترحمت على إبراهيم إنك حميد مجيد، وبك أدرأ في نحور الأعداء والجبارين، اللهم أعني على ديني بدنياي، وعلى آخرتي بالتقوى، واحفظني فيما غبت عنه ولا تكلني إلى نفسي فيما حضرت، يامن لاتضره الذنوب، ولا تنقصه المغفرة، هب ما لا يضرك، واغفر لي ما لا ينقصك، إلهي أسألك فرجاً قريباً، وصبراً جميلاً، ورزقاً واسعاً، وأسألك العافية من كل بلية، وأسألك الشكر على العافية، وأسألك دوام العافية، وأسألك تمام العافية ، وأسألك الغنى عن الناس، ولا حول ولا قوة إلا بك» قال الربيع : فكتبته عن جعفر بن محمد وها هو في جيبي.

حكاية زواج سلمان الفارسي

وفي «حلية الأولياء» عن سلمان الفارسي - رضي الله تعالى عنه - أنه تزوج امرأة من كندة فبنى بها في بيتها، فلما كان في ليلة البنا مشى معه أصحابه حتى أتى بيت امرأته، فما بلغ البيت قال: ارجعوا آجركم الله تعالى، ولم يدخلهم عليها كما يفعل السفهاء، فلما نظر إلى البيت والبيت منجد قال: أمحموم بيتكم أم تحولت الكعبة في كندة؟ قالوا: ما بيتنا بمحموم ولا تحولت الكعبة في كندة، فلم يدخل البيت حتى نزع كل ستر في البيت غير ستر الباب، فلما دخل رأى متاعاً كثيراً فقال: لمن هذا المتاع؟ قالوا: متاعك ومتاع امرأتك، قال: ما أوصاني بهذا خليلي ﷺ ، أوصاني خليلي أن لا يكون متاعي من الدنيا إلا كزاد الراكب، ورأى خدماً، فقال: لمن هذه الخدم فقالوا: خدمك وخدم امرأتك، فقال: ما بهذا أوصاني خليلي، أوصاني خليلي ﷺ ألا أمسك إلا ما أُنكِح أو أَنْكَح فإن فعلت

فبغبن كان عليَّ مثل أوزارهن من غير أن ينتقص من أوزارهن شيء، ثم قال للنسوة اللاتي عند امرأته: هل أنتن مخرجات عني مخليات بيني وبين امرأتي؟ قلن: نعم فخرجن فذهبن إلى الباب حتى أجافه وأرخى الستر، ثم جاء حتى جلس عند امرأته فمسح بناصيتها ودعا بالبركة فقال لها: هل أنت مطيعتي في شيء آمرك به؟ قالت: جلست مجلس من يطاع، قال: فإن خليلي ﷺ أوصاني إذا اجتمعت إلى أهلي أن أجتمع على طاعة الله -عز وجل-، فقام وقامت إلى المسجد فصليا ما بدا لهما، ثم خرجا فقضى منها ما يقضي الرجل من امرأته، فلما أصبح غدا إليه أصحابه فقالوا: كيف وجدت أهلك؟ فأعرض عنهم، ثم عادوا فأعرض عنهم، ثم أعادوا فأعرض عنهم، ثم قال: إنما جعل الله تعالى الستور والخدور والأبواب لتواري ما فيها، حسب امرئ منكم أن يسأل عما ظهر له، فأما ما غاب منه فلا يسألن عن ذلك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المتحدث عن ذلك كالحمارين يتسافدان في الطريق» انتهى. وهو سلمان الخير قال رسول الله ﷺ: «سلمان منا أهل البيت» عمّر طويلا يقال: إنه عاش مائتين وخمسين سنة وقيل ثلاثمائة سنة ، ومات بالمدائن سنة خمس وثلاثين...

حكاية من زَوَّجَهُ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -

قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الأحزاب:٦].

عن عبدالله بن أبي أوفى قال: «والله إنا لجلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه أعرابي فقال: يارسول الله أهلكني الشبق والجوع، فقال ﷺ : هو ذلك، وقال: اذهب فأول امرأة تلقاها ليس لها زوج فهي امرأتك، قال الأعرابي: فدخلت نخل بني النجار وإذا بجارية تخترف في زنبيل، فقلت لها: ياذات الزنبيل هل لك زوج؟

قالت: لا، قلت: انزلي فقد زوجنيك رسول الله ﷺ، قال: فنزلت فانطلقت معها إلى منزلها، فقالت لأبيها: إن هذا الأعرابي أتاني وأنا أخترف في الزنبيل فسألني هل لك زوج؟ فقلت: لا، فقال:انزلي فقد زوجنيك رسول الله ﷺ فخرج أبو الجارية إلى الأعرابي، فقال له الأعرابي: ما ذات الزبيل منك؟ قال: ابنتي، قال: هل لها زوج؟ قال: لا، قال: فقد زوجنيها رسول الله ﷺ ، فانطلقت الجارية وأبو الجارية إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال رسول الله ﷺ : هل لها زوج؟ قال: لا، قال :اذهب فأحسن جهازها ثم ابعث بها إليه، فانطلق أبو الجارية فجهز ابنته وأحسن القيام عليها، ثم بعث معها بتمر ولبن، فجاءت به إلى بيت الأعرابي وانصرف الأعرابي إلى بيته فرأى الجارية مصنعة، ورأى تمراً ولبناً فقام إلى الصلاة، فلما طلع الفجر غدا إلى رسول الله ﷺ وغدا أبو الجارية على ابنته فقالت: والله ما قربنا ولا قرب تمرنا ولا لبننا، قال: فانطلق أبو الجارية إلى الرسول ﷺ فأخبره فدعا الأعرابي فقال: يا أعرابي مامنعك أن تكون ألممت بأهلك؟ قال: يا رسول الله انصرفت من عندك ودخلت المنزل، فإذا جارية مصنعة ورأيت تمراً ولبنا فكان يجب لله علي أن أحيي ليلتي إلى الصبح، فقال: يا أعرابي إذهب فألمم بأهلك».
انتهى من «وبل الغمام» فيمن زوجه النبي عليه السلام للمحدث ابن طولون.

أمير المؤمنين وهمّام

قال في «نهج البلاغة» من كلام سيد الوصيين علي بن أبي طالب عليه السلام للشريف الرضي: روي أن صاحباً لأمير المؤمنين عليه السلام يقال له همّام كان رجلاً عابداً فقال: يا أمير المؤمنين صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم، فتثاقل عليه السلام عن جوابه، ثم قال: يا همام اتق الله وأحسن فـ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ

هُم مُّحۡسِنُونَ﴾[النحل:١٢٨]، **فلم يقنع همام بهذا القول حتى عزم عليه. فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال:**

أما بعد، فإن الله -سبحانه وتعالى- خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم، آمناً من معصيتهم، لأنه لاتضره معصية من عصاه، ولاتنفعه طاعة من أطاعه، فقسم بينهم معيشتهم، ووضعهم من الدنيا مواضعهم، فالمتقون فيها هم أهل الفضائل، منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع، غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم، نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء، ولولا الأجل الذي كتب لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب، وخوفاً من العقاب، عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون، قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة، صبروا أياما قصيرة أعقبتهم راحة طويلة، تجارة مربحة يسرها لهم ربهم، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها، أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلاً، يحزنون به أنفسهم، ويستثيرون به دواء دائهم، فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنوا أنها نصب أعينهم، وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم، فهم حانون على أوساطهم ، مفترشون لجباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم، يطلبون إلى الله تعالى في فكاك رقابهم. وأما النهار فحلماء علماء أبرار أتقياء، قد براهم الخوف بري القداح، ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى، وما بالقوم من مرض

ويقول قد خولطوا، ولقد خالطهم أمر عظيم، لا يرضون من أعمالهم القليل، ولايستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون، إذا زكي أحدهم خاف مما يقال له فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري وربي أعلم بي من نفسي، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل مما يظنون، واغفر لي ما لايعلمون، فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين، وحزماً في لين، وإيماناً في يقين، وحرصاً في علم، وعلماً في حلم، وقصداً في غنى، وخشوعاً في عبادة، وتجملاً في فاقة، وصبراً في شدة، وطلباً في حلال، ونشاطاً في هدى، وتحرجاً عن طمع، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل، يمسي وهمه الشكر، ويصبح وهمه الذكر، يبيت حذراً، ويصبح فرحاً، حذراً لما حُذِّر من الغفلة، وفرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة، إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب، قرة عينه فيما لا يزول، وزهادته فيما لا يبقى، يمزج الحلم بالعلم، والقول بالعمل، تراه قريباً أمله، قليلاً زللـه، خاشعاً قلبه، قانعة نفسه، منزوراً أكله، سهلاً أمره، حريزاً دينه، ميتةً شهوته، مكظوماً غيظُه، الخير منه مأمول، والشر منه مأمون، إن كان في الغافلين كتب في الذاكرين، وإن كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين، يعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، بعيداً فحشه، لينا قوله، غائباً منكره، حاضراً معروفه، مقبلاً خيره، مدبراً شره، في الزلازل وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور، لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب، يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه، لايضيع ما استحفظ، ولا ينسى ما ذكر، ولا ينابز بالألقاب، ولا يضار بالجار، ولايشمت بالمصائب، ولا يدخل في الباطل، ولا يخرج من الحق، إن صمت لم يغمه صمته، وإن ضحك لم يعلُ صوته، وإن بُغي عليه صبر، حتى يكون الله هو الذي ينتقم له، نفسه منه في عناء، والناس منه

في راحة، أتعب نفسه لآخرته، وأراح الناس من نفسه، بُعْدُه عمن تباعد عنه زهد ونزاهة، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة، ليس تباعده بكبر وعظمة، ولا دنوه بمكر وخديعة. قال: فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أما والله لقد كنت أخافها عليه. ثم قال: هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها.

وقد ألمح إلى الخطبة شيخ الإسلام الإمام مجد الدين بن محمد في «لوامع الأنوار» في ترجمة عابد اليمن إبراهيم الكينعي رضوان الله تعالى عليه وأن صفته وحليته هي ما قاله باب مدينة العلم أمير المؤمنين لهمام رضوان الله تعالى عليه، وقد أخرج ابن حجر في «صواعقه» عن صاحب «المطالب العالية» ما يقارب هذه الخطبة بتقديم وتأخير أو نقص وزيادة، وذكر أنه سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن صفة شيعته فقال ذلك وذكر العابد همام بن عباد بن خيثم رضوان الله تعالى عليه.

حكاية عن السيد القاسم بن محمد بن إسماعيل

روى بعض الصالحين قال: كان السيد القاسم بن محمد بن إسماعيل الحوثي رضوان الله تعالى عليهم بمكان من الزهادة والعبادة، وأهل العلم والعمل، وكان إذا ناوله أحد المصحف الشريف قام له ولا يتناوله إلا وهو قائم، ويقول: إنه يستحي من الله تعالى أن يتناول كتابه الكريم وهو قاعد، وكان بعد أن يعود من صلاة العشاء في المسجد يتدارس القرآن الكريم هو وزوجته الفاضلة الناسكة زينب بنت إسماعيل الشامي الحسني، ثم ينام قليلاً فإذا جاء آخر الليل قام للصلاة والذكر والاستغفار، وكان ينفق كل ما لديه حتى كاد أن يجحف بنفسه

وعائلته، وفي السنة الضريرة سنة ١٢٥١هـ أنفق كل ما معه، فقال بعض أهلـه: إنك ذو عائلة والسنة كما ترى، فيقول: الوثوق بالله تعالى، فلو بلغت البرة بـدُرَّةْ لأوجد الله تعالى لكل برة دُرَّة رحمه الله تعالى وأعاد علينا من بركاته.

حكاية عن السيد محمد بن الإمام محمد بن القاسم الحوثي

وروي أن السيد محمد بن الإمام محمد بن القاسم الحـوثي كـان مـن العلـماء الأعلام، وكان أباً للمساكين والمهاجرين، وأبناء السبيل، وكان لا يفارق القرآن الكريم، وقد عمل له محراباً في خزانـةٍ مظلمـةٍ داخـل مجلـسه الخـاص، مرمـوم بالتراب يدخل فيها ويقفل ولا يدخل عليه أحد، لا يفتر مـن ذكـر الله تعـالى في أكثر ليله ونهاره، وكان معروفاً لدى الناس بالخيرية والصلاح والأمانة والزهـد في الدنيا، فأودعه أحد الأغنياء كيساً من النقود الفضية، وأذن له في التصرف عند الحاجة، على أن تكون عند الطلب جاهزة، فبقيت مدة تزيد على السنة، وكان بيته قريباً من جامع الشجرة بحوث يغشاه المهاجرون الذين في الجامع وأبناء السبيل فإذا لم يكن معه شيء أعطاهم من تلك النقود حتى أنفذها، فلـما كـان ذات يـوم جاءه صاحبها وطلبها منه فأجابه أن يأتي لها في الصباح، فبات في عبـادة ودعـاء ودرس للقرآن الكريم على عادته مطمئن البال، واثقاً بما عند الله تعـالى وبغارتـه السريعة، فلما كان وقت السحر جلس بجانب نافذة المجلس وهو يدعو الله تعالى ويقول: يا عالم بالحال حالي لا يخفى عليك، فبينما هو كذلك إذ لمع نور أخضر من جنب التالوقة وهي شجرة كبيرة معمرة بين خراب العبيدي وعجمر غربي هجرة حوث معروفة فمشى ذلك النور، تارةً يظهر وتارة يختفي، حتى وصل إلى فـوق

البركة المصكعة، ثم مشى حتى نزل الوادي ثم اختفى ثم ظهر من جانب الوادي، ثم مشى في الضلعة حتى قرب ودخل بين البيوت، ثم دخل حوش البيت والسيد محمد يتعجب من هذا الضوء الغريب والأمر العجيب حتى قرع الباب فأجابه فقال: تعال، فكلمه من وراء الباب وقال: «هذه حق الرجال» أنفقتها في مرضاة الله تعالى، وأعيدت إليك بأمر الله تعالى، وما ادخره الله تعالى لك الشيء العظيم، ففتح الباب وقد أخذته العبرة فإذا الكيس بعينه وصفته ولم ير أحداً فأخذه العجب، وطلع إلى مجلسه ففتح الصندوق الموضوع فيه الكيس فلم يجده، فتعجب من هذا الأمر ولم يتمالك نفسه أن يبكي ويحمد الله تعالى ويشكره حتى أذن الفجر وخرج للصلاة لا يرفع قدماً ولا يضعها إلا على ذكر الله تعالى.

إن ألطاف إلهي لي قالت خل عنك
لا تدبر لك أمرا أنا أولى بك منك

حكاية عن عابد من بني إسرائيل

يروى أنه كان في بني إسرائيل عابدٌ عبد الله تعالى دهراً طويلاً في صومعة، وأنبت الله تعالى له كرمة عنب يأكل منها كل يوم قطف عنب، وإذا عطش مد يده فيقع فيها الماء، فمرت به امرأة جميلة فقالت: يا راهب قد دخل الليل والقرية بعيدة فدعني أنام عندك هذه الليلة حتى الصباح، فلما صارت عنده تجردت عن ثيابها، فغض بصره فتعرضت له فطالبته نفسه بذلك، فقال: إن الزاني يكتب على جبهته آيس من رحمة الله تعالى، وخوّف نفسه بنار جهنم فلم ترجع، فعرض عليها النار الصغرى وملأ سراجه دهنا وغلظ الفتيلة وأدخل إصبعه في السراج

ونادى مالك خازن النار يا نار كلي كلي، فأحرقت إصبعه كلها مع يده، فصاحت المرأة صيحة واحدةً تواجداً وخوفاً مما رأت ففارقت الدنيا، فسترها بثوبها وقام إلى الصلاة، فلما طلع الفجر صاح إبليس في المدينة ألا إن الراهب قد زنى بفلانة وقتلها، فركب الملك بعسكره إليه وناداه فأجابه فقال: أين فلانة؟ فقال: عندي، قال: دعها تخرج، قال: إنها ميتةٌ، قال الملك: ما رضيت بالزنا حتى قتلتها، فأخذوه بسلاسل الحديد ووضعوا المنشار على رأسه وقال: جزوه، فلما فعلوا تأوه، فقال الله -عز وجل-: يا جبريل، قل له قد أبكيت حملة العرش وسكان سماواتي ، وعزتي وجلالي لئن تأوهت مرة ثانية لأهدمن السماوات على الأرض، فصبر واحتسب ولم يخبرهم بحاله، فأنطق الله تعالى المرأة الميتة وقالت: إنه مظلوم والله ما زنى وأخبرتهم بخبره مع النار، فلما رأوا يده محترقة ندموا على ما فعلوا من قتله، فحفروا له وللمرأة قبراً واحداً فوجدوه مسكاً، فنادى مناد من السماء: اصبروا حتى تصليَ عليهما الملائكة ، وألقى الله عليهم كتاباً فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم من الله تعالى إلى عبده أني قد نصبت المنبر تحت عرشي وجمعت ملائكتي فخطب جبريل وأشهدت الملائكة أني قد زوجته من الحور العين بالفردوس، ذلك لمن خشي ربه».

حكاية رجل مسرف

كان ببغداد رجل مسرف على نفسه وله أم صالحة، وكان كلما عمل معصية كتبها في ديوان، فبينما هو ذات ليلة وإذا بالباب يطرق، فخرج ووجد امرأة جميلة، فقال: ما حاجتك؟ قالت: أيتام عندي ما أكلوا طعاماً منذ ثلاثة أيام، فقال: ادخلي، فعرفت منه الفساد، فقالت: معاذ الله فجذبها بقوة كرهاً، فقالت: يا

كاشف كل شدة، اعصمني منه، ثم قالت: اسمع ما أقول لك ثم قالت:-

ألا أيها الناسي ليوم رحيله أراك عن الموت المفرق لاهيا

ألم تعتبر بالظاعنين إلى البلى وتركهم الدنيا جميعاً كما هيا

ولم يخرجوا إلا بقطن وخرقة وما عمروا من منزل ظل خاليا

وأنت غداً أو بعده في جوارهم وحيداً فريداً في المقابر خاليا

ثم بكت وقالت: يا رب، أغثني وخلصني من هذا الرجل، فلما سمع كلامها وبكاءها بكى كثيراً فقال: بالله عليك إذا حصل الصلح بيني وبين مولانا هل سيمحو ما في الديوان؟ قالت: نعم، فأعطاها، وقال: أطعمي أولادك واسأليهم الدعاء، لمحو ما في الديوان، قالت: نعم،فلما صنعت لهم الطعام سألتهم الدعاء، فقالوا: والله لا نأكل حتى ندعو له فإن الأجير لايستحق الأجرة حتى يعمل، ثم إن الرجل دخل على أمه ونظر إلى الديوان فوجده أبيض ما فيه سيئة فأخبر أمه بذلك، فقالت: ما السبب؟ قال: جاءتني امرأة تطلب قوت أولادها فجرى الصلح على يدها، ثم توضأ وصلى ما شاء الله تعالى وقال: اللهم كما محوت عني المكتوب ألحقني بك تائباً منيباً، ثم سجد فحركته أمه فإذا هو قد مات . رحمة الله عليه وعلينا وعلى المؤمنين آمين.

حكاية

دخل جماعة على عمر بن عبد العزيز في مرض موته يعودونه، فإذا فيهم شاب ناحل الجسم، فقال له عمر: يا فتى ما الذي بلغ بك ما أرى؟ فقال: يا أمير المؤمنين أمراض وأسقام، فقال له عمر: سألتك بالله إلا ما صدقتني، فقال: يا

أمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة، فصغرت زهرتها وحلاوتها في عيني، فكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً والناس يساقون إلى الجنة والنار فاطمأننت لذلك وأسهرت له ليلي، وقليل حقير كلما أنا فيه في جنب ثواب الله تعالى وعقابه.

وكان علقمة بن قيس كثير الاجتهاد فقيل له: كم تعذب نفسك؟ فقال: إنما أريد كرامتها.

حكاية الغلام والعيناء

قال عبد الواحد بن زيد -رضي الله عنه- خرجنا للجهاد فقرأ رجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ...﴾ [التوبة:١١١] الآية فقام غلام وقال: قد بعت نفسي ومالي لله بأن لي الجنة، فلما وصلنا بلاد الروم إذا به يقول: واشوقاه إلى العيناء المرضية، فقلنا: لعله أصيب في عقله، ثم سألته عن العيناء، فقال: كنت نائماً، فقيل لي: اذهب إلى العيناء فرأيت روضة خضراء فيها نهر من ماء غير آسن. أي غير متغير عليه حور كالأقمار، فقلن: أهلاً وسهلاً بزوج العيناء، فقلت: أفيكن العيناء؟ فقلن: لا، نحن خدمها امض أمامك، فرأيت نهراً من لبن لم يتغير طعمه، عليه حور كالكواكب، فقلن: أهلاً وسهلاً بزوج العيناء فقلت: أهي فيكن؟ فقلن: لا ، نحن خدمها امض أمامك، فرأيت خيمةً بيضاء وعلى بابها جارية ما رأيت أحسن منها فضحكت وقالت: أيتها العيناء قد جاء زوجك فدخلت الخيمة فرأيت العيناء على سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت، فقالت: مرحباً يا

ولي الله أبشر فإنك في هذه الليلة تفطر عندنا فاستيقظت، قال عبد الواحد: فقاتل في ذلك اليوم حتى قتل، ولما قدم عبد الواحد من الجهاد قالت أم الغلام: هل قبل الله وديعتي فأُهَنَّى أم ردها فأُعَزَّى؟ فقلت: نعم قبلها، فضحكت. ثم رأته أمه تلك الليلة في الخيمة عند العيناء وقال: يا أماه، قد قبل الله تعالى وديعتك.

في المحبة لله تعالى وحسن المراقبة

ورأيت في بعض المجاميع في المحبة، قال: الحمد لله الذي تفرد بالعز والكبرياء، والقدم والبقاء، والمجد الأسنى، الواحد الأحد، القيوم الصمد، الذي أعطى وأقنى، الحي القيوم القدير الذي أوجد وأفنى، المريد الذي قدر وقضى، وحكم فأمضى، وأبعد وأدنى، السميع البصير، الذي سترنا بفضله وهو مطلع على ما أسررنا وما أعلنَّا، الملك الذي أعطى ومنع، ووصل وقطع، وأغنى وأقنى، سبح بحمده الرعد والمطر، والنجم والشجر، والجن والبشر، والشمس، والقمر، ففي كل شيء له آية، وفي كل ناطق معنى، فتح أسرار العارفين لسماع تسبيح الموجودات، فشاهدوا في كل مصنوع حُسْناً، ألهمنا معرفة وجوده، وأطعمنا من بره وجوده، فطعمنا، كيف لا تنظر قلوب المحبين شوقاً إلى لقائه، وتدهش الألباب خوفاً من بعاده وحزناً، أم كيف تستقر الأرواح وقد دعاها إلى المقام الأعلى، والحظ الأوفى، والشرف الأهنى، لا راحة للقلوب إلا بذكره وثنائه، ولا نعيم إلا على بساط رضوانه، يوم لقائه، هناك يجد الشفاء من كان بحبه مضنى، والمغبون من رضي بالهجر والبعاد، والمحروم من حرم القرب والوداد، والشقي من كان له الحرمان قيداً، وخذلاناً، وسجناً، يا خيبة المنقطعين في بوادي الهوى إذا

عاينوا ركب السابقين، فتقطعت قلوبهم حسرة وغبناً، ويا ندامة من ضيع عمره في البطالة، وأنفق أيامه في ذكر سعدى ولبنى، يا خجلة من نظر إليه مولاه، وهو على قبيح خطاياه، قد أغمض عن المراقبة جفناً ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ [القيامة:٣٦، ٣٧] فسبحان من وفق أولياءه لخدمته، وعاملهم بجميل رحمته، وأقام لهم يوم الجزاء وزناً، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى، أحمده على آلائه، التي ساقت إلينا من عطاياه مزناً، ومنّته علينا إذ هدانا للإيمان وعَرَّفَنا فَعَرَفْنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عليه توكلنا، وإليه أنبنا، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فكان قاب قوسين أو أدنى، صلى الله عليه وعلى آله وعلى أصحابه الأبرار ما بلبل ساكن الأشواق ذكر طلل ورسم ومغنى، وهب نسيم الأسحار فهز للأشجار غصناً في قول الله -عز وجل-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ...﴾ [المائدة٥٤] الآية، محبة الله تعالى للعبد إرادة تقريبه وإكرامه ، وتوليه بعنايته في جميع أحواله، فمن أحبه الله تعالى عامله بلطفه، وجاد عليه بإحسانه، وفتح عليه بما يبلغه أمله، ولا يدركه كده وعمله، ومحبة العبد لله تعالى تعلق القلب بذكره ودوام الشغف به، والتنعم بمناجاته، والتلذذ بخدمته، وصدق الشوق إليه، والاكتفاء به عن كل ما سواه.

قال رسول الله ﷺ : «ثلاث من كن فيه فقد استكمل حقائق الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما،وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار».

وقال أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-: من ذاق من خالص

محبة الله -عز وجل- شغله ذلك عن طلب الدنيا وأُوحش عن جميع البشر.

وقال الحسن: من عرف ربه أحبه، ومن عرف الدنيا زهدها.

وعن سري السقطي قال: تدعى الأمم يوم القيامة بأنبيائها فيقال: يا أمة محمد يا أمة موسى، يا أمة عيسى، ويدعى المحبون فيقال: يا أولياء الله هلموا إلى الله -سبحانه وتعالى- فتكاد قلوبهم تنخلع فرحاً.

وقال هرم بن حيان: المؤمن إذا عرف ربه أحبه وإذا أحبه أقبل عليه، وإذا وجد حلاوة الإقبال عليه لم ينظر إلى الدنيا بعين شهوة.

وقال يحيى بن معاذ: مثقال خردلة من الحب أحب إلي من عبادة سبعين سنة بلا حب، وقالت رابعة العدوية يوماً: من يدلنا على حبيبنا؟ فقالت جاريه لها: حبيبنا معنا، ولكن الدنيا قطعتنا عنه.

وأوحى الله تعالى إلى عيسى -عليه الصلاة والسلام-: إني إذا اطلعت على سر عبدي فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي، وتوليته بحفظي.

وقال سري السقطي: من أحب الله تعالى عاش، ومن مال إلى الدنيا طاش، والأحمق يغدو ويروح في غير شيء.

وقال أبو زيد البسطامي: الحب دهش في لذة وحيرة في نعيم.

وقال سهل بن عبد الله: المحبة عطف الله بقلب عبده إلى مشاهدته بعد فهم المراد منه.

وأوحى الله تعالى إلى داود -عليه الصلاة والسلام-: يا داود ذكري للذاكرين، وجنتي للعابدين، وزيارتي للمشتاقين، وأنا خاصة للمحبين.

وأوحى الله تعالى إلى آدم -عليه الصلاة والسلام-: يا آدم من أحب حبيباً صدق قوله، ومن أنس بحبيبه رضي فعله، ومن اشتاق إليه جد في سيره.

وقال بعضهم: رأيت في جبل رجلاً أحمر نحيف البدن، وهو يفر من حجر إلى حجر ويقول:

إنما الشوق والهوى صيراني كما ترى

وقال الجنيد -رضي الله عنه-: -بكى يونس -عليه الصلاة والسلام- حتى عمي، وقام حتى انحنى، وصلى حتى أقعد، وكان يقول: وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك بحار من نار لخضتها شوقاً مني إليك. ويقال: من علامات المحبة حب لقاء الحبيب.

قال ﷺ : «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه».

وكان سفيان الثوري وبشر الحافي - رضي الله تعالى عنهما- يقولان: لا يكره الموت إلا مريب لأن الحبيب على كل حال لا يكره لقاء الحبيب.

وقال سهل بن عبدالله: علامات محبة الله تعالى إيثار الله على نفسك، وليس كل من عمل الطاعات صار حبيباً، وإنما الحبيب من ترك المعاصي، ومن علامات المحبة: أن لا يخلو قلبك ولا لسانك من ذكر الله تعالى.

قال بعض الصالحين: حصلت عندي فترة عن تلاوة القرآن فسمعت قائلاً يقول لي في المنام: إن كنت تزعم أنك تحبني فلم جفوت كتابي، أما ترى ما فيه من لطيف عتابي، قال: فانتبهت وقد مازج قلبي حب القرآن.

وقال ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - : لا ينبغي أن يسأل أحدكم عن نفسه إلا

القرآن فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله.

ومن علامات المحبة: الأنس بالخلوة في الفلوات والليالي المظلمات انقطاعاً إلى الله تعالى عن الخلق، فمن استأنس بالناس فهو من أهل الإفلاس.

وروي أن عابداً كان في غيضة فرأى طائراً حسناً قد عشش في شجرة فانتقل قريباً منها ليأنس بالطائر ويستريح بحسن صوته، فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان« قل لفلان العابد: استأنست بمخلوق والله لأحطنك درجة لا تنالها بشيء من عملك أبداً».

وقال يحيى بن معاذ: من لم يكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب، يؤثر كلام الله تعالى على كل الخلق، ولقاء الله تعالى على لقاء الخلق، والعبادة على خدمة الخلق. ومنها أن لا يتأسف على ما فاته من الحظوظ وإنما يتأسف على لحظة تمر في الغفلة عن الله تعالى.

وقال إبراهيم بن أدهم: بينما أنا في السياحة إذ سمعت قائلاً يقول:

كل شيء مغفور سوى الإعراض عنا
قد وهبنا لك ما فات بقي ما فات منا

وقال بعضهم: عبدت الله تعالى حتى ظننت أن لي عنده شيئاً كثيراً فرأيت في المنام صفاً من الملائكة بعدد ما خلق الله تعالى من شيء، فقلت: من أنتم؟ قالوا: نحن المحبون لله -عز وجل- نعبده هاهنا منذ ثلاثمائة سنة ما خطر على قلوبنا سواه، ولا ذكرنا غيره قط، فاستيقظت وقد استحييت من الله تعالى أن أذكر أعمالي وأحوالي.

وحكي أن إبراهيم بن أدهم -رضي الله عنه- لقيه رجل وهو نازل من جبل

فقال: من أين أقبلت؟ قال: من الأنس بالله.

وقيل لرابعة العدوية: بم نلت هذه المنـزلة؟ قالت: بتركي ما لايعنيني، وأنسي بمن لم يزل.

وقال عبد الواحد بن زيد: مررت بعابد في صومعة فقلت: لم أعجبتك الوحدة؟ فقال: يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت إليها من نفسك، الوحدة رأس العبادة، قلت: متى يذوق العبد حلاوة الأنس؟ قال: إذا صفا الود، وخلصت المعاملة، قلت: متى يصفو الود؟ قال: إذا صارت الهموم هماً واحداً. وأوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام كن بي مستأنسا ومن سواي مستوحشاً.

وسئل الجنيد عن المحبة لله تعالى قال: عبد ذهب عن نفسه واتصل بذكر ربه وقام بأداء حقوقه، ونظر إليه بقلبه، فإن تكلم فبالله، وإن سكت فمع الله.

وقال أبو يزيد: المحبة إيثار المحبوب عن كل مصحوب.

ويقال: المحبة الميل الدائم بالقلب الهائم.

ويقال: المحبة أن تكون للمحبوب كالمملوك حتى لا يكون لك منك شيء.

ويقال: المحبة محو ما سوى المحبوب من القلب.

وقال سمنون: ذهب المحبون بشرف الدنيا والآخرة، لأن النبي ﷺ يقول: «المرء مع من أحب» .

ورئي مجنون ليلى في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وجعلني حجة على المحبين.

ويقال: المحبة أن تكون مع محبوبك بنسيان حظوظك وخلع أوصافك.

ويقال: الحب كامن في الفؤاد كالنار في الزناد إن قدحته أورى، وإن تركته توارى، فهو ألطف من أن تدركه عبارة، وأدق من أن تتناوله إشارة، يستدل عليه بآثاره، ويعرف وجوده بأنواره.

مَطله أطيب من وصله وجوره أحلى من عدله
وصعبه أهنا من سهله ومنعه أشهى من بذله

أهتز عند تمني وصله طرباً ورب أمنية أحلى من الصفر
يجني عليَّ وأجني من معاطفه ففي الجنى والجنايات انقضى عمري

وقال يحيى بن معاذ: ليس بصادقٍ من ادعى محبته ولم يحفظه.

وقال: الجنيد: المحبة إفراط الميل بلا نيل.

وقال المحاسبي: المحبة ميلك إلى المحبوب بكليتك، ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك، ثم موافقتك له سراً وجهراً، ثم علمك بتقصيرك في حبه.

ودخل جماعة على الشبلي وهو في المارستان، فقال: من أنتم ؟ فقالوا: أحبابك فرماهم بحجر فهربوا، فقال: يا كذبة، لو صدقتم في ولائي ما فررتم من بلائي.

وذكرت المحبة عند ذي النون فقال: اسكتوا لئلا تسمع النفوس فتدعى، وأنشد يقول:

الخوف أولى بالمسيء إذا تأله والحزن
والحب يجمل بالتقي وبالنقي من الدرن

وقال إبراهيم بن أدهم يوماً: اللهم إن كنت أعطيت أحداً من المحبين ما

يسكن به قلقه قبل لقائك فأعطني ذلك، فقد أضر بي القلق، فرأى في المنام قائلاً يقول: يا إبراهيم يا إبراهيم أما تستحي تسأل الله أن يعطيك ما يسكن به قلقك قبل لقائه، وهل يسكن قلق المحب إلا بلقاء حبيبه؟!.

لو شئت داويت قلباً أنت مسقمه ففي يديك من البلوى سلامته
القلب في وله والطرف منتظر من كان مثلي فقد قامت قيامته

وفي بعض كتب الله تعالى المنزلة: لن يسأم المحبون لله -عز وجل- من طول اجتهادهم، بل يحبونه ويحبون ذكره، ويحببونه إلى خلقه، يمشون بين عباده بالنصائح، ويخافون عليهم يوم تبدو الفضائح، أولئك أولياء الله تعالى وأحباؤه، وأهل صفوته، أولئك لا راحة لهم دون لقائه.

وقال ذو النون: ما ولع امرؤ بذكر الله إلا استفاد محبة الله.

وقال إبراهيم بن أدهم يوماً لرجل: يا أخي،تحب أن تكون لله ولياً ويكون لك محباً؟ قال: نعم، قال: دع الدنيا وأقبل على ربك بقلبك يقبل عليك بوجهه، فإنه بلغني أن الله تعالى أوحى إلى يحيى بن زكريا -عليهما الصلاة و السلام-: «يا يحيى، إني قضيت على نفسي أنه لا يحبني أحد من خلقي أعلم ذلك من نيته إلا كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، وفؤاده الذي يعقل به، فإذا كنت كذلك بغضت إليه أن يشتغل بغيري، وأدمت فكره، وأسهرت ليله،وأظمأت نهاره، أنظرُ إليه في كل يوم سبعين نظرة، فأرى قلبه مشغولاً بي، فأزداد من حبه وأملأ قلبه نوراً حتى ينظر بنوري، فكيف يسكن يا يحيى قلبه وأنا جليسه وغاية أمنيته، وعزتي وجلالي لأبعثنّه مبعثاً يغبطه النبيون والمرسلون، ثم آمر منادياً ينادي: هذا حبيب الله تعالى وصفيه دعاه إلى زيارته، فإذا جاءني رفعت

الحجاب بيني وبينه»، فلما ذكر الحجاب [يعني حجاب الجهل به -عز وجل-] صاح يحيى -عليه الصلاة والسلام- فلم يفق ثلاثة أيام، فلما أفاق قال : «فمن لم يرض بك صاحباً فبمن يرضى، وكيف أصاحب خلقك وقد دعوتني إلى مصاحبتك؟!».

وقال ذو النون: أوحى الله تعالى إلى موسى -عليه الصلاة والسلام-: «يا موسى كن كالطير الواحد يأكل من رؤوس الأشجار، ويشرب من ماء القراح، إذا جنَّه الليل آوى إلى كهف من الكهوف استئناساً بي، واستيحاشاً ممن عصاني، يا موسى إني آليت على نفسي أن لا أتمم للمدبر عني عملاً، ولأقطعن أمل كل مؤمل غيري، ولأقصمن ظهر من استأنس إلى سواي، ولأطيلن وحشة من استأنس بغيري، ولأعرضنَّ عمن أحب حبيباً سواي، يا موسى إن لي عباداً إن ناجوني أصغيت إليهم، وإن نادوني أقبلت عليهم، وإن أقبلوا علي أدنيتهم، وإن دنوا مني قربتهم، وإن تقربوا مني اكتنفتهم، وإن والوني واليتهم، وإن صافوني صافيتهم، وإن عملوا لي جازيتهم، أنا مدبّر قلوبهم، وسائس قلوبهم وأحوالهم، لم أجعل لقلوبهم راحة إلا في ذكري، فهؤلاء سقامهم شفاء، وعلى قلوبهم ضياء، ولا يستأنسون إلا بي، ولا يحطون رحال قلوبهم إلا عندي، ولا يستقر بهم القرار إلا إليَّ.

اللهم اعمر قلوبنا بحبك وشكرك، ووفقنا للقيام بذكرك، وآمنا من سطوة مكرك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، إنك أهل التقوى وأهل المغفرة وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه الراشدين، آمين، وارزقنا حبك، وحب من يحبك وحب كل عمل يقربنا إلى حبك يا أرحم الراحمين.

حكاية عن أعرابي

مرض أعرابي فقيل له: إنك تموت فقال: إلى أين يذهب بي؟ قالوا: إلى الله تعالى، قال: كيف أكره أن أذهب إلى من لا أرى الخير إلا منه.

حكاية عن عمر بن عبد العزيز

قال نافع: كنت أسمع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كثيراً يقول: ليت شعري من هذا الذي يأتي من ولدي يملأ الأرض عدلاً. وقال أسلم: بينما أنا أعس مع عمر بن الخطاب وهو يعس ليلاً إذ سمع امرأة تقول لابنتها: اخلطي الحليب في الماء، فقالت: يا أماه أوليس قد نادى عمر أن لا يخلط الحليب بالماء؟ قالت: إنه لا يرانا، قالت: مالنا نطيعه في الملأ ونعصيه في الخلا. فلما أصبح عمر دعا أولاده عبد الله وعاصماً وعرض عليهم الجارية، وقال: لو كان لأبيكم من حركة ما سبقه إليها أحد، فتزوجها عاصم فولدت له بنتاً، ثم ولدت البنت بنتاً هي أم عمر بن عبد العزيز.

وقال رباح بن عبيدة -رحمه الله تعالى- خرجت مع عمر بن عبدالعزيز -رضي الله عنه- إلى الصلاة فرأيت شيخاً يكلمه، فقلت: من هذا؟ قال: الخضر -عليه الصلاة والسلام- أخبرني أني أتولى على هذه الأمة وأعدل فيهم.

وكان رعاء الشاة يقولون في ولايته: من هذا العبد الصالح الذي قام على الناس؟ فيقال لهم: من أخبركم به؟ قالوا: إذا كان الخليفة عادلا كفت الذئاب

عن الغنم، فلما كان بعد أيام قالوا: نرى الذئب في هذا اليوم قد أكل الغنم، فجاء الخبر بعد شهر بموت عمر بن عبد العزيز - رضي الله تعالى عنه - .

روي أنه أرسل رسولاً إلى ملك الروم بأسارى منهم يفاديهم بأسارى من المسلمين، ففي بعض الأيام دخل الرسول على الملك فوجده حزيناً فسأله، فقال: مات الرجل الصالح الذي كنت أحسب لو كان أحد يحيي الموتى لكان عمر بن عبد العزيز، ولست أعجب من الراهب الذي يغلق بابه ويترك الدنيا، ولكن أعجب ممن كانت الدنيا تحت قدميه فتركها.

وقال أبو سليمان الداراني -رضي الله تعالى عنه- : كان عمر أزهد الناس وأزهد منه أويس القرني - رضي الله تعالى عنه -. وروي أنه لما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة خير زوجته في فراقها أو تقيم عنده، ولا يحصل بينهما شيء، فقالت: أقيم عندك على ما ذكرت، فمات ولم يغتسل من جنابة ولا احتلام، لأنه جعل أوقاته كلها في العبادة وخدمة المسلمين، وكان قبل الخلافة يلبس أفخر الثياب، فلما تولى صار له قميص واحد وإزار واحد قيمتهما أربعة عشر درهما، وقيل له: لو اتخذت حرساً لطعامك وشرابك كما يفعله الخلفاء، فقال: اللهم إن كنت تعلم أني أخاف شيئاً غير يوم القيامة فلا تؤمن خوفي، وذكر القيامة يوماً فبكى بكاء كثيراً حتى أغمي عليه، ثم ضحك فسئل عن ذلك فقال: رأيت القيامة ومنادٍ ينادي أين عمر بن عبد العزيز، فوقعت على وجهي فأتاني ملكان فأوقفاني بين يدي الله تعالى فحاسبني حساباً يسيراً ثم رحمني، فبينما أنا مع الملكين إذ رأيت جيفة، فقلت: من أنت قال: الحجاج، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: وجدته شديد العقاب، ولكن أنتظر ما ينتظره الموحدون.

وروي أنه لما ولي الخلافة أخذ كل ما تحت أيدي بني أمية من البيضاء والصفراء والعقار والعبيد وأرجعها إلى بيت مال المسلمين، ونادى من كان له حق على بني أمية فليقم بينته ويأخذه، وأرجع إلى أهل بيت النبي ﷺ فدكا وقد كان أخذها مروان له وأولاده.

مات عمر بن عبدالعزيز سنة إحدى ومائة وهو ابن تسع وثلاثين سنة، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر ملأها عدلاً وقسطاً، فبينما الناس على قبره إذ سقطت ورقة مكتوب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم أمان من الله العزيز إلى عمر بن عبدالعزيز.

قالت زوجته: اشتهى عمر عسلاً فأرسلت غلامي على خيل البريد بدينارين فاشترى عسلاً، فلما قدمته له أكل منه وقال: من أين لكم هذا؟ فقلت: أرسلت غلامي على خيل البريد فاشتراه لك. فباعه وأعطاني المال، ورد الباقي إلى بيت المال، ثم قال لنفسه: يا عمر أتعبت خيل المسلمين في شهوتك.

روى الإمام الحافظ الشريف أبو عبد الله محمد بن علي العلوي: أنَّ الإمام زيداً دخل على عمر بن عبدالعزيز فتكلم، فقال عمر بن عبد العزيز: إن زيداً لمن الفاضلين في دينه وقيلِهِ، وكان عمر يختلط بزيد بن علي ويكاتبه، قال عبيد بن محمد: كتب زيد بن علي إلى عمر بن عبدالعزيز في كتاب كتبه إليه أما بعد: فإن الدنيا إذا أشغلت عن الآخرة فلا خير فيها لمن نالها، واتق الله ولتعظم رغبتك في الآخرة، فإنه من كان يريد حرث الآخرة يزيده الله توفيقاً، ومن كان يريد حرث الدنيا فلا نصيب له في الآخرة.

حكاية عن لقمان - عليه السلام -

[روي]:أن لقمان عليه السلام رأى في منامه نصف النهار قائلاً يقول: هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس بالحق؟ فقال: إن خيرني الله تعالى اخترت العافية ولم أقبل البلاء، فإن عزم عليَّ فسمعاً وطاعة، فقالت الملائكة: ولِمَ يا لقمان؟ قال: لأن الحاكم بأشر المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل مكان، فإن يصب فبالحري أن ينجو، وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة، ولأن يكون في الدنيا ذليلاً خير من أن يعيش شريفاً، فتعجبت الملائكة من حسن كلامه، فأعطاه الله تعالى الحكمة فاستيقظ وهو يتكلم بها.

اتفق أكثر العلماء على حكمته وولايته لا نبوته، وبعضهم قال بنبوته والله تعالى أعلم.

حكاية عن سليمان -عليه السلام -

روي أنها مرت على صدر سليمان -عليه الصلاة والسلام- نملة وهو نائم، فلما أحس بها أخذها ورماها، فقالت: يانبي الله ما هذه الصولة؟ أما علمت أنك تقف بين يدي ملك قهار قادر يأخذ للمظلوم من الظالم، فغشي عليه، فلما أفاق قال لها: تجاوزي عني، فقالت: لا أتجاوز عنك إلا بثلاثة: أن لا ترد سائلاً، ولا تضحك بطراً في الدنيا، ولا تمنع جاهك ممن استغاث بك قال: نعم، فعفت عنه.

حكاية عن أبي حنيفة

روي أنه كان لأبي حنيفة -رضي الله تعالى عنه- دَين على مجوسي، فذهب إليه ليطالبه فأصاب نعله نجاسة، فنفضه فطارت النجاسة على جدار المجوسي، فتحير الإمام وقال: إن كشطتها نقص تراب جداره، وكيف أترك النجاسة على جداره، فطرق عليه الباب فخرج إليه، فقال: أمهلني يا إمام، فقال: قد تنجس جدارك بسببي فاجعلني في حل، فقال: يا أبا حنيفة، تريد أن تطهر جداري، أو في دين الإسلام هذا التحري، فقال: نعم، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ.

حكاية

جلس رجلان قد ذهب بصرهما على طريق أم جعفر، وكانت موصوفة بالكرم، فكان أحدهما يقول: اللهم، ارزقني من فضلك، والآخر يقول: اللهم، ارزقني من فضل أم جعفر، وكانت تعلم منهما ذلك، فكانت ترسل لطالب فضل الله درهمين، ولطالب فضلها دجاجة مشوية في جوفها عشرة دنانير، فكان يبيعها لصاحبه بدرهمين وهو لا يعلم ما في جوفها، وأقام على ذلك عشرة أيام، فقالت أم جعفر لطالب فضلها: أما أغناك فضلنا؟ قال: وما هو؟ قالت: مائة دينار، قال: لا بل دجاجة أبيعها لصاحبي بدرهمين، فقالت: هذا طلب من فضلنا فمنعه الله، وهذا طلب من فضل الله فأعطاه الله.

بعض ما روي من صحف إبراهيم عليه السلام

وذكر في بعض التفا سير في سورة يوسفعليه السلام أنزل الله تعالى في صحف إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-: من الله العزيز الحميد إلى من أبق من العبيد، هذه رسالتي إليكم بما خصصتكم به من نور العلم وذكاء الفهم، فأوَّل ذلك أني أخرجتكم من العدم إلى الوجود، وأنشأت لكم الأبصار فأبصرتم، والأسماع فسمعتم، والألسنة فنطقتم، والقلوب فعلمتم، والعقول ففهمتم، وأشهدتكم على أنفسكم بالوحدانية فشهدتم، وعند الإقبال أدبرتم، وبعد الإقرار أنكرتم، ونقضتم عهودنا وغدرتم، فلا يوحشنكم ذلك منّا فإن عدتم عدنا، وزدنا في الكرم وجُدنا، فمن عثر أقلنا، ومن قطع وصلنا، ومن تاب قبلنا، ومن نسي ذكرنا، ومن عمل قليلاً شُكر، نعطي ونمنح، ونجود ونسمح، ونعفو ونصفح، كرمنا مبذول، وسترنا مسبول.

عبدي انظر إلى السماء وارتفاعها، والشمس وشعاعها، والأرض وأقطارها، والأمواج وبحارها، والفصول وأزمانها، وما هو ظاهر وكامن، ومتحرك وساكن، وما قرب وما هو باين، وما كان وما هو كاين، ورطب ويابس، وواقف وجالس، ومتحرك وجامد، ومستيقظ وراقد، وراكع وساجد، وما غاب وما حضر، وما خفي وما ظهر، والكل يشهد بجلالي، ويقر بكمالي، ويعلن بذكري، ولا يغفل عن شكري، عبدي أذكرك وتنساني، وأسترك ولا ترعاني، لو أمرت الأرض لابتلعتك من حينها، أو البحار لأغرقتك في معينها، ولكن أحميك بقدرتي، وأمدك بقوتي، وأؤخرك إلى أجل أجلته، ووقت وقته، فلا بد لك من الورود علي ،والوقوف بين يدي، أعد عليك أعمالك، وأذكرك أفعالك، حتى إذا

أيقنت بالبوار، وقلت لا محالة أنك من أهل النـار، أوليتـك غفـراني، ومنحتـك رضـواني، وغفـرت لـك الـذنوب والأوزار، وقلـت: لا تحـزن، فمـن أجلـك سميت الغفار.

وقيـل: أوحـى الله تعـالى إلى بعـض الأنبيـاء -علـيهم الـصلاة والـسلام - «يا نبيي،ابسط الكـرم للمـذنبين، وعـرف سـعة رحمتـي للخـاطئين، واردد إليَّ الهاربين، ودل عليَّ الطالبين، وقل للعصاة:إنّي أبسط لهـم بـساط القبـول لـدي، وأقربهم بأيسر الأعمال إليّ، فما قدر ذنوبهم في جانب مغفرتي، وما عسى أن تبلـغ خطاياهم مع سعة رحمتي، فإن عظمت الذنوب أو كثرت العيـوب فقطـرة مـن سحائب كرمي لا تبقي لهم ذنباً، ونظرة من رضائي لا تترك لهم عيباً، يا نبيي هذا فعلي بمن أعرض عني فكيف أصنع بمـن مـلأ قلبـه منـي، اسـتغرق أوقاتـه في خدمتي، وانقضى عمره في معاملتي، يا نبيي طـوبى للقاصـدين إليّ، ثـم طـوبى للوافدين عليَّ، نهـارهم صـيام، ولـيلهم قيـام، وأنـا مطلـع علـيهم في الكـلام، تشاهدهم ملائكتي، وتشتاق إليهم جنتي، قلوبهم خزائن معرفتي يحنون لمناجاتي حنين الحمام، ويبكون عليَّ بكاء الأيتام، أنينهم عندي أفضل من تسبيح الملائكة، بعزتي أقسمت، وبجلالي حلفت لأعطيّنهم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، يا نبيي إلى أين يفر الآبق مني؟ أم إلى أين يهرب العاصي عني؟ أليس القيامة تجمعه! وإليّ مرجعه! فأحاسبه محاسبة الديان من يعلم خفيات السرائر، وأطالبه مطالبـة خبير لا يخفى عليه ما في الضمائر، فبعزتي حلفت وبجـلالي أقـسمت، لـو شـئت أغصصته بريقه الذي في فمه فيختنق، أو أضرمت الثوب الـذي عـلى بدنـه نـاراً فيحترق، ولكن أؤخره ليوم تشخص فيه الأبصار، وتنقطع فيه الأعذار».

وأنشد بعضهم في ذلك المعنى:-

أتعرض عنا والجناب فسيح ... وتهرب منا إن ذا القبيح
ويبدو لنا من نحوك الصد والجفا ... ومن نحونا ودٌّ إليك صحيح
وندعوك للحسنى ونمنحك الرضا ... وأنت لأسباب البعاد جموح
وكم مرة جاءتك منا رسائل ... وفيها خطاب لو سمعت فصيح
فيا أيها الغصن الرطيب قوامه ... وفيه لنا سر يصان وروح
إليك أشرنا بالوداد فكل ما ... يعد قبيحاً فهو منك مليح

حكاية عن سليمان - عليه السلام -

أوحى الله تعالى إلى سليمان عليه السلام: أن اخرج إلى البحر ترى عجباً، فخرج فلم يجد شيئاً، فأمر وزيره آصف أن يغوص في البحر فجاء بقبة من كافور ولها أبواب أربعة: باب من در، وباب من ياقوت، وباب من جوهر، وباب من زبرجد أخضر، كلها مفتحة ولا يدخل منها قطرة ماء، ووجد فيها شاباً حسناً وهو قائم يصلي، فدخل عليه سليمان وسأله عن أمره فقال: كان أبي مقعداً وأمي عمياء فخدمتهما سبعين سنة، فلما حضرت وفاة أمي قالت: اللهم، أطل عمره في طاعتك، ولما حضرت وفاة أبي قال: اللهم، استخدم ولدي في مكان لا يكون للشيطان عليه سبيل، فخرجت إلى البحر فوجدت هذه القبة فدخلتها، فقال سليمان: في أي زمان كنت؟ قال: كنت في زمن إبراهيم عليه السلام، فنظر سليمان في التأريخ فإذا له ألف سنة وأربعمائة سنة، وليس فيه شعرة بيضاء، قال: فما طعامك

وشرابك؟ قال: طير يأتيني بشيء أصفر كرأس الآدمي، فأجد منه طعم كل نعيم في دار الدنيا فيذهب عني الجوع والظمأ والحر والبرد، والنوم والغفلة، والوحشة، فخيره سليمان عليه السلام فاختار العود إلى القبة والبحر.

حكاية عن جعفر بن محمد - عليه السلام -

روى بهاء الدين العاملي في «الكشكول» عن عنوان البصري، وكان شيخاً قد أتى عليه أربع وتسعون سنة، قال: كنت أختلف إلى مالك بن أنس، فلما قدم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام اختلفت إليه، وأحببت أن آخذ عنه كما أخذت عن مالك، فقال لي يوماً: إني رجل مطلوب، ومع ذلك لي أوراد في كل ساعة في آناء الليل وأطراف النهار فلا تشغلني عن وردي، وخذ عن مالك، واختلف إليه كما كنت تختلف، فاغتممت من ذلك وخرجت من عنده وقلت في نفسي: لو تفرس فيّ خيراً ما زجرني عن الاختلاف إليه والأخذ عنه، فدخلت مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلمت عليه، ثم رجعت من الغد إلى الروضة وصليت فيها ركعتين، وقلت:أسألك يا الله أن تعطف عليَّ قلب جعفر وترزقني من علمه ما أهتدي به إلى صراطك المستقيم، ورجعت إلى داري مغتماً ولم أختلف إلى مالك بن أنس لما أشرب قلبي من حب جعفر، فما خرجت من داري للصلاة المكتوبة حتى عيل صبري، فلما ضاق صدري تنعلت وترديت وقصدت جعفراً وكان بعد ما صليت العصر، فلما حضرت باب داره استأذنت عليه فخرج خادم له فقال: ما حاجتك؟ فقلت: السلام على الشريف، فقال: هو قائم في مصلاه،

فجلست بحذائه «أي الباب» فما لبث إلا يسيراً وخرج فقال: ادخل على بركة الله فدخلت وسلمت عليه فرد علي السلام وقال: اجلس غفر الله لك، فجلست فأطرق ملياً، ثم رفع رأسه وقال: أبو من؟ فقلت: أبو عبدالله، قال: ثبت الله كنيتك ووفقك يا أبا عبدالله، فقلت في نفسي: لو لم يكن لي في زيارته والتسليم عليه غير هذا الدعاء لكان كثيراً ثم رفع رأسه فقال: ما مسألتك؟ فقلت: سألت الله أن يعطف علي قلبك ويرزقني من علمك، وأرجو أن الله تعالى أجابني في الشريف ما سألته، فقال: يا أبا عبدالله ليس العلم بالتعلم وإنما هو نور يقع في قلب من يريد الله تعالى أن يهديه، فإن أردت العلم فاطلب في نفسك أولاً حقيقة العبودية، واطلب العلم باستعماله، واستفهم الله يفهمك، قلت: يا شريف، قال: قل يا أبا عبدالله، فقلت: يا أبا عبد الله ما حقيقة العبودية؟ قال: ثلاثة أشياء، أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوله الله ملكاً ؛ لأن العبيد لا يكون لهم ملك، يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله تعالى به، ولا يدبر العبد لنفسه تدبيراً، وجعل اشتغاله فيما أمره الله تعالى به ونهاه عنه، فإذا لم ير العبد لنفسه فيما خوله الله ملكاً هان عليه الإنفاق فيما أمره الله تعالى أن ينفق فيه، وإذا فوض العبد تدبير نفسه إليمدبره هان عليه مصائب الدنيا، وإذا اشتغل العبد بما أمره الله ونهاه لا يتفرغ منها إلى المراء والمباهاة مع الناس، فإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاثة هان عليه الدنيا وإبليس والخلق، ولا يطلب الدنيا تكاثراً وتفاخراً، ولا يطلب ما عند الناس عزاً وعلواً، ولا يدع أيامه باطلا فهذا أول درجة التقى، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣] قلت: يا أبا عبدالله أوصني قال: أوصيك بتسعة أشياء فإنها

وصيتي لمريدي الطريق إلى الله تعالى، أسأله أن يوفقك لاستعمالها، ثلاثة منهـا في رياضة النفس، وثلاثة منها في الحلم، وثلاثـة منهـا في العلـم، فاحفظهـا وإيـاك والتهاون بها.

قال عنوان: ففرغت قلبي له فقال: أما اللواتي في الرياضة: فإياك أن تأكل ما لا تشتهيه فإنه يورث الحماقة والبلد، ولا تأكل إلا عنـد الجـوع، وإذا أكلـت فكـل حلالاً وسم الله، واذكر حديث رسول الله ﷺ: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً مـن بطنه، فإن كان ولا بد،فثلث لطعامه، وثلث لشرابه،وثلث لنفسه».

وأما اللواتي في الحلم: فمن قال لك: إن قلت واحدة سمعت عشراً فقل له: إن قلت عشراً لم تسمع واحدة، ومن شتمك فقل لـه: إن كنـت صـادقاً فـيما تقـول فأسأل الله تعالى أن يغفر لي، وإن كنت كاذباً فيما تقـول فأسـأل الله أن يغفرلـك، ومن وعدك بالخنا فعده بالنصيحة والدعاء.

وأما اللواتي في العلم: فاسأل العلماء ما جهلت، وإياك أن تسألهم تعنتاً وتجربة، وإياك أن تعمل برأيك شيئاً، وخذ بالاحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلاً، واهرب من الفتيا هروبك من الأسد، ولا تجعل رقبتك للناس جسراً، قـم عنـي يـا أبـا عبدالله فقد نصحت لك ولا تفسد عليَّ وردي فإني امرؤ ضنين بنفسي، والـسلام على من اتبع الهدى.

من سيرة الإمام الهادي - عليه السلام -

المجدد للدين الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الحسني. قال: وحدّث محمد بن سعيد قال: لما نزل الهادي إلى الحق -صلوات الله عليه -صعدة وكان محله في دار الإمارة، فكان يصلي بالناس الصلوات بالجماعة فلا يقطع ليلاً ولا نهاراً، ويجلس مابين الصلوات فيعظ الناس ، ويعلمهم فرائض الدين، وفرائض المواريث، ويتحاكمون إليه ويبين لهم في رفق، ثم ينهض فيدور الأسواق والسكك ونحن معه، فإن رأى جداراً مائلاً أمر أهله بإصلاحه، أو طريقاً فاسداً أمر بتنقيته، أو خلفاً «كذا» مظلماً أمر أهله أن يضيئوا فيه بالليل للمارة، والسالك إلى المسجد وغيره، وإن رأى امرأة أمرها بالحجاب، وإن كانت من القواعد أمرها بالتستر، وهو الذي أحدث البراقع للنساء باليمن وأمرهن بذلك، وكان يقف على أهل كل بضاعة فيأمرهم بأن لا يغشّوا بضائعهم، ويأمرهم بتنقيتها من الغش وتفصيل ما يبيعون، وإيفاء ما يسمون، فقالوا له: أليس التسعير حراماً؟ فقال: أو ليس الظلم والغش حراماً؟ قالوا: بلى، قال: فإنما نهي عن التسعير على أهل الوفاء وأهل التقوى، فإذا ظهرت الظلامات في البيوع وجب على أولياء الله أن ينهوا عن الفساد كله، ويردوا الحق إلى مواضعه، ويزيحوا الباطل من مكانه، ويأخذوا على يد الظالم في ظلمه، قال: وكان يقف على الحبس، ثم يدخله فيأمر بتنقيته، ويأمر من كان فيه من قاريء بأن يعلم من كان فيه لا يقرأ، ويسأل عن ديونهم وحبسهم، فمن كان في دين نظر في جِدَتِهِ وإفلاسه، ومن

كان في ذنب تفقد جُرمه وأمره، ويفحص عن أحوالهم، ثم يرجع وقد أمر ونهى في جميع القرية، وأقام على ذلك وقتاً لم يتغير مع مواعظ وصدقات، وعيادة للمرضى، ومداواة للقلوب، ودعاء إلى الله في السر والعلانية، إلى أن قال: ورأيته يفت بيده الطعام للأيتام ويثرده بالسمن، ثم يقول أدخلوهم، ثم ينظر فمن كان منهم ضعيفاً من المأكل قال: هذا مغبون، ويأكل مع المساكين، ثم يعزل له شيئاً، وكان لا يأكل طعاماً حتى يطعم منه المساكين، ثم يأكل من بعد ذلك ...إلخ.

حكاية عن أبي حنيفة

عن بعض علماء الحنفية أن حسَّاد أبي حنيفة أرادوا إبطال كلمته، فجعلوا لامرأة جعلاً على أن تدخله دارها ليلاً وتظهر للناس أنه راودها بفاحشة، فتعرضت له وقت السحر وهو يريد صلاة الفجر في الجامع، وقالت: إن زوجي يريد الوصية وهو مريض وأخاف الموت عليه قبل ذلك، فدخل معها فغلقت الأبواب وصاحت، فجاء الحسّاد وأخذوا الإمام والمرأة للخليفة فأمر بسجنهما حتى تطلع الشمس، فاستقبل الإمام لصلاته في السجن، فندمت المرأة وأخبرت الإمام بما قيل لها، فقال: قولي للسجان لي حاجة وسأعود إليك، فإذا خرجت فاذهبي إلى أم حَمّاد يعني زوجته وأخبريها بالقصة، وادعيها تحضر عندي وامضي أنت، ففعلت المرأة، فلما حضرت زوجته، وطلع النهار طلب الخليفة المرأة وأبا حنيفة، وقال: أيحل لك أن تخلو بأجنبية؟ فقال أبوحنيفة: علي بفلان يعني أبا زوجته فلما حضره قال: من هذه وكشف وجهها فإذا هي ابنته؟ فقال: هذه ابنتي

زوجتها للإمام، فأظهر الله تعالى حجته ، وأعلى كلمته.

قال سفيان الثوري: ماسمعت أبا حنيفة يغتاب له عدواً قط، ومن شعره :-

إن يحسدوني فإني غير لائمهم   غيري من الناس أهل الفضل قد حُسدوا

فدام لي ولهم مابي وما بهم   ومات أكثرنا غيظاً بما يجدُ

قال الشافعي : الناس عيال على فقه أبي حنيفة.

وقال جعفر بن الربيع: مكثت عند أبي حنيفة خمس سنين فما رأيت أطول منه صمتاً فإذا سئل عن شيء من الفقه تفتح وسال كالوادي.

أخذ عن الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وعن جعفر بن محمد بن علي وقال: لولا السنتان لهلك النعمان، وناصر أئمة أهل البيت، ومات شهيداً بحبهم.

قال وهب بن منبه: الإيمان عريان ولباسه التقوى، وريشه الحياء، ورأس ماله العفة.

وقال بعضهم: من سره أن تدوم له العافية فليتق الله تعالى.

وقال السري السقطي: من تعبد لله تعالى زاده الله تعالى قوة ونشاطاً.

وكان الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام إذا قرئت عليه آية من كتاب الله تعالى خرَّ مغشياً عليه، وكان يسمى:حليف القرآن. قال بعض أصحابه : أتيت المدينة وكنت كلما سألت عن زيد بن علي قيل لي: ذاك حليف القرآن.

وكان عمر بن عطية يسبح كل يوم أربعمائة ألف تسبيحة.

وكان الإمام أحمد بن حنبل يصلي الضحى ثلاثمائة ركعة، وكان يروي في فضائل أهل بيت النبوة أحاديث كثيرة، وفي كتابه «فضائل الصحابة» ما يقارب ستمائة حديث في علي وأهل بيته عليهم السلام.

من أخبار الإمام عيسى بن زيد

وكان الإمام عيسى بن زيد لا يرفع قدماً ولا يضعها إلا ذكر الله تعالى.

اختفى من الظَلَمة فكان يسقي على بعير نهاراً، ويعبد الله تعالى ليلاً.

وروى الفقيه حميد الشهيد -رحمه الله تعالى- في «الحدائق الوردية» قال: عن محمد بن منصور المرادي قال: قال يحيى بن الحسين بن زيد بن علي عليهم السلام: قلت لأبي: ياأبه إني أشتهي أن أرى عمي عيسى فإنه يقبح بمثلي أن لا يلقى مثله من أشياخه، فدافعني عن ذلك مدة وقال: إن هذا أمر يثقل عليه وأخشى أن ينتقل عن منزله كراهة للقائك إياه فتزعجه، فلم أزل به أداريه وألطف به حتى طابت نفسه لي بذلك، [قلت: وكان متخفيا من سلاطين الظلم والجور] قال: فجهزني إلى الكوفة ثم قال لي: إذا صرت إليها فسل عن دور بني حي، فإذا دللت عليها فاقصد في السكة الفلانية وسترى في وسط السكة داراً لها باب صفته كذا وكذا، فاعرفه واجلس بعيداً منه في أول السكة، فإنه سيقبل عليك عند المغرب كهل طوال مصفر، مستور الوجه قد أثر السجود في جبهته، عليه جبة صوف، يسقي الماء على جمل، وقد انصرف يسوق الجمل لايضع قدماً ولا يرفعها إلا ذكر الله -عز وجل- ودموعه تنحدر، فقم فسلم عليه وعانقه فإنه سيعرفك، فعرفه بنفسك وانتسب له، فإنه يسكن إليك ويحدثك طويلاً، ويسألك عنّا جميعاً ويخبرك بشأنه،

ولا تضجر من جلوسك معه ولا تطل، ودعه فإنه يستعفيك من العودة إليه، فافعل ما يأمرك به من ذلك، فإنك إن عدت إليه توارى منك واستوحش وانتقل من موضعه وعليه في ذلك مشقة، فقلت له: أَفعْل كما أمرتني به، ثم جهزني إلى الكوفة وودعته، وخرجت، ولماّ وردت الكوفة قصدت سكة بني حي بعد العصر فجلست خارجها بعد أن تعرفت الباب الذي نعته لي، فلما غربت الشمس إذا أنا به يسوق الجمل وهو كما وصف لي أبي لا يرفع قدماً ولا يضعها إلاّ وحرك شفتيه بذكر الله تعالى ودموعه ترقرق من عينيه ويذرف أحياناً، فقمت فعانقته فذعر مني كما يذعر الوحش من الإنس، فقلت: ياعم أنا يحيى بن الحسين بن زيد ابن أخيك ؛ فضمني إليه وبكى حتى قلت: قد جاءت نفسه، فأناخ جمله وجلس معي، وجعل يسألني عن أهله رجلاً رجلاً، وامرأة امرأة، وصبياً صبياً، وأنا أشرح أخبارهم وهو يبكي، ثم قال: يا بني، أنا أستسقي على هذا الجمل الماء، فأصرف مما اكتسبته أجرة الجمل إلى صاحبه وأتقوت بباقيه، وربما عاقني عائق عن استسقاء الماء فأخرج إلى البرية يعني بظهر الكوفة فألقط ما يرمي الناس به من البقول وأتقوته، وقد تزوجت إلى هذا الرجل ابنته فهي لا تعلم من أنا إلى وقتي هذا، فولدت مني بنتاً فنشأت وبلغت وهي أيضاً لا تعرفني ولا تدري من أنا، فقالت لي أمها: زوج ابنتك بابن فلان السقا، رجل من جيراننا يستسقي الماء فإنه أيسر منها وقد خطبها وألحت علي، فلم أقدر على إخبارها، لأن ذلك غير جائز، ولا هو بكفؤ لها فيشيع خبري، فجعلت تلح علي فلم أزل أستكفي الله أمرها حتى ماتت بعد أيام، فما أجدني آسى على شيء من الدنيا أساي على أنها ماتت، ولم تعلم بموضعها من رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال: ثم أقسم علي أن أَنصرف فودعني، فلما كان بعد ذلك صرت إلى الموضع الذي انتظرته فيه لأراه فلم أره وكان آخر عهدي به.

(حكاية عن علي بن موسى الرضا -عليه السلام-)

وجاء في هامش صحيفته: أورد صاحب كتاب «تأريخ نيسابور» أن علياً الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق لما دخل نيسابور كان في قبة مستورة على بغلة شهباء، وقد شق بها السوق، فعرض له الإمامان الحافظان أبو زرعة وأبو مسلم الطوسي ومعهما من أهل العلم والحديث ما لايحصى، فقالا: ياأيها السيد الجليل ابن السادة الأئمة بحق آبائك الأطهرين ، وأسلافك الأكرمين، إلا ما أريتنا وجهك الميمون، ورويت لنا حديثاً عن آبائك عن جدك أن نذكرك به، فاستوقف غلمانه، وأمر بكشف المظلة، وأقر عيون الخلائق رؤية طلعته، وإذا له ذؤابتان معلقتان على عاتقه، والناس قيام على طبقاتهم ينظرون ما بين باكٍ، وصارخ، ومتمرغ في التراب، ومقبل حافر بغلته، وعلا الضجيج فصاحت الأئمة الأعلام معاشر الناس: أنصتوا واسمعوا ما ينفعكم، ولا تؤذونا بصراخكم، وكان المستملي أبو زرعة ومحمد بن أسلم الطوسي، فقال علي الرضا -رضي الله تعالى عنه- : حدثني أبي موسى الكاظم،عن أبيه جعفر الصادق،عن أبيه محمد الباقر، عن أبيه زين العابدين،عن أبيه شهيد كربلاء،عن أبيه علي المرتضى قال: حدثني حبيبي وقرة عيني رسول الله ﷺ قال: «حدثني جبريل عليه السلام قال: حدثني رب العزة -سبحانه وتعالى- قال: لا إله إلا الله حصني فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي». ثم أرخى الستر على المظلة وسار، قال: فعد أهل المحابر وأهل الدواوين الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً.

قال الإمام أحمد بن حنبل –رضي الله تعالى عنه– لو قريء هذا الإسناد على مجنون لأفاق من جنونه، ويروى أن بعضهم كتب هذا السند بالذهب وأمر أن يدفن معه في قبره، فلما مات رآه بعض أهله وسأله عن حاله، فقال: غفر الله لي ببركة هذا السند.

حكاية عن الإمام الهادي يحيى بن الحسين

ذكر الفقيه حميد الشهيد في «الحدائق الوردية» عند ترجمته للإمام المجدد للدين الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم عن سليم، وكان يلي خدمة الإمام الهادي عليه السلام في داره فقال: كنت أتبعه حتى حين يأخذ الناس فرشهم في أكثر لياليه بالمصابيح إلى بيت صغير في الدار كان يأوي إليه، فإذا دخله صرفني فأنصرف، فهجس ليلة قلبي أن أحتبس وأبيت على باب البيت أنظر ما يصنع قال: فسهر الليل أجمع ركوعاً وسجوداً، وكنت أسمع وقع دموع ونشيج في حلقه، فلما كان قريب الصبح قمت فسمع حسي فقال: من هذا؟ قلت: أنا، قال: سليم، ما أعجل بك في غير حينك؟ فقلت: ما برحت البارحة جعلت فداك، قال: فرأيته اشتد عليه ذلك وحرَّج علي أن لا أحدث به في حياته أحداً قال: فما حدث به سليم إلا بعد وفاة الهادي إلى الحق عليه السلام.

وأخبرني الأخ السيد العلامه محمد بن يحيى الحوثي من شعر الإمام عند أن يذهب إلى مصلاه في جوف الليل:-

قربي حلتي وهاتي سراجي ... حلتي من عتيق صوف النعاج

وافتحي مسجداً لطرفٍ همول ... قرحته الدموع والليل داجي

وسلاحي يراعةٌ في يميني ... في سناها عصيرُ عفصٍ وزاجي
وأنيسي إذا خلوتُ كتابي ... هذه منيتي وهذا علاجي

حكاية في الأمانة

أودع رجل رجلاً مالاً كثيراً ثم سافر، فلما قدم من سفره وجد الرجل الذي عنده المال قد مات وترك ولداً فاسقاً قد ضيع أموال والده في المعصية، فخاف الرجل على ماله فسأله عنه فقال: إنه محفوظ، فلما دفعه إليه قال: كيف حفظته؟ قال: إن ضيعت ديني فلا أضيع الأمانة فأعطاه من ذلك خمسة آلاف وتاب عن المعاصي، فبارك الله تعالى له ببركة حفظ الأمانة، ورجع وأناب وإلى الله المرجع والمآب.

ويروى عن ابن مسعود -رضي الله عنه- يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول الله تعالى له: أرددت أمانة فلان؟ فيقول لايارب، فيقول: ردها اليوم، فيقول: يارب ذهبت الدنيا ولا شيء معي، فيقول: أنا أدلك عليها، ثم يقول للملك من الملائكة خذ بيده وأره تلك الأمانة في جهنم، فيقول له اهبط وأخرجها، فيهوي في النار سبعين خريفاً، فيأخذها ويصعد بها فإذا صار على شفير جهنم تفلتت منه فيهوي إليها، وهكذا حتى يريد الله -عز وجل-.

حكاية عيسى -عليه السلام- واليهودي

قال وهب بن منبه -رضي الله عنه-: خرج عيسى -عليه الصلاة والسلام- فتبعه يهودي ومعه رغيفان وعيسى عليه السلام معه رغيف واحد فقال: يا يهودي تشاركني في طعامي؟ قال: نعم، فلما رأى معه رغيفاً واحداً ندم، فلما أراد الغداء جاء عيسى برغيفه وجاء اليهودي برغيف واحد، فقال عيسى: ما فعلت بالرغيف الآخر؟ قال: ما كان معي إلا رغيف واحد، فأكلا ثم سارا فوجد عيسى عليه السلام رجلاً أعمى فدعا له فرد الله عليه بصره، فقال: يايهودي، بحق الذي أراك الأعمى بصيراً ما فعلت برغيفك؟ قال: ماكان معي إلا رغيفٌ واحد، ثم مرا بِمُقْعَد فدعا له فإذا هو صحيح، فقال: بحق الذي أراك المقعد صحيحاً من أكل الرغيف الثاني الذي كان معك؟ فقال: ماكان معي إلا رغيف واحد. ثم مرا بظباء ترعى، فدعا عيسى عليه السلام ظبية فأقبلت فذبحها فأكلا منها، ثم دعا لها بالحياة فقامت تسعى، فقال: يا يهودي،بحق الذي أراك هذه الظبية حية بعد موتها من أكل الرغيف؟ فقال: ماكان معي إلا رغيف واحد، ثم دخلا قرية فنزل عيسى عليه السلام في أعلاها واليهودي في أسفلها فسرق عصا عيسى عليه السلام وقال: الآن أحيي الموتى بعصا عيسى، فنادى في أزقة المدينة: الطبيب الطبيب، فأدخلوه على ملك المدينة وهو مريض فضربه بالعصا فقتله، فقال: الآن أحييه فضربه ثانياً،وقال: قم بإذن الله فلم يقم، فأخذوا اليهودي وصلبوه، فبلغ عيسى ذلك فأدركه وقال: أنا أحييه لكم فأنزلوا إليّ صاحبي، فدعا للملك فأحياه الله تعالى، فقال: يايهودي بحق الذي أحياه من أكل الرغيف؟ فقال: والله ما كان معي إلا رغيف واحد، ثم دخلا قرية خربة فوجدا فيها ثلاث لبنات من ذهب،

فقال عيسى: نقسمها على عدد الأرغفة واحدة لي، وواحدة لك ، وواحدة للذي أكل الرغيف، فقال: أنا أكلته وأنت تصلي، فصار اليهودي كلما أخذ لبنة ثقلت عليه، فقال عيسى: دعه فسارا ونفس اليهودي تطالبه بالذهب، ثم مر باللبنات ثلاثة أنفس فذهب أحدهم ليأتي بطعام فجعل فيه سماً ليأخذ اللبنات كلها، فلما جاء قتله الاثنان وأكلا من الطعام فماتوا جميعاً، ثم مر عيسى عليه السلام واليهودي بهم، وقال: انظر يايهودي هكذا تصنع الدنيا بأهلها، ثم دعا لهم فأحياهم الله تعالى وتابوا عن حب الدنيا وأما اليهودي فقال: أعطني المال فقال: خذه فهو حظك من الدنيا والآخرة، فخسف الله تعالى به وبالذهب.

حكاية المتكلمة بالقرآن

قال عبدالله الواسطي -رضي الله عنه-: رأيت امرأة على عرفات وهي تقول: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ [الزمر: ٣٦ ، ٣٧] فعلمت أنها ضالة، فقلت: أيتها المرأة من أين أقبلت؟ فقالت: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١] فعلمت أنها من بيت المقدس، فقلت: ما الذي جاء بك؟ قالت: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، فقلت: ألك زوج؟ قالت: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، فقلت: أتركبين على بعيري؟ قالت: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧]، فلما أرادت الركوب قالت: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] فأعرضت عنها، فلما ركبت قلت: ما اسمك؟ قالت: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ [مريم: ١٦]، فقلت لها: ألك أولاد؟ قالت:

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾[البقرة:١٣٢]، فعلمت أن لها أولاداً فقلت: ما أسماؤهم؟ قالت: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]، ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلاً﴾[النساء:١٢٥]، ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾[ص:٢٦]، فقلت: في أي موضع هم أطلبهم؟ قالت: ﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل:١٦]، فعلمت أنهم أدلة الركب فقلت يامريم أتأكلين شيئاً؟ فقالت: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْمًا﴾ [مريم:٢٦] فلما وصلنا إليهم ورأوها بكوا وقالوا: هذه أمنا قد ضلت منذ ثلاثة أيام، وقد نذرت أن لا تتكلم إلا بالقرآن، فقالت: ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَـٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾[الكهف:١٩].

ثم رأيتهم بعد ذلك يبكون فسألتهم، فقالوا: إنها في النزع، فدخلت عليها سألتها عن حالها فقالت: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ﴾[ق:١٩] فلما ماتت رأيتها تلك الليلة في المنام فقلت: أين أنت؟ قالت: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[القمر:٥٤، ٥٥] رضي الله عنها وعنَّا معها وهو أرحم الراحمين.

حكاية عن أبي عبد الله الأسكندري

قال الشيخ أبو عبدالله الأسكندري: خرجت إلى البادية لعلي أرى أحداً من الرجال أو النساء، فرأيت جارية فقلت في نفسي: لو كان اجتماعي برجل أولى من امرأة، فقالت: يا عبدالله تريد الاجتماع بالرجال وأنت لم تصل إلى مقام النساء، فقلت ما أكبر دعواك، فقالت: الدعوى بغير بينة باطلة، قلت: فما بينتك؟ قالت: هو لي كما أريد لأني له كما يريد، ثم قالت: ما تريد في هذه الساعة؟ قلت: أريد

سمكاً مشوياً، فقالت: هذا من ضعف يقينك، ونزول مقامك، هلاّ سألت جناحاً من الشوق تطير به كطيراني، ثم طارت في الهواء فغدوت خلفها وقلت لها بحق الذي أنعم عليك جودي علي بدعوة فقالت: أنت ما تريد إلا الرجال.

حكاية أخرى

قال: رأيت في «فردوس العارفين» قال عبدالله بن زريق -رضي الله عنه - : خرجت إلى بيت المقدس فأضللت الطريق، وإذا أنا بامرأة فقلت لها: ياغريبة أنت ضالة؟ فقالت: كيف يكون غريبا من يعرفه وضالا من يحبه، ثم قالت: خذ طرف عصاي وتقدم، ففعلت فمشيت قليلاً فإذا أنا ببيت المقدس، فتعجبت من ذلك وقلت ما هذا؟ فقالت: يا هذا سيرك سير الزاهدين، وسيري سير العارفين، الزاهد سيار، والعارف طيار، فمتى يلحق السيار بالطيار، ثم غابت عني لا أدري أين ذهبت، فبقيت في ذكرها طول حياتي.

حكاية عن هارون الرشيد

روي أن هارون الرشيد أراد أن يعاقب رجلاً من أهل التوكل فلم يقدر عليه فأمر بسجنه، فقيل له: إنه خرج من السجن وهو في بستان فلان، فأحضره، وقال: من أخرجك من السجن؟ فقال: الذي أدخلني فيه، قال: ومن أدخلك فيه؟ قال: الذي أخرجني منه، فأركبه على فرس خاص وأمر منادياً ينادي بين يديه هذا

جزاء عبد أراد إهانته هارون الرشيد فأعزه الله تعالى. وأنشد:

إذا أكرم الرحمن عبداً بعزه ... فلن يقدر المخلوق يوماً يهينه
ومن كان مولاه العزيز أهانه ... فلا أحد بالعز يوماً يعينه

وقال الرشيد يوماً للفضيل: ما أزهدك، قال: أنت أزهد مني يا أمير المؤمنين، قال: وكيف ذلك؟ قال: لأني زهدت عن الفاني وزهدت أنت عن الباقي.

حكاية عن عيسى -عليه السلام-

روي أن عيسى -عليه الصلاة والسلام- رأى إبليس -لعنه الله- يسوق خمسة حمير فسأله عن ذلك؟ فقال: هي تجارة أريد أن أبيعها. قال: ما هي؟ قال: الجور، والكبر، والحسد، والخيانة، والكيد، فأما الجور فإني أبيعه للسلاطين، والثاني الكبر أبيعه للدهاقنة يعني أكابر أهل القرى يعني كبار العشائر، والثالث الحسد أبيعه للقراء، والرابع الخيانة أبيعها للتجار، والخامس الكيد أبيعه للنساء.

قال النيسابوري في تفسير سورة البقرة: الدنيا بستان مزينةٌ، بخمسة أشياء: علم العلماء، وعدل الأمراء، وعبادة العباد، وأمانة التجار، ونصيحة المخلوقين، فجاء إبليس -لعنه الله تعالى- بخمسة أعلام وأقامها أمام هذه الخمسة، فجاء بالحسد وأقامه بجانب العلم، وجاء بالجور وأقامه بجانب العدل، وجاء بالرياء وأقامه بجانب العبادة، وجاء بالخيانة وأقامها بجانب الأمانة، وجاء بالغش وأقامه بجانب النصيحة.

فائدة مفيدة إن شاء الله تعالى

قال النبي ﷺ : «الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة» رواه أبو داود. وقال ﷺ : «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين» رواه الترمذي. وقال ﷺ : «التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة» رواه الأصبهاني وغيره. وعنه ﷺ : «أشد الناس عذاباً يوم القيامة إمام جائر» رواه الطبراني. وقال ﷺ : «السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم» رواه ابن ماجة. وقال ﷺ : «من ولي شيئاً من أمور المسلمين لم ينظر الله في حوائجه حتى ينظر في حوائجهم».

وحكي أن إبليس -لعنه الله- يعرض الدنيا على من لا يريدها كل يوم، فيقول: من يشتري شيئاً يضره ولا ينفعه، ويهمه ولا يسره، فيقول أصحابها وعشاقها: نحن، فيقول: إنها معيوبة، فيقولون: لا بأس، فيقول: ثمنها ليس بالدرهم ولا بالدينار ولكن بنصيبكم من الجنة، فإني اشتريتها بأربعة أشياء: بلعنة الله، وبغضبه، وبسخطه، وبعذابه، وبعت الجنة بها، فيقولون: رضينا بذلك فيقول: أريد أن أربح بها توطنوا قلوبكم على أن لاتدعوها، فيقولون : نعم، فيبيعهم إياها، ثم يقول: بئست التجارة.

موعظة بالغة

عن النبي ﷺ : «من مات وهو يعمل عمل قوم لوط لم يلبث في قبره إلا ساعة واحدة ثم يرسل الله إليه ملكا يشبه الخطاف فيخطفه برجليه ويطرحه في بلاد قوم لوط ويكتب على جبينه: آيس من رحمة الله» وعنه ﷺ : «يؤتى يوم القيامة بأطفال ليس لهم رؤوس فيقول الله تعالى: من أنتم؟ فيقولون: نحن المظلومون، فيقول : من ظلمكم ؟ فيقولون آباؤنا كانوا يأتون الذكران من العالمين فألقونا في الأدبار، فيقول الله تعالى سوقوهم إلى النار، واكتبوا على جباههم آيسين من رحمة الله» وعنه -عليه وآله الصلاة والسلام- قال: «يمسخ اللوطي في قبره خنزيراً، وتدخل النار من منخريه وتخرج من دبره كل يوم سبعين مرة» وقال -عليه وآله الصلاة والسلام- لعفريت: أخبرنا عن إبليس فتوجه به إلى البحر فوجده على وجه الماء فقال: أخبرنا بأبغض الأعمال إلى الله وأحبها إليك، قال: اللواط، ولولا ممشاك يا نبي الله ما أخبرتك.

حكاية عن يحيى بن زكريا

قال يحيى بن زكريا عليهما السلام لإبليس: هل نلت مني شيئاً؟ قال: نعم ، حسنت لك الأكل في ليلة فأكلت حتى شبعت فنمت عن وردك، فقال: لله عليَّ أن لا أشبع أبداً، فقال إبليس: وأنا لله علي أن لا أنصح أحداً أبداً.

وفي الحديث: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه

بالجوع». وقال يحيى بن معاذ: الوسوسة بذر الشيطان، فإن أعطيته أرضاً وماءً نبت بذره، وإلا ضاع، قيل: ما الأرض وما الماء؟ قال: الشبع أرضه، والنوم ماؤه.

وقال أبو سليمان الداراني: لأن أترك لقمة من عشائي أحب إليَّ من قيام ليل، والجوع في خزائن الله لا يعطيه إلا لمن أحبه، ثم قال أيضاً: مفتاح الدنيا الشبع، ومفتاح الآخرة الجوع. وقال سهل: لا أعلم شيئاً أضر على طلاب الآخرة من الشبع، وقال عبدالواحد بن زيد: والله ما مشوا على الماء إلا بالجوع، ولا طويت لهم الأرض إلا بالجوع.

وقيل لأبي يزيد البسطامي -رضي الله عنه-: بمَ نلت هذه المنزلة؟ قال: ببطن جائع وجسدٍ عارٍ. وفي بعض الكتب: إذا تكلم الشبعان بالموعظة لم تقبل منه، وإذا سمعها الشبعان لم تفده.

سوء الخاتمة ونعوذ بالله من سوء الخاتمة

وحكي أن رجلين اصطحبا في العبادة زماناً طويلاً، ثم سافر أحدهما زماناً طويلاً، فبينما الآخر في غزاة من غزوات المسلمين يقاتلون الروم، إذ برز فارس من عسكر الروم فطلب المبارزة فقتل ثلاثة من المسلمين ، فبرز إليه ذلك العابد وتطاردا، فحسر الرومي عن وجهه فإذا هو رفيقه في العبادة الذي كان معه، فقال: يا فلان ماهذا الخبر؟ فقال: إن الأبعد ارتد عن الإسلام، وتزوج من الروم، وصار له فيها مال وأولاد، فسأله أن يرجع إلى الإسلام فأبى، فقال له: يافلان كنت تقرأ القرآن كثيراً قال: لا أذكر اليوم منه حرفاً واحداً، فقال له: انصرف فقد

قتلت ثلاثة من المسلمين، فانصرف المرتد فتبعه العابد فقتله، فبعد تلك المجاهدات والعبادات قتل على غير الإسلام، فكم من مغبوط في أحواله انعكس عليه الحال ورمي بمقارفه قبح الأعمال، فبدل بالأنس وحشة وطرداً وبالقرب غيبة وبعداً كما قيل:-

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وقال سهل بن عبدالله: خوف الصديقين خوف سوء الخاتمة، عند كل خطرة وحركة.

وكان سفيان الثوري كثير البكاء والجزع، فقيل له: يا أبا عبدالله عليك بالرجاء فإن عفو الله أعظم من ذنوبك، فقال: أو على ذنوبي أبكي، لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال بمثل الجبال من الخطايا [١].

ومرض بعض العارفين فقال لبعض إخوانه: اقعد عند رأسي حتى أموت، فإن مت على التوحيد فاشتر بجميع ما أملكه لوزاً وسكراً وفرقه على صبيان البلد، وقل: هذا عرس فلان، وإن لم يكن كذلك فأعلم الناس حتى لا يغتروا بجنازتي فقعد عند رأسه حتى مات على الإيمان فاشترى اللوز والسكر وفرقه على صبيان البلد، هذا خاف فسلم، ومن لم يخف من سلب الإيمان فهو على خطر.

وكان حبيب العجمي يبكي ويقول: من ختم له بلا إله إلا الله دخل الجنة، ثم يبكي ويقول: ومن لي بأن يختم لي بلا إله إلا الله.

---

(١) يعني أنه كان يخشى أن يموت على غير التوحيد لأن الأثر قد ورد بأن من كان آخر قوله في الدنيا (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وهي كلمة التوحيد، وجبت له الجنة وليس يوفق لهذا القول غير الصالحين المتقين.

وقال حامد: إذا صعدت الملائكة بروح المؤمن تقول الملائكة: كيف سلم هذا من دار فتن فيها خيارنا.

وقال سفيان الثوري: رأيت رجلاً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم سلم سلم، فقلت له: يا أخي ما قضيتك؟ قال: كنا أربعة إخوة مسلمين فتوفي منا ثلاثة كل واحد يفتن عند موته ولم يبق إلا أنا فما أدري بم يختم لي!

وتاب رجل نباش، فسئل عن سبب توبته قال: رأيت سبعين رجلاً في قبورهم قد حولوا عن القبلة.

مما روي في شأن النساء

جاء صياد بسمكة إلى بعض الملوك فأعطاه أربعة آلاف درهم، فقالت له زوجته: أسرفت فقال: كيف آخذها منه؟ فقالت: قل له: السمكة ذكر أم أنثى فمهما قال فقل: أريد ضدها، فسأله عن ذلك؟ فقال: إنها خنثى لا ذكر ولا أنثى، فضحك الملك وأعطاه أربعة آلاف أخرى، فلما أخذها منه سقط درهم فأخذه سريعاً فقالت زوجته: إنه بخيل لا يستحق شيئاً، فسأله عن ذلك فقال: بادرت إلى أخذه لأن عليه اسم الملك؛ فأعطاه أربعة آلاف أخرى ونادى مناديه: أن لا يسمع أحد من رأي زوجته.

قال النبي ﷺ : «النساء عي وعورات،فاستروا عيهنَّ بالسكوت، وعوراتهنَّ بالبيوت» أو كما قال.

قال الإمام علي -رضي الله عنه-: لا تطيعوا للنساء أمراً، ولا تدعوهن يدبرن

أمراً، فإنهن إن تركن وما يدبرن أفسدن المُلْك وعصين المَلِك، وجدناهن لا دين لهن في خلواتهن، ولا ورع لهن في شهواتهن، اللذة بهن يسيرة، والحيرة بهن كثيرة، فأما صوالحهن «........» [1] وأما طوالحهن فعاهرات، فيهن ثلاث خصال من اليهود: يتظلمن وهن ظالمات، ويحلفن وهن كاذبات، ويتمنعن وهن راغبات، فاستعيذوا بالله من شرارهن، وكونوا على حذر من خيارهن.

قال في المنقول منه رأيت في بعض المجاميع أن النساء على أصناف: منهن كالخنزير، والقرد، والكلب، والبغلة، والعقرب، والفأرة، والطير، والثعلب، والغنمة: **أما الأولى**: فهي التي لا تعرف إلا الأكل والشرب، **وأما الثانية فهي**: التي همها لبس الثياب الملونة تفاخراً على جيرانها، **وأما الثالثة فهي**: التي إذا كان زوجها غنياً تقربت منه، أو فقيراً وثبت عليه وصاحت في وجهه، **وأما الرابعة** فهي: الحرون المخالفة، **وأما الخامسة فهي**: التي تمشي بالنميمة بين الجيران، **وأما السادسة فهي**: السراقة، **وأما السابعة فهي**: الدوارة، **وأما الثامنة فهي**: التي إن غاب عنها زوجها سرقت ما في البيت، وإذا جاء تمارضت وفتحت أبواب الخصومة وهي الطالحة، **وأما التاسعة فهي**: المباركة كلها بركة وخير.

قال في «الإحياء»: لا تتزوج من النساء: سبعا الحنَّانة، والأنَّانة، والمنَّانة، والكنَّانة، والحدَّاقة، والشدَّاقة، والبرَّاقة. قال ابن العماد: الحنَّانة هي التي لها ولد من غيرك أو كان لها زوج آخر، والأنَّانة الكثيرة الأنين، والمنَّانة هي التي تمن على زوجها بما أعطته، والحدَّاقة هي التي لا تكف نظرها، والشدَّاقة كثيرة الكلام،

---

(١) بياض في الأصل.

والبرَّاقة هي التي تهتم ببريق ثيابها، والكنانة هي التي تقول: كان زوجي كان أبي.

قال أبو الدرداء -رضي الله عنه-: خير نسائكم من تدخل قبا، وتخرج ميا، وتملأ بيتها أقطاً وحباً، وشر نسائكم السلفعة، والبلقعة، والتي تسمع لأسنانها قرقعة. قال الزمخشري: **القبا**: القريبة الخطا بلا عجلة، **والميا**: المتبخترة، **والسلفعة**: الجريئة على الرجل، **والبلقعة**: الخالية عن الخير، والتي تسمع لأضراسها قرقعة: كثيرة الأكل.

وعن جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ: «أوصيكم بالنساء خيراً فإنهن عوان عندكم، وإنكم اتخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله».

وعن المقدام بن معدي كرب: خطب النبي ﷺ فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: «إن الله تعالى يوصيكم بالنساء خيراً كررها ثلاثاً».

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه» لأن أعوج ما فيها أعلاها وهو لسانها.

وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ: «ذروا الحسناء العقيم، وعليكم بالسوداء الولود؛ فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة».

حكاية

في تفسير القرطبي أن النساء قلن: يا رسول الله قد ذكر الله الرجال دون النساء فما فيهن من خير؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب:٣٥].

وعن عمار بن ياسر عن النبي ﷺ: «أيما امرأة خانت زوجها في الفراش

فعليها نصف عذاب هذه الأمة».

وعن أبي هريرة: «من مشى في تزويج امرأة حلالاً يجمع بينهما رزقه الله تعالى ألف امرأة من الحور العين، كل امرأة في قصر من در وياقوت ، وكان له بكل خطوة خطاها أو كلمة تكلم بها في ذلك عبادة سنة قيام ليلها وصيام نهارها».

وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «إذا غسلت المرأة ثياب زوجها كتب الله لها ألفي حسنة، وغفر الله لها ألف سيئة، واستغفر لها كل شيء طلعت عليه الشمس ورفع لها ألفي درجة».

وقالت عائشة -رضي الله عنها- : صرير مغزل المرأة يعدل التكبير في سبيل الله، والتكبير في سبيل الله أثقل من السموات والأرض، وأيما امرأة كست زوجها من غزلها كان لها بكل سدي مائة ألف حسنة.

وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ : «الأبدال أربعون رجلاً وأربعون امرأة كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً وكلما ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة».

وعنه ﷺ : «ماستفاد المؤمن بعد تقوى الله تعالى خيراً من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله» وفي حديث: «الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة».

وهذه الدرة الكريمة، والزوجة العظيمة، والقدوة الصالحة لكل مسلمة، أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، وقفت مع رسول الله ﷺ تلك الوقفة والثبات والبذل الذي لم يسبقها إلى مثله الأولون، ولا يأتي بمثله الآخرون، آزرته، وعاضدته، وأكرمته، وصدقته، وآمنت به، وتفانت في سبيله، ولما عاد من الغار يرجف قلبه من شدة ما لقيه من الوحي وهو يقول: زملوني زملوني، فجمعت

عليها ثيابها وانطلقت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان على دين إبراهيم عليه السلام وقصت عليه القصة فبشرها بالناموس الأكبر، فرجعت تبشر رسول الله ﷺ وتثبت فؤاده، وتطمئن قلبه وتقول له: ﷺ أبشر يابن عم واثبت، فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة، ولما فتر عنه الوحي حزن وخشي أن يكون ما يراه في الأفق ليس بملك، وخيل إليه ما يخيل للكهان، وبث إلى خديجة ما يجده من هواجس يقول لها: «يا خديجة والله ما أبغضت بغض هذه الأصنام شيئاً قط ولا الكهان، وإني أخشى أن أكون كاهناً» وتقول له خديجة كلمات ملؤها الثقة والثبات والطمأنينة: «كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتقري الضيف، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق، وإن فيك من صفات الخير ما لا يجعل للشيطان سبيلاً إلى نفسك». كلمات تملأ القلب بالطمأنينة، والثقة في ترتيب لم يسبق إليه الفصحاء ولا يأتي بمثله البلغاء، وقد وفى لها الرسول ﷺ وفاءً لم يسبق إليه أحد حتى قدح غيرة أم المؤمنين عائشة حتى قالت: ما غرت على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة وإني لم أدركها.

قالت: وكان رسول الله ﷺ «إذا ذبح شاة» فيقول: «أرسلوها إلى صواحب خديجة» فأغضبته يوماً فقلت: خديجة... خديجة!! فقال رسول الله ﷺ: «إني رزقت حبها»، وفي رواية البخاري: ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعث إلى صدائق خديجة فربما قلت له: كأن لم يكن في الدنيا إلا خديجة، فيقول: «كانت وكانت وكان لي منها الولد».

وفيه -أي البخاري- عن عائشة قالت: استأذنت هالة بنت خويلد أخت

خديجة على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاع أو فارتاح لذلك فقال: «اللهم هالة بنت خويلد» فغرت فقلت: وما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر فأبدلك الله خيراً منها، فقال رسول الله ﷺ في رواية الإمام أحمد: «ما أبدلني الله خيراً منها، وقد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء» وقد أعلى الله قدرها وقبل عملها وأتاها جبريل عليه السلام بالبشرى العظيمة.

روى أئمة أهل البيت، والبخاري ومسلم، عن أبي هريرة قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب» يعني بيتاً من لؤلؤ تغمره السكينة، وتظلله الطمأنينة، لا يكدره ضجيج، ولا معاناة. ولما أبلغها الرسول ﷺ قالت: الله هو السلام ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام. وصلى الله تعالى عليها وترحم وتحنن وبارك.

حكاية أن امرأة الحطاب في الجنة

روي أن النبي ﷺ أخبر أصحابه أن امرأة الحطاب من أهل الجنة بفضل صنيعها لزوجها، فلما سئلت قالت: إن زوجي إذا خرج يحتطب أَحُسُّ بالعناء الذي لقيه في سبيل رزقنا، وأحس بحرارة عطشه في الجبل تكاد تحرق حلقي، فأعد له الماء البارد حتى إذا ما قدم وجده وقد نسقت متاعي، وأعددت له طعامه،

ثم وقفت انتظره في أحسن ثيابي، فإذا ما ولج الباب استقبلته كما تستقبل العروس عروسها الذي عشقته، مسلمة نفسي إليه، فـإن أراد الراحـة أعنتـه عليهـا، وإن أرادني كنت بين ذراعيه كالطفلة الصغيرة التي يتلهى بها أبوها.

حكاية عمر بن عبدالعزيز مع جارية عشقها

روي أن عمر بن عبد العزيز عشق جاريةً لزوجته فاطمة بنـت عبـد الملـك، وزاد فيها غرامه فطلبها منها فأبت عليه، فلما أفضت إليه الخلافة زينتهـا بـأنواع الزينة، ثم قالت: يا أمير المؤمنين قد كنت أمسكت هذه عنك والآن فقد وهبتهـا لك فسر بها سروراً بالغاً. ثم قال لها: اخلعي ثيابك فحين همت أجلسها، ثم قال: من أين جيء بك في الأصل؟ قالت: اغتصب الحَجَّاجُ مالَ عاملٍ فاصطفاني منه وأرسلني لعبد الملك فوهبني لابنته، فقال: أحي هـو؟ قالـت: لا قـال: هـل لـه ورثة؟ قالت: ولد فأحضره وأمره أن يذكر ما أغرم الحجاج أباه، وأعطاه عمر - رضي الله تعالى عنه - تلك الجارية، وقال له: احذر أن يكون أبوك نالهـا. فقـال: هي لك يا أمير المؤمنين، فأبى فقال: أتبيعها؟ فأبى، فقالت الجارية: أين وجـدك بي؟ قال: قد زاد ولكني أنهى نفسي عن الهوى.

مما روي في الأولياء وأهل المكاشفة

قال رسول الله ﷺ : «رب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره».

روي عن محمد الباقر بن زين العابدين عليهما السلام والرحمة والرضـوان قـال لابنـه جعفر الصادق: يا بني، إن الله تعالى خبـأ ثلاثـة في ثلاثـة أشـياء: خبـأ رضـاه في

طاعته، فلا تستحقرن من الطاعة شيئا فلعل رضاه فيه، وخبأ سخطه في معصيته، فلا تحقرن من المعاصي شيئاً فلعل سخطه فيه، وخبأ أولياءه في عباده فلا تحقرن أحداً فلعله ذلك الولي.

حكى السمهودي في «جواهر العقدين» عن أبي زرعة الحافظ زين الدين العراقي أنه ركب مع شخص من المكّارية من طائفة الريّافة، قال: فقلت في نفسي وقد خاضت في الأمل : لو كان لي أربع زوجات في أربع مساكن وفي كل مسكن من الكتب التي أحتاجها نظير ما في بقية المساكن، قال: فرفع المكاري طرفه إلي وكان يبدل في نطقه القاف كافاً فقال: يا فكيه ما هذا الأمل؟ أربع زوجات وأربع مساكن في كل مسكن نظير ما في الآخر؟ قال: فترجلت عن دابته، وقلت له: أنت أحق أن تركب وأمشي في خدمتك فقال: لا والله لئن لم تركب ذهبت عنك بدابتي، قال: فركبت معه، فلما وصلنا إلى الرميلة قال لي: يا فكيه ركب معي شخص من الأتراك، فلما وصل إلى هذا الموضع نزل عن الحمار، فقلت له: الكراء أعطنيه فرفع المكرعة وضربني بها، والله لو قلت للأرض ابتلعيه لابتلعته فذهبت يا فكيه وتركته. قال الشيخ: فطائفة المكارية فيهم الأولياء وكذا غيرهم وحسن الظن ربح، وسوء الظن حرمان أو قال: خسران.

حكاية

روي أن راهباً اشتهر ببلاد مصر بالمكاشفة، فقال عالم من المسلمين لا بد من قتله خوفا على المسلمين أن يفتنهم، فقصده بسكين مسمومة، فلما طرق بابه قال: اطرح السكين وادخل يا عالم المسلمين، فطرحها ودخل فقال: من أين لك نور المكاشفة؟ قال: بمخالفة النفس، فقال: هل لك في الإسلام؟ قال: نعم أشهد أن

لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقال: ما حملك على ذلك؟ قال: عرضت الإسلام على نفسي فأبت فخالفتها فوفقني الله تعالى إلى الإسلام.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨].

حكاية عجيبة روى لنا شيخنا شيخ الإسلام الحجة أبو الحسين مجد الدين بن محمد المؤيدي قصة عجيبة قريبة العهد في أول هذا القرن الرابع عشر، أن رجلاً صالحاً كان مسافراً في جهات صعدة صباح يوم فقامت أعمدة الجراد حتى غطت على عين الشمس كالسحب المتراكمة بعضها فوق بعض، فسمع صوتاً من السماء بالعربية الفصحى يسمع صوته ولا يرى شخصه، يقول: يا جند الله عليكم بوادي علاف إلا زرع القنبري، فغذّ الرجل السير مجداً متجهاً إلى وادي علاف ليرى هذه العجيبة، فوصل إليها قبل الظهر وقد غطى الجراد الشجر والحجر والزرع، والناس من الفلاحين كل واحد يحاول أن يصده عن مزرعته، هذا بالطبول، وهذا بإضرام النيران، وهذا بالهواش، وهذا بإثارة الأتربة، فلم يبق شيءٌ، فسأل الرجل عن القنبري، فقالوا له: هو ذاك في مزرعته وهو يروح ويجيء أمام أصحابه وكأنه يعمل مثلما يعملون، فلم تمض إلا ساعة وكانت الأرض جرداء لم يبق فيها خضراء، ولم يبق إلا جذوع العلوب، والأشجار الكبيرة، وإذا مزرعة القنبري كعادتها لم يأكل منها بقلة واحدة، وصارت علامة خضراء من أعلى الوادي إلى أسفله، فغدا عليه أصحابه يقولون له: كيف فعلت؟ كيف فعلت؟ فقال: أعان الله تعالى على صرفها، أما رأيتموني بينها أهوش وأعمل مثلما تعملون أنا وعيالي، فتعجبوا، ودخل القنبري مسجد القرية وتبعه الرجل، فلما

صلوا الظهر قال الرجل: أنا ضيفك يا قنبري، فقال: مرحباً وسهلاً بالضيف، فدخل معه البيت فغدَّاه وأكرمه، ثم خرجا المسجد وصليا صلاة العصر مع الناس، والقنبري لم يعمل شيئاً زيادة على الناس، ثم جاء المغرب فحضر القنبري المسجد وأولاده وهو ينازع هذا، ويمازح هذا، ويتكلم على هذا، فلما صلوا العشاء قال الرجل للقنبري: إني ضيفك هذه الليلة، فقال: مرحباً وسهلاً بالضيف، فدخل معه فأكرمه وعشاه، وجلس معه قليلاً ثم قال لضيفه: استرح في هذا المجلس وخرج من عنده موهماً أنه سينام في مكان آخر، فلما خرج تبعه الرجل بعد قليل، فإذا هو يتوضأ ثم قام يصلي، وكان قد جعل له ميضأة في جانب غرفته، وبجانبها محراب عبادته، فصلى طوال الليل ركوعاً وسجوداً، واستغفاراً وتهليلاً، وابتهالاً، وصلى صلاة لم ير الرجل مثلها، فلما طلع الفجر أذَّن وأقام، ودخل عليه ثلاثة من أولاده فصلى معهم، فلما أسفر خرج من مصلاه وقوَّم[1] ضيفه، وخرجا المسجد وكأنه قائم من النوم تلك الساعة، فتوضأ مع أصحابه وصلَّوا الفجر وتماسك هو وبعضهم ، وتنازعوا، وارتفعت الأصوات والرجل يراقب القنبري ويسجل في فكره كل حركاته، فرجعوا إلى البيت للإفطار فقال الرجل: لقد سمعت ورأيتُ عجباً فما شأنك؟ قال: وما رأيت وما سمعت؟ قال: بينما أنا مسافر إلى صعدة فسمعت صوتاً من أعمدة الجراد يسمع الصوت ولا يرى الشخص، يقول: يا جند الله عليكم بوادي علاف إلا زرع القنبري، فتعجبت ثم حولت سفري إلى وادي علاف لأرى القصة، فلم يخف عليَّ شيء من منازعتك مع أصحابك ومهاتراتك معهم، ثم ما حدث مع الجراد وتركها قاعاً صفصفاً أعناباً وأشجاراً ومزارع، كأنها مجدبة من سنين، ثم سلامة زرعك،

---

(١) أي أيقضه للصلاة.

وأعنابك، وأشجارك، ثم ما رأيت من عبادتك طول الليل بعد أن أوهمتني أنك ستخرج من عندي للنوم، فأسألك بالله إلا ما أخبرتني بالحقيقة، فقال الرجل: لا حول ولا قوة إلا بالله وإنا لله وإنا إليه راجعون، وإذا سألتني بالله فسأخبرك وأسألك بالله أن لا تخبر أحداً في حياتي، فهذه مزرعتي الذي تفضل الله تعالى لي بها وجعلها مصدر رزقي ورزق أولادي وعولي من الزرع والأعناب والفواكه المختلفة، والماء الكثير في البئر، فإن الله تعالى هداني ووفقني أن أقسم كل ما حصل منها أثلاثا، بعد أن أزكيه، فثلث للناشر، والوافد، والسائل، لا أرد أحداً منه، وجعلت له مستودعاً خاصاً، وثلث أرد به على المزرعة من الإصلاح والدمن وعمل وجهد، وثلث أتقوت أنا وعولي وضيفي... وهكذا، وقد اتخذتها عادة منذ عشرات السنين تجدب الأرض ولا تجدب أرضي، ويأخذهم البرد ولا يأخذ أرضي، ويأخذهم الجراد ولا يأخذ أرضي، وتنضب آبارهم ولا تنضب بئري، فأنا أحمد الله -سبحانه وتعالى- أنا وعيالي على نعمه العظيمة، وآلائه الجسيمة، وخيره الجزيل، وعطائه الكبير، وأوصي أولادي بذلك ما حيوا، ويوصوا أولادهم كذلك. وأما قصة الصلاة في بيتي فإن أهل القرية لا يتنزهون من النجاسات، ولا يتطهرون، ولا يصلون الصلاة لأوقاتها، وإذا نصحتهم عصوني، وطمعوا في مالي، وفعلوا لي الغرماء والمؤذين، فأنا أصلي في بيتي فإذا حضروا للصلاة في آخر الأوقات صليت معهم، وأما ما رأيت في صلاة الليل فلو قمنا حتى نكون كأوتار وركعنا حتى نكون كالحنايا، وسجدنا حتى تقع علينا الطير ما أدينا شكر أقل نعمة من نعم ربنا، وأستغفر الله تعالى، فنعم الله تعالى كلها عظيمة، وأما ما رأيت من المنازعات معهم عند المسجد وعند الوضوء فذلك أنك تعرف أن بعض القبائل لا يرحمون أحداً ولا يقترعون إلا من إنسان

يقارعهم، ويقارنهم، ولو يدرون بشيء مما رأيت لأخذوا مالي، وحلفوا فيه، ولو حلف أحد على ثوبي الذي على ظهري لتركته له، وهذا الكلام أسألك بالله أن لا تحدث به أحداً والمجالس بالأمانة.

ومما يناسب ذلك شعراً:

امنع جفونك لا تلذ مناما ... واجر الدموع على الخدود سجاما

واعلم بأنك ميت ومحاسب ... يا من على قبح الذنوب أقاما

لله قوم أخلصوا في حُبِّهِ ... فاختصهم ورضي بهم خداما

قوم إذا جن الظلام عليهم ... باتوا لديه سجداً وقياما

يتلذذون بذكره في ليلهم ... ونهارهم لا يفطرون صياما

خمص البطون عن الحرام أعفة ... لا يعرفون سوى الحلال طعاما

حكاية الصفِي والناقة

روى لنا السيد محمد حمدان الدرسي الحمزي، والسيد محمد بن علي العزي وهما رجلان صالحان صدوقان من أهل البيت: أنه كان في بلادهم في الحمزات من بلاد صعدة رجل صالح اسمه أحمد الصفي بن محمد نيبان من آل حربان، وكان لا يملك شيئاً، وكان يعمل في الفلاحة مع الفلاحين بالأجرة، وكان عمله أبرك عمل وأحسنه فإذا رأى ضعيفاً سمحه من الأجرة، وكان يقسم أجرته منه ما يتقوت به وعياله، ومنه ما يتصدق به، وكان رغبته ومحبته إطعام الحيوانات المعاقة والمكسرة التي يهملها أهلها ويتركوها بعد اليأس من فائدتها، فيأخذ

القضب والعلف ويصله إليها، ويقرب لها الماء، كما لو كانت صحيحة، وعلى هذا الحال سنين حياته، وحدث أن ناقة دخلت في أحد محاجر القبائل فعقرها صاحب المحجر، بأن ضربها بفأس في وركها وجرحها، وجافت تلك الجراحة، وتوسعت حتى هانت على صاحبها، فلا هي صالحة للذبح ولا لغيره، فأهملها في الخلاء باركة لا تقوم، ولما عرف هذا الرجل الصالح محل الناقة تعاهدها يومياً بالماء والعلف صباحاً ومساءً، مدة طويلة حتى تعافت من ذلك الجرح وقامت، وأخذها صاحبها، ولم يزل هذا الصالح ديدنه في كل ما بلغه من المكسرين من الحيوانات، والمعوقين من أهل بلاده وغيرهم، وبقي على هذا سنين عديدة مشهوراً بين الناس بهذا العطف والحنان على كل ما خلق الله -سبحانه وتعالى- حتى جاءه الأجل المحتوم فجهزه أصحابه، وحضر للصلاة عليه الجم الغفير ممن يعرف وممن لا يعرف، وبينا هم في التهيؤ للصلاة إذ رأوا بينهم بكرة في أحسن ما خلق الله تعالى لا يدرون من أين جاءت وهي تحن وقربت من الجنازة ووضعت رأسها قريباً ورفعته، ثم لما صفوا للصلاة وصفت بين الصفوف، قال السيد محمد حمدان: وكانت خلفي حتى وضعت رأسها على جنبي وداخلني منها خوف، ثم لما أتممنا الصلاة حنت ودموعها جارية، ثم حملنا الجنازة إلى المقبرة وهي معنا من يمين الجنازة تارة، وعن يسارها تارة، وخلفها تارة وكانت تزاحم كأنها تريد أن تحمل معهم فحاول بعضهم صدها وطردها فلم يستطع، فقال السيد العلامة يحيى بن عبدالله راوية -رحمه الله تعالى- وكان بين المشيعين: اتركوها تفعل ما تريد ولعل به غيرها لا تشاهدونهم، حتى اقتحمت المقبرة ولم نشعر إلا وهي فوق القبر ودموعها تسيل، فتعجب الناس غاية العجب، فبقيت تلك الناقة واقفة

فوق القبر حتى ألحدناه ودفناه، وهي ترفع رأسها وتوطيه، وكأنها تريد أن تهيل التراب مع المشيعين، ولما تم الدفن وقفت عند رأسه لحظات والناس يرون ويتعجبون ، ويهللون ويكبرون، ثم اختفت في لحظة فلم ندرِ أهي ساخت في الأرض أم ارتفعت في السماء!

حكاية من انهالت عليه البئر

روى لنا شيخنا شيخ الإسلام أيده الله تعالى أنه كان في مدينة الحرجة، وهي مدينة من مدن الحجاز يجتازها حاج اليمن رجل صالح قد بلغ من العمر عتياً، وكان له مزرعة ومسجد عند بيته وكان المسجد أقرب شيء إلى الطريق لمارة الحجاز، وكان يأتي إليه ابن السبيل والمسافر والمنقطع فكان يخرج لكل من أمسى في المسجد العشاء أقراص مما يأكل والقهوة، ويسرج لهم المسجد، وهذا ديدنه دائماً لا ينام حتى يتفقد المسجد إن قد وصل إليه أحد، ثم يصلي ما شاء الله ويعود بيته، وهكذا سنين عديدة، فحصل في بعض السنين جدب شديد، ويبست الآبار، وقلت المياه، فقال لأولاده: لو حفرنا البئر ونزّلناها لرجونا أن نلقى ماء، فنزل يحفر وأولاده ينزعون منه وكانت البئر ذات جروف من جهة وحفر، لعله من تحت طي البئر، فانهال عليه الطي من كل جهة وانطبقت البئر تماماً، فعجز أولاده عن حفر البئر وإخراج طيها وما انهال بها من الأحجار والأتربة ؛ لأنها كانت عميقة، فأيسوا منه ولم يستطيعوا حفرها، فمضت سنون كثيرة، ومات الأولاد ونشأ أولادهم وأقبلت عليهم الدنيا، وغَنُوا وأقبلوا على حفر البئر واستمر وا مدة في الحفر حتى قاربوا من الوصول إلى قعرها، فسمعوا صوتاً ضعيفاً يقول «شوي شوي يا عيالي» فتعجبوا واستمروا في الحفر وكانوا يعلمون

أن جدهم فيها، وأنها انهالت عليه في عهد آبائهم، فلما وصلوا وإذا هو في جرف من الجروف قدر قامة الرجل يصلي وقد لصق الجلد على العظم، وضعف حاله، ورق جسمه، تام العقل والفكر والبصر، فسألهم لماذا لم يحفروا البئر ويخرجوه، فقالوا لم يستطع آباؤنا من ذلك، حيث قدّروا أن قد مت ولم يكونوا قادرين، فحمدوا الله وأثنوا عليه، وأطلعوه وقد طال شعره وأظفاره، وصار جلده كالقرطاس، ووصف لهم حاله وأنه رزقه الله تعالى الطمأنينة والرضا، وكان لا يعرف الأوقات إلا عندما يأتيه رغيف وقهوة مثل الذي كان يخرجه لأبناء السبيل، وكان يقدر الأوقات للصلوات بذلك، وفي وقت المغرب، كان يأتيه السراج مثل الذي كان يسرج به في المسجد، وأنه كان لا يفتر من ذكر الله تعالى وقراءة ما معه من القرآن الكريم.

حكاية عن مالك بن دينار

قال مالك بن دينار -رضي الله عنه-: رأيت في بعض أزقّة البصرة جارية معها الخدام فقلت لها: أيبيعك مولاك؟ فقالت: لو باعني ما تصلح أن تشتريني، فقلت: نعم وخيراً منك، فضحكت وأمرت بحملي إلى سيدها، فوقعت الهيبة في قلب سيدها فقال: ما حاجتك؟ قلت: تبيعني هذه الجارية؟ قال: أو تقدر على ثمنها؟ قلت: قيمتها عندي نواتان مسوستان لكثرة عيوبها؛ لأنها إذا لم تتعطر ذفرت، وإذا لم تستك بخرت، وإذا لم تتمشط وتدهن قملت، وإن عمرت هرمت، ذات حيض ونجاسة، وأنا أشتري من الله تعالى جارية بدون ذلك خلقها الله من سلالة الكافور، ومن المسك والنور والجوهر، لومزج ريقها بالبحر لطاب ماؤه، ولو دعت ميتاً لأجاب، ولو بدا معصمها للشمس لأظلمت، ولو بدت في

الظلمات لأنارت، ولو واجهت الآفاق بحليها وحللها لتعطرت، نشأت من بين رياض المسك والزعفران، وقضبان الياقوت والمرجان، وقصرت في خيام النعيم، لا تخلف عهدها، ولا يتبدل ودها، فأيهما أحق بالثمن؟ قال: الذي وصفت، ما ثمنها؟ قال: أن تركع ركعتين في الليل، وتترك شهوة لله تعالى، فالتفت إليها وقال: يا جارية أنت حرة لوجه الله تعالى، وقال لعبيده مثل ذلك وتصدق بجميع ماله، ونزع ثيابه وأخذ له سترا غليظاً وأتزر به،فقالت الجارية: لا عيش بعدك فنزعت ثيابها ولبست عباءة وخرجا إلى عبادة الله تعالى -رضي الله عنهما-.

حكاية سليمان -عليه السلام- والنملة

يروى أنه لما مر سليمان -عليه الصلاة والسلام- بوادي النمل قالت نملة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل:١٨] وإنما قالت ذلك خوفا على قلوبهم أن تميل إلى الدنيا، فلما سلم عليها سليمان قالت: وعليك السلام أيها الفاني المشتغل بملكك الفاني، أتظن يا سليمان أن لك أمراً ونهياً،فأنا نملة ضعيفة لي أربعون ألف مقدم تحت كل مقدم أربعون صفاً من النمل كل صف من المشرق إلى المغرب، فقال: كيف تلبسون السواد؟ قالت: لأن الدنيا دار مصيبة ولباس أهل المصائب السواد، قال: فما هذا الحز الذي في وسطك ؟ قالت: هذه منطقة الخدمة للعبودية، قال: فما بالكم تبعدون عن الخلق؟ قالت: لأنهم في غفلة، فالبعد عنهم أولى، قال: فما بالكم عراة؟ قالت: هكذا وردنا إلى الدنيا وهكذا نخرج منها، قال: فكم تحمل النملة؟ قالت: حبة أو حبتين، قال: ولم؟ قالت: لأنا على سفر والمسافر كلما

خف حمله خف ظهره، قال: اطلبي مني حاجة، قالت: أنت عاجز والطلب منك غير جائز، قال: لا بد من الطلب، قالت: زد في رزقي وفي عمري، قال: اطلبي شيئاً يكون في يدي، قالت: إن الله تعالى يقضي حوائج المحتاجين، قال: ما اسمك؟ قالت: اسمي منذرة أنذر أصحابي عن الدنيا الساحرة، وأرغبهم في الآخرة، ثم قالت: يا سليمان ما أفضل وما أفخر ما أوتيت في ملكك؟ قال: الخاتم لأنه من الجنة، قالت: أتعلم معناه؟ قال: لا، قالت: معناه الذي أعطيناك من الدنيا في يدك بقدر فص هذا الخاتم، ثم قالت: هل غير هذا؟ قال: نعم بساطي، وهو من الجنة يمر على ظهر الريح، قالت له: أتعلم معناه؟ قال: لا، قالت: هذا تنبيه على أن جميع ما معك كمثل الريح، اليوم معك وغداً يزول عنك، قال لها: فإن غدوها شهر ورواحها شهر قالت: فيه إشارة إلى أن عمرك يطير وأنت مستعجل في السير، فزاد عجب سليمان عليه السلام ثم قالت له: يا سليمان هل غير هذا؟ قال: نعم قد علمني ربي منطق الطير، قالت له: قد اشتغلت عن مناجاة الله بمناجاة الغير؟ ثم قالت له: هل غير هذا؟ قال: نعم أَخْدَمَني الإنس والجن، قالت: فيه إشارة إلى أن الخالق يقول لك: إن الخلق قد اشتغل بخدمتك فاشتغل أنت بخدمتي، ثم قالت له: هل غير هذا؟ قال: نعم إني أستأنس بفص الخاتم؛ لأن عليه اسم الله تعالى، قالت: إذا أنت استأنست بالمسمى يغنيك عن الاسم. فعندها عجب سليمان عليه السلام من النملة ومن كلامها، وقد تحقق أن ملكه في ملك الله تعالى لا يساوي خردلة، فودعها وعادت إلى حال سبيلها وعاد وهو متعجب.

فانظر يا أخي رحمك الله إلى حكمة مولاك؛ لأنه يؤدب أولياءه وأنبياءه بأضعف خلقه.

حكاية رجل متبختر عاد إلى الله تعالى

عن بعض العارفين أنه رأى رجلاً يتبختر على فرسه فسأله عن ذلك، فقال: أنا غلام السلطان، فقال العارف: صف لي قربك منه، فقال الغلام: أوانسه إذا جلس وحده، وأحرسه إذا نام، وأطعمه إذا جاع ، وأسقيه إذا عطش، وينظر إلي كل يوم ثلاث نظرات، فقال العارف: وما يصنع بك إذا غفلت؟ قال: يضربني، قال: وإذا أذنبت، قال: يعاقبني، فقال العارف: أنا أولى بالافتخار منك، لأن مولاي هو الذي يطعمني ويسقيني ويؤنسني في الوحدة، وإذا نمت يحرسني، وإذا أذنبت يغفر لي، وإن كان مولاك ينظر إليك في كل يوم ثلاث نظرات فأنا مولاي ينظر إلي في اليوم ثلاثمائة وستين نظرة، فقال الرجل: صدقت إني من الآن عائد إلى خدمة مولاك، ثم إنه نزل عن الفرس وخلع ما عليه من الملابس الحسان، وترك خدمة السلطان، وخدم الواحد المنان.

أويس القرني -رضي الله تعالى عنه-

هو أبو عامر أويس بن عامر بن حرب بن عمرو المرادي القرني، خير التابعين بشهادة سيد المرسلين ﷺ أدرك زمن رسول الله ﷺ ولم يره، وفي «نثر الدر المكنون» روى الإمام أحمد، ومسلم، والحاكم وابن سعد عن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «يأتي إليكم أويس بن عامر مع إمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرئ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل» وروى الحاكم وابن سعد من

طريق أسير بن جابر عن عمر أنه قال لأويس القرني: استغفر لي، قال: كيف استغفر لك وأنت صاحب رسول الله ﷺ ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن خير التابعين رجل يقال له أويس القرني».

وروى ابن سعد والحاكم وأحمد بسند جيد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: نادى رجل من أهل الشام يوم صفين أفيكم أويس؟ قالوا: نعم قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من خير التابعين أويس القرني ثم ضرب دابته فدخل في أصحاب علي عليه السلام».

ومن طريق الأصبغ بن نباتة قال: شهدت عليا كرم الله وجهه يوم صفين يقول: من يبايعني على الموت؟ فبايعه تسعة وتسعون رجلاً، فقال: أين التمام؟ فجاءه رجل عليه أطمار صوف محلوق الرأس فبايعه، فقيل: هذا أويس القرني فما زال يحارب حتى قتل.

وعن سعيد بن المسيب قال: نادى عمر على المنبر بمنى: يا أهل قرن أفيكم من اسمه أويس؟ فقال شيخ: يا أمير المؤمنين ذاك مجنون يسكن القفار والرمال، قال: ذاك الذي أعنيه، إذا عدتم فاطلبوه، وأبلغوه سلامي وسلام رسول الله ﷺ فعادوا إلى قرن فأبلغوه سلام عمر وسلام رسول الله ﷺ ، فقال: عرفني عمر وشهر اسمي، ثم هام على وجهه فلم يقف له بعد ذلك على أثر دهراً، ثم عاد في أيام علي عليه السلام فقاتل بين يديه فاستشهد بصفين.

وحكى ابن الجوزي في صفة الصفوة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله -عز وجل- يحب من خلقه الأصفياء، والأخفياء الأبرياء، الشعثة

رؤوسهم، المغبرة وجوههم، الخمصة بطونهم، الذين إذا استأذنوا على الأمـراء لم يؤذن لهم، وإن خطبوا المتنعمات لم ينكحوا، وإن غابوا لم يفتقـدوا، وإن طلعـوا لم يفرح بطلعتهم، وإن مرضوا لم يعادوا، وإن ماتوا لم يشهدوا، قالوا: يا رسول الله كيف لنا برجل منهم؟ قال: ذاك أويس القرني، قالوا: وما أويس القـرني؟ قـال: أشهل ذو صهوبة، بعيد ما بين المنكبين، معتدل القامة، آدم شديد الأدمة، ضارب بذقنه إلى صدره، رامٍ بصره إلى موضع سجوده، واضـع يمينـه عـلى شـماله يتلـو القرآن يبكي على نفسه، ذو طمرين لا يؤبه له، مئتزر بإزار صوف ورداء صوف، مجهول في أهل الأرض، معروف في السماء، لو أقسم على الله لأبر قسمه، ألا وإن تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء، ألا وإنه إذا كان يوم القيامة قيل للعبـاد: ادخلـوا الجنة، ويقال لأويس : قف فاشفع فيشفعه الله في مثل ربيعة ومضر، يا عمر يا علي إذا أنتما لقيتماه فاطلبا إليه أن يستغفر لكما يغفر الله لكما» قال: فمكثا يطلبانه عشر سنين لا يقدران عليه، فلما كان في آخر السنة التي هلك فيها عمـر قـام عـلى أبي قبيس فنادى بأعلى صوته: يا أهل الحجيج من اليمن أفيكم أويس؟ فقـام شـيخ كبير طويل اللحية فقال: أنا لا أدري من أويس ولكن ابن أخ لي يقال أويس وهو أخمل ذكراً، وأقل حالاً، وأهون أمراً من أن نرفعه إليك، وإنه يرعى إبلنـا حقـير بين أظهرنا، فعمى عليه عمر كأنه لا يريده، وقال: أين ابن أخيك هذا أبحرمنـا هو؟ قال: نعم، قال: أين يصاب؟ قال: بأراك عرفات، قال: فركب عمر وعـلي سراعاً إلى عرفات، فإذا هو قائم يصلي إلى شجرة والإبـل حولـه ترعـى، فـشدَّا حماريهما ثم أقبلا إليه فقالا: السلام عليكم ورحمة الله فخفف أويس الـصلاة ثـم قال: السلام عليكما ورحمة الله، وبركاته، قالا: من الرجل؟ قال: راعي إبل وأجير

قوم، قالا: لسنا نسألك عن الرعاية وعن الإجارة، ماسمك؟ قال: عبدالله، قالا: والأرض كلهم عبيد الله، ما اسمك الذي سمتك أمك؟ قال: يا هذان ما تريدان إلي؟ قالا: وصف لنا محمد ﷺ أويساً القرني فقد عرفنا الشهوبة والشهولة، وأخبرنا أن تحت منكبك الأيسر لمعة بيضاء فأوضحها لنا فإن كانت بك فأنت هو، فأوضح منكبه فإذا اللمعة، فابتدراه يقبلانه، وقالا: نشهد أنك أويس القرني فاستغفر لنا يغفر الله لك، قال: ما أخص باستغفاري نفسي ولا أحداً من ولد آدم، ولكنه في البر والبحر في المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، يا هذان قد شهر الله لكما حالي وعرفكما أمري فمن أنتما؟ قال علي عليه السلام : أما هذا فعمر، وأما أنا فعلي بن أبي طالب، فاستوى أويس قائماً فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته وأنت يا علي بن أبي طالب فجزاكما الله عن هذه الأمة خيراً، قالا: وأنت فجزاك الله عن نفسك خيرا، فقال له عمر: مكانك يرحمك الله حتى أدخل مكة فآتيك بنفقة من عطائي، وفضل كسوة من ثيابي، هذا المكان ميعاد بيني وبينك، قال: يا أمير المؤمنين لا ميعاد بيني وبينك لا أراك بعد اليوم، فعرفني ما أصنع بالنفقة؟ وما أصنع بالكسوة؟ أما ترى علي إزار من صوف، ورداء من صوف متى تراني أخرقها؟ أما ترى أن نعلي مخصوفتان متى تراني أبليهما؟ إني أخذت من رعايتي أربعة دراهم متى تراني آكلها؟ يا أمير المؤمنين، إن بين يدي ويديك عقبة كؤوداً لا يجاوزها إلا ضامر مخف مهزول، فاخفف رحمك الله، فلما سمع عمر ذلك ضرب بدرته الأرض، ثم نادى بأعلى صوته: ألا ليت عمر لم تلده أمه، ياليتها كانت عاقراً لم تعالج حملها، ألا من يأخذها بما فيها ولها، ثم قال: يا أمير المؤمنين خذ أنت هاهنا حتى آخذ أنا هاهنا، فولى عمر ناحية مكة،

وساق أويس إبله فوافى القوم بإبلهم وخلى عن الرعية، وأقبل على العبادة حتى لحق بالله -عز وجل-. انتهى مختصراً.

وذكره الكثير من المؤرخين في أخبار كثيرة وصححوا وفاته شهيداً بصفين مع أمير المؤمنين علي عليه السلام وأعاد الله تعالى علينا من بركاته.

في الاستغفار

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : «إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة».

وجاء رجل إلى الحسن البصري فقال: ادع الله لي يرزقني مالاً وولداً فقال: أكثر من الاستغفار، وجاءه رجل آخر فقال: ادع الله لي يرزقني لأرضي مطراً فقال: أكثر من الاستغفار، وقال رجل آخر: ادع الله يرزقني ولداً صالحا فقال: أكثر من الاستغفار، ثم تلا قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح:١٠-١٢]

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:٢٠٠] قال في تفسير الكشاف: «اصبروا» على الدين وتكاليفه، «وصابروا» أعداء الله في الجهاد، أي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا أقل صبراً منهم وثباتاً، والمصابرة باب

من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته، «ورابطوا» وأقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو، قال الله -عز وجل-: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾[الأنفال:٦٠] وعن النبي ﷺ : «من رابط يوماً وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر» انتهى.

وقال السري السقطي -رحمه الله تعالى- في هذه الآية الكريمة: «اصبروا»؛ أي على الدنيا رجاء السلام، «وصابروا» على القتال في سبيل الله تعالى بالثبات والاستقامة، «ورابطوا» لهوى النفس اللوامة، «واتقوا الله» مما يعقب لكم منه الندامة، «لعلكم تفلحون» غداً على بساط الكرامة.

حكاية عن موسى -عليه السلام-

خرج موسى عليه السلام يوماً يرعى غنمه فانتهى إلى واد كثير الذئاب فأدركه التعب والنوم من كثرة العبادة والسهر فبقي عليه السلام متحيراً إن اشتغل بالغنم عجز عن ذلك من غلبة النوم والتعب، وإن نام غارت الذئاب على الغنم، فرمق بطرفه إلى السماء وقال: أحاط علمك، ونفذت إرادتك، وسبق تقديرك، ثم وضع رأسه ونام، فلما استيقظ وجد ذئباً واضعاً عصاه على عاتقه وهو يرعى الأغنام، فتعجب من ذلك فأوحى الله تعالى إليه: «يا موسى كن لي كما أريد أكن لك كما تريد».

حكاية عن خادم لموسى -عليه السلام-

كان رجل يخدم موسى عليه السلام ويقول: حدثني موسى كليم الله حدثني موسى نجي الله، ثم افتقده موسى أياماً فسأل عنه فجاء رجل يقود خنزيراً فسأل عنه الرجل، فقال: هو هذا الخنزير، فدعا موسى عليه السلام ربه -عز وجل- أن يرده إلى حاله، فأوحى الله تعالى إليه يا موسى لو دعوتني بما دعا به آدم فمن دونه ما أجبتك، ولكن أخبرك بما صنع إنه كان يأكل الدنيا بالدين.

وروى الطبراني عنه ﷺ : «من طلب الدنيا بعمل الآخرة طمس الله وجهه، ومحق ذكره، وأثبت اسمه في النار».

حكاية رجل متكل على الله تعالى

قال: ركب قوم سفينة في البحر فظهر لهم شخص على ظهر الماء، وقال: معي كلمة أبيعها بألف دينار، فاندهش أهل السفينة وتعجبوا وقال أحدهم: هذه الألف دينار، فقال: اطرحها في البحر فطرحها فقال: قل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢، ٣] فقالها فقال: احفظها جيداً فلما حفظها انكسر المركب وبقي الرجل على لوح يقرأ هذه الآية فرماه الموج في جزيرة، فوجد فيها امرأة جميلة فسألها عن أمرها، فقالت: أنا من بلدة كذا جاءت بي الأقدار إلى هنا عندما انكسرت سفينتنا، وكل يوم يطلع من البحر جني

في وقت كذا فيراودني عن نفسي فيحفظني الله تعالى منه، فقال: اجعليني في مكانٍ أراه ولا يراني، ففعلت وأخفته بين الأشجار، فلما خرج الجني من البحر ورآه قرأ الآية فالتهب ناراً ففرحت المرأة بذلك، ثم أخذت المرأة بيد الرجل إلى كهف فيه من الجواهر واللؤلؤ شيء كثير، فمرت بهما سفينة فأشار إليها فقصدهما أهلها، وأخذ كل واحد من الجواهر واللؤلؤ ما لا يعلمه إلا الله تعالى، واستغنيا بقيمته في حياتهما، واستعانا به على عبادة الله تعالى وتزوجها.

في الدنياوعلاماتها

من علامات كون الدنيا في القلب البخل بها، لأن إخراج المحبوب عن القلب عسير، ومن علامات كونها في اليد فقط بذلها والجود بها، فإن قيل نبي الله محمدﷺ أورع الخلق فكيف قال: «حبب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب، والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة» فالجواب أن هذه الثلاثة وإن كانت اثنتان منها من الدنيا، صورة وليست حقيقة؛ لأن المذموم في الدنيا هو الزائد على قدر الكفاية، وأما ما لابد منه من مسكن وخادم وزوجة وقوت فليس من الدنيا المذمومة. وجواب آخر أنهﷺ كان مشرعاً فحبب الله تعالى إليه هذه الثلاثة لتكون شريعته متبعة إلى يوم القيامة، لأن حب الطيب يزيد في العقل، وبقدر العقل يقوى الدين، والنساء سبب العفة وكثرة النسل، وبكثرة العيال تكثر العباد، وبكثرة العباد تكثر العبادة، وما أرسل الله تعالى نبياً إلا تزوج حتى يحيىعليه السلام تزوج أيضاً ولم يأتها لأنه أخبر أنه حصور، وأما عيسى فإنه قيل: إنه يتزوج بعد نزوله وقيل: أراد بالطيب قلب أويس القرني - رضي الله تعالى عنه - فإنه احترق بنيران محبة الرسولﷺ

فلذلك قال ﷺ: «إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن» [أي جانب] وقد بشر به ﷺ .

ولله در الشيخ العارف ولي الله السيد تقي الدين الحصني:

أيا فرقة الأحباب لابد لي منك ... ويا دار دنيا إنني راحل عنك
ويا قصر الأيام مالي وللمنى ... ويا سكرات الموت مالي وللضحك
ومالي لا أبكي لنفسي بعبرة ... إذا كنت لا أبكي لنفسي فمن يبكي

الأبرص والأقرع والأعمى

وروي عن رسول الله ﷺ أن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى أراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس، فمسحه فذهب عنه قذره وأعطي لوناً حسناً، فقال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو قال: البقر فأعطي ناقة عشراء فقال: بارك الله لك فيها. فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك ؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس، فمسحه فذهب عنه وأعطي شعراً حسناً قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر، فأعطي بقرة قال: بارك الله لك فيها، فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله بصري فأبصر الناس فمسح فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة، فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر ولهذا وادٍ من الغنم، ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال رجل: قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم

بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلـغ بـه في سفري، فقال: الحقوق كثيرة، فقال: كأني أعرفك ألم تكن الأبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله، فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عـن كـابر، فقـال: إن كنـت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت، وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد هذا فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال رجل مسكين، وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليـك بـصرك شـاة أتبلغ بها في سفري فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أُجهدك اليوم بشيء أخذتَهُ لله عزوجل، فقال: أمسك مالك فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك.

حكاية هامة مع رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – [1]

عن عمر قال: بينما نحن قعود مع النبي ﷺ على جبل من جبال تهامة إذ أقبل شيخ بيده عصا فسلَّم على النبي ﷺ فرد عليه السلام، ثم قال: نغمة جن وغنتهم مـن أنت؟ قال: أنا هامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليـس، قـال رسـول الله ﷺ : فـما بينك وبين إبليس إلا أبوان؟ قال: نعم، قال: فكم أتى عليك من الدهر؟ قال: قد أفنيت الدنيا عمرها إلا قليلاً، قال: ما عَلَم ذلك؟ قال: ليالي قتـل قابيـل هابيـل كنت غلاماً ابن أعوام ، أفهم الكلام وأمرّ بالآكام، وآمر بإفساد الطعام وقطيعة الأرحام، فقال رسول الله ﷺ : «بئس عمل الشيطان المتوسم والشاب المتلوم»، قال: ذرني من الترداد إني تائب إلى الله –عز وجل–، إني كنت مع نوح في مسجده

(١) كنز العمال رقم ١٥٢٧٩ من المطبوعة الخامسة.

مع من آمن من قومه فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى عليهم وأبكاني، وقال: لاجرم إني على ذلك من النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، قلت: يا نوح، إني ممن أشرك في دم السعيد هابيل بن آدم فهل تجد لي عند ربك توبة؟ قال: يا هامة، همّ بالخير وافعله قبل الحسرة والندامة، إني قرأت فيما أنزل الله -عز وجل- عليَّ أنه ليس من عبد تاب إلى الله -عز وجل- بالغاً ذنبه ما بلغ إلا تاب الله عليه، قم فتوضأ واسجد لله سجدتين، ففعلت من ساعتي ما أمرني به، فناداني: ارفع رأسك فقد نزلت توبتك من السماء فخررت لله ساجداً حولاً. وكنت مع هود في مسجده مع من آمن به من قومه فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى عليهم وأبكاني، فقال: لا جرم إني على ذلك من النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، وكنت مع صالح في مسجده مع من آمن به من قومه فلم أزل أعاتبه على قومه حتى بكى عليهم وأبكاني، وكنت زواراً ليعقوب، وكنت من يوسف بالمكان المكين، وكنت آلف إلياس في الأودية وأنا ألقاه الآن، وإني لقيت موسى بن عمران فعلمني من التوراة وقال: إن لقيت عيسى بن مريم فأقرئه مني السلام، وإني لقيت عيسى بن مريم فأقرأته من موسى السلام، وإن عيسى قال لي: إن لقيت محمداً فأقرئه مني السلام، فأرسل رسول الله ﷺ عينيه فبكى، ثم قال: وعلى عيسى السلام ما دامت الدنيا وعليك يا هامة بأدائك الأمانة، قال: يا رسول الله افعل بي ما فعل موسى بن عمران فإنه علمني من التوراة، فعلمه النبي ﷺ «إذا وقعت الواقعة» و«المرسلات» و«عم يتساءلون» و«إذا الشمس كورت» و«المعوذتين» و«قل هو الله أحد» وقال: ارفع إلينا حاجتك يا هامة ولا تدع زيارتنا، قال عمر بن الخطاب فقبض رسول الله ﷺ ولم ينعه إلينا فلسنا ندري أحي أم ميت. انتهى وهو في «أمالي المرشد بالله».

حكاية معاوية والمعمر

من كتاب «أخبار المعمرين من العرب» للإمام أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني البصري حدث أبو الجنيد الضرير عن أشياخه قال: قال معاوية: إني لأحب أن ألقى رجلاً قد أتت عليه سِنٌ، وقد رأى الناس، يخبرنا عما رأى، فقال بعض جلسائه: ذاك رجل بحضرموت فأرسل إليه فأتي به، فقال له: ما اسمك؟ قال: أمد، قال: ابن من؟ قال: ابن أبد، قال: ما أتى عليك من السن؟ قال: ستون وثلاثمائة سنة، قال: كذبت، قال: ثم إن معاوية تشاغل عنه ثم أقبل عليه، فقال: ما اسمك؟ قال: أمد، قال: ابن من؟ قال: ابن أبد، قال: كم أتى عليك من السن؟ قال: ثلاثمائة سنة وستون سنة، قال: أخبرنا عما رأيت من الأزمان، أين زماننا هذا من ذلك؟ قال: وكيف تسأل من تكذب؟ قال: إني ما كذبتك ولكني أحببت أن أعلم كيف عقلك، قال: يوم شبيه بيوم، وليلة شبيهة بليلة، يموت ميت ويولد مولود، فلولا من يموت لم تسعهم الأرض، ولولا من يولد لم يبق أحد على وجه الأرض، قال: فأخبرني هل رأيت هاشماً؟ قال: نعم رأيته طوالاً حسن الوجه إن بين عينيه بركة، أو غرة بركة. قال: فهل رأيت أمية؟ قال: نعم رأيته رجلاً قصيراً أعمى، يقال: إن في وجهه لشراً وشؤماً. قال: أفرأيت محمداً؟ قال: ومن محمد؟ قال: رسول الله ﷺ، قال: ويحك أفلا فخّمته كما فخّمه الله تعالى، فقلت: رسول الله ﷺ؟!، قال: فأخبرني ما كانت صناعتك؟ قال: كنت رجلاً تاجراً، قال: فما بلغت تجارتك؟ قال: كنت لا أشتري عيباً ولا أرد ربحاً، قال معاوية: سلني، قال: أسألك أن تدخلني الجنة، قال: ليس ذلك بيدي ولا أقدر عليه، قال: فأسألك أن ترد علي شبابي، قال: ليس ذلك بيدي ولا أقدر

عليه، قال: لا أرى بيدك شيئاً من أمر الدنيا ولا من أمر الآخرة فردني من حيث جئت بي، قال معاوية: أما هذا فنعم، قال: ثم أقبل معاوية على أصحابه فقال: لقد أصبح هذا زاهداً فيما أنتم فيه راغبون.

حكاية أبي زرعة والمرأة

قال أبو زرعة: رأيت امرأة في الطريق، فقالت: هل لك في الأجر والثواب فتعود مريضاً؟ قلت: نعم، قالت: ادخل داري فدخلتها، فغلقت الأبواب فعلمت مقصودها، فقلت: اللهم سود وجهها فاسود في الحال، فتحيرت وفتحت الأبواب فلما خرجت من عندها قلت: اللهم ردها كما كانت فعادت كما كانت بإذن الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[النمل:٦٢].

الإمام الناصر الأطروش -عليه السلام-

وهو الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف بن علي زين العابدين المتوفى سنة ٣٠٤هـ، وكان جامعاً لعلوم القرآن الكريم ، والكلام، والفقه، والحديث، والأخبار، واللغة، وعلوم الآلة والشعر، له مؤلفات متعددة، خرج إلى سهل الديلم والجيل وعرض الإسلام على من بقي على الكفر والمجوسية، فأسلم على يديه خلق كثير دانوا جميعاً بالإسلام والتوحيد والعدل والدعوة إلى الله تعالى، ولما دخل (آمل) خطب فقال: أيها الناس إني دخلت بلاد الديلم وهم مشركون يعبدون الشجر والحجر ولا يعرفون خالقاً، ولا يدينون

بدين، فلم أزل أدعوهم إلى الإسلام وأتلطف في العطف بهم حتى دخلوا فيه أرسالاً، وأقبلوا عليه إقبالاً، وظهر لهم الحق فعرفوا التوحيد والعدل، فهدى الله بي منهم زهاء مائة ألف رجل وامرأة، فهم الآن يتكلمون في التوحيد والعدل مستبصرين، ويناظرون عليها مجتهدين، ويدعون إليها محتسبين، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون حدود الصلوات المكتوبة والفرائض المفروضات، وفيهم من لو وجد ألف دينار ملقى على الطريق لم يأخذها لنفسه، وينصبه على رأس مزراقة ينشده ويعرفه، ثم قاموا بنصرتي وناصبوا آباءهم وأبناءهم وأكابرهم الحرب في هداي، واتباع أمري في نصرة الحق وأهله، لا يولي أحد منهم من عدوه ولا يعرف غير الإقدام، فلو لقيت منهم ألف جريح لم تر مجروحاً في قفاه وظهره، وإنما جراحاتهم في وجوههم وأقدامهم، يرون الفرار من الزحف إذا كانوا معي كفراً والقتل شهادة وغنماً، ثم قال: وأنتم أيضاً معاشر الرعية فليس عليكم دوني حجاب، ولا على بابي بواب، ولا على رأسي خلق من الزبانية، ولا أتخذ أحداً من أعوان الظلمة، كبيركم أخي، وشابكم ولدي، لا آنس إلا بأهل العلم منكم، ولا أستريح إلا إلى مفاوضتكم، فسلوني عن أمر دينكم وما يعنيكم من العلم وتفسير القرآن، فإنا نحن تراجمته، وأولى الخلق به، وهو الذي قرن بنا وقرنا به، فقال أبي رسول الله ﷺ : «إني مخلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي» والله ولي توفيقكم لرشدكم وحسبي الله وحده وعليه توكلت وإليه أنيب.

وكان -رضي الله عنه- وأرضاه زاهداً ويقول: ليس لي شبرٌ من الأرض ولا يكون إن شاء الله، قوياً في الحق مستمسكاً بقول الرسول ﷺ : «لو أنَّ عبداً قام

ليلهُ وصام نهاره وأنفق ماله في سبيل الله وعبد الله بين الركن والمقام ثم يكون آخر ذلك أن يدعو بين الركن والمقام مظلوماً لما صعد إلى الله من عمله وزن ذرة حتى يظهر المحبة لأولياء الله والعداوة لأعداء الله». ومن شعره : -

شــيخ شرى مهجتــه بالجنــة واســتن مــا كــان أبــوه ســنه
ولم يــزل علــم الكتــاب فنــه يجاهـــد الكفـــار والأظنـــه

بالمـــــشرفيات وبالأســـــنه

وله رضي الله تعالى عليه : -

فخــشيت أن ألقــى الإلــه ومــا أبليــت في أعــدائه عــذري
أو أن أمــوت عــلى الفــراش ضــنا مــوت النــساء أحــن في القــبر
وعلمـــــت أني لا أزاد بمـــــا آتي ويــنقص مــدتي عمــرى
فــشريت للرحمـــن محتــسبــاً نفــساً لــدي عظيمــة القــدر
أجــري إلى غايــات كــل عــلا مـــثلي إلى أمثالهـــا يجـــري
لأنــال رضــوان الإلــه ومـــا فيــه الــشفاء لغلــة الــصدر
في فتيـــة بــــاعوا نفوسهـــم لله بالبـــاقي مـــن الأجـــر
صــبروا عــلى عفــر الخــدود ومــا لاقــوا مــن البأســاء والــضر
يــارب فاحــشر أعظمــي ودمــي مــن بطــن أم فراغــل عفــر
أو ثعلـــب أو جـــوف ثعلبـــة أو قَــضْبِ ذئــبٍ أو معــا نــسرِ

حكاية عن عيسى -عليه السلام-

يروى أنه مر عيسى عليه السلام على قرية خراب فدعا الله تعالى أن ينطقها، له، فأنطقها وقالت: ما تريد يا روح الله؟ قال: كم لك خراباً؟ قالت: أربعة آلاف سنة، قال: كم أهلك؟ قالت: لا أعلم إلا أنه كان فيّ أربعون ألف رجل على اسم رجل واحد، قال: فما سبب هلاكهم؟ قالت: كان لهم صنم من ذهب يخدمه كل يوم ألف رجل، وكل ليلة ألف امرأة، وكان ملكهم يسجد له كل يوم سبع مرات بالنهار، وبالليل كذلك، ويقولون: لا نعرف رباً غيره، فباتوا ليلة عنده في لهو وطرب فخسف الله تعالى بهم الأرض.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٣٧-٤١].

قال المرعشي -رحمه الله تعالى- كنت في مركب في البحر، فكسرت بنا فوقفت أنا وامرأة على لوح فعطشت فسألت الله أن يسقيها، فنزلت علينا سلسلة فيها كوز ماء، فنظرت إلى رجل في الهواء فقلت: كيف جلست في الهواء؟ فقال: تركت هواي لهواه فأجلسني على الهواء.

حكاية راهب

قال ابن الجوزي: رأيت راهباً ضعيفاً فقلت له: أنت عليل؟ قال: نعم قلت: منذ كم؟ قال: منذ عرفت نفسي، فقلت له: تداوى قال: أعياني الدواء ولكن عزمت على الكي، قلت: وما الكي؟ قال: مخالفة الهوى.

الإمام يحيى بن حمزة بن علي الحسيني

كان ممن يخاف الله تعالى ويعصي هواه، عاش إحدى وثمانين سنة، ومات وهو صحيح الحواس كلها ما سقط له سن، ولا ظهرت عليه علامات الشيخوخة إلا بياض لحيته، وكان تلامذته ومريدوه يعجبون من نعومة وجهه وسواد حاجبيه، له فضائل جمة ومؤلفات واسعة، قيل: إنه كان يكتب ويؤلف كل يوم كراساً، ومؤلفاته لا سبيل إلى استقصائها لولم يكن له إلا « الانتصار» ثمانية عشر مجلداً و«التصفية» في علم الطريقة وعدة مؤلفات إلى نيف وخمسين مؤلفاً بعضها عدة مجلدات، وكان كثير العبادة والصوم ويقتات الشعير، ويقول: البر لا يأكله إلا المترفون.

ومن مأثور كلامه: أقول: حق على من كان الموت مصرعه، والتراب مضجعه، والقبر مقره، وبطن الأرض موطنه ومستقره، واللحد ضامه، والدود أنيسه، ونكير ومنكر جليسه، والقيامة موعده، والجنة والنار مورده، لا يزال فكره إلا في الموت وأهواله، ولا همة له إلا في انقطاع العمر وزواله، ولا ذكر له إلا به، ولا فكر إلا فيه، ولا استعداد إلا لأجله، ولا تدبر إلا لوقوعه، ولا تعريج إلا

عليه، ولا اهتمام إلا به، ولا حوم إلا حوله، ولا انتظار إلا لنزوله، ولا تربص إلا لهجومه، وخليق أن يعد نفسه في الموتى ويراها في أصحاب القبور، فكل ما هـو آتٍ قريب، والبعيد ما ليس بآتٍ، ومصداق ذلك ما أثر عـن صـاحب الـشريعة صلوات الله تعالى عليه وآله: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت».

من كلام الإمام الناصر في الشكر

هو الإمام محمد بن علي بن صلاح الدين من رسالة إلى القاضي العلامة عبدالله بن الحسن الدواري يصف عجزه عن أداء الشكر الواجب عليه لله تعالى قال:

الحمد لله رب العالمين أكمل الحمد على كل حال، وهذا وإن كان مـن أنـواع الشكر فهو بالإضافة إلى الشكر الحقيقي غير معدود، ونحن مقصرون عن الشكر الكلي، وهيهات أن نتسنم إلى حضيضه لنكوس الجد، وضعف المريرة، وتلويث القلب، بالشعب الدنيوية، وملابسة الفكرة لأحوال العاجلة، إذ كان الشكر من صفات السالكين، ونحن منهم بمعزل، وهم يقولون: إن الشكر لا ينتظم إلا من ثلاثة أصول: علم، وحال، وعمل، وعلى التحقيق لا حظ لنا فيهـا إلا في واحـد منها، فأما نفثات اللسان في بعض الأحيان، وجنوح الجنان في أوبة مـن الزمـان، فهذا شكر الوكلة، وبضاعة الثكلة، وهو صـنعتنا الغالبـة، وأحوالنـا المتناسـبة، وعسى ولعل فقد ورد في الأثر: « ذنوب المقُربين حـسنات الأبـرار»، ومـا هـذا معناه، وفي بعض الآثار أنه ﷺ قال لرجل: «كيـف أصـبحت؟ قـال: بخـير يـا رسول الله، فأعاد السؤال عليه وأعاد حتى قال في الثالثة: بخير الحمد لله وأشكره

فقال ﷺ : هذا الذي أردت».

وفي بعض حقائق الشكر عن الجنيد -رحمه الله تعالى-: الشكر أن لا ترى نفسك أهلاً للنعمة، ولعلنا قد أخذنا من هذه الحقيقة بنصيب.

ما من عبد أمعن النظر في أحواله إلا رأى من الله نعماً كبيرة تخصه لا يشاركه فيها الناس كافة. وقد ورد في الأثر: إن حياء العبد من تتابع نعم الله عليه، ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر، والاعتذار من قلة الشكر شكر، والاعتراف أن النعمة ابتداءً من الله من غير استحقاق شكر، وحسن التواضع بالنعم والتذلل فيها شكر، وعلى الجملة فأحوالنا ضعيفة، ونفوسنا مهينة، وأمورنا مشوبة عيباً وحكماً، إذ قلوبنا مزابل الشهوات، وملاعب الشيطان، فالله المستعان والله المستعان.

حكاية العافية العافية

عن بعض الصالحين أنه كان يقول كثيراً: العافية العافية فسئل عن ذلك، فقال: كنت حمالاً فحملت يوماً دقيقاً، ثم وضعته لأستريح وكنت أقول: يا رب لو أعطيتني رغيفين بلا تعب، فرأيت رجلين يتخاصمان فأردت الخلاص بينهما، فضرب أحدهما صاحبه فأصاب وجهي، فأخذنا السلطان وجعلنا في السجن، وظن أنّا في الخصومة سواء، فبقيت في السجن مدة، كل يوم أوتى برغيفين، فرأيت في النوم قائلاً يقول: أنت طلبت كل يوم رغيفين بلا تعب ولم تطلب العافية؛ فاستيقظت وأنا أقول العافية العافية، فجاءني شخص فأخرجني من السجن.

الشيخ محمد بن أبي الغيث الرقمي

ذكر في «صلة الإخوان» للإمام يحيى بن المهدي بن قاسم -رضي الله تعالى عنهم-:

الشيخ محمد بن عبدالله بن أبي الغيث الرقيمي -رحمه الله تعالى- وقال: كان عالماً عابداً، مصنفاً مجتهداً، زاهداً ورعاً، متواضعاً متخشعاً، متبتلاً أواهاً منيباً، قطع عمره في طاعة الله تعالى الخالصة النهار صياماً، والليل قياماً، ما ترك صلاة الجماعة خمسين سنة إماماً، شاهدته إذا خرج من بيته لصلاة الفجر يبكي كالثكلى وله خوار، وكان إبراهيم الكينعي -رحمه الله تعالى- بأقواله وأفعاله يقتدي، وبأرائه وعلمه يهتدي، قال الإمام المهدي لدين الله علي بن محمد بن علي: من أحب أن يرى ملكاً يمشي على الأرض فلينظر إلى محمد بن عبدالله الرقيمي، وإلى حاتم بن منصور، وله -رحمه الله تعالى- تصانيف جمة منها: «كتاب تنبيه الراغبين الزاهدين»، و«كتاب التحفة في الأخبار النبوية»، و«كتاب الأدلة من الكتاب والسنة على مراد الله تعالى من خلقه». وله مواعظ شافية، وحكم بالغة موجودة مدونة، نسخ بيده المباركة من ماله خمساً وعشرين ختمة من القرآن العظيم، وكتب أدعية وغيرها، وكان لا يدخر مما فتح الله تعالى عليه إلا لثمانية أيام، وإذا فضل عليه شيء من نفقة الثمان اتخذ مأدبة من اللحم والطعام، ودعا عليه نفراً من إخوانه ومن طلبة العلم، شاهدت ذلك مراراً، وكان له كيس واسع يشتري فيه من السوق فتيت الخبز والجزر، وشيئاً من الزبيب، ويطوف به على منازل الدرسة، وكان يحمل الحطب والكبا على ظهره إلى بيته وبيوت إخوانه، تواضعاً

وتخشعاً لله، وتقرباً بنفع المسلمين، رأيته إذا مشى كأنه راكع من خشية الله، وكان يدخل البيوت، ويعظ النساء، ويخبرهن بالواجب عليهن من الصلاة، والزكاة، وطاعة الأزواج، ويطوف على الأرامل والأيتام، ويقضي مآربهن، حتى صلح من الرجال، والنساء، والصبيان، ببركته خلق كثير في زمانه، وكان إذا حضر في مجمع لم يكن منه فيه إلا وعظاً شافياً، ودعاءً، وتضرعاً، وبكاءً، وتخشعاً، وترك الأقران في آخر زمانه مشتغلاً بالعبادة الخالصة، وقد فاز في العلم والتجارة الرابحة والسعايات الصالحة إن شاء الله تعالى، وتوفي بصنعاء مشكوراً سعيه، باقياً في الصالحين هديه.

قبر قبلي صنعاء بالقرب من قبر فروة بن مسيك صاحب رسول الله ﷺ رحمه الله تعالى وأعاد من بركاته على العارف والسامع والمبلغ آمين.

قال الفقيه الإمام الحسن بن محمد النحوي -رحمه الله تعالى- : ذكر الصالحين وكراماتهم جلاء القلوب القاسية.

وكان هذا الإمام من العلماء الأعلام، وكان يفتي على جميع المذاهب لإحاطته بعلومهم، وكان أشد الناس مودة لآل محمد ﷺ ، وأكثرهم تعظيماً لهم وتوقيراً.

قال السيد العالم يحيى بن المهدي: سمعته -رحمه الله تعالى- يقول: إذا لم يكن في حلقة قراءتنا من أهل البيت أحد اعتقدتها خداجاً ونقصاً، وسمعته يوماً يحكي في مجلس الدرس أنه رأى في المنام أن القيامة قامت وأن الناس في قاع صفصف، وليس راكباً إلا الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة عليه السلام راكباً على فرس بيضاء، ورديفه عليها رجل من المشرق، يعرفه صالح، والإمام يسرع بسير الفرس وهو يقول: لمثل هذا اليوم حسّنا الظن بالناس، لمثل هذا اليوم حسّنا الظن بالناس.

الإمام الحسن بن حمزة بن علي بن محمد الحمزي

الحسني المتوفى سنة ٩٦٠هـ تقريباً، اجتهد ودعا إلى الله تعالى، فلم يجبه إلا القليل، ثم تزهد واشتد عليه الأمر والتقشف حتى ما كان يأكل إلا من ورق الشجر، قال بعض خواصه: كان يرسل بعض بناته تأخذ من الأشجار قوتاً لهم من مسافة بعيدة. وله قصيدة منها:

أشكو إلى الله أن الحق معتزل عند العباد وأن الظلم مطلوب
والشرك مبتذل والدين مختذل والعدل متذل والجور محبوب
وصاحب الإفك والتزوير ممتدح وصاحب الصدق عند الناس مسبوب

وله قصيدة جميلة ضمنها قوله:

إذا كان رأس المال روحك فاحتفظ عليه من الإنفاق في غير واجب
يزهدني في الناس معرفتي بهم وطول اختباري صاحباً بعد صاحب
فلم ترني الأيام خلاً يسرني بواديه إلا سائني في العواقب

طريفة عن الإمام السيوطي

قال السيوطي في «الوسائل إلى معرفة الأوائل»: أول من أمر الشرفاء بالعلامة الخضراء الأشرف شعبان بن حسين سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، وقال في ذلك أبو عبدالله الأندلسي الأعمى:

جعلوا لأبناء الرسول علامة إن العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في وسيم وجوههم يغني الشريف عن الطراز الأخضر

وقال الأديب شمس الدين محمد بن إبراهيم بن بركة الدمشقي :

أطراف تيجانٍ أتت من سندس خضر بأعلام على الأشراف
والأشرف السلطان خصهم بها شرفاً ليفرقهم من الأطراف

ومنه أول من لبس البياض عند الحزن على الميت ملوك المغرب من بني أمية قصدوا لمخالفة بني العباس في لباسهم السواد، وفي ذلك يقول الحسن بن على بن عبدالغني الحصري:-

إذا كان البياض لباس حزن بأندلسٍ فذاك من الصواب
ألم ترني لبست بياض شيبي لأني قد حزنت على الشباب

نقول من كتاب صلة الإخوان

ومن كتاب «صلة الإخوان» في حلية بركة الزمان إبراهيم بن أحمد بن علي بن أحمد الكينعي أعاد الله تعالى من بركاته، ورفع درجاته للسيد العلامة يحيى بن المهدي بن علي الحسيني رضوان الله تعالى عليه قال: روي عن الفضيل بن عياض أنه قال: قراءة آية من كتاب الله تعالى والعمل بها أحب إليَّ من ختم القرآن ألف مرة، وإدخال السرور على المؤمن وقضاء حاجته أحب إليَّ من عبادة العمر كله، وترك الدنيا ورفضها أحب إليَّ من التعبد بعبادة أهل السموات والأرض، وترك دانق من حرام أحب إلَّي من مائة حجة بمال حلال. وعن غيره: ترك فلس من حرام أفضل من مائة ألف كيس يتصدق بها.

قالت عائشة -رضي الله عنها- : إنه ليأتي على آل محمد الشهر ما يختبزون

خبزاً، ولا يطبخون قدراً، وقال علي عليه السلام: جهز رسول الله ﷺ ابنته في خميلة، وقربة، ووسادة من أدم حشوها ليف، وما كان لنا إلا إهاب كبش ننام على ناحيته، وتعجن فاطمة على ناحيته، ومن كتاب للعارف بالله إبراهيم الكينعي إلى صديقه وزميله العارف بالله السيد يحيى بن المهدي من مكة المشرفة: سلام عليك من قلب مشغول، ومن نفس معلول، أحوالي جميلة فوق ما تظنه من سكون قلب، وقرار ودعة، وما طعمت لذة الحياة إلا في مجاورتي هذه المباركة، حالي في مكة كبعض الزيالع، ما بيني وبين أحد معرفة قطعته، إلا هذا السيد محمد وإخوانه وهم قوم عجم أنتفع بهم ولا يضرونني بشيء، والنفس متطلعة لقدومك إلى هذا البيت الشريف وتزور جدك ﷺ وعليكم أجمعين وقد صدر لك محبأ من السيد وكوفية، ومسبحة، وسجادة.

إن كنت تسمع ما أقول وتفعل ... فارحل بنفسك قبل أن يترحلوا

ودع التشاغل بالذنوب وخلها ... حتى متى وإلى متى تتعلل

تلهو وعمرك يضمحل وينقضي ... والظهر منك بما قضيت مثقل

كن كالذي حذر البيات فلم يزل ... في ظلمة الليل الطويل يقلقل

يدعو الإله بذلة وتملق ... وإليه مما قد جنى يتبهل

فغداً يقوم من الحفيرة آمناً ... يعلو النحيب ووجهه يتهلل

إن كان جاهي أخلقته خطيئتي ... فبجاه أحمد راغباً أتوسل

يدنيك منا عن قريب عاجل ... والله يستر أمرنا ويجمل

واعلم يا أخي أن ذكر الله منك من علامة ذكره لك فاستكثر منه، وإن اكتسابك الطاعة من علامة التوفيق فاستكثر منها، ووقوعك في الغفلة وكسب الذنوب علامة الخذلان فاجتنبها، والزهد في الدنيا فيها يريح قلبك وبدنك

فاطلبه، والتوكل على الله شرف الدنيا والآخرة فالزمه، والموت آتٍ غير فائت فأدم ذكره، والدنيا حانوت الشيطان فاخرج منها، والناس فتنة فافزع إلى الخلوة، ويا ليتك يا يحيى تأخذ معنا فيما أنعم الله علينا من نور اليقين، وقرار الدعة، ولذة العيش، وصفوة النعم، من البارئ -عز وجل- فتصب.

وروى تلميذه الفقيه الفاضل علي بن أحمد بن همدان قال: سألت سيدي وشيخي وطريقي إلى الله تعالى: أي البكاء أعظم؟ بكاء الخوف؟ أو بكاء الشوق؟ أو بكاء الفرح؟ أو بكاء المحبة؟ فقال: بكاء الفرح؛ لأنه يكون مقروناً بملاقات المحبوب، وقلت له يوماً: ياسيدي، أي الاسمين أعظم قول العبد الله الله؟ أو قوله: أنت أنت؟ فقال: قوله: أنت أنت ؛ لأن الغيبة على العارف حرام، والحضور مرام، فذكر الحاضر مع مولاه بقلبه، والغائب بعقله.

ومن كلامه لبعض إخوانه: إن العدو غايته أن يأخذ الروح والمال، والشيطان نعوذ بالله منه العدو الأكبر يطلب هلاك الروح والمال والعار والخلود في النار، ودواعي الفسوق، وأنواع العقوق، والكفر والنفاق، ويذود عن مكارم الأخلاق، ويدني الشقاق وسوء الأخلاق، فأيها يا أخي أضر عداوة وأشد مكيدة؟!، فهو الكلْبُ الكَلِب وليس المفزع إلا إلى ربه، والاستعانة به والاستغاثة من شره بربه، والفرار من طريقه والهروب من قربه إن شاء الله تعالى.

في محاسبة النفس

ألجم نفسك بلجام الزهد، وحرفها بعنان التقوى، وأجرها في ميدان الـورع، وسقها بسوط الصبر، وأدخلها اصطبل الخلوة، وأعلفها الجـوع، واسـقها مـاء الدموع، وألبسها الذل والخضوع، واربطها إلى جدار التوكل.

ومن كلامه - رضي الله تعالـى عنه -:

طوبى لمن كان منطقه ذكراً، ونظره اعتباراً، وسكوته فكراً، ووسعه بيته.

ومن الصلة أيضاً: وكتب إلى تلميذه وأحب إخوانه إليه الفقيه قاسم بن عمر الحويلي وهو رجل نشأ على طاعة الله وخوفه، واستصبح بنور علم إبـراهيم بـن أحمد الكينعي وفعله، وخرج مـن مالـه كلـه، وأنفقـه عـلى المـسلمين والفقـراء المحتاجين، ذو بصيرة ودين رصين، وورع متين، يضرب بورعه المثل، ويقتدى به الآن في القول والعمل، وكان إبراهيم الكينعي -رحمه الله تعـالى- يقـف معـه في بيته، ويعتمد في أكثر مهماته عليه، ويقبل بكله إليه، وكان محسناً على يد إبـراهيم إلى كافة الإخوان، وهو بـاقٍ عـلى ذلـك إلى الآن، ممـن يتعـب نفـسه في حـوائج المسلمين، وفقه الله ونفع به وبصالح عمله آمين، وهو ما أولـه: مـن عبـد أسـاء وعصى من ليس بأهل أن يعصى، ذلك الله الملك الأعلى.

السلام عليك يا أخي من قلب إليك مشتاق،وفيه ألم واحـتراق، مـن البعـد عنك ومن خوف يوم التلاق، وماله من الله من واق، يوم يؤخـذ بـالنواصي مـن كان لله عاصي، ما فيه لأحد خلاص إلا الإخلاص لمن نزل سـورة الإخـلاص،

فتأهب للقدوم إلى هذا اليوم الذي يجتمع فيه الخصوم، والله إنه ليوم مشؤوم على كل ظلوم، فإياك وخلطة الناس فإنها تكثر الوسواس، ولا تخالط إلا من كان فيه لله كعبد الله بن راشد وأحمد بن حبيب، واعلم يا أخي أنها صدرت وأنا والله في مسجد في الخلاء بعيد من الملأ، مجاور لأهل البلاء، لعله يحصل للإنسان ملامة من نفسه اللوامة... إلى آخر كلامه.

نقول من «لوامع الأنوار»

وفي «لوامع الأنوار» للإمام الحجة مجد الدين المؤيدي أيده الله تعالى أن محمد بن إبراهيم بن أبي الفتوح الزيدي قال: كنت واقفاً أنا ووالدي إبراهيم ووالدتي وامرأة لأبي في صرح دار نحن فيها ساكنون ببيت حاضر من أعمال صنعاء، وفوق الصرح مخزان مغلق وفوقه سقف آخر، والشمس حامية ولا سحاب في السماء نراه، إذ نبع علينا ماء من وسط الخشبة لامن حولها بل من نفسها، حتى سال من الخلوة إلى الحجرة، ومن الحجرة إلى الدرج؛ فارتعنا وحارت أفكارنا، فهمَّت والدتي أن تصيح بالناس، فقال والدي رحمه الله: اسكتوا لا أحد يعلم بهذا غيري، فقلنا: أخبرنا ولازمناه مدة مديدة نحواً من خمس أو ست سنين، حتى أتيت من شبام من القراءة على الفقيه الإمام أحمد بن علي مرغم، فلقيني والدي إلى قريب من صنعاء، فوقفت معه تحت حجرة في بلاد سنحان فسألته بالله ليخبرني عن ماء الخشبة، فقال: يا ولدي إني ختمت القرآن في تلك الليلة، وسألت الله تعالى إن كان راضياً علي وراضياً بفعلي واعتقاداتي أن يريني آية باهرة أزداد بها يقيناً وتكون بشارة، فخرج الماء من الخشبة، وأنا أشهد

لكم بهذه الشهادة عن أبي وعن مشاهدة الماء يخرج من نفس الخشبة، قال: فقلت له: يا أبة كيف اعتقاداتك أعتقد بها؟ فقال: يا ولدي كما قيل:

لو شق قلبي لبدا وسطه سطران قد خطا بلا كاتب

العدل والتوحيد في جانبٍ وحب أهل البيت في جانب

إن كنت فيما قلته كاذباً فلعنة الله على الكاذب

قال إمام العبَّاد وسيد الزهاد الولي الرباني إبراهيم بن أحمد الكينعي قدس الله سره: إنَّ العامل الزاهد حاتم بن منصور الحملاني صلى بالجماعة إماماً زهاء أربعين سنة ماترك صلاة واحدة يعلمها، ولا مدة الأربعين سجد لسهوه إلا ست مرات، وما يدع البكاء في الصلوات الجهرية والمخافتة، وما يترك صلاة التسبيح في اليوم في وقت الضحى، ولا في الليلة مرة حتى لقي الله تعالى.

وفي «صلة الإخوان»: أنه كان -رحمه الله- قد براه الخوف، وأنحلته العبادة، حتى كان يُرَى كالشن من الخوف والبكاء، ما رؤي على رأسه عمامة قط، وكان يلبس الثوب إلى نصف ساقه، ولا يسدل الثوب في صلواته، إلى أن قال: وكان محلقاً[1] وشيخ أهل زمانه في أصول الدين، وأصول الفقه، وله موضوعات ومسائل فقه مروية، وأنظار واجتهاد، فعراه الخوف واشتغل بالعبادة وقد أخذ منه بالنصيب الأوفر إن شاء الله تعالى، وكان لا يدخر شيئاً حتى ليومه، بل يؤثر به إخوانه، ويواسي بما فتح الله له أهل الفاقة من المسلمين، وكان يدّان المئين والألوف من الدراهم والدنانير في تزويج الفقراء من درسته وإخوانه ومن شكا عليه العنت، وما خلَّف شيئاً من متاع الدنيا إلا ثوباً وكوفية ونعلاً، وكان تحته

---

(١) لعل الصواب محققاً.

بساط خلق، وفروة عارية، وتولى قضاء ديونه وتحمل مشقة أطفاله ولده الفقيه الزاهد الفاضل محمد بن حاتم بن منصور.

وروى لي ولده هذا أن تاجراً من أهل صنعاء وكان صالحاً تقياً جاءه ليودعه وهو يريد التجارة إلى مصر، فقال له حاتم -رحمه الله تعالى-: يا فلان لو خيرت بين أن أحوز هذا الذي شغلك أو أكون أعمى وأصماً لاخترت العمى والصمم.

وكان لا تأخذه في الله لومة لائم، جاءه يوماً أمير صنعاء وملكها معتذراً في حد سارق وجده أخذ على أخ من إخوانه ثوباً في الليل، فسلم على الفقيه وأراد تقبيل يده، فانزوى عنه الفقيه وعن مس يده كأنَّها ثعبان فقال: يا سيدنا فعلنا كذا بهذا السارق وصنعنا، فقال له الفقيه أعاد الله من بركاته: يا عبدالله هذا السارق يأخذ الناس بالليل وأنت تأخذهم بالنهار، فبهت ذلك الأمير، وولى منكسر القلب مسود الوجه.

وتوفي -رضوان الله تعالى عليه- وقبره بصنعاء، وبجانبه جماعة من الأولياء منهم السيد الإمام المهدي قاسم بن مطهر بن أحمد بن أبي طالب الزيدي الحسيني، والولي الزاهد سعيد بن منصور الحجي، والفقيه الإمام إبراهيم بن علي العراري، والسيد الإمام الحسن بن المهدي بن الهادي، والفقيه العلامة العابد محمد بن علي الأعقم الآنسي، والعلامة محمد بن زيد بن ذاعر، والمقري العابد الأكمل عمر بن أحمد الشرفي، والفقيه العالم يحيى بن محمد التهامي، والفاضلان ذوي التقوى واليقين راشد بن محمد بن نشيب وولده عبدالله بن راشد، وغيرهم رضوان الله تعالى وسلامه عليهم.

وقد رثاه السيد الإمام عبدالله بن محمد بن الإمام يحيى بن حمزة بن علي الحسيني بقوله :

عمَّـــت فواضـــله فعـــم مـــصابه　　والنـــاس فيـــه كلهـــم مـــأجور

والنـــاس مـــأتمهم عليـــه واحـــد　　في كـــــل دار رنـــــة وزفـــــير

قال الإمام علي بن محمد بن علي: من أحب أن يرى ملكاً يمشي عـلى الأرض فلينظر إلى محمد بن عبد الله الرقمي، وإلى حاتم بن منصور.

قال مولانا شيخ الإسلام في «لوامع الأنوار»:

كان إبراهيم الكينعي يحب أهل البيت محبة ظاهرة، لا يتقـدمهم في قـول ولا عمل، ويقول: يهنيكم يا آل محمد الشرف العلي في الدنيا والآخرة.

وأروي عنه خبراً بسنده إلى رسول الله ﷺ : «لا تزول قدم عبد على الصراط حتى يسأله الله عن أربع: شبابه فيمَ أبلاه؟ وعمـره فِـيْمَ أفنـاه؟ ومالـه مـن أيـن اكتسبه؟ وفيمَ وضعه؟ وعن حبنا أهل البيت». انتهى.

ومن «الصلة» أنه قال يوماً لبعض خواصه المريـدين: يـا عبـدالله، كـل شيء شغلك عن الله فهو عليك مشؤوم.

ومن «الصلة» للعارف بالله إبراهيم بن أحمـد الكينعـي -رضي الله عنـه- إلى تلميذه غذي حكمته وعلمه الفقيه الفاضل أحمد بن علي ابن أبي الغيث النونـو، وكان من أهل الدنيا وذوي الثروة والترف فيها، رأى إبراهيم الكينعي فزهد فيها وعف، وعلى عوارف شيخه عكـف، وهـو حـدث الـسن، فخالطـه الخـوف، وأشرب قلبه حب الله والدار الآخرة، واقتدى بأحوال شيخه إبـراهيم وأقوالـه وأفعاله، وهو من فضلاء وقته، وعباد دهره، يـستمنح منـه الـدعاء والبركـات، ويقتدي به في الباقيات الصالحات، فكتب لـه هـذا الكتـاب ليكـون لـه إمامـاً، ولدواعي شهوته زماماً وهو:-

حسبي ربي، وصل يا رب على محمد وعلى آله وسلم يا كريم

إن العبد إذا ألزم نفسه الوظائف، وكان من الله خائفاً، حصل له من الله لطائف، اللهم اغفر لإبراهيم، قل يا أحمد: آمين.

روي عن النبيﷺ أنه قال: «ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم منادٍ من السماء قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات».

وعن أبي هريرة قال: قال رسول اللهﷺ : «إن في الجنة عمداً من ياقوت أخضر، عليها غرف من الزبرجد الأخضر، عليها أبواب مفتحة قيل: يا رسول الله من ساكنها ؟ قال : المتلاقون، المتصافحون، المتحابون في الله -عز وجل-».

وعنهﷺ : يقول الله -عز وجل-: «يا أيها الشاب التارك شهوته من أجلي أنت عندي كملائكتي، وجبت محبتي لمن يجالس فيّ، وجبت محبتي لمن يزاور فيّ، وجبت محبتي لمن يباذل فيّ، من اشتغل بذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، ما أنصفني ابن آدم يدعوني فأستجيب له، ويعصيني فلا يستحي مني، فضل كلامي على غيره كفضلي على خلقي».

وعن أبي الدرداء عنهﷺ : «إن الرجل ليعلق بالرجل يوم القيامة، فيقول: بيني وبينك الله، فيقول: ما أعرفك، فيقول: بلى أنا أعرفك، ألا تعرف يوم كذا مررت بحائطي فأخذت منه تبنة فتخللت بها، ثم رميت بها، أنا اليوم محتاج إلى منفعتها ردها علي».

وكان بعضهم يبكي ويقول: أخشى أن أكون مثل بكر ذهبت بكارتها، فإذا زفت إلى الزوج فرح الناس بها وهي حزينة لما تعرف من نفسها، فإن سترها

زوجها فالحياء منه أبداً، وإن فضحها فالويل العظيم.

وروي عن إبراهيم بن أدهم أنه رأى رجلاً يحدث الناس بشيء من الدنيا فوقف عليه فقال: هذا كلام ترجو فيه الثواب؟ فقال الرجل: لا، قال: فتأمن فيه من العقاب؟ فقال الرجل: لا، فقال: ما تصنع بكلام لا ترجو فيه ثواباً، ولا تأمن عليه عقابا؟ عليك بذكر الله.

وعنه ﷺ: «إن العامل بالحسنة يحتاج إلى خوف أربعة أشياء:-

أولها: الخوف ألاَّ تقبل منه لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧].

الثاني: أن لا يخلص إلى عمله، بل يشاب بالرياء ونحوه لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البينة:٥].

الثالث: الخوف من أن يكون عليه من المعاصي ما يبطلها، أو من الحقوق ما يستغرق ثوابها.

الرابع: الخوف من إحباطها بعمل المعصية بعدها والخاتمة السوء». نسأل الله أن يكفيناها.

[قلت: ولعله من كلام أمير المؤمنين عليه السلام]

وقال رسول الله ﷺ: «من ترك ثياب جمال وهو قادر عليها تواضعاً لله -جل ثناؤه- كساه الله حلة الكرامة».

قيل: إنه دخل على ابن سيرين نصرانيان، فلما خرجا من عنده قال: لولا أن تكون غيبة لأخبرت أيهما أطيب.

ذكر بعض من اشتهر من مشائخ القراء والعلماء الضريرين

عن أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله -عز وجل- قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة» والحديث في البخاري وفي الترمذي قال: قال رسول الله ﷺ : «يقول الله -عز وجل-: إذا أخذت كريمتي عبدي في الدنيا لم يكن له جزاء عندي إلا الجنة». وفي رواية له: «من أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثواباً دون الجنة».

وهذه مجموعة من مشائخ القراء الضريرين العلماء الذين منَّ الله -سبحانه وتعالى-عليهم بهذا الوعد الصادق الكريم، وهم بجامع صنعاء الكبير، وبجامع الروضة، وصعدة، وحوث، وغيرها، بالقرن الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، نقلنا ما ذكره زبارة بكتابه أئمة اليمن القسم الثاني، وأضفنا عليه تشرفاً بذكرهم بعض من نعرف أو نسمع عنهم، سائلين الله العزيز القدير أن يرزقنا شفاعة ما حملوه وشفاعتهم، فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم:

- منهم السيد العلامة الإمام محمد بن إسماعيل عشيش الحوثي الحسيني.
- والسيد العلامة الضرير عبدالله بن أحمد المؤيدي العنثري بصعدة.
- والحافظ المحدث المقريء التقي المعمرعلي بن أحمد بن عبدالرحمن السدمي.
- ومنهم الفقيه العلامة الضرير أحمد بن ناصر الخولاني الصنعاني.
- والسيد العلامة الإمام الحافظ الضرير يحيى بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الكبسي الحسني الروضي.

- والسيد العلامة المقريء الضرير علي بن عبدالله بن يحيى بن محسن الطائفي الحسني.
- والفقيه المقريء الضرير أحمد بن حسن الطرماح السنحاني.
- الفقيه العلامة المقريء الضرير حسين بن مبارك الغيثي.
- الفقيه العلامة المقريء الضرير محمد يحيى علي الجنداري.
- الفقيه العلامة المقريء الضرير يحيى بن هادي الشرفي الآنسي.
- الفقيه العلامة المقريء الضرير علي بن سعيد عمر الصنعاني.
- الفقيه المقريء الضرير محسن بن أحمد الزنجي الصنعاني.
- الفقيه المقريء الضرير محمد بن لطف الخليلي الصنعاني.
- الفقيه المقريء الضرير عبد الله بن أحمد شوكان الصنعاني.
- الفقيه المقريء الضرير أحمد بن صالح الحاضري الصنعاني.
- الفقيه المقريء الضرير حسن بن لطف السنحاني.
- الفقيه المقريء الضرير علي بن حسن الغفراني الصنعاني.
- الفقيه المقريء الضرير حمزة بن عبدالله القطاع البهلولي.
- الفقيه المقريء الضرير علي بن هادي اللوذعي السنحاني ثم الصنعاني.
- القاضي المقريء الضرير عبدالله بن علي العنسي البرطي من أهل هجرة السوادة.
- العلامة الضرير المرشد الداعية الواعية عمر عبدالرحمن المصري المعتقل بأمريكا فرج الله تعالى عنه.

- العلامة الضرير محسن العبدي بحوث.
- السيد العلامة الضرير زيد بن علي عشيش الحوثي الحسيني.

هُمُ ما همُ حازوا من الفضل منة ... تقاصر عن إدراكها ذو النجائب
وعاشوا جميعاً بين تال وسامع ... ودرس علوم هن أسنى الرغائب
وباتوا قياماً في الليالي كأنما ... يقينهم يبدي لهم كل غائب
وخوف إله العالمين شعارهم ... وزهد بهم لم يحوه أيٍ راهب

- وممن فقدوا نظرهم من أئمتنا الإمام الأواه المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليه السلام.
- والإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين، وغيرهم عليهم السلام.
- ومن الصحابة الأكرمين - رضي الله تعالى عنهم - جابر بن عبد الله وعبدالله بن العباس وهو القائل:

إن يأخذ الله من عيني نورهما ... ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخلٍ ... وفي فمي صارم كالسيف مأثور

الحزب الأعظم

هذا الحزب الأعظم، كثير الفائدة والعائدة والفضل، وله شرح طويل أخرجه مولانا شيخ الإسلام والمسلمين، مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي أيدَّه الله تعالى بألطافه في ««لوامع الأنوار»»، نقلاً عن كتاب «صلة الإخوان» للسيد

العلامة الإمام يحيى بن المهدي الحسيني الزيدي نسباً ومذهباً، عن الإمام الكبير الزاهد العابد إبراهيم بن أحمد الكينعي، قال مولانا شيخ الإسلام وقد ساق هذا الحزب الكريم في «طبقات الزيدية»، وهو من الذخائر التي يحق أن يحوزها أولو البصائر، يقرأ بعد كل صلاة وسننها، وهو على وضوء جالساً متربعاً مستقبل القبلة، واضعاً راحتيه على فخذيه، وإن كانوا جماعة احتلقوا حلقةَ ذكرٍ فيقرأ:

سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فضلاً من الله ونعمة، شكراً من الله ورحمة، الحمد لله على التوفيق، ونستغفر الله من كل تقصير، غفرانك ربنا وإليك المصير، سبحان الله العلي الأعلى الوهاب، سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، سبحانك ما عرفناك حق معرفتك، سبحانك ما قدرناك حق قدرك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير وإليه المصير، لا إله إلا الله الملك الحق المبين، لا إله إلا الله الملك الحق المبين، لا إله إلا الله الملك الحق المبين، لا إله إلا الله أرحم الراحمين، لا إله إلا الله أكرم الأكرمين، لا إله إلا الله حبيب التوابين، لا إله إلا الله غياث المستغيثين، لا إله إلا الله الملك الجبار المبين، لا إله إلا الله الواحد القهار، لا إله إلا الله الحليم الستَّار، لا إله إلا الله العزيز الغفَّار، لا إله إلا الله أبداً حقاً حقاً، لا إله إلا الله إيماناً وصدقاً، لا إله إلا الله تلطفاً ورفقاً، لا إله إلا الله تعبداً ورقاً، لا إله إلا الله قبل كل شيء، لا إله إلا الله بعد كل شيء، لا إله إلا الله يبقى ربنا ويفنى كل شيء، لا إله إلا الله المعبود بكل مكان، لا إله إلا الله المذكور بكل

لسان، لا إله إلا الله المعروف بالإحسان، لا إله إلا الله وحده صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، ولا شيء بعده، لا إله إلا الله، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، حسبنا الله ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير.

فإذا فرغ من الحزب كرر قول: (لا إله إلا الله) يشدد بالقول لفظ الإثبات (إلاّ الله) من مائة إلى مائتين إلى ثلاثمائة إلى أَربعمائة إلى الخمس مائة، إلى الألف إلى أكثر من ذلك، فإنه يرى العجائب والأنوار، والأسرار، والأفكار، إن شاء الله لأن قول لا إله إلا الله ترفع الحجب.

الإمام يحيى في دست ملكه

كان الإمام يحيى بن محمد حميد الدين في دست ملكه بين وزرائه، وكتبته، وخاصته، وقد صفا له الزمان، وكان في المجلس السيد الشاعر يحيى بن الهادي فاستأذن على الإمام السيد العلامة أبو دنيا فدخل وسلم وأخذ مقعده، فأشار الإمام إلى الشاعر أن يأتي بشعر ارتجالاً يتناسب مع دخول أبي دنيا فقال بديهة:

هي الدنيا فلا تستعذبوها ... وإن تعد الوصال فكذبوها
غرور لا يمال إلى هواها ... وإن كذبتموني جربوها
ولست بآمن الدنيا وعنها ... يحذرني غوايلها أبوها

وأشار إلى أبي دنيا فكبر من في المجلس، واستحسنوا ذلك لأنها كانت كنذير بتقلب الدنيا، أما الإمام فقد وضع كم قميصه على وجهه باكياً ومنتحباً.

وشرب الإمام ذات يوم شربة باردة فحمد الله تعالى، وقال: نعمة الماء نعمة... وأشار إلى القاضي العلامة مطهر الغشم أن يتممه فقال:

لا تكافئها النعم
فارتشفها على الظمأ وأعطها شكرها الأتم

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾.

في الثلاثينات سنة ١٣٣٠هـ تقريباً حكي أن رجلاً من بُرَدُّون الحدا قرية قريبة من صنعاء توفي وترك أولاداً ذكوراً وإناثاً ضعفاء، فأعوزوا ولحقتهم الفاقة، والفقر، والجوع، فعاشوا على الصدقة وقليل الراحمون، فذات يوم دخلوا حديقة أعناب وفواكه فرسك ورمان وغيره لأحد أهلها فتسلق أولئك الأيتام جدار الحديقة وأخذوا يأكلون ويملؤون جيوبهم، فشعر بهم صاحب الحديقة وهاجمهم، وأخذ ما في جيوبهم وأوسعهم ضرباً مبرحاً، فأخرجهم هاربين وهم يبكون لا ناصر لهم ولا مغيث إلا الله تعالى، فكوّن الله تعالى في الحال سحابة في الأفق مثل الجرادة، فنمت في لحظات قليلة، وغيمت واسود لونها، وأمطرت على تلك الحديقة خاصة كأفواه القرب، فخرج صاحبها هارباً إلى خارجها فاقتلع ذلك المطر الجدران والأحجار، والأعرام، واقتلع الأشجار من عروقها، واجتث ترابها حتى أظهر الصفا من تحت، وصاحبها ينظر متحيراً مبهوتاً، ناعياً نفسه وماله، وندم حين لا ينفع الندم وقال: هذه عقوبة الأيتام الذين ضربتهم وأخذت ما في جيوبهم، وتكبرت عليهم.

وما من يدٍ إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سيبلى بظالم

حكاية عن الشريف حسين

حكاية عن الشريف حسين بن ربيع الله بن محمد دكام أن رجلاً من الصالحين حج بيت الله الحرام، وزار النبي ﷺ وانقطع عليه المصروف بالمدينة المنورة فتحير في أمره، وبينما هو في الروضة الشريفة يفكر ويدعو الله تعالى في فك تلك العسرة، إذ نعس فرأى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله مصروفي انقطع، فقال رسول الله ﷺ: اذهب إلى الحاج ناصر الهجري وبلغه السلام، وقل له يعطيك عشرة ريال، والأمارة أنه يصلي عليَّ كل يوم مائة مرة، ثم استيقظ وهيأ الله تعالى له قرضة من جماعته، فلما وصل اليمن صعدة ذهب إلى الحاج ناصر الهجري وهو بياع مشتري في دكانه، فسلم عليه وبلغه سلام رسول الله ﷺ وكلامه، والأمارة فرد السلام وصلى على النبي ﷺ وسكت وقام وأغلق باب الدكان ذاهباً إلى بيته، ثم كلمه مرة ثانية فرد السلام وصلى على النبي ﷺ وسكت، ومشى معه ثم كلمه في باب البيت فرد السلام وصلى على النبي ﷺ فقال له: انتظر حتى آتيك ودخل البيت ثم خرج، وقال: وعلى رسول الله ﷺ الصلاة والسلام وأعطاه ثلاثين ريالاً لكل كلمة بها عشرة ريال، وقال: لو زدت لزدت لك. قلت: والريال في تلك الأيام له قيمته.

حكاية عن الحسن السبط -عليه السلام-

روي أن الإمام الحسن السبط عليه السلام رأى النبي ﷺ يوماً في منامه، فشكا إليه حاله قائلاً: كيف أصنع يا رسول الله؟ فقال له ﷺ : قل اللهم اقذف في قلبي رجاءك، واقطع رجائي عمن سواك، حتى لا أرجو أحداً غيرك، اللهم ما

ضعفت عنه قوتي، وقصر عنه عملي، ولم تنته إليه رغبتي، ولم تبلغه مسألتي، ولم يجر على لساني، مما أعطيت أحداً من الأولين والآخرين من اليقين، فخصني بمثله يا أرحم الراحمين، قال: فوالله ما أنجحت فيه أسبوعاً حتى فرج الله كربي، وأزال همي، وأقال عثرتي، فقلت: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يخيب من دعاه، فرأيت النبي صلى الله عليه وآله في المنام، فقال: يا حسن كيف أنت؟ فقلت: بخير يا رسول الله، وحدثته بحديثي، فقال: يا بني هكذا من رجا الخالق ولم يرج المخلوق. انتهى.

حكاية عن الإمام زيد بن علي

من «تيسير المطالب» عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال: مات لعمي زيد بن علي عليهما السلام ابن فكتب إليه بعض إخوانه يعزيه، فلما قرأ الكتاب قلبه وكتب على ظهره أما بعد، فإنا أموات أبناء أموات آباء أموات، فيا عجباً من ميت يعزي ميتاً عن ميت.

الإمام النفس الزكية وأخوه إبراهيم ابنا عبدالله

من «أمالي الإمام أبي طالب» عن أرطأة بن حبيب الأسدي، قال: قيل لإبراهيم بن أبي يحيى المدني قد رأيت محمداً وإبراهيم ابني عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام فأيها كان أفضل؟ قال إبراهيم بن أبي يحيى: والله لقد كانا فاضلين، فاطميين، شريفين، كريمين، عابدين، عالمين، زاهدين، وقد كان إبراهيم يقدم أخاه محمداً عليه السلام ويفضله، وكان محمداً عليه السلام يعرف لإبراهيم فضله، وقد مضيا شهيدين صلوات الله عليهما.

في الخشوع والعبادة

قال بعض إخوان العارف بالله إبراهيم الكينعي رضوان الله تعالى عليه له: يا سيدي إن في قلبي قسوة، وإذا دخلت في الصلاة كأني في السوق لاأعقل ما أصلي، فقال له -رحمه الله تعالى-: يا فلان تعوذ بالله من الشقاوة أليس الله يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون:١، ٢] ولم يقل غافلون، وقال ﷺ : «ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت، وإن أحدكم ليكتب له من صلاته ربعها، أو خمسها، أو سدسها، أو عشرها، يكتب له ما عقل لا ما عنه غفل» لكن خالطك داءان عظيمان.

أحدهما: اشتغالك بالدنيا وفضلاتها وفضولها، فتأتي إلى الصلاة بعد هذا الشغل وتجعل صلاتك كقدح الراكب، كما روي عن بعض الصالحين قال لإخوانه: أراكم تجعلون عمل الدنيا مقدماً موقراً، وعمل الآخرة منقوصاً مؤخراً، وقد قيل: من سها في وضوئه سها في صلاته، وإذا لم تهب الملك الذي تقدم عليه وتطلب رفده وتناجيه بقلب حاضر مقتك. المصلي يقرع باب الله، وهو بساط الله، والله مطلع على حركاته وسكناته وضمير قلبه ولمحات طرفه، عجبت لغافلٍ غير مغفول عنه.

الداء الثاني: تأتي إلى الصلاة وبطنك شابع ولست بجائع، وقد قال ﷺ: «من ملأ بطنه من الطعام فقد الخشوع» ولهذا قال النبي داود عليه السلام : لأن أترك من عشائي لقمة أحب إلي من قيام عشرين ليلة.

يا فلان مثل القلب مثل الجوهرة الشفافة، فإذا أضيف إليه ما يوافقه من

الخشن القليل كان له كالصقال، وإذا أضيف إليه الدسم والزهم والكضة وسددت عليه الحواس أبى أن يعقل ويصقل، وبالله يشتغل، هيهات ..هيهات، أما سمعت أمير المؤمنين علياً -كرم الله وجهه في الجنة- يقول: العبادة حرفة آلتها المجاعة. وقال النبي ﷺ : «لكل شيء باب وباب العبادة الصوم» وقال ﷺ: «ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه» وقال: «ما شبع محمد وآل محمد من طعام حتى لقي الله تعالى» وقال: «إن من كان قبلكم يبعرون بعراً وأنتم تثلطون ثلطاً، فأتبعوا الحجارة الماء» وقال ﷺ : «لخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك» ونوم الصائم عبادة، وصمته تسبيح، وعمله مضاعف، ودعاؤه مستجاب، أما سمعت ما قال العالم للوافد عليهما السلام لما سأله عن الخشوع؟

قال العالم: أكثر من الصيام تَسْلم من الآثام، أقل من الطعام تشتق إلى القيام، وتخشع جوارحك للعزيز العَّلام، من شبع من الطعام غلب عليه المنام، وقعد عن القيام. الشبع يظلم الروح، ويترك القلب مقروحاً، الشابع يفقد الخشوع، ويذهب عنه الخضوع، ويحرص بعد القنوع. الجائع عفيف خفيف، والشابع عاكف على الكنيف، الشبع يصيب منه الوجع، ويذهب الورع، ويكثر الطمع، الصوم في الفؤاد نور، وفي المعاد سرور، كم طاعة نبغت عن مجاعة، وكم من جوعة أتت بخير بضاعة، يا فلان الجهاد الجهاد، فما سمي المحراب محراباً إلا أنه موضع حرب النفس والشيطان، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩] فالنفس لا تنقاد إلا بالرياضة التامة مع روّاض حذيق، وقال بعضهم: معاشر المريدين لا تأكلوا كثيراً، وتشربوا كثيراً، وتحسدوا كثيراً، وقال بعضهم: النفس تطلب يوماً تسهل فيه الطاعة وذلك يوم لم يخلقه الله، وقال بعضهم: ما شبعت يوماً قط إلا عصيت أو هممت، أو تعرف يا فلان كيف

نية الصوم ؟ أما سمعت ما قال الجنيد –رحمه الله تعالى–: يجعل أحدكم ما بينه وبين الله مخلاة من الطعام، ويريد أن يجد حلاوة المناجاة هيهات!!. قال: صف وبالله التوفيق، قال: نية الصوم الإمساك عن المطعومات ليميت به دواعي الشهوات، ويحفظ به جوارحه الست التي هي كالسباع في الوثبات، يغض بصره، ويحفظ سمعه، ويحبس لسانه لأنه الكلب العقور من الغيبة والنميمة، وإيذاء المسلم، ويحفظ قلبه من الأشر، والبطر، والرياء، والسمعة، والتزين للخلق، والمباهات، والترفع، والازدراء بالمسلمين، والحسد، والحقد، ويحفظ يديه ورجليه وبطنه عن تناول الحرام والشبهة، ويستحب له أن يصبح كحيلاً دهيناً ليبعد عن الرياء، لأن ذبول الشفاة وإسراج العيون يعتري الصائم، وبإظهار ذلك ومحبة ذكره يكون رياء، فيجتهد في إخفاء ذلك وقال بعض العارفين الراسخين: أَخف حسناتك كما تخفي سيئاتك.

فلما انتهى كلامه لأخيه انتحب بالبكاء طويلاً، ثم مد يده وابتهل إلى الله تعالى، وقال: إلهي قد ضمنت لصاحب المصيبة في الدنيا العوض والثواب، فإن رددت علينا أعمالنا لعدم الإخلاص لوجهك، وكما ينبغي لك فلا تحرمنا أجر مصيبة الرد والطرد، يا معروفاً بالمعروف، يا ذا الجلال والإكرام، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

حكاية عن زين العابدين –عليه السلام–

من «تيسير المطالب» بسنده إلى أبي جعفر محمد الباقر بن علي، قال: كان أبي علي بن الحسين عليه السلام إذا حضرت الصلاة يقشعر جلده، ويصفر لونه، وترتعد فرائصه، ويقف تحت السماء ودموعه تسيل على خديه، ويقول: لو علم العبد من

يناجي ما انفتل. ولقد برز يوماً إلى الصحراء فتبعه مولى له فوجده قد سجد على حجارة خشنة، قال مولاه: فوقفت وأنا أسمع شهيقه وبكاءه، قال: فأحصيت ألف مرة وهو يقول: لا إله إلا الله حقاً حقاً، لا إله إلا الله تعبداً ورقاً، لا إله إلا الله إيماناً وصدقاً، ثم رفع رأسه من سجوده وإن لحيته ووجهه قد غمر بالماء من دموع عينيه، فقال له مولاه: يا سيدي أما آن لحزنك أن ينقضي؟ ولبكائك أن يقلَّ؟ فقال له: ويحك إن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام كان نبياً ابن نبي ابن نبي له أحد عشر ابناً، فغيب الله عنه واحداً منهم، فشاب رأسه من الحزن، واحدودب ظهره من الغم، وذهب بصره من البكاء، وابنه حي في دار الدنيا، وأنا رأيت أبي وأخي وسبعة عشر من أهلي مقتولين صرعى ؛ فكيف ينقضي حزني ويقل بكائي، انتهى.

حكاية عن شيخ آل محمد

اعتمرت مع سيدي العالم بحر العلوم شيخ آل محمد مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي في شهر محرم الحرام عام ١٣٩١هـ، ولما وصلنا موقف السيارات إلى مكة المكرمة لننظر سيارة أنشد هذه الأبيات:

عصيت الهوى قدماً صغيراً وعند أن
رماني زماني بالمشيب وبالكبر
أطعت الهوى عكس القضية ليتني
ولدت كبيراً ثم عدت إلى الصغر

فقلت: لمن هذان البيتان؟ فقال : لابن مالك، ولما اطلع عليها ابنه قال:

أبي قـال قـولاً شـاع في البـدو والحـضر
وحـث عـلى الإحـسان حقـا ومـا قـصر
هنيئـــا لـــه إذ لم يكـــن مثـــل ابنـــه
أطـــاع الهـــوى في الحـــالتين ومـــا اعتـــبر

فلما اطلع عليها الزمخشري صاحب الكشاف قال:

ومـا قالـه الـشيخان يـا صـاح إنـما ... يريدان هـضم الـنفس يـامن لـه النظـر
وإلا فذاك الوصـف وصـفي حقيقـة ... فخذ مـن كلامـي مـا أفـاد مـن الخـبر

فكتبت الجميع في مذكرتي، وخطر على البال هذان البيتان، استحسنتها هنـا لمـوعظتي وإن لم تـأت بكامـل حقيقتـي، وبنيـات سريـرتي، عـلى ركـة في اللفظ والمعنى:

وقفت على قول ابـن مالـك وابنـه ... ومحمودهم فـيما أفـادوا مـن العـبر
فلـم أر ذاك الوصـف إلا لقاسـم ... حليـف هـواه في الحداثـة والكـبر

حكاية عن إبراهيم بن أدهم -رضي الله عنه-

عن إبراهيم بن أدهم -رضي الله عنه- مرض بعض العباد فدخلنا عليه نعوده فجعل يتأسف فقلت : على ماذا أنت تتأسف؟ فقـال : عـلى ليلـة نمتهـا، ويـوم أفطرته، وساعة غفلت فيها عن ذكر الله تعالى .

وبكى بعض العباد عند موته فسئل عن ذلك، فقـال : أبكـي عـلى أن يـصوم الصائمون ولست فيهم، ويـذكر الـذاكرون ولـست فـيهم، ويـصلي المـصلون ولست معهم.

حكاية عن مدينة ملكها سبعة من الملوك باد ملكهم

روي أنَّ الاسكندر مر في سفره بمدينة قد ملكها سبعة من الملوك وبادوا جميعهم، فقال : هل بقي من نسل هؤلاء أحد؟ قالوا : نعم بقي رجل وهو في المقابر لا يسكن لأحد، ولا يأنس إلا بالواحد الفرد الصمد، فقال لهم : دلوني على مكانه، فدلوه عليه، فلما أتاه رأى رجلاً قد أنحلته العبادة، وأذابه الخوف، فسلم عليه ذو القرنين عليه السلام فقال ذو القرنين : يا هذا ما حملك على لزوم المقابر؟ فأطرق إلى الأرض ثم رفع رأسه وقال : أردت أن أعزل عظام الملوك عن عظام عبيدهم فلم أقدر على ذلك، فقال له الاسكندر: هل لك أن تتبعني فأحيي بك شرف آبائك إن كانت لك همة، فقال : إن همتي لعلية إن كانت بغيتي عندك، قال : وما بغيتك ؟

قال : أبغي حياة لا موت بعدها، وشباباً لا هرم بعده، وغنى لا فقر بعده، قال ذو القرنين : لا أقدر على ذلك، قال: فامض لشأنك ودعني أطلب ذلك ممن هو عليه أقدر، وله أملك، فإن الدنيا قد ذهبت، والآخرة قد قربت، والسفر بعيد، وليس معي زاد، والرقاد طويل، وأنا على غير مهاد.

قلت: ولله دره فلقد قدر الدنيا حق قدرها، وطلب السعادة الأبدية، والراحة السرمدية، ولله القائل :

سلام على أهل القبور الدوارس ... كأنكم لم تجلسوا في المجالس

ولم تشربوا من بارد الماء شربة ... ولم تأكلوا من بين رطب ويابس

ألا خبروني أين قبر فقيركم ... وأين الغني الباذخ المتشاوس

حكاية البطريق الذي جاء رسولا من ملك الروم

وهذه حكاية البطريق الذي جاء رسولاً من ملك الروم ومعه أسئلة وهدية إلى رسول الله ﷺ فوجد رسول الله ﷺ قد مات، فسأل عنها أبا بكر فهالته واستعظمها فاستدعى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فأتى بتفسيرها، والمسائل هي كما في «أنوار اليقين»: سأله عن رجل لا أب له، وعن رجل لا عشيرة له، وعن شيء وعن لا شيء، وعن نصف الشيء، وعن بعض الشيء، وعن الشيء كله، وعن نفس في جوف نفس تتكلم ليس بينهما نسب ولا قرابة ماهو؟ وعن نفس تتنفس ليس لها لحم ولا دم، وعن نفس حية إن ماتت أعاشت نفساً أخرى، وعن طير لم يبضه طير، ولم يحضن عليه طير ما هو؟ وعن شيء قليله حلال وكثيره حرام ماهو؟ وعن رجل كان جالساً عند امرأته وهي له حلال فلما قام حرمت عليه وحلت له بعد جلوسه؟ وعن رسول بعثه الله ليس من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة المقربين ذكره الله في القرآن ما هو؟ وعن نذير أنذر قومه ليس من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة عليهم السلام من هو؟ وعن قوم أحياهم الله ثلاث مرات وأماتهم مرتين من هم؟ وعن أول هجرة وأول مهاجر من هو؟ وعن طير ذكره الله تعالى في القرآن؟ وعن شيء كذب ليس من الجن، ولا من الإنس، ولا من الملائكة ما هو؟ وعن أول فزعة يفزعها أهل الجنة ثم لا يفزعون بعدها أبداً ما هي؟ وعن قول الله تعالى ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾ [البقرة:٣٧] ما الكلمات؟ وعن عمل إن عملته عصيت وإن تركته عصيت ما هو؟ وعن شيء أوحى الله إليه ليس من الإنس ولا من الجن ولا من الملائكة

ذكره الله في القرآن ما هو؟ وعن شيء يأكل ليس له لحم ولا دم ما هو؟ وعن خمسة لم يخلقهم الله في الأرحام ما هم؟ وعن رجل أماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت؟ قال: لبثت يوماً أو بعض يوم من هو؟ وعن قوم شهدوا شهادة حق وهم عند الله من الكاذبين ذكرهم الله في القرآن من هم؟ وعن موضع لم تطلع عليه الشمس إلا مرة ما هو؟ وعن قوم كانوا أول النهار من أهل النار وآخر النهار من أهل الجنة من هم؟ وعن رجلين أصابا خمراً فشربا منها فوجب على أحدهما الحد ولم يجب على الآخر وهما يشهدان شهادة الحق؟ وعن رجل خنثى أنزله بمنزلة المرأة أم بمنزلة الرجل؟ وأخبرني عن دابة كان في بطنها سائق وشهيد ذكره الله في القرآن من هو؟ وعن امرأة عدتها ثلاثة عشر شهراً؟ وعن رجلين لأب وأم أحدهما أقرب إليك من الآخر؟ وعن رجل حلف بطلاق امرأته ثلاثاً أن لا يصوم شهر رمضان كيف يصنع؟ وعن رجل حلف أن لا يصلي في اليوم والليلة إلا إحدى عشرة ركعة؟ وعن رجل مات وترك ابنتين فورثت إحداهما ثلث ماله والأخرى ثلثي ماله من هما؟ وعن رجل من أهل الجنة قال الله -عز وجل- لنبيئه لا تعمل بعمله؟

فقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: خذها ولا فخر: أما الرجل الذي لا أب له فعيسى بن مريم عليه السلام، وأما الذي لا عشيرة له فآدم عليه السلام، وأما الشيء فالماء، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[الأنبياء:٣٠]، وأما لا شيء فالكافر، وأما نصف شيء فإن الله خلق سبع سماوات وسبع أرضين فنصف الشيء الأرضون، وأما بعض الشيء فالمنافق، وأما نفس في جوف نفس ليس بينهما نسب ولا قرابة فهو يونس بن متى عليه السلام ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأنبياء:٨٧]،

وأما نفس تنفس ليس له لحم ولا دم فهو الصبح قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[التكوير:١٧ ، ١٨]، وأما النفس التي إن ماتت أعاشت مكانها نفساً أخرى فهي البقرة التي ذكرها الله في القرآن: ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة:٧٣]. وأما نفس تتكلم ليس لها لحم ولا دم فهي النار لقول الله -عز وجل-: ﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ [ق:٣٠]، وأما طير لم يبضه طير، ولم يحضن عليه طير فهو طير عيسى عليه السلام إذ قال الله -عز وجل-: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٤٩]، وأما شيء قليله حلال وكثيره حرام فهو نهر طالوت إذ قال الله -عز وجل-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [البقرة:٢٤٩]، وأمَّا الرجل الذي كان جالساً عند امرأته وهي له حلال فلما استوى قائماً حرمت عليه وحلت له قبل جلوسه، فرجل قال لامرأته: أنت علي كظهر أمي فحرمت عليه أن يمسَّها، فقام فندم قبل جلوسه فأعتق نسمة فحلت له قبل جلوسه، وأما رسول بعثه الله تعالى ليس من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة فالغراب الذي قال الله -عز وجل: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة:٣١]، وأما النذير الذي أنذر قومه ليس من الجن، ولا من الإنس، ولا من الملائكة، فهي النملة، قال الله تعالى: ﴿ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾[النمل:١٨]، وأمَّا قوم أحياهم الله ثلاث مرات وأماتهم مرتين، فهو قول الله -عز وجل-: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ

وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَـٰهُمۡ﴾ [البقرة:٢٤٣]، فأماتهم الله مرتين وأحياهم ثلاث مرات، وأما الهجرة فهي هجرة إبراهيم عليه السلام وأول مهاجر لقول الله -عز وجل- في القرآن: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ [العنكبوت:٢٦]. وأما الطيور التي ذكرها الله تعالى في القرآن فالغراب، والهدهد، والفراش، والنحل، والجراد، والذباب، والبعوض، والقمل، والطير الأبابيل، وأما شيء كذب عليه ليس من الجن، ولا من الإنس، ولا من الملائكة، ذكره الله تعالى فالذئب كذب عليه بنو يعقوب عليهم السلام، لقوله تعالى: ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾ [يوسف:١٧] إخبارا عنهم، وأما أول فزعة يفزعها أهل الجنة، ثم لا يفزعون بعدها أبداً فذلك الصور﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [النمل:٨٧]، وأما الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فهي قول الله -عز وجل-: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَـٰسِرِينَ﴾[الأعراف:٢٣]، ثم نظر إلى العرش وعليه هذه الأسماء مكتوبة قال: بحق محمد وعلي وأشار إلى صدره وفاطمة، والحسن، والحسين، تقبل توبتي، فاستجاب الله تعالى توبته، وأما العمل الذي إن عملته عصيت وإن تركته عصيت فإن الله تعالى يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا﴾[النساء:٤٣]، وأما شيء أوحى الله إليه ليس من الجن ولا من الإنس، ولا من الملائكة فالنحل قال الله تعالى: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾[النحل:٦٨]،وأما شيء يأكل ليس له لحم ولا دم فعصى موسى قال الله -عز وجل-: ﴿فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ﴾[الأعراف:١١٧]، وأما رجل مات مائة عام ثم بعثه الله فعزير عليه السلام إذ قال الله -عز وجل-: ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ

عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ﴾[البقرة:٢٥٩]. وأما قوم شهدوا شهادة حق وهم عند الله من الكاذبين فهم المنافقون قال الله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١]، وأما موضع لم تطلع عليه الشمس إلا ساعة واحدة فهو البحر قال الله -عز وجل-: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ...﴾ الآية.[الشعراء:٦٣] وأما القوم الذين كانوا أول النهار من أهل النار، وآخر النهار من أهل الجنة، فسحرة فرعون: ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾[الأعراف: ١٢١، ١٢٢]، وأما الخمسة الذين لم يخلقوا في الأرحام فآدم، وحوى، وكبش إبراهيم، وناقة صالح، وعصا موسى، وأما صاحبا الخمر الذين شرباها فوجب على أحدهما الحد ولم يجب على الآخر وهما يشهدان شهادة الحق، فهما رجلان في فلاة مع أحدهما ماء، والآخر لا ماء له وهو يموت من العطش، فأحل الله للمضطر شرعاً، وحرم على الذي معه ماء، ووجب عليه في شربها الحد، وأما رجل خنثى كيف يقسم له الميراث فأن ينظر إلى مباله فإن كان يبول من مبال الرجل فإن له ميراث الرجال، وإن كان يبول من مبال النساء فإن له ميراث النساء، وأما الدابة التي كان في بطنها سائق وشهيد ذكره الله في القرآن فهو الحوت؛ حيث كان في بطنه يونس عليه السلام، وأما المرأة التي عدتها ثلاثة عشر شهراً فتلك امرأة مات عنها زوجها فاعتدت أربعة أشهر، فلما انقضت عدتها استبان حملها فكانت عدتها ثلاثة عشر شهراً، وأما رجلاًن لأب وأم؛ أحدهما أقرب إليك من الآخر؛ فإنها أبوك وعمك، وهما لأب وأم فأبوك أقرب إليك

من عمك، وأما الرجل الذي قد حلف بطلاق امرأته لا يصوم شهر رمضان فإنه يسافر في ذلك الشهر، وكذلك الرجل يحلف أن لا يصلي إلا أحد عشرة ركعة فيسافر أيضاً فيصلي الفجر ركعتين، والظهر ركعتين، والعصر ركعتين، والمغرب ثلاث ركعات، والعشاء ركعتين، وأما الرجل الذي مات وترك ابنتين فورثت إحداهما ثلث ماله والأخرى ثلثي ماله؛ فإن هذا رجل كان مملوكاً وله ابنتان فاشترته إحداهما وأعتق فلما توفي ورثت إحداهما ثلث ماله بحقها، وورثت الأخرى وهي التي أعتقت الثلث بحقها والثلث لحق الولاء، وأما الرجل الذي هو من أهل الجنة وأمر الله نبيه ﷺ أن لا يعمل بعمله فهو يونس بن متى عليه السلام قال الله -عز وجل-: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم:٤٨]. فهذه هي المسائل وأجوبتها . انتهى من «أنوار اليقين» للسيد الإمام الحسن بن بدر الدين- رضي الله تعالى عنه -.

أحبار اليهود والإمام علي -عليه السلام-

ومن «أنوار اليقين» هذه الحكاية وهي قصة أحبار اليهود مع عمر بن الخطاب عن أبي يعقوب إسحاق بمدينة دمشق بسنده إلى ابن عباس، قال: لما ولي عمر بن الخطاب الخلافة أتاه قوم من اليهود، فقالوا: أنت ولي الأمر من بعد محمد ﷺ ؟ قال: نعم، قالوا: نريد أن نسألك عن خصال إن أخبرتنا بها دخلنا في الإسلام وعلمنا أن الدين حق، وإن لم تعلمنا بها علمنا أن الدين باطل، وأن محمداً لم يكن نبياً، قال: سلوا عما بدا لكم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قالوا : أخبرنا عن أقفال السماء وعن مفاتيحها؟ وعن قبر سار بصاحبه؟

وعمن أنذر قومه ليس من الجن ولا من الإنس؟ وعن خمسة مشوا في الأرض لم يجعلوا في الأرحام؟ وأخبرنا ما يقول الدراج في صياحه؟ وما يقول الديك في صقيقه؟ وما يقول الفرس في صهيله؟ وما يقول الحمار في نهيقه؟ وما يقول الضفدع في نقيقه؟ وما يقول العنبر في أنينه؟ واثنين قائمين، واثنين ساعين، واثنين مختلفين؟ وأخبرنا عن اثنين متباغضين، واثنين مشتركين؟ وعن واحد ليس له ثان؟ وعن الاثنين وعن الثلاثة، والأربعة، والخمسة، والستة، والسبعة، والثمانية، والتسعة، والعشرة، وعن الأحد عشر؟ وأخبرنا ما دون؟ وما فوق؟ وما تحت؟ وما أول حجر نزلت؟ وعن أول عين؟ وعن أول شجرة نبتت؟ وعن سفينة نوح كم كان طولها وعرضها؟ وكيف يعرف الليل من النهار والنهار من الليل؟ وعن شيء خلقه الله وسأل عنه وعن بقعة لم تر الشمس إلا مرة واحدة؟ وعن أول دم وقع على الأرض؟ وعن الجنة في الدنيا أم في الآخرة؟ وأين الآخرة من الدنيا؟

فقال عمر: هلكت، ونكس رأسه إلى الأرض، ثم رفع رأسه إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أبا الحسن ما أرى جوابهم إلا عندك، قال علي عليه السلام : سلوا عما بدا لكم ولكن لي عليكم شريطة، قالوا: وما شريطتك علينا؟ قال: إذا أنا أخبرتكم بما في التوراة دخلتم في ديننا. قالوا: نعم يا أبا الحسن.

قال: سلوا عنها خصلة خصلة. قالوا: أخبرنا عن أقفال السموات ما هي؟ قال عليه السلام : أقفال السموات الشرك بالله، لأن العبد والأمة إذا كانا مشركين لم يرفع لهما عمل، قالوا: فما مفاتيح هذه الأقفال؟ قال: مفاتيحها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله. قالوا: فأخبرنا عن قبر مشى بصاحبه؟ قال:

ذلك الحوت حين التقم يونس بن متى فسار به في البحار السبعة. قالوا: فأخبرنا عمن أنذر قومه ليس من الجن ولا من الإنس؟ قال: تلك النملة نملة سليمان بن داود عليه السلام حين قالت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل:١٨]. قالوا: فأخبرنا عن خمسة مشوا على الأرض لم يخلقوا في الأرحام. قال: ذلك آدم وحواء، وناقة صالح، وكبش إبراهيم، وعصا موسى، قالوا: فأخبرنا ما يقول الدراج في صياحه؟ قال: يقول: الرحمن على العرش استوى، قالوا: فما يقول الديك في صقيقه؟ قال: يقول: اذكروا الله يا غافلون، قالوا: فما يقول الفرس في صهيله؟ قال: يقول: اللهم انصر عبادك المؤمنين على الكافرين. قالوا: فما يقول الحمار في نهيقه؟ قال: الحمار يلعن العشار، وينهق في عين الشيطان، قالوا: فما يقول الضفدع في نقيقه؟ قال: يقول: اللهم العن من عصى محمداً ومن عصى آل محمد، وفي رواية أخرى: «سبحان ربي المعبود المسبح في لجج البحار»، ثم قال -رضي الله عنه-: وأما القائمان فالسماء والأرض، والمختلفان فالليل والنهار، وأما الساعيان فالشمس والقمر، وأما المتباغضان فالموت والحياة، وأما المشتركان فالليل والنهار، الليل يأخذ من النهار والنهار يأخذ من الليل وذلك أن الله -عز وجل- يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل، وأما الواحد فالله الذي لا إله إلا هو الفرد الصمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، والاثنان الجنة والنار، والثلاثة جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، والأربعة التوراة، والإنجيل، والفرقان والزبور، والخمسة خمس صلوات، والستة فخلق السموات والأرض في ستة أيام، والسبعة فسبع سماوات، والثمانية ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٧]، والتسعة فالتسع الآيات آتاهن الله تعالى موسى بن عمران عليه السلام، والعشرة فقول

الله -عز وجل-: ﴿وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ﴾ [الأعراف:١٤٢]، والأحد عشر فرؤيا يوسف عليه السلام، وأما ما دون وما فوق وما تحت فالله دونه وفوقه وتحته والله قريب هاهنا وفي كل مكان، وذلك قول الله عزوجل: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْ﴾ [المجادلة:٧] وأما أول حجر نزلت فقد أجمعتم أنها الصخرة المعلقة في بيت المقدس وكذبتم إنما هي الركن هبط به آدم -عليه الصلاة والسلام- من الجنة، وأما العين فإنكم تقولون إنها العين التي تحت الصخرة وكذبتم ؛ إنما هي عين الحيوان، وأما الشجرة فقد أجمعتم أنها شجرة الزيتون وكذبتم، إنما هي الشجرة التي أنبتها الله -عز وجل- على يونس بن متى وهي الدبا، والنخلة التي نزلت على مريم وهي والقضيب الذي هبط به آدم -عليه الصلاة والسلام- من الجنة فجميع الثمار منه، وأما سفينة نوح -عليه الصلاة والسلام- فكان عرضها ثمانمائة ذراع، وكان فيها ثلاثة سقوف ما بين كل سقفين عشرة أذرع، وكان أعلاها طبقاً من ساجٍ وكان في أعلاها الناس، وفي وسطها الطعام، وفي أسفلها البهائم، والطيور، والسباع، والهوام، ومعه درتان درة الليل ودرة النهار يعرف بهما ذلك، وأما شيء خلقه الله -سبحانه وتعالى- وسأل عنه فعصا موسى، وأما البقعة التي لم تر الشمس إلا مرة واحدة فالبحر حين فرقه الله -سبحانه وتعالى- لموسى بن عمران -عليه الصلاة والسلام- حتى بان قعره. وأما أول دم وقع على الأرض فحيضة حوى عليها السلام. وأما قولكم في الجنة هي في الدنيا أم في الآخرة، وأين الآخرة من الدنيا؟ وأين الدنيا من الآخرة ؟ فإن الدنيا في الآخرة والآخرة مختلطة بالدنيا إذا كانت النقلة من الحياة إلى الموت ظاهرة في الدنيا،كانت الآخرة هي دار القرار لو كانوا يعلمون، والدنيا رسم الآخرة

والآخرة رسم الدنيا، وإن الدنيا والآخرة إذا فارق الروح الجسد يرجع كل واحد منهما إلى ما منه خلق، ومنه بدئ؛ فكذلك الجنة والنار.

قال: وكانت الأحبار ثلاثة فوثب اثنان فقالا: نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ووثب الآخر فقال: يا علي قد وقع في قلبي مثل ما وقع في قلوب صاحبي، ولكن بقي لي خصلة أسألك عنها. قال علي عليه السلام : سل، قال: أخبرني عن قوم كانوا في أول الزمان ماتوا ثلاثمائة سنة وتسع سنين، ثم أحياهم الله -سبحانه وتعالى- قال: فابتدأ علي بن أبي طالب عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا﴾ [الكهف:١، ٢]. أراد أن يقرأ سورة الكهف، قال اليهودي: ما قل ما سمعنا قرآنكم، فإن تكن عالماً فأخبرني بقصة هؤلاء القوم وبأسمائهم، وعددهم، واسم كلبهم، واسم كهفهم، واسم ملكهم، واسم مدينتهم. قال علي: لا حول ولا قوة إلا بالله، يا أخا اليهود حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان في أرض الروم مدينة يقال، لها: اقسوس، وكان لهم ملك صالح فمات فتشتت شملهم وأمرهم، واختلفت كلمتهم، فسمع بهم ملك يقال له دقيانوس فأقبل حتى ملك المدينة ومعه مائتا ألف حصان واتخذها دار مملكته، واتخذ فيها قصراً طوله فرسخ، وعرضه فرسخ، واتخذ في ذلك القصر مجلساً طوله ألف ذراع، وعرضه مثل ذلك من الزجاج الممرد، واتخذ في ذلك المجلس ألف أسطوانة من الذهب، وألف قنديل من الذهب، سلاسلها من اللجين يفوح بطيب الأدهان، وجعل في شرقي المجلس ثمانين مشكاة، فكانت الشمس تدور في المجلس كيف ما كانت، واتخذ له فيه سريراً من الذهب له قوائم من الفضة، مرصعة بالجواهر، وأعلاها النمارق،

وجعل على يمين السرير ثمانين كرسياً من الذهب مرصعة بالزبرجد الأخضر، وأجلس عليها بطارقته، وجعل على يسار السرير ثمانين كرسياً من الفضة مرصعة بالياقوت الأخضر، وأجلس عليها هراقلته، ثم جلس على السرير ووضع التاج على رأسه، فوثب اليهودي وقال: يا أمير المؤمنين، فما كان تاجه؟ قال علي عليه السلام: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، يا أخا اليهود وكان تاجه من الذهب المسبك الأربعة الأركان على كل ركن درة بيضاء تضيء كما يضيء المصباح في الليلة الظلماء ، واتخذ خمسين غلاماً من أولاد الهراقلة فقرطهم بأقراط الذهب الأحمر ، وألبسهم الديباج الأحمر، وسرولهم سراويل الفرند، وتوجهم، ودملجهم، وخلخلهم وأعطاهم الأعمدة من الذهب، وأوقفهم على كراسيه، واتخذ ستة أغلمة وجعلهم وزراءه،وجعل ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن يساره، فوثب اليهودي فقال: يا علي فما كان أسماء الثلاثة الذين كانوا عن يمينه؟ وما كان أسماء الثلاثة الذين كانوا عن يساره؟ فقال علي: لا حول ولا قوة إلا بالله يا أخا اليهود أما الثلاثة الذين كانوا عن يمينه فكان أسماؤهم: تمليخا، ومكسلمينيا، ومشلينيا، وكان أسماء الذين كانوا عن يساره مرنوش، ودبرنوش، وسادرنوش، فكان يستشيرهم في جميع أموره،وكان يجلس كل يوم في صحن داره البطارقة عن يمينه والهراقلة عن شماله، وكان له ثلاثة غلمان في يد أحدهم جام من الذهب مملوء ماء الورد، وفي يد الآخر جام من الفضة مملوء مسكاً، وفي يد الآخر طائر أبيض له منقار أحمر، قد أدّب ذلك الطائر، فإذا نظر إليه الملك وصفر له طار حتى يقع في جام ماء الورد فيتمرغ فيه، فيحتمل ما كان في الجام بريشه وجناحيه، ثم يصفر له الثانية فيطير الطائر حتى يقع في جام المسك

فيتحمل ما كان في الجام بريشه وجناحيه، ثم يصفر له الثالثة فيطير حتى يقع على تاج الملك فينفض ما في ريشه وجناحيه على رأس الملك، فلما نظر إلى ذلك المُلْك عتا وتجبر وادعى الربوبية من دون الله، ودعا قومه إلى ذلك، فكان من أجابه أعطاه وحياه وكساه، وكل من لم يتبعه قتله، فأجابوه بأجمعهم، واتخذ لهم عيداً في كل سنة مرة واحدة، فلما كان ذات يوم والبطارقة عن يمينه والهراقلة عن يساره إذ أتاه بطريق فأعلمه بعساكر الفرس أنَّها قد غشيته، فاغتم لذلك غماً شديداً حتى سقط التاج عن رأسه، فنظر إليه أحد الفتية الذين كانوا عن يمينه وكان يقال له تمليخا وكان عاقلاً في نفسه، وقال: لو كان دقيانوس إلهاً كما يزعم إذاً لما كان يغتم، ولا يفرح، ولا يستيقظ، ولا ينام، ولا يسقط، وليس هذا من أفعال الآلهة، وكان الفتية الستة يسكنون كل يوم عند واحد منهم، فلما كان يوم تمليخا أعد لهم من أطيب الطعام، وأعذب الشراب، فطعموا وشربوا، ثم قال لهم: يا إخوتاه قد وقع في قلبي شيء منعني من الطعام والشراب والنوم، قالوا: وما ذلك يا تمليخا؟ قال: إني أطلت فكري في هذه السموات فقلت من رفع سقفها محفوظاً بلا علاقة ولا عمد من فوقها، ولا دعامة من تحتها؟ ومن أجرى فيها شمساً وقمراً اثنان مضيئان؟ ومن زينها بالنجوم؟ وأطلت الفكرة في هذه الأرض، فقلت: من سطحها على حمم اليم الزاخر؟ ومن حبسها بالجبال أن تميد؟ وأطلت فكري في نفسي فقلت: فمن أخرجني من بطن أمي؟ ومن غذاني؟ ومن رباني؟ إن لهذا صانعاً ومدبراً سوى دقيانوس، وما هو إلا ملك الملوك وجبار السموات، قال: فانكب الفتية على رجليه يقبلونها ويقولون هدانا الله بك من الضلالة إلى الهدى، فأشر علينا يا تمليخا. قال: فوثب تمليخا فباع ثمرة من حائط بثلاثة دراهم

وعقدها في ردائه، وركبوا على خيولهم وخرجوا من المدينة، فلما ساروا ثلاثة أميال قال تمليخا: يا إخوتاه قد جاءت سكينة الآخرة، وذهب ملك الدنيا، انزلوا عن خيولكم وامشوا على أقدامكم لعل الله أن يجعل لكم من أمركم فرجاً ومخرجاً، فنزلوا عن خيولهم، ومشوا على أقدامهم تسعة فراسخ في ذلك اليوم، فجعلت أرجلهم تقطر دماء واستقبلهم راعٍ، فقالوا: يا أيها الرجل هل إلى شربة من ماء ولبن؟ فقال الراعي: عندي ما تحبون ولكني أرى وجوهكم وجوه الملوك، وما أظنكم هربتم إلا من دقيانوس الملك، قالوا: يا أيها الراعي لا يحل لنا الكذب وسينجينا الصدق، فأخبروه بقصتهم، فانكب الراعي على أرجلهم يقبلها، وقال: يا قوم لقد وقع في قلبي مثل ما وقع في قلوبكم، ولكن أمهلوني حتى أؤدي هذه الغنم إلى أهلها، فراح بها إلى أهلها وأقبل يسعى، فتبعه كلب له، قال: فوثب اليهودي فقال: يا علي فما كان اسم الكلب؟ وما كان لونه؟ قال علي عليه السلام : لا حول ولا قوة إلا بالله يا أخا اليهود، أما لون الكلب فكان أبلق أسود، وأما اسمه فقطمير، فلما نظر الفتية إلى الكلب،قال بعضهم لبعض: إنا نخاف أن يفضحنا هذا الكلب نباحه، فألحوا عليه بالحجارة ليطردوه، فأقعى على ذنبه وتمطى، ونطق بلسان طلق ذلق، وهو يقول: لِمَ تطردوني فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فذروني حتى أحرسكم من عدوكم، فابتدروا إليه وحملوه على أعناقهم، فلم يزل الراعي يسير بهم حتى علا بهم جبلاً يقال له: الخلوص، وانحط بهم على كهف يقال له: الوصيد، فإذا بفناء الكهف عين غزيرة، وأشجار مثمرة، فأكلوا من الشجر، وشربوا من الماء، وجَنَّهم الليل، فآووا إلى الكهف، فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت بقبض أرواحهم، ووكل الله

بكل واحد منهم ملكين يقلبانه من ذات اليمين إلى ذات الشمال، ومن ذات الشمال إلى ذات اليمين، وأوحى الله تعالى إلى حسر الشمس فكانت تزاور عن كهفهم ذات اليمين، وتقرضهم ذات الشمال، ثم إن دقيانوس سأل عن الفتية فأُخبر أنهم خرجوا هاربين، فركب في مائتي ألف حصان، فلم يزل يقفو أثرهم حتى علا الجبل، وانحط على الكهف، فلما نظر إليهم رآهم نياماً فقال: لو أردت أن أعاقبهم لم أعاقبهم بأكثر مما عاقبوا به أنفسهم، ولكن عليَّ بالبنائين، فسدوا الكهف بالطين والحجارة، ثم قال لأصحابهم: قولوا لهم يقولوا لإلههم الذي في السماء أن يملكهم إن كانوا صادقين، وأن يخرجهم من هذا الموضع، قال علي عليه السلام : يا أخا اليهود، فمكثوا ثلاثمائة سنين، وتسع سنين، فلما أراد الله أن يحييهم أمر إسرافيل عليه السلام أن ينفخ فيهم الروح، فنفخ الروح، فقاموا من رقدتهم، فلما بزغت الشمس قال بعضهم لبعض: لقد غفلنا عن عبادة رب السماوات في هذه الليلة، فقاموا فإذا العين قد غارت، والأشجار قد جفت، قال بعضهم لبعض: إن في أمرنا لعجباً، مثل تلك العين الغزيرة قد غارت في ليلة واحدة، والأشجار قد جفت، ومسهم الجوع فقالوا: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾ [الكهف:١٩ ، ٢٠].

قال تمليخا: لا يذهب في حاجتكم غيري، ولكن ادفع أيها الراعي ثيابك، فدفع الراعي إليه ثيابه، وجعل يؤم المدينة، وجعل ينظر مواضع لا يعرفها، وطرقاً ينكرها، حتى أتى باب المدينة، فإذا فيه علم أخضر مكتوب بالصفرة، لا إله إلا

الله، عيسى روح الله ورسوله ﷺ، قال: فجعل ينظر إلى العلم ويمسح عينيه، يداني بابها، فدخل المدينة حتى أتى السوق، فإذا رجل خباز، فقال: يا أيها الخباز ما اسم هذه المدينة؟ قال: أقسوس، قال: فما اسم ملكهم؟ قال: عبد الرحمن، قال: يا هذا أتراني تائهاً؟ قال الخباز: أتهزأ بي تكلمني وتقول تراني تائهاً؟ قال تمليخا للخباز: ادفع لي بهذه الدراهم طعاماً، قال: فجعل الخباز يعجب من ثقل الدراهم وكبرها، قال: فوثب اليهودي وقال: فكم وزن كل درهم منها؟ قال علي عليه السلام: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، يا أخا اليهود كان وزن كل درهم منها عشرة دراهم وثلثي درهم، قال له الخباز: أيها الرجل أصبت كنزاً؟ قال تمليخا: ما أصبت كنزاً، وما هذه إلا من ثمن ثمرة بعتها منذ ثلاثة أيام، وخرجت من هذه المدينة وتركت الناس يعبدون دقيانوس الملك، فغضب الخباز وقال: أصبت كنزاً ولا تعطيني بعضه، وتذكر رجلاً جباراً كان يدعي الربوبية منذ أكثر من ثلاثمائة سنة، وجعل الخباز يلبب تمليخا حتى أدخله على الملك، فقال الملك: ما شأن هذا الفتى؟ قال الخباز: هذا الرجل أصاب كنزاً، قال له الملك: يا فتى لا تخف إن نبينا عيسى عليه السلام أمرنا أن لا نأخذ من الكنوز إلا خمسها، فادفع خمسها وانصرف سالماً، قال تمليخا: أيها الملك انظر في حالي فإني ما أصبت كنزاً وما هذه إلا من ثمن ثمرة بعتها، وأنا رجل من هذه المدينة، فقال له الملك: أنت من أهلها؟ قال: نعم، قال: فهل تعرف أحداً؟ قال: نعم، قال: سم، فسمى نحواً من ألف رجل، فلم يعرف منهم رجلاً واحداً، قال الملك: ما هذه الأسماء؟ قال: أسماء أهل زماننا، قال له: فهل في هذه المدينة لك دار؟ قال: نعم اركب معي أيها الملك، قال: فركب الملك والناس معه فأتى بهم أرفع دار في المدينة فقال: هذه الدار داري، قال: فقرع الباب فخرج عليهم شيخ كبير قد سقط حاجباه على

عينيه من الكبر، فقال: ما شأنكم؟ قال له الملك: أتيتك بالعجب العجاب، زعم هذا أن هذه الدار داره، فقال له الشيخ: من أنت؟ قال: أنا تمليخا بن قسطنطين، قال: فانكب الشيخ على قدميه يقبلهما، ويقول: جدي ورب الكعبة، وقال: هؤلاء الفتية الذين خرجوا من دقيانوس الملك، فنزل الملك عن فرسه وحمله على عاتقه، وجعل الناس يقبلون يديه ورجليه، قال الملك: يا تمليخا ما فعل أصحابك؟ فأخبرهم أنهم في الكهف، وكان لهم يومئذٍ ملك مسلم، وملك نصرانيٌّ، فركبوا معهم في أصحابهم، فلما كان قريباً من الكهف فقال لهم تمليخا: يا قوم إني أخاف أن يسمع أصحابي أصواتكم وحوافير خيلكم فيظنون أن دقيانوس قد جاء في طلبهم، ولكن أمهلوني حتى أقدم عليهم وأخبرهم، فوقف الناس، وتقدم تمليخا حتى دخل الكهف، فلما نظر إليه أصحابه اعتنقوه، وقالوا: الحمد لله الذي نجاك من دقيانوس، فقال لهم: دعوني عنكم وعن دقيانوس، كم لبثتم؟ قالوا: يوماً أو بعض يوم، قال لهم تمليخا: بل لبثتم ثلاثمائة سنين وتسع سنين، وقد مات دقيانوس، وقرن بعد قرن، وقد بعث الله نبياً يقال له: عيسى بن مريم ورفعه الله تعالى إليه، وقد أقبل إلينا الملك والناس معه، قالوا: يا تمليخا تريد أن تجعلنا فتنة للعالمين؟ قال: فما تريدون؟ قالوا: ندعو الله تعالى وتدعو معنا أن يقبض الله أرواحنا، وأن يجعل عشاءنا عنده في الجنة، فرفعوا أيديهم إلى السماء وقالوا: يا إلهنا بحق من أنشأت من التراب بشراً امنن علينا بقبض أرواحنا، فأمر الله -سبحانه وتعالى- بقبض أرواحهم، وطمس الله تعالى ذلك الكهف عن الناس، فأقبل الملكان يطوفان بباب الكهف سبعة أيام لا يجدون للكهف باباً، فقال الملك المسلم: ماتوا على ديني أبني عليهم مسجداً، وقال النصراني: ماتوا على ديني أبني عليهم داراً، فاقتتلا، فقتله المسلم، وبنى عليهم مسجداً، ثم قال

علي عليه السلام : سألناك بالله أيوافق هذا ما في توراتكم؟ فقال اليهودي: والله مازدت حرفاً، ولا نقصت حرفاً، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى جميع النبيين والمرسلين وترحم وكرم.

حكاية عن أبي يزيد البسطامي

عن أبي يزيد البسطامي -رضي الله تعالى عنه- أنه قال: كنت يوماً في سياحتي متلذذاً بخلوتي وراحتي، ومستغرقاً في فكرتي، مستأنساً بذكري، إذ نوديت في سري: يا أبا يزيد امض إلى دير سمعان، واحضر مع الرهبان في يوم عيدهم، فلنا في ذلك نبأ وشأن، قال: فاستعذت بالله من هذا الخاطر وقلت: لست أخاطر، فلما كان الليل أتاني الهاتف في المنام، وأعاد علي ذلك الكلام، فانتبهت مرعوباً، وفي هذا الأمر مكروباً، فنوديت جهاراًيا: أبا يزيد لا بأس عليك أنت عندنا من الأولياء، ومكتوب في ديوان الأبرار، فالبس زي الرهبان، واشدد من أجلنا الزنار، فما عليك في ذلك جناح ولا إنكار، قال أبو يزيد: فقمت مسرعاً من باكر، وامتثلت الأوامر، ولبست زي الرهبان، وحضرت معهم في دير سمعان، فلما حضر كبيرهم واجتمعوا وأنصتوا ارتج عليه المقام، فلم يطق الكلام، كأن في قلبه لجام، فقال القسيسون والرهبان: ما الذي يمنعك من الكلام أيها الرهبان فنحن بقولك نهتدي، وبعلمك نقتدي؟ فقال: ما منعني عن أن أتكلم وأبتدي، إلا رجل، بينكم محمدي، وقد جاء لدينكم ممتحناً، وعليكم معتدي، فقالوا: أرنا إياه لنقتله الآن، فقال: لا نقتله إلا بدليل وبرهان، فقالوا له: افعل ما تريد فنحن ما حضرنا إلا لنستفيد، قال: فقام كبيرهم على قدميه ونادى يا محمدي، بحق محمد عليك إلا ما نهضت قائماً على قدميك، لننظر إليك، فقام أبو يزيد، ولسانه

لا يفتر عن التسبيح، والتقديس، والتحميد، فقال له البطرك: يا محمدي أريد أن أسألك عن مسائل فإن أجبت عنها اتبعناك، وإن عجزت عنها قتلناك، فقال: سل عما تريد من المعقول والمنقول، والله شاهد على ما نقول، قال: فأخبرني عن واحد لا ثاني له، وعن اثنين لا ثالث لهما، وعن ثلاثة لا رابع لهم، وعن أربعة لا خامس لهم، وعن خمسة لا سادس لهم، وعن ستة لا سابع لهم، وعن سبعة لا ثامن لهم، وعن ثمانية لا تاسع لهم، وعن تسعة لا عاشر لهم، وعن عشرة كاملة، وعن أحد عشر، وعن اثني عشر، وعن أربعة عشر تكلموا مع رب العالمين، وأخبرنا عن قوم كذبوا وأدخلوا الجنة، وعن قوم صدقوا وأدخلوا النار، وأخبرنا أين مستقر روحك في جسدك، وعن الحاملات وقراً، وعن الجاريات يسراً، وعن المقسمات أمراً، وأخبرنا عن شيء تنفس بغير روح، وعن قبر مشى بصاحبه، وعن ماء لا نزل من سماء ولا نبع من الأرض، وعن أربعة لا من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة، ولا من ظهر أب ولا من بطن أم، وأخبرنا عن أول دم أهريق في الأرض، وعن شيء خلقه الله ثم استعظمه، وعن أفضل النساء، وعن أفضل البحار، وعن أفضل الجبال، وعن أفضل الدواب، وعن أفضل الشهور، وعن أفضل الليالي، وعن الطامة، وعن شجرة لها اثنا عشر غصناً في كل غصن ثلاثون ورقة، في كل ورقة خمس زهرات، اثنتان منها في الشمس وثلاثة في الظل، وعن شيء حج إلى بيت الله الحرام وليس له روح ولا وجبت عليه فريضة، وأخبرنا كم نبياً خلقه الله وكم مرسلاً منهم وغير مرسل، وعن أربعة أشياء مختلف طعمها ولونها والأصل واحد، وأخبرنا عن النقير، والفتيل، والقطمير، وعن السبد، واللبد، والطم، والرم، وأخبرنا عما يقول الكلب في نباحه، وما يقول الحمار في نهاقه، وما يقول الثور في نعيره، وما يقول الفرس في صهيله، وما يقول البعير في رغائه، وما يقول الطاووس في صياحه، وما يقول الدراج في صفيره، وما يقول

البلبل في تغريده، وما يقول الضفدع في تسبيحه، وما يقول الناقوس في نقيره، وأخبرنا عن قوم أوحى الله إليهم لا من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة، وأخبرنا أين يكون الليل إذا جاء النهار؟ وأين يكون النهار إذا جاء الليل؟

فقال أبو يزيد: هل بقي مسائل غير هذه المسائل؟ فقال: لا، فقال: إن فسرتها لكم وأجبت عنها تؤمنوا بالله ورسوله محمدﷺ ، فقالوا: نعم. فقال: اللهم أنت الشاهد على ما يقولون.

أما سؤالكم عن واحد لا ثاني له فهو الله -عز وجل-. وأما سؤالكم عن اثنين لا ثالث لهما فهما الليل والنهار لقوله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾[الإسراء:١٢]، وأما سؤالكم عن ثلاثة لا رابع لها فهي العرش والكرسي والقلم، وأما سؤالكم عن أربعة لا خامس لها فهي الكتب المنزلة وهي التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وأما سؤالكم عن خمسة لا سادس لها فهي الصلوات الخمس المفروضات على كل مسلم ومسلمة، وأما سؤالكم عن ستة لا سابع لها فهي الستة أيام التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الفرقان:٥٩] وأما سؤالكم عن سبعة لا ثامن لها فهي السموات السبع لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾[الملك:٣]، وأما سؤالكم عن ثمانية لا تاسع لهم فهم حملة العرش لقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٧]،وأما سؤالكم عن تسعة لا عاشر لهم فهم التسعة رهط الذين يفسدون في الأرض لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل:٤٨]، وأما سؤالكم عن عشرة كاملة فهي صوم مكة التي وجبت على الحاج وهو محرم؛ لقوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ

﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾[البقرة:١٩٦]، وأما سؤالكم عن أحد عشر فهم أخوة يوسف عليه السلام. وأما سؤالكم عن ثلاثة عشر فهي رؤية يوسف عليه السلام لقوله تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[يوسف:٤]. وأما سؤالكم عن قوم كذبوا وأدخلوا الجنة فهم أخوة يوسف لقوله تعالى: ﴿وَجَاءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف:١٨]، وأما سؤالكم عن قوم صدقوا وأدخلوا النار فهم اليهود قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [البقرة:١١٣] فهم صدقوا وأدخلوا النار، وأما سؤالكم عن مستقر الروح في الجسد، فإنها تكون بين أذنيك في صورة الوجه، وأما سؤالكم عن الذاريات ذروا فهي الرياح الأربع، وأما سؤالكم عن الحاملات وقرا فهي السحب، وأما سؤالكم عن الجاريات يسرا فهي السفن الجارية في البحار، وأما سؤالكم عن المقسمات أمرا فهم الملائكة الذين يقسمون على الناس أرزاقهم في ليلة النصف من شعبان، وأما سؤالكم عن أربعة عشر تكلموا مع رب العالمين فهي السموات السبع والأرضون السبع لقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت:١١]. وأما سؤالكم عن قبر مشى بصاحبه فهو حوت يونس عليه السلام، وأما سؤالكم عن شيء تنفس بغير روح فهو الصبح. وأما سؤالكم عن ماء لا نزل من سماء ولا نبع من الأرض فهو الذي بعثته بلقيس إلى سليمان عليه السلام في قارورة وكان من عرق الخيل. وأما سؤالكم عن أربعة لا من الجن، ولا من الإنس، ولا من الملائكة، ولا من ظهر أب ولا من بطن أم فهي كبش إسماعيل، وناقة صالح، وآدم وحواء، وأما سؤالكم عن شيء خلقه الله ثم أنكره فهو صوت الحمار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[لقمان:١٩]، وأما سؤالكم عن أول دم أهريق

على وجه الأرض فهو دم هابيل لما قتله قابيل. وأما سؤالكم عن شيء خلقه الله تعالى واستعظمه؛ فهو كيد النساء لقوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف:٢٨]، وأما سؤالكم عن شيء أوله عود وآخره روح فهي عصا موسى لقوله تعالى:﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ...﴾ الآية. [طه:١٧].

وأما سؤالكم عن أفضل النساء فحواء أم البشر، وخديجة، وفاطمة، وآسية، ومريم ابنة عمران، وعائشة، وأما سؤالكم عن أفضل البحار فسيحون، وجيحون، والفرات، ونيل مصر، وأما سؤالكم عن أفضل الجبال فهي الطور.

وأما سؤالكم عن أفضل الدواب فهي الخيل، وأما سؤالكم عن أفضل الشهور فشهر رمضان، وأما سؤالكم عن أفضل الليالي فليلة القدر، وأما سؤالكم عن الطامة فهي يوم القيامة، وأما سؤالكم عن شجرة لها اثنا عشر غصناً في كل غصن ثلاثون ورقة وفي كل ورقة خمس زهرات اثنان في الشمس وثلاث في الظل فهي السنة، والأغصان هي الشهور، والأوراق هي الأيام، والخمس زهرات هي الخمس صلوات في اليوم والليلة، وأما سؤالكم عن شيء حج إلى بيت الله الحرام وطاف وليس له روح ولا وجب عليه فريضة فهي سفينة نوح عليه السلام. وأما سؤالكم عن أربعة تختلف طعمها ولونها والأصل واحد فهي العينان، والأذنان، والأنف، والفم، فماء العين مالح، وماء الأذنين مر، وماء الفم حلو، وأما سؤالكم عن الفتيل والقطمير والنقير، النقرة التي في ظهر النواة، والفتيل هو الذي في بطنها، والقطمير هو القشر الذي فوقها، وأما سؤالكم عن السبد واللبد فهو شعر الضأن والمعز، وأما سؤالكم عن الطم والرم فهي الأمم الماضية قبل آدم عليه السلام، وأما سؤالكم عما يقول الحمار في نهيقه فإنه يرى الشيطان، ويقول: لعن الله العشار، وأما سؤالكم عما يقول الكلب في نباحه فإنه يقول: ويل

لأهل النار من غضب الجبار، وأما سؤالكم عما يقول الفرس في صهيله فهو يقول: سبحان حافظي إذا التقت الأبطال، واشتغلت الرجال بالرجال، وأما سؤالكم عما يقول البعير في رغائه فإنه يقول: حسبي الله وكفى بالله وكيلاً، وأما سؤالكم عما يقول البلبل في تغريده فإنه يقول: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾[الروم:١٧]، وأما سؤالكم عما يقول الضفدع في تسبيحه فإنه يقول: سبحان المعبود في البراري والقفار، سبحان الملك الجبار، وأما سؤالكم عما يقول الناقوس في نقيره فإنه يقول: سبحان الله حقاً حقاً، انظر يابن آدم في هذه الدنيا غرباً وشرقاً ما ترى فيها أحداً يبقى، وأما سؤالكم عن قوم أوحى الله إليهم لا من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة فهو النحل، لقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ...﴾ [النحل:٦٨] الآية، وأما سؤالكم عن الليل أين يكون إذا جاء النهار، وعن النهار أين يكون إذا جاء الليل، فإنهما يكونان في غامض علم الله تعالى.

ثم قال أبو يزيد: هل بقي معكم مسائل غير ذلك؟ فقالوا: لا فقال: أخبروني عن مفتاح الجنة ومفتاح السموات ما هو؟ قال: فسكتوا ولم يتكلموا، فقال أبو يزيد: سألتموني عن مسائل كثيرة فأجبت عنها، وقد سألتكم عن مسألة واحدة فلم تجيبوا عنها، فقالوا: نعم، ثم التفتوا إلى كبيرهم وقالوا: أعجزت عن ذلك؟ فقال: ما عجزت ولكن أخاف أن لا توافقوني، فقالوا: بل نوافقك فإنك كبيرنا، ومهما قلت لنا سمعناك ووافقناك عليه، فقال: مفتاح الجنة والسموات لا إله إلا الله محمد رسول الله، فقالوها وأسلموا عن آخرهم، وحسن إسلامهم، وخرجوا من الدير وخربوه وبنوه مسجداً، وقطعوا زنانيرهم، فهنالك نودي أبو يزيد: شددت من أجلنا زناراً فقطعنا من أجلك خمسمائة زنار.

إخواني انظروا إلى هؤلاء كلهم كانوا كفاراً في ظلمات العمى فأنقذهم الله من الردى، فكل ذلك ببركة نبينا محمدﷺ فانظر إلى كلمة الإخلاص ما أعظم بركتها، وما أنجع حركتها، وما أوضح برهانها، وما أسطع نورها، فرطبوا ألسنتكم بها تنالوا بركة إحسانها، وتظفروا بحلاوة امتنانها، وتدخلوا حرم أمانها، فإنها حصن منيع، ودرع رفيع، وقد قال الله تعالى في الحديث القدسي الشريف : «لا إله إلا الله حصني ومن دخل حصني، أمن من عذابي » قال الله تعالى في كتبه المنزلة : «أكثروا من قول لا إله إلا الله فهو حصني ومن دخل حصني أمن عذابي» قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: الليل والنهار أربع وعشرون ساعة، وحروف لا إله إلا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفاً، فمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله كفر الله بكل حرف ذنب ساعة، فلا يبقى عليه ذنب، فانظروا يا إخواني كيف خص الله تعالى هذه الأمة بهذه الرحمة، فاجعلوا تكرارها شغلكم تفوزوا برضوان الله ربكم، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

طرائف نبوية

على صاحبها وآله الصلاة والسلام، وأزكى التحيات والإكرام، كان رسول الله ﷺ إذا ذهب الناس إلى أعمالهم خرج إلى المسجد خالياً بنفسه للتفكر والذكر.

وعن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: دخلت المسجد وإذا رسول الله ﷺ جالس وحده، فجلست إليه فقال: «يا أبا ذر إن للمسجد تحية، وإن تحيته ركعتان، فقم فاركعهما» قال: فقمت فركعتها، ثم عدت فجلست إليه، فقلت: يا رسول الله

إنك أمرتني بالصلاة فما الصلاة؟ قال: « خير موضوع استكثر أو استقل» قلت: يا رسول الله فأي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله -عز وجل-، وجهاد في سبيله» قال: قلت: يا رسول الله فأي المؤمنين أكملهم إيماناً؟ قال: «أحسنهم خلقاً» قال: قلت: يا رسول الله فأي المؤمنين أسلم؟ قال: «من سلم الناس من لسانه ويده» قال: قلت: يا رسول الله فأي الهجرة أفضل؟ قال: «من هجر السيئات» قال: قلت: يا رسول الله فأي الصلاة أفضل؟ قال: «طول القنوت» قال: قلت: يا رسول الله فما الصيام؟ قال: «فرض مجزي وعند الله أضعاف كثيرة» قال: قلت: يا رسول الله فأي الجهاد أفضل؟ قال: « من عُقر جواده وأُهريق دمه» قال: قلت: فأي الرقاب أفضل؟ قال: « أغلاها ثمناً وأنفسها عند ربها» قال: قلت: يا رسول الله فأي الصدقة أفضل؟ قال: « جَهدٌ من مقل يسر إلى فقير» قال: قلت: يا رسول الله فأي آية فيما أنزل الله -عز وجل- عليك أعظم؟ قال: «آية الكرسي» ثم قال: « يا أبا ذر ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة» قلت: يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا» قلت يا رسول الله كم الرسل؟ قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر جماً غفيراً» قلت: كثير طيب. قلت: يارسول الله من كان أولهم؟ قال: « آدم » قلت: يارسول الله أنبي مرسل؟ قال: «نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه قبلاً» ثم قال: «يا أبا ذر أربعة سريانيون: آدم، وشيت، وخنوخ وهو إدريس وهو أول من خط بالقلم، ونوح، وأربعة من العرب: هود، وصالح، وشعيب، ونبيك يا أبا ذر» قال: قلت: يا رسول الله كم كتاباً أنزل الله تعالى؟ قال: « مائة كتاب وأربعة كتب، أنزِل على شيث خمسون صحيفة، وأنزل على خنوخ ثلاثون صحيفة، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة

والإنجيل، والزبور والفرقان» قال: قلت: يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم؟ قال: «كانت أمثالٌ كلها، أيها الملك المسلط المبتلى المغرور فإني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردها ولو كانت من كافر وكان فيها أمثالاً على العاقل مالم يكن مغلوباً على عقله أن تكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه -عز وجل-، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفكر فيها في صنع الله -عز وجل-، وساعة يخلو فيها بحاجته من المطعم والمشرب، وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً إلا لثلاث: تزود لمعاد أو مرمة لمعاش، أو لذة في غير محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه»، قلت: يا رسول الله فما كان صحف موسى عليه السلام ؟ قال: «كانت عبراً كلها، عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح، عجبت لمن أيقن بالنار وهو يضحك، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها، عجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم لا يعمل» قلت: يا رسول الله أوصني، قال: «أوصيك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله» قلت: يا رسول الله زدني، قال: «عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض وذكر لك في السماء» قلت: يارسول الله زدني، قال: «إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب، ويذهب بنور الوجه»، قلت: يا رسول الله زدني قال: « عليك بالصمت إلا من خير فإنه مطردة للشيطان عنك وعون لك على أمر دينك»، قلت: يا رسول الله زدني؛ قال: «عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي»، قلت: يا رسول الله زدني، قال: «حب المساكين وجالسهم» قلت: يا رسول الله زدني، قال: «انظر إلى من تحتك ولا تنظر إلى من فوقك فإنه أجدر ألا تزدري نعمة الله عندك»، قلت: زدني يا رسول الله، قال: «صل قرابتك وإن قطعوك»، قلت: يا رسول الله زدني قال: «لا تخف في الله لومة لائم»، قلت:

يارسول الله زدني؛ قال: «قل الحق وإن كان مراً»، قلت: يا رسول الله زدني؛ قال: «يردك عن الناس ما تعرف من نفسك ولا تجد عليهم فيما تأتي، وكفى بك عيباً أن تعرف من الناس ما تجهل من نفسك أو تجد عليهم فيما تأتي»، ثم ضرب بيده على صدري فقال: «يا أبا ذر، لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق».

حكاية عن الإمام الحسين الفخي

من «تيسير المطالب» عن الإمام القاسم بن إبراهيم عن أبيه عن جده« قال: عوتب الحسين بن علي صاحب فخعليهما السلام فيما كان يعطي، وكان من أسخى العرب والعجم، فقال: والله ما أظن أن لي في ما أعطي أجراً فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: لأن الله تعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾[آل عمران:٩٢]، والله ما هو عندي وهذه الحصا إلا بمنزلة، يعني المال.

حكاية عن الإمام السيوطي

ذكرها السيوطي في «الحاوي للفتاوي»، قال النسفي: أوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيلعليهما السلام إني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فأيكما يؤثر صاحبه؟ فاختار كل واحد منهما الحياة، فأوحى الله إليهما أفلا كنتما كعلي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمدصلى الله عليه وآله وسلم فبات على فراشه يؤثره بنفسه، اهبطا إلى الأرض واحفظاه من عدوه، فكان ميكائيل عند رأسه، وجبريل عند رجليه، فقال جبريل: من مثلك يابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة؟.

حكاية عن ولادة الإمام زيد -عليه السلام-

من «سيرة الإمام زيد بن علي عليهما السلام» قال: بينما علي بن الحسين في أوراده وأدعيته المعتادة بعد صلاة الفجر ينتظر طلوع الشمس ليوم جديد، فإذا البشير يسبقهما ويزف إليه البشرى بأَن امرأته(١) الصالحة «جيدا» وضعت حملها الذي كان ينتظره بفارغ الصبر، ومن الفأل الحسن أن صادف مولده إشراق شمس صبح جديد، وحين قرعت البشرى سمع زين العابدين قام فصلى ركعتين شكراً لله، ثم أخذ المصحف مستفتحاً لاختيار اسم مولوده فخرج في أول السطر قول الله تعالى: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٥] فأطبق المصحف ثم قام وصلى ركعات، ثم فتح المصحف فخرج في أول السطر ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩]، ثم قام وركع، ثم أخذ المصحف وفتحه فخرج في أول السطر ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[التوبة:١١١] وبعد ذلك أطبق زين العابدين المصحف وضرب بإحدى يديه على الأخرى، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون عزيت في هذا المولود إنه زيد، أما والله ما أحد من ولد الحسين في يوم القيامة أعظم منه وسيلةً ولا أصحاباً آثر عند الله من أصحابه. انتهى.

---

(١) لعلها أمته.

طرائف من حياة الشهيد الإمام زيد بن علي -عليهما السلام-

وقال في «حياة زين العابدين»: كانت تتردد في أوساط الأسرة النبوية أنباء رجل من أهل البيت اسمه زيد يخرج على الظلم، ويدفع عن المستضعفين، ويدعو إلى التغيير ورفع الظلم، فيقتل، ثم يصلب عرياناً في أرض الكوفة، وفي ذلك رويت أخبار منها ما أخرجه الإمام الناصر الأطروش أن النبي ﷺ نظر يوماً إلى زيد بن حارثة فبكى، وقال: « المقتول في الله المصلوب من أمتي المظلوم من أهل بيتي سمي هذا» وأشار إلى زيد بن حارثة، ثم قال: « ادن مني يا زيد زادك اسمك عندي حبا فإنك سمي الحبيب من ولدي زيد».

وعن أبي جعفر محمد بن علي عن النبي ﷺ أنه قال للحسين: «يخرج من صلبك رجل يقال له زيد يتخطى هو وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس غراً محجلين، يدخلون الجنة أجمعين بغير حساب».

ومنها قوله: كانت عبادة الإمام زيد بن علي من أسمى العبادات، فقد عرف الله معرفة استوعبت دخائل نفسه، وسيطرت على عقله وقلبه، فكان إذا ذكر الله أو سمع شيئاً من ذكر الله أغمي عليه، حتى يقول القائل ما هو بعائد إلى الدنيا، وكان إذا سمع آيات الترغيب والترهيب ماد كما تميد الشجرة من الرياح في اليوم العاصف، فقال أخوه: كان أخي زيد إذا قرأ القرآن بكى حتى نظنه سيموت.

واستعرض ولده الإمام يحيى بن زيد برنامج والده العبادي اليومي فقال: رحم الله أبي كان أحد المتعبدين قائماً ليله صائماً نهاره، كان يصلي في نهاره ما شاء

الله فإذا جن الليل عليه نام نومة خفيفة، ثم يقوم فيصلي في جوف الليل ما شاء الله، ثم يقوم قائماً على قدميه يدعو الله تبارك وتعالى ويتضرع له ويبكي بدموع جارية حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر سجد سجدة، ثم يصلي الفجر، ثم يجلس للتعقيب حتى يرتفع النهار، ثم يذهب لقضاء حوائجه فإذا كان قريب الزوال أتى، وجلس في مصلاه، واشتغل بالتسبيح والتحميد للرب المجيد، فإذا صار الزوال صلى الظهر وجلس، ثم يصلي العصر، ثم يشتغل بالتعقيب ساعة، ثم يسجد سجدة، فإذا غربت الشمس صلى المغرب، ثم العشاء.

وفي فصاحته عليه السلام وبلاغته ما يبهر العقول والأبصار، قال الكميت بن زيد: ما رأيت أبلغ من زيد بن علي، وقال خالد بن صفوان وهو من مشاهير خطباء وفصحاء العرب: انتهت الفصاحة والخطابة، والزهادة والعبادة من بني هاشم إلى زيد بن علي.

وفي زهده وورعه سلوة عن الدنيا ماسارت به الركبان.

ومن دعائه عليه السلام: اللهم إني أسألك سلواً عن الدنيا وبغضاً لها ولأهلها، فإن خيرها زهيد، وشرها عتيد، وجمعها ينفد، وصفوها يرنق، وجديدها يخلق، وخيرها ينكد، وما فات منها حسرة، وما أصيب منها فتنة، إلا من نالته منك عصمة، أسألك اللهم العصمة منها ولا تجعلنا ممن رضي بها واطمأن إليها، فإنها من أمنها خانته، ومن اطمأن إليها فجعته، فلم يقم في الذي كان فيه منها، ولم يظعن به عنها.

وعرف صلوات الله عليه ورعاً عن المحارم، متنزهاً عن المعاصي حتى قال: والله ما كذبت كذبة منذ عرفت يميني من شمالي، ولا انتهكت لله محرَّماً منذ عرفت أن الله يعاقب عليه، وقال لأحد أصحابه: يا أبا قرة والذي يعلم ما تحت

وريد زيد بن علي إن زيد بن علي لم ينتهك لله محرماً منذ عرف يمينه من شماله، يا أبا قرة من أطاع الله أطاعه ما خلق.

وكان يقول لأصحابه: أيها الناس أفضل العبادة الورع وأكرم الـزاد التقـوى فتورعوا في دنياكم، وتزودوا لآخرتكم.

قال عامر الشعبي: ما رأيت أزهد من زيد بن علي، وقال أبو خالد الواسطي: ما رأيت هاشمياً أزهد ولا أورع من زيد بن علي.

ومن مأثور أقواله المشهورة: والله لو علمت أن رضاء الله -عز وجـل- في أن أقدح ناراً بيدي حتى إذا اضطرمت رميت بنفسي فيها لفعلت.

وطلب من أخيه محمد الباقر كتاباً كان لجده عليعليه السلام فنسي أبو جعفر مـدة من الزمن، ثم تذكر فأخرجه إليه فقال له زيد: قد وجدت ما أردت منه في القرآن فأراد أبو جعفر أن يختبره، وقال له: فأسألك؟ قال زيد: نعم، سلني عما أحببت، ففتح أبو جعفر الكتاب وجعل يسأل، وزيد يجيب، كـما في الكتـاب، فقـال أبـو جعفر: بأبي أنت وأمي يا أخي، أنت والله نسيج وحدك، بركة الله على أم ولدتك، لقد أنجبت حين أتت بك شبيه آبائك.

نقولات من صلة الإخوان

حكاية عن السيد العلامة يحيى بن المهـدي، مـن «صـلة الإخـوان» في سـيرة العارف بالله إبراهيم بن أحمد الكينعي، قال: سرت معه إلى جبال مذحج لزيـارة الإخوان ثمة، فانتهينا إلى فوق هجرة الأخشبي ببني قيس، تحت عرقـة شـاهقة، فاستقام مبهوتاً، فبهتُّ حذراً عليه من التردي من ذلك الشاهق، فوثبت عليه أنا

وأخ لنا أمسكناه، فقال: تقولون مم خلق الله هذه الجبال والصخرات الصم؟ ثم ارتعش ملياً، وغشي عليه، ثم أفاق وقال: سبحان من خلق هذه الجبال من عدم وعلى غير مثال، ثم قال: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾[عبس:١٧، ١٨] ثم قال: الذي خلقها سوداء وغبراء، يجعلها جوهراً شفافاً، كما روي أن حصباء الجنة من در وياقوت، فسبحان من أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، ولم يعجل على من عصى، وستر من غفل وجهل بالمولى، ثم قال: والحوت الذي أقسم الله به ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ لو أدرجت السموات السبع والأرضون السبع في أحد منخريه ما تبرم بهن، فنظر إلينا قد بهتنا من جهلنا وغفلتنا، فقال: الذي خلق هذه الجبال من عدم قادر أن يجعل منها روحاً، ثم قال: إن هذا الجبل من عدن إلى مكة يسمى في العراق جزيرة اليمن، لأن البحر من جميع جوانب هذه الجزيرة، من عدن إلى مكة إلى الشحر إلى تهامة، ويحكى أن بحر عدن وبحر هرموز كالكمَّين للقميص، وبحر الهند كالقميص والله أعلم، ثم قال: قيل إن الأرضين السبع تحت سماء الدنيا كحبة خردل، ثم السماء الدنيا تحت الثانية كريشة في فلاة، والأرضون السبع والسموات السبع بجنب العرش العظيم كخاتم في أرض فلاة، قال: وذكر الثعلبي في قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ﴾[الحاقة:١٧] قال: على صورة الوعول ما بين ظلفه إلى ركبته خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام فما قمنا من ذلك المقام إلا وقد انقطعت أوصاله من تململ أعضائه وما سرنا إلا ورجلان منا يمسكان بيده.

وقال يوماً في معنى قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١] يا بن آدم سافرت المشارق والمغارب لتعرفنا فلو سافرت في نفسك لوجدتنا في أول قدم، دُرت البلاد تطلبنا ونحن إليك أقرب من حبل الوريد، ونحن معكم

أينما كنتم وأنشد بعض أهل الكمال:

ومـــن عجــب أني أحــن إلــيهم ... وأســأل عــنهم مــن أرى وهــم معــي
وتطلبهم عينــي وهــم في ســوادها ... ويــشتاقهم قلبــي وهــم بــين أضــلعي

انتهى.

وفي «شرح الثلاثين المسألة» لابن حابس عن وهب بن منبه، إن لله ثمانية عشر ألف عَالَمٍ، الدنيا وما فيها عَالَم واحد.

طرائف وأخبار عن الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة - عليهما السلام-

طرائف وأخبار وشهادة حق من «تـاريخ الفـاخر الحسن في طبقـات أكـابر اليمن» لعلي بن الحسن بن الحسن الخزرجي الشافعي، قال فيه: الإمـام المنـصور بالله عبدالله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة بـن الإمـام أبي هاشـم الحسن بن عبدالرحمن بن يحيى بن عبدالله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بـن عـلي بـن أبي طالـب -رضي الله عنهم- نسب فخم وشرف ضخم، وإمام من أئمة الإسلام، وقطب من أقطـاب السادة الكرام، وسيف من السيوف الماضية، وجبل من جبـال الـدين الراسـية، ضرب في العلوم بأوفر الأقسام، وفاز من الفضل بأعظم السهام، وله التصانيف العجيبة، الجمة الغريبة، في عدة من فنون العلم، وله عدة رسـائل في الـرد عـلى المخالفين، ما ليس لأحد من آبائه الماضين، وسلفه الصالحين، وكان مختصاً بعلم الأدب، كثير الاحتجاج على غريب الكتاب والسنة بأشعار العرب، حتى قيل إن

محفوظه من أشعار العرب يزيد على مائة ألف بيت، وشرع في تفسير كتاب الله فلم يفرغ من سورة البقرة إلا في مجلد ضخم، واخترم دون إتمامه، وكان شاعراً فصيحاً، ومن شعره :

كم بين قولي عن أبي عن جده   وأبو أبي فهو النبي الهادي
وفتى يقول روى لنا أشياخنا   ما ذلك الإسناد من إسناد

وله ألفاظ حكمية، وكلمات أدبية، تجري مجرى الأمثال السائرة، وتنتظم في تلك العلوم الفاخرة، فمن ذلك قوله:

- كتمان السر رأس مال الملوك.
- الإلحاح في مطالبة المفلس يؤدي إلى الإنكار.
- شكر النعمة يؤدي إلى المزيد.
- الإفراط في المزح يؤدي إلى العداوة.
- خير الإخوان المواسي في الشدائد.
- خير الأمراء من انتخب الوزراء وأسوأ الولاة من تهاون بالكفاة.
- العفو تاج السلطان، والعقوبة سيفه، والعز رمحه، والكيد سهامه.
- العدل في الرعية أساس الملك.
- الحصون أوتاد الممالك.
- الوالي المهين يسقط هيبته السلطان القوي.
- الاعتذار بالشغل جهل بمقدار النعمة.

- الجود أساس العز، والبخل أساس الذل.

- حاجة السلطان إلى الرعية أكثر من حاجة الرعية إلى السلطان لأنا نجد رعية بلا سلطان ولا نجد سلطاناً بلا رعية.

- التكبر من المخلوق جهل بابتداء الخلقة.

- العلم بيت بابه التواضع، ومفتاحه الخشية، وعماده الصبر، وسقفه الرجاء، وحيطانه السكينة.

- أكثر الناس راحة أقلهم عقلاً.

رحمه الله تعالى، وكانت دعوته في ذي القعدة في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، وبايعه السيدان الأميران شيخا آل رسول الله ﷺ يحيى ومحمد ابنا أحمد بن يحيى بن الهادي، وكافة علماء الزيدية في جامع صعدة في شهر ربيع الأول من سنة أربع وتسعين وخمسمائة، واتصلت دعوته بالحجاز فقام بها السيد قتادة بن إدريس صاحب مكة أتم قيام وجبيت له زكوات الحجاز وأعشاره وأنفذت دعوته إلى الجيل والديلم والري فبايعه الزيدية بها، وارتفع صيته في الدنيا وخافه العباسيون ببغداد، وكتب دعوته إلى خوارزم شاه صاحب خراسان فتلقاها بأحسن التلقي وأعطى الشريف القادم بها مالاً جزيلاً، وجاءته كتب الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر يوسف بن أيوب صاحب حلب يدعوه إلى دخول العراق وبه يبذل نفسه للقيام في خدمته فأجاب وضمن الجواب شعرا أوله:

أتهجر معتمد دارها ... وتولي الملامة من زارها

ومنها:

إلى حلب حيث صيد الملوك ... تحبو وتكرم زوارها

سلالة من شاد دين الإله فطهر بالسيف أوزارها
فمات وأبقى لنا بعده شموس الملوك وأقمارها

وهو الذي عمر حصن ظفار وحصَّنه، وشيده، وأتقنه، وعمر مدارس العلم وأنفق عليها أموالاً جزيلة، وجمع في خزانته من الكتب ما ليس يلقى في مثله في سائر الخزائن، وأوقع بالمطرفية وهم فرقة من الزيدية ينسبون إلى مطرف بن شهاب، وكان قد فشا أمرهم وظهر مذهبهم القبيح، واعتقادهم الفاسد، من قولهم التأثير في العالم للطبائع الأربع، وإن البرد والمطر والموت دون مائة وعشرين سنة والخلقة الشوهاء وحشرات الأرض وغير ذلك ليس من فعل الله ولا باختياره، وكان فيهم زهادة وعبادة وتقشف، واستغووا به عامة الناس وجهلتهم فجرد فيهم السيف حتى كاد يأتي على آخرهم، وسبى ذراريهم وخرّب مساجدهم، ودمر ديارهم، وعفا آثارهم، وطمس مذهبهم فانقرضوا حتى لا يكاد يلقى منهم عشرة أنفس إلا في رؤوس الجبال الشواهق، بعد أن كانوا ألوفاً مؤلفة، فأنشأ رجل منهم يقال له: ابن النساخ رسالة إلى الخليفة العباسي ببغداد وهو الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الحسن المستضيء، فيقال: إن بسببها كان دخول الملك المسعود اليمن في سنة اثنتي عشرة وستمائة، وأن الخليفة عزم على السلطان الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب في تصدير بعض ولده إلى الإمام لحرب الإمام عبد الله بن حمزة، فإن الرسالة أقامته وأقعدته، وبلغت منه مبلغاً عظيماً كما قيل، ولم يزل الإمام قائماً بالإمامة إلى أن توفي، وكانت وفاته يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من المحرم أول سنة أربع عشرة وستمائة في حصن كوكبان، ثم نقل إلى بكر، ثم نقل إلى مشهده المعروف بحصنه بظفار، وكان مولده في شهر ربيع الأول من سنة إحدى وستين وخمسمائة -رحمه الله-.

قال: انتهى بلفظه.

في طلب العلم

ومن «تيسير المطالب» حكي عن الأصمعي أنه قال: رآني أعرابي وأنا أطلب العلم فقال لي: يا أخا الحضر، عليك بلزوم ما أنت فيه، فإن العلم زين في المجالس، وحلية بين الإخوان، وصاحب في الغربة، ودليل على المروءة ثم أنشأ يقول:

تعلم فليس المرء يولد عالماً ... وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التفت عليه المحافل

ومنها قال: قرأنا على أبي العباس أحمد بن يحيى لأبي الأسود الدؤلي:

العلم زين وتشريف لصاحبه ... فاطلب هديت فنون العلم والأدبا
لا خير فيمن له أصل بلا أدبٍ ... حتى يكون على ما زانه حدبا
كم من كريم أخي عي وطمطمة ... فَدْم لدى القوم معروف إذا انتسبا
في بيت مكرمة آباؤه نجب ... كانوا الرؤوس فأمسى بعدهم ذنبا
وخامل حامل للعلم ذي أدب ... نال المعالي بالآداب والرتبا
أمسى عزيزا عظيم الشأن مشتهراً ... في خده صعر قد ظل محتجبا
العلم كنز وذخر لا نفاد له ... نعم القرين إذا ما صاحب صحبا
قد يجمع المرء مالاً ثم يحرمه ... عما قليل فيلقى الذل والحربا
وجامع العلم مغبوط به أبداً ... ولا يحاذر منه الفوت والسلبا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه ... لا تعدلن به دُرّاً ولا ذهبا

مما قيل في فضل الجوع

قال في «صلة الإخوان» في سيرة العارف بالله إبراهيم بن أحمد الكينعي – رضي الله تعالى عنه – وجد في مسوداته بعد موته: فصل من كلام أهل الإشارة، قال: سئل يحيى بن معاذ عن الصوم فقال: صوم العامة عن الطعام والشراب، وصوم الخاصة صوم العبودية فيفطرون بذكره، من حلاوة الخدمة يجلسون على مائدة النعمة، ويأكلون من ثمار الحرمة، ويشربون من عين المحبة، ويقومون بشكره، وينامون بأنسه، ويستضيئون بضوء التوفيق، ويتسحرون بالشوق، ويصلون ركعتين ؛ ركعة من خوف القطيعة، وركعة رجاء الوصلة، ثم يسلمون على أيمانهم بالانقطاع عن الدنيا، وعن شمائلهم بالانقطاع إلى الآخرة، ثم يقولون: لبيك من نفسي وروحي، لبيك من قلبي وعقلي، ما دام الروح في جسدي، فإذا كان كذلك فهو من أهل هذه الآية، قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[الشعراء: ٧٩، ٨٠] من مرض القطيعة برجاء الوصلة، أي يطعمني من حلاوة الخدمة، ويسقيني من عين المحبة، ويشفيني من مرض القطيعة برجاء الوصلة.

قال أبو سليمان الداراني: مثل الجوع مثل الرعد، والقناعة مثل السحاب، والحكمة كالمطر.

وذكر أبو طالب المكي في «قوت القلوب»: مثل البطن، مثل المزهرة، وهو العود المجوف ذو الأوتار، وإنما حسن صوته لخفته ورقته، وخلاء جوفه،

فكذلك الجوف إذا خلا كان أعذب للتلاوة، وأدوم للقيام، وأقل للمنام، وقال: روي أن عيسى عليه السلام قعد يناجي ربه ستين صباحاً ما طعم فيها شيئاً، فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة، وموسى عليه السلام لما ترك الأكل أربعين يوماً قربه الله نجياً.

حكاية عن عيسى -عليه السلام-

مر عيسى عليه السلام في بعض الطرق فرأى امرأة عليها من كل زينة فذهب يغضي وجهه عنها، فقالت: اكشف وجهك عني فلست بامرأة! أنا الدنيا، فقال لها: ألك زوج؟ فقالت: لي أزواج كثير، فقال لها: هل تحبين أحداً منهم؟ فقالت: لا أحب أحداً منهم، بل هم يحزنون علي ولا أحزن عليهم، ويبكون علي ولا أبكي عليهم، فيا عجبا للمتأخرين كيف لا يعتبرون بالمتقدمين!

حكاية أسر زيد بن الداعي

أسر زيد بن الداعي في الحرب التي كانت بين أبيه والخراسانية أصحاب إسماعيل بن أحمد الساماني صاحب ما وراء النهر من أعمال خراسان سنة سبع وثمانين ومائتين، واستشهد أبوه محمد بن زيد عليه السلام في هذه الحرب، وقبر بجرجان، وحمل ابنه أبو الحسن زيد أسيراً إلى بخارى، وكان فاضلاً أديباً فكتب إلى بعضهم:

أَسِجْنٌ وقيدٌ واشتياق وغربةٌ ... ونأي حبيب إن ذا لثقيل

أيا شجرات الجوز في شط هرمز لشوقي إلى أفيائكن طويل
ألا هل إلى شم البنفسج في الضحى بخشكود من قبل الممات سبيل

هرمز: نهر آمل، وخشكود: قرية كانت على شاطئ هرمز، فبلغ الشعر إسماعيل بن أحمد فرق له ودعاه، وخيره بين الرجوع إلى وطنه وبين الإقامة ببخارى، فقال: لا قد تغيرت تلك الأحوال عما كانت، واختار الإقامة ببخارى، وصاهر خمسون بن علي، وله ثمة عقب.

قال الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين عليه السلام: أنشدني مشايخنا بطبرستان لزيد بن الداعي محمد بن زيد مما قاله وهو محبوس ببخارى بعد قتل أبيه -رضي الله عنه-:

إن يكن نالك الزمان ببلوى عظمت شدة عليك وجلت
وأتت بعدها نوازل أخرى خضعت عندها النفوس وذلت
وتلتها قوارع ناكبات سئمت دونها الحياة وملت
فاصطبر وانتظر بلوغ مداها فالرزايا إذا توالت تولَّت

طرفة عن بعض المعاصرين

عن بعض العلماء العصريين قال: الإسلام حرم شتى أنواع وسائل الإغراء التي من شأنها إثارة الغرائز، وإشاعة الفواحش، كل ذلك في سبيل أن يعيش الإنسان في مجتمع نظيف لا أثر للضغوط الخارجية فيه على أعصابه، مجتمع يعين الإنسان على سلوك سبيل الفطرة يعينه ولا يعين عليه ولذلك كان موقف الإسلام حاسماً وحازماً بالنسبة لكل عامل من عوامل الإفساد في المجتمع، وقاعدته في ذلك [أن كل ما يؤدي إلى الحرام فهو حرام]

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور:١٩]

وعن أبي هريرة قال: لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبس المرأة، والمرأة تلبس لبس الرجل، وعن ابن مسعود قال: لعن رسول الله ﷺ الواشمات، والمتوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله، وأخرج مسلم وغيره: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يعرفن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا».

وفي سبيل وقاية الإنسان مما يحرك غرائزه ويثير نوازعه أمر الإسلام بغض البصر، وعدم تتبع العورات، فالنظر محرك للشهوات وباعثها، والنافذة التي تنفذ من خلالها عوامل الميل والرغبة، فالله تعالى جعل البصر مرآة القلب، فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «الإثم حواز القلوب وما من نظرة إلا وللشيطان فيها مطمع» ويقول: «ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه».

إن النظرة كما يقولون تفعل فعل السهم في الرمية إن لم تقتله جرحته، وهي بمنزلة الشرارة في الحطب إن لم تحرقه كله أحرقت بعضه، قال الرسول ﷺ : «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه» رواه الطبراني والحاكم. وفي حديث آخر للرسول ﷺ

يقول: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليس لك الآخرة» وقديماً قيل:

كل الحوادث مبدأها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها فعل السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها في أعين الغيد موقوف على خطر
يسر مقلته ما ضر مهجته لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

حكاية حبس آل الحسن -عليهم السلام-

من «تيسير المطالب» قال: حدثنا حسين بن نصر وذكر قصة آل الحسن عليهم السلام في حبسهم، قال: حبسهم أبو جعفر في محبس لا يدرون ليلاً من نهار، ولا يعرفون وقت الصلاة إلا بتسبيح علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن السبط، فضجر عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام ضجرة فقال: يا علي ألا ترى ما نحن فيه من البلاء، ألا تطلب إلى ربك -عز وجل- أن يخرجنا من هذا الضيق والبلاء؟ قال: فسكت عنه طويلاً، ثم قال: يا عم، إن في الجنة درجة لم نكن لنبلغها إلا بهذه البلية، أو بما هو أعظم منها، وإن لأبي جعفر في النار موضعاً لم يكن ليبلغه حتى يبلغ منا مثل هذه وأعظم منها، فإن تشأ أن تصبر فما أوشك فيما أصبنا أن نموت ونستريح كأن لم يكن منه شيء، وإن تشأ أن ندعو ربنا عزوجل أن يخرجنا من هذا الغم ويقصر بأبي جعفر عن غايته التي له في النار فعلنا، قال: لا، بل اصبر فما مكثوا إلا ثلاثاً حتى قبضهم الله إليه.

قال الإمام أبو طالب -رحمه الله تعالى- : معنى قوله: لنا في الجنة درجة لم نكن

لنبلغها إلا بهذه البلية أي الدرجة المستحقة على الأعواض التي تؤخذ من أبي جعفر وتنقل إليهم، ويحتمل الثواب الذي يجب لهم على المجاهدة والصبر على ما ينالهم فيها .

حكاية المتوكل العباسي مع الإمام علي بن محمد الجواد

ذكرها كثير من المؤرخين: أنَّه سُعي إلى المتوكل العباسي بالإمام أبي الحسن علي بن محمد الجواد بن علي الرضا عليهما السلام أن في منزله سلاحاً وكتباً من شيعته، وأنه يطلب الأمر لنفسه، فبعث المتوكل إليه جماعة من عساكره فهجموا على منزله فوجدوه على الأرض مستقبل القبلة يقرأ القرآن فحملوه على حاله إلى المتوكل، والمتوكل يشرب فأعطاه شراباً فقال: اعذرني فإني لم أشربها حياتي؛ فأعظمه وأجله، وقال: أنشدني فقال: إني قليل الرواية للشعر، فقال: لابد. فأنشده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال فلم تنفعهم القلل

واستنزلوا بعد عز من معاقلهم ... وأُودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا

ناداهُمُ صارخ من بعد ما رحلوا ... أين الأسرة والتيجان والحُلل

أين الوجوه التي كانت محجبة ... من دونها تضرب الأستار والكللُ

فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

يا طالما أكلوا يوماً وما شربوا ... فأصبحوا بعد ذاك الأكل قد أُكلوا

فبكى المتوكل والحاضرون، وقال له المتوكل: يا أبا الحسن، هل عليك دين؟ قال: نعم، أربعة آلاف درهم، فأمر له بها، وصرفه معظماً مكرماً.

حكاية شقيق البلخي مع الإمام موسى الكاظم -عليه السلام-

من «نور الأبصار» قال حسام بن حاتم الأصم: قال لي شقيق البلخي: خرجت حاجاً سنة ست وأربعين ومائة فنزلت بالقادسية، فبينما أنا أنظر إلى الناس في مخرجهم إلى الحج وزينتهم وكثرتهم إذ نظرت إلى شاب حسن الوجه، شديد السمرة، نحيف، فوق ثيابه ثوب صوف، مشتمل بشملة، وفي رجليه نعلان، وقد جلس منفرداً، فقلت في نفسي هذا الفتى من الصوفية يريد أن يخرج مع الناس فيكون كلاً عليهم في طريقهم، والله لأمضين إليه ولأوبخنه، فدنوت منه، فلما رآني مقبلاً نحوه قال: يا شقيق اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم، ثم تركني وولى، فقلت في نفسي: إن هذا الأمر عجيب، تكلم بما في خاطري، ونطق باسمي، هذا عبد صالح لألحقنه ولأسألنه الدعاء، وأتحلله بما ظننت فيه، فغاب عني ولم أره، فلما نزلنا وادي فضة فإذا هو قائم يصلي، فقلت: هذا صاحبي أمضي إليه وأستحله، فصبرت حتى فرغ من صلاته، فالتفت إليَّ وقال: يا شقيق، اتل: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه:٨٢] ثم قام ومضى وتركني، فقلت: هذا الفتى من الأبدال، قد تكلم على سري مرتين، فلما نزلنا بالأبواء إذا أنا بالفتى قائم على البئر، وأنا أنظر إليه وبيده ركوة فيها ماء، فسقطت من يده في البئر، فرمق إلى السماء بطرفه وسمعته يقول:

أنت شربي إذا ظمئت من الما ء وقوتي إذا أردت طعاما

ثم قال: إلهي وسيدي ومولاي ما لي سواك فلا تعدمنيها، فوالله لقد رأيت الماء قد ارتفع إلى رأس البئر والركوة طافية عليه، فمد يده فأخذها فتوضأ منها وصلى أربع ركعات، ثم مال إلى كثيب رمل فجعل يقبض بيديه ويجعل في

الركوة ويحركها ويشرب، فأقبلت نحوه وسلمت عليه، فرد علي السلام، فقلت: أطعمني بفضل ما أنعم الله به عليك، فقال: يا شقيق لم تزل نعم الله علي ظاهرة وباطنة، فأحسن ظنك بربك، ثم ناولني الركوة فشربت منها، فإذا فيها سويق بسكر، فوالله ما شربت قط ألذ منه ولا أطيب، فشربت ورويت حتى شبعت، فأقمت أياماً لا أشتهي طعاماً ولا شراباً، ثم لم أره حتى نزلنا بمكة، فرأيته ليلة إلى جنب قبة الشراب نصف الليل وهو قائم يصلي بخشوع، وأنين، وبكاء، فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر، ثم قام إلى حاشية المطاف فركع ركعتي الفجر هناك، ثم صلى الصبح مع الناس، ثم دخل المطاف فطاف إلى بعد شروق الشمس، ثم صلى خلف المقام، ثم خرج يريد الذهاب، فخرجت خلفه أريد السلام، وإذا بجماعة أحاطوا به يميناً، وشمالاً، ومن خلفه، ومن أمامه، وخدم وحشم وأتباع خرجوا معه، فقلت لأحدهم : من هذا الفتى يا سيدي؟ فقال: هذا موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهم-. وهذه الكرامة رواها جماعة من أهل التآليف، ورواها ابن الجوزي في كتابه «مثير الغرام الساكن إلى أشرف المساكن»، ورواها الجنابذي في «معالم العترة النبوية»، والدامهر مزي في كتابه «كرامات الأولياء» وهي كرامة اشتملت عليها كرامات.

طرائف وفوائد عظيمة

من «تيسير المطالب» عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : «طلب العلم فريضة على كل مسلم، وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب» وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد».

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ : «من كتم علماً مما ينفع الله به في أمر الدين ألجمه الله بلجام من النار».

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم».

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «منهومان لا يشبعان: منهوم دنيا،ومنهوم علم، ومن اقتصر من الدنيا على ما أحل الله له سلم، ومن تناولها من غير حلها هلك، إلا أن يتوب ويرجع، ومن أخذ العلم عن أهله وحملته نجا، ومن أراد به الدنيا فهو حظه منها، والعلماء رجلان عالم أخذ بعلمه فهو ناج، وعالم تارك لعلمه فهذا هالك، وإن أهل النار ليتأذون من رائحة العالم التارك لعلمه، وإن أشد الناس ندامة وحسرة رجل دعا عبداً إلى الله سبحانه فاستجاب له وأطاع الله فأدخله الجنة، وأدخل الداعي النار بتركه علمه واتباعه هواه».

وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «سيأتيكم أقوام يطلبون العلم فإذا رأيتموهم فقولوا: مرحباً بوصية رسول الله ﷺ».

وعن الحسين بن علي عليهما السلام قال: قال أمير المؤمنين علي عليه السلام لأصحابه وهم بحضرته عليه السلام: تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وإفادته صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو معالم الحلال والحرام، ومسالكه سبل الجنة، مؤنس من الوحدة، وصاحب في الغربة، وعون في السراء والضراء، ويد على الأعداء، وزين عند الأخلاء، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير أئمة يقتدى بهم، تربو أعمالهم فتقتفى آثارهم، وترغب الملوك في خلتهم، والسادة في عشرتهم، والملائكة في صفوتهم؛ لأن العلم حياة القلوب من الخطايا، و«نور

الأبصار» من العمى، وقوة الأبدان على الشنآن، ينـزل الله حامله الجنان، ويجعله محل الأبرار، بالعلم يطاع الله ويعبد، وبالعلم يُعرف الله ويوحد، وبالعلم تفهـم الأحكـام، ويفـصل بـه بـين الحـلال والحـرام، ويمنحـه الله الـسعداء، ويحرمه الله الأشقياء.

وعن أمير المؤمنين علي -عليه الصلاة والرضوان-: قوام الدنيا بأربعة: بعـالم ناطق بعلمه عامل به، وبغني لا يبخل بفضل ماله على أهل ديـن الله، وبفقـير لا يبيع آخرته بدنياه، وبمتعلم لا يستكبر عن طلب العلم، فإذا بخل العالم بعلمـه، والغني بفضل ماله على أهل دين الله، وباع الفقير آخرته بدنياه، واستكبر الجاهل عن طلب العلم، رجعت الدنيا إلى بُدئها، فلا تغرنكم كثـرة المـساجد، وأجنـاد مختلفة، قيل: يا أمير المؤمنين فـما العـيش في ذلـك الزمـان؟ قـال: خـالطوهم في الظاهر، وخالفوهم في الباطن، وتوقعوا فيها بين ذلك الفرج من الله -عز وجل-.

وعن عبدالله قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينـزع العلم من النـاس انتزاعاً ينتزعه منهم، ولكن بقبض العلماء، فإذا قبض العلماء اتخذ الناس رؤساء جهالاً سئلوا فاستحيوا أن يقولوا: لا نعلم فضلوا وأضلوا كثيراً».

وعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل العلم خير من فضل العبـادة، وخير دينكم الورع».

وعن ابن عباس أنه قال: جـاء رجـل إلى رسـول الله ﷺ فقـال: يـا نبـي الله علمني من غرائب العلم، فقال له رسول الله ﷺ: «وما صنعت في رأس العلـم حتى تسألني عن غرائبه؟ فقال الرجل: وما رأس العلم يـا رسـول الله؟ فقـال: معرفة الله حق معرفته. فقال: يا رسول الله،وما معرفـة الله حـق معرفتـه؟ فقـال رسول الله ﷺ: أن تعرفه بلا مثل ولا شبيه، وتعرفه إلهاً، واحداً، فرداً، صـمداً،

أولاً، آخراً، ظاهراً، باطناً، لا كفؤ له».

وعنه ﷺ : «ما غدا رجل يتلمس علماً إلا فرشت الملائكة أجنحتها رضاً بما يعمل».

وعنه ﷺ : «النظر إلى البيت الحرام عبادة، والنظر في كتاب الله عبادة، والنظر في وجه العالم الطالب بعلمه وجه الله عزوجل عبادة، والجلوس في المسجد اعتكاف».

وعنه ﷺ «قسم الله العقل إلى ثلاثة أجزاء فمن كن فيه كمل عقله ومن لم يكن فيه فلا عقل له: حسن المعرفة بالله تعالى، وحسن الطاعة له، والصبر على أمره -عز وجل-».

في بر الوالدين

قال الله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾.

شكا رجل إلى رسول الله ﷺ سوء خلق أمه فقال: «لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر»، قال : إنها سيئة الخلق، قال : «لم تكن كذلك حين أرضعتك حولين كاملين» قال : إنها سيئة الخلق، «قال: لم تكن كذلك حين أسهرت لك ليلها وأظمأت لك نهارها» قال: لقد جازيتها، قال: ما فعلت؟ قال: حججت بها على عاتقي قال: «ما جزيتها ولو طلقة واحدة».

وعن ابن عمر أنه رأى رجلاً في الطواف يحمل أمه ويقول:

إني لها مطية لا تذعرُ إذا الركاب نفرت لا تنفر

مـا حملـت وأرضـعتني أكثـر ... الله ربي ذو الجـلال الأكـبر

تظنني جزيتها يابن عمر؟ قال: لا ولا زفرة واحدة.

وقال رجل لرسول الله ﷺ: إن أبوي بلغا من الكبر أن أَلِيَ منهما ما وليا مني في الصغر، فهل قضيتهما حقهما؟ قال: «لا، فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك، وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما».

وروي أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إن ابني هذا له مالٌ كثير وإنه لا ينفق عليَّ من ماله فنزل جبريل عليه وقال: «إن الشيخ هذا قد أنشأ في ابنه أبياتاً ما قرعت سمعه»، فقال النبي ﷺ: «إنك قلت أبياتاً لم تسمعها أذناك فهات»، فقال الرجل: زادنا الله بك إيماناً يا رسول الله وأنشد:

غـذوتك مولـوداً وعلتـك يافعـاً ... تعـل بـما أجنـي عليـك وتنهـلُ
إذا ليلـة ضـاقتك بالسـقم لم أبـت ... لسـقمك إلا باكيـاً أتململُ
كـأني أنـا المطـروق دونـك بالـذي ... طُرقـت بـه دوني فعينـاي تهمـلُ
تخـاف الـردي نفسـي عليـك وإنهـا ... لـتعلم أن المـوت وقـت مؤجـل
فلـما بلغـت السـن والغايـة التـي ... إليهـا مـدى مـا كنـت فيـك أؤمـلُ
جعلـت جزائـي غلظـة وفظاظـة ... كأنـك أنـت المـنعم المتفـضـلُ
فليتـك إذ لم تـرع حـق أبـوتي ... فعلـت كـما الجـار المجـاور يفعـلُ
وسـميتني باسـم المفنـد فعلـه ... وفي رأيـك التفنيـد لـو كنـت تعقـلُ
تـراه معـداً للخـلاف كـأنه ... يـرد عـلى أهـل الـصواب موكـلُ

فغضب رسول الله ﷺ وقال: «أنت ومالك لأبيك». انتهى من شواهد «الكشاف».

ولأحد العرب وقد حمل أمه على ظهره في الحج:

أحمل أمي وهي الحمالة ترضعني الدرة والعلالة ولا يجازى والد فعاله

الدرة: كثرة اللبن وسيلانه، والعلالة: بقية اللبن والحلبة بين الحلبتين، والعلل: الشرب الثاني، يقال: علل بعد نهل، والتعليل: سقي بعد سقي، وجني الثمرة مرة بعد أخرى، وأما النهل فهو: الشرب الأول، لأن الإبل تسقى في أول الورد فترد إلى العطن، ثم تسقى الثانية وهي العلل فترد إلى المرعى.

حكاية ظريفة مع نعيمان بن عمرو الأنصاري

كان نعيمان بن عمرو الأنصاري من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان ممن شهد بدراً مع النبي ﷺ ، وقد ضُرب في الخمر مرات، وكان يعبث كثيراً، فمر يوماً بالصحابي مخرمة بن نوفل الزهري بعد ما ضُرّ وكان فصيحاً سلط اللسان وعُمّر طويلاً، وهو يقول: من يقودني إلى موضع أبول فيه، فأخذ بيده نعيمان، حتى إذا كان في مؤخر المسجد قال: اجلس. فجلس يبول، فصاح به الناس يا أبا المسور، إنك في المسجد فقال: من قادني؟ قالوا: نعيمان، قال: لله علي أن أضربه بعصاي إن وجدته، فبلغت نعيمان فجاء فقال: يا أبا المسور هل لك في نعيمان؟ قال: نعم قال: هو ذا يصلي فأخذ بيده وجاء به إلى عثمان بن عفان وهو يصلي فقال: هذا نعيمان فعلاه بعصاه؛ فصاح الناس، وقالوا: ضربت أمير المؤمنين قال: من قادني؟ قيل: نعيمان قال: لا جرم لا عرضت له بشيء.

شعراً:

ويل الشجي من الخلي فإنه نصب الفؤاد بشجوه مغموم

وتـرى الخـلي قريـر عـين لاهيـاً وعـلى الـشجي كآبـة وهمـوم
ويقـول مالـك لا تجيـب مقـالتي ولـسان ذا طلـق وذا مكظـوم

حكاية من «الأمالي الشجرية»

من «أمالي الإمام المرشد بالله يحيى بن الحسين الشجري» رضوان الله وسلامه عليه بإسناده، قال: مر عيسى بن مريم عليه السلام على مدينة خربة فأعجبه الشأن، فقال: يا رب مر هذه القرية أن تجيبني، قال: فأوحى الله تعالى إليها أيتها المدينة الخربة أجيبي عيسى، فنادت المدينة: عيسى حبيبي ما تريد مني؟ قال: ما فعلت أشجارك؟ وما فعلت أنهارك ؟ وما فعلت قصورك ؟ وأين سكانك؟ قالت: حبيبي جاء وعد ربك الحق فيبست أشجاري، ويبست أنهاري، وخربت قصوري، ومات سكاني، قال: فأين أموالهم؟ قالت: جمعوها من الحلال والحرام فهي موضوعة فيّ: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الحديد:١٠]، قال: فنادى عيسى بن مريم عليه السلام : تعجبت من ثلاث: طالب الدنيا والموت يطلبه، وباني القصور والقبر منزله. ومن يضحك ملء فِيْهِ والنار أمامه، ابن آدم لا بالكثير تشبع، ولا بالقليل تقنع، تجمع مالك لمن لا يحمدك، وتقدم على رب لا يعذرك، إنما أنت عبد بطنك وشهوتك، وإنما تملأ بطنك إذا دخلت قبرك، وحيث ترى مالك في ميراث غيرك.

ومنها بإسناده قال: صعد علي بن أبي طالب المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: عباد الله الموت شيء ليس منه فوت، إن أقمتم أخذكم، وإن فررتم منه أدرككم، الموت معقود بنواصيكم، فالنجا النجا الوحا الوحا فإن وراءكم طالباً حثيثاً، احذروا ضغطة

القبر وظلمته وضيقه، ألا وإن القبر حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنة، ألا وإنه يتكلم في اليوم ثلاث مرات، فيقول: أنا بيت الوحشة، وأنا بيت الدود، ألا وإن ما وراء ذلك اليوم أشد من ذلك اليوم يوم يشيب فيه الصغير، ويهرم فيه الكبير، وتضع كل ذات حمل حملها،وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، ألا وإن ما وراء ذلك أشد من ذلك اليوم، نار حرها شديد، وقعرها عميق، وحبلها حديد، ليس لله فيها رحمة، قال: فبكى المسلمون حوله بكاءً شديداً، فقال: ألا ومن وراء ذلك اليوم رحمة وجنة عرضها السموات والأرض أعدها الله للمتقين، أجارنا الله وإياكم من العذاب الأليم.

حكاية من «أمالي المرشد بالله» رضوان الله تعالى عليه

من «أمالي المرشد بالله» بسنده إلى أبي إسحاق إبراهيم بن عبدالله بن الجنيد الختلي سمعت رجلاً من البكائين النواحين يقول: واموتاه، وليس من الموت منجا، كأني بالموت قد غاداني أو مساني، وكأني عن قليل لا أُزار ولا أوتى، وكأني عن قليل أودع الدين والدنيا، وكأني أتخذ القبر بيتاً، واللحد متكأً، وكأني عن قليل أوسد بلبنة وأوسد بأخرى، وكأني عن قليل أجاور أهل البلى، وكأني عن قليل أجاور قوماً جفاة، وآغفلتاه! وآهولاه! أي الأهوال أتذكر؟ وأيها أنسى؟ لو لم يكن إلا الموت وغصصه وما بعد الموت أعظم وأدهى، إسرافيل لو قد نادى فأسمع النداء فأزعجني غداً من ضيق لحدي، وحيداً منفرداً متغير اللون، شاخصاً بصري، مقلداً عملي، قد ألجمني عرقي، وتبرأ الخليقة مني، نعم وأمي وأبي، نعم ومن كان لذكري وسعيي، فبقيت في ظلم القيامة متحيراً، فمن يجيب

ندائي، ومن يؤمن روعتي؟ ومن يطلق لساني إذا غشيني في النور؟ ثم سألتني عما أنت أعلم به مني، فإن قلت: لم أفعل، قلت: ألم أكن شاهداً أرى، وإن قلتُ: أين المهرب من عدلك؟ فمن عدلك من يجيرني؟ ومن عذابك من ينجيني؟ يا ذخري، ويا ذخيرتي، ويا موضع بثي وشكواي، من لي غيرك؟ إن دعوت غيرك لم يجبني، وإن سألت غيرك لم يعطني، فرضاك قبل لقاك، ورضاك قبل نزول النار.

يالها فَظَاعة ليلة بتها بين أهلي قد استوحشوا لمكاني عندهم، وقد كانوا قبل ذلك يأنسون بقربي، خمدت فما أجبت داعياً ولا باكياً، يبكون ميتاً بين أظهرهم مسجّى، فما كان همهم حين أصبحوا إلا غاسلاً، نزعوا خاتمي، وجردوا عني ثيابي، ووضئوني لغير صلاة، حتى إذا فرغوا قال: جففوه، وقربوا أكفاناً فأدرجوني فيها، وأنا سطيح على أعواد المنايا إلى عسكر الموتى، مروا بي على الناس فكم ناظر متفكر، وآخر عن ذلك لاهٍ، بكى أهلي وأيقنوا أنها غيبتي لا يرجون لقائي، نادوا باسمي فأسمعوا من حولي ولم يسمعوني، ولقد عظم الذي إليه يحملونني، نزل قبري ثلاثة كأنهم بذحلٍ يطلبوني، فدليت في أضيق مضجع، وصار الرأس تحت الثرى وبه وسدوني، فيا رب ارحم عثرتي، وآنس وحشتي، وبرد مضجعي، ونور في القبور قبري، [وشاهد الحال]:

قصدتك لا أدلي بقربى ولا يد	إليك سوى أني بجودك واثق
فإن قلت لي خيراً أكن لك شاكراً	وإن قلت لي عذراً فإنك صادق
ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي	جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما عدلته	بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب راحماً	تجود وتعفو مِنَّةً وتكرُّما

حكاية عن عثمان بن مظعون -رضي الله عنه-

من «تيسير المطالب للإمام أبي طالب»، عن سلمة بن عبدالله بن سلمة، عن عمر بن أبي سلمة، عن أم سلمة - رضي الله تعالى عنها- قالت: لما رأى عثمان بن مظعون ما يلقى أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء وهو في عافية من ذلك بجوار رجل من المشركين قال: والله إني لفي غبن كثير، إن إخواني يعذبون في الله ويؤذون، وأنا من ذلك في معزل بجوار رجل مشرك، فخرج حتى أتى الوليد بن المغيرة، فقال: يا أبا عبد شمس، قد أحببت أن أرد عليك جوارك، قال: ولماذا ذاك يابن أخي؟ هل آذاك أحد؟ قال: لا ولكن أحببت أن أرد عليك جوارك، وأكون في جوار الله تعالى، قال: إن هذا لا يكون حتى تخرج إلى قريش فتخبرهم بذلك إنك قد رددت عليَّ جواري، فإني أجرتك علانية، قال: فانطلق وانطلق معه، ووقف في المسجد على مجلس قريش، فقال: يا معشر قريش، إني كنت أجرت عثمان بن مظعون كما قد علمتم، ثم جاءني فرد عليَّ جواري كذلك يا عثمان؟ قال: نعم، قال: فإني برئت من جواره، قال: فوافق ذلك حضور لبيد بن ربيعة مجلس قريش ينتقدهم بشعره، قال: فجلس الوليد، وجلس عثمان، وأنشد لبيد:

ألا كل شيءٍ ما خلا الله باطلُ

فقال عثمان: صدقت، قال:

وكل نعيم لا محالةَ زائلُ

فقال عثمان: كذبت نعيم الجنة لا يزول، فقال: يا معشر قريش، ما كانت مجالسكم هكذا أن يؤذى جليسكم ويكذب، قالوا: هذا رجل مجنون في أصحاب

له مجانين معه فلا يسوءك ما قال، ثم قام إليه رجل منهم فضرب عينيه ضربة فطمت، قال: يقول الوليد:يا ابن أخي إن كانت عينك هذه لغنية عما أصابها، فقال: والله إن عيني هذه الأخرى لفقيرة إلى ما أصاب هذه، قالت أم سلمة: فعذب رجال من أصحاب النبي ﷺ منهم عمار بن ياسر، وكان ذلك مما هاج هجرتهم إلى المدينة.

طرائف شريفة

من «أمالي الإمام المرشد بالله الخميسية» بإسناده عن أسماء بنت عميس قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بئس العبد عبد تكبر وزها، ونسي المبتدأ والمنتهى، بئس العبد عبد تخيل واختال، ونسي الكبير المتعال، بئس العبد عبد باع الدين بالدنيا، بئس العبد عبد خلط الدين بالشبهات، بئس العبد عبد يرده الرعب عن الحق».

وعن حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ : «من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء، ومن لم يثق بالله فليس من الله، ومن لم يهتم بالمسلمين عامة فليس منهم».

وعن الحسن أنه تلا هذه الآية ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[الزخرف:٣٢]، قال: إن الله تعالى قسم الدنيا للبلاء وأباح الآخرة للجزاء، وإن الله تعالى أعطى الدنيا بقسم، وأعطى الآخرة بعمل، وإن المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه، ولكن أتاه من الله -عز وجل- فأخذه عنه، وإن سبيل الله -تعالى- سبيل واحد جِمَاعُهُ الهدى ومصيره الجنة.

وعن ابن عباس قال: خطب رسول الله ﷺ في مسجد الخيف فحمد الله وذكره بما هو أهله، ثم قال: «من كانت الآخرة همه جمع الله شمله، وجعل غناه بين عينيه، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه فرق الله شمله، وجعل فقره بين عينيه، ولم يؤته من الدنيا إلا ما كتب الله له».

عن مورق العجلي: يابن آدم في كل يوم يؤتى برزقك وأنت تحزن، وفي كل يوم ينقص عمرك وأنت لا تحزن، عندك ما يكفيك وتطلب ما يطغيك.

إذا ما كساك الله سربال صحة

ولم تخل من عيش يطيب ويعذب

فلا تغبطن المترفين فإنهم

على قدر ما يعطيهم الدهر يسلب

عن مسعود بن طلحة قال: قال الإمام الشهيد زيد بن علي عليهما السلام في دعائه: أسألك تقرباً إليك أن تصلي على محمد النبي الأمي، وأن تقبل شفاعته، وآته سؤله، وبيض وجهه، وارفع درجته، وعظم نوره، وكرم مقامه، وشرف بنيانه، وأعلِ منزلته، ومكن كرامته، وأعطه من الخيرات في جميع ما تؤتي خلقك يا أرحم الراحمين، وصل على أهله وبارك عليهم وسلم، اللهم وأسألك سلوة عن الدنيا، وبغضاً لها، فإن خيرها زهيد، وإن شرها عتيد، وإن جمعها يبيد، وإن خيرها ينكد، وإن جديدها يخلق، وإن صفوها يكدر، وإن ما فات منها حسرة، وإن ما أصيب منها فتنة، إلا من نالته منك عصمة، نسأل الله عزوجل العصمة منها، وأن لا تجعلنا كمن رضي بها، واطمأن إليها، فإن من اطمأن إليها فقد خانته، ومن أمنها فقد فجعته، فلم يغنم في الذي كان منها فيها، ولم يضعن عنها،

نسأل الله أن لا يجعلنا كمن أخلد إليها، وأن يجعلنا ممن سارع إلى ما شوقه إليه من ثوابه، وعصمنا مما خوف به من عقابه، ورزقنا الصبر في مواطن الصبر حتى يبلغنا القيام بأمره، وبذل أنفسنا من الدنيا فيها لمرضاته.

طرائف من أقوال العارف بالله إبراهيم الكينعي

اترك النوم إلا من غلبة، وحد الغلبة أن يتشوش عليه الذكر والقراءة والصلوات فحينئذ ينام حتى يعقل ما يقول، كما قال تعالى: ﴿كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[الذاريات:١٧، ١٨] والنوم راحة البدن، والمجاهدة إتعاب البدن، فإذا هجر المجاهد النوم والاستراحة دانت له الجوارح، فيحيا القلب، وترتفع عنه حجب الشهوات، فحينئذ ينظر إلى عالم الملكوت بعين قلبه فيشتاق إلى ربه.

والمحافظة على الأمر الوسط في الطعام والشراب لا الشبع ولا الجوع المفرط كما قال الله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١] وقال ﷺ : «من أكل طعاماً بشهوة حرم الله على قلبه الحكمة، ومن تركها رزق الله قلبه الحكمة» وقال ﷺ : « إذا أسكت كلب الجوع برغيف فعلى الدنيا العفا » وفي هذا الخبر الشريف تعيين قدر الطعام فافهم.

وقيل: الآفات كلها مجموعة في الشبع، والخيرات كلها مجموعة في الجوع.

وآفات الشبع كثيرة قد عدها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام رواها في كتاب «التصفية» للديلمي إلى سبعة وعشرين:

تقسي القلب، وتضر الجسد، وتذهب البهاء، وتنسي الرب، وتمحق الـدين، وتذهب اليقين، وتنسي العلم، وفيه ترك الأدب، وركـوب المعـاصي، واحتقـار الفقراء، ونقصان العقل، وذهاب السخاء، وزيادة البخل، وثقل النَّفَس، وزيادة الشهوات، وقوة الجهل، وكثرة الكلام الفضول، وحب الدنيا، وكثرة الضحك، ويقل الإخلاص، ويطيل النوم، ويكثر الغفلة، ويفرق الأصحاب، ويكثر الغم، وهو المانع عن العلم والعمل اللذين خلق لهما الإنسان إلى غير ذلك من الخصال الدنية، وفي الجوع سبع وعشرون خصلة أضدادها.

وأجمعت الحكماء والزهاد على أن الجوع سبب نور القلب، والشبع مانع عنه، وهو ظاهر قد جربناه ووجدناه.

وهو يورث الكسل، ونقص الطهارة، واجتناب الملائكة وتضييع الأوقـات، وقراءة القرآن، وسجود الحوادث والـشكر،وقيل: الـشابع يـدور حـول الخـلا والنجاسات، والجائع حول المـساجد والجماعـات، والـدنيا هـي كثـرة الأكـل، والزهد في الدنيا هو قلة الأكل.

موعظة عظيمة للإمام علي -عليه السلام-

من «تيسير المطالب» للإمام أبي طالب بسنده إلى جعفر الصادق عن أبيه عـن جدهعليه السلام أن أمير المؤمنين علياًعليه السلام شيع جنازةً فلما وضع الميت في لحده عـج أهله وبكوا، فقام أمير المؤمنينعليه السلام فقال وهو قائم على قدميه: على من تبكون؟ أما والله لو عاينتم ما عاين ميتكم لأذهلتكم معـاينتكم عـن البكـاء، ثـم قـال:

الحمد لله أحمده وأستعينه، وأؤمن به وأتوكل عليه، وأستهدي الله الهدى، وأعوذ به من الضلالة والردى، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال، ووقت لكم الآجال، و جعل لكم أسماعاً لتعي ما عناها، وأبصاراً لتجلو عن غشاها، وأفئدة لتفهم ما دهاها في تركيب صورها، ومدد عمرها، فإن الله لم يخلقكم عبثاً، ولم يهملكم سدى، ولم يضرب عنكم الذكر صفحاً، بل أكرمكم بالنعم السوابغ، وأرفدكم بالرُّفد الروافد، وأحاط بكم الإحصاء، وأرصد لكم الجزاء في السراء والضراء، فاتقوا الله عباد الله، وأجدوا في الطلب ونجاة الهرب، وبادروا بالعمل قبل منقطع النهدات وهادم اللذات، فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، ولا تتوقى سوآتها، غرور حائل، وشجىً قاتل، وسناد مائل، تضني مستطرفها، وتردي مستزيدها، وتخيل مصرعها، وتصرم حبالها، فاتعظوا عباد الله بالعبر، واعتبروا بالأثر، وازدجروا بالنذر،سلى طالب المنية، وضمنتم بيت التراب، ودهتكم الساعة بنفخة الصور وبعثرة القبور وسياقة المحشر إلى الحساب بإحاطة الجبار، كل نفس معها سائق وشهيد، سائق يسوقها إلى محشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها، ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر:٦٩] فارتجت الأرض لنداء المنادي، وكشفت عن ساق، وكان يوم التلاق، وكورت الشمس، وحشرت الوحوش، وارتجت الأفئدة، ونزل بأهل النار من الله سطوة مجتاحة[١]، وزفير ووعيد، تأجج جحيمها، وغلا حميمها، وتوقدت سمومها، لا يهرم

---

(١) مجتاحة [وعقوبة متاحة، وقربت الجحيم لها لجب وكلب ولهب ساطع وتغيظ وتلظ].

خالدها، ولا يظعن مقيمها، ولا تفصم كبولها، معهم ملائكة الزجر يبشرونهم بنزلٍ من حميم، وتصلية جحيم، هم عن الله محجوبون، ولأوليائه مفارقون، وإلى النار منطلقون، حتى إذا أتوا جهنم قالوا: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الشعراء:١٠٠-١٠٢] قيل لهم: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾[الصافات:٢٤]، وجهنم تناديهم، وهي مشرفة عليهم: إليّ بأهلي، وعزة ربي لأنتقمن اليوم من أعدائه، ثم يناديهم ملك من الزبانية، ثم يسحبهم حتى يلقيهم في النار على وجوههم، ثم يقول: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾[آل عمران:١٨١].

ثم أزلفت الجنة للمتقين محضرة، محضاً للناظرين، فيها درجات لا يبيد نعيمها، ولا ييأس ساكنها، أمنوا الموت فصفا لهم ما فيها، فيها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى مع أزواج مطهرة، وحور عين كأنهن الياقوت والمرجان، مع حلية وآنية من فضة، ولباس السندس الأخضر، والفواكه الدائمة، وتدخل عليهم الملائكة فتقول: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[الرعد:٢٤]، فلا تزال الكرامة لهم حين وفدوا إلى خالقهم، وقعدوا في داره ونالهم ﴿سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[يس:٥٨]. فأسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل الجنة الذين خلصوا إليها، وخلصت لهم، عباد الله اتقوا الله تقية من كنع فخشع، وقنع فوجل، ووجل فحذر، واجتنب هائباً، ونجا هارباً، وأفاد ذخيرة، وأطاب سريرة، وقدّم للمعاد، واستظهر بالزاد، وكفى بالله منتقماً وخصيماً، وكفى بالجنة ثواباً ونوالاً، وكفى بالنار عقاباً ونكالاً.

حكاية عن الأصمعي

قال الأصمعي: خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي ﷺ فبينما أنا أطوف حول الكعبة الشريفة بالليل وكانت ليلة قمراء إذا أنا بصوت حزين فاتبعت الصوت، فإذا أنا بشاب حسن الوجه طريف الشمائل عليه أثر الخير وله ذؤابتان وهو متعلق بأستار الكعبة ويقول: إلهي وسيدي ومولاي نامت العيون وغارت النجوم وأنت ملك حي قيوم، إلهي أغلقت الملوك أبوابها وقامت عليها خزانها، وبابك مفتوح للسائلين وهأنا سائل ببابك مذنب فقير مسكين جئت أنتظر رحمتك يا كريم ثم أنشأ يقول:

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم ... يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا ... وأنت يا حي يا قيوم لم تنم
أدعوك ربي حزيناً راجياً فرجاً ... فارحم بكائي إله البيت والحرم
أنت الغفور فجد لي منك مغفرة ... واعطف عليَّ بفضل الجود والكرم
إن كان عفوك لا يرجوه غير تقي ... فمن يجود على العاصين بالنعم

قال: ثم رفع رأسه إلى السماء، وهو يقول: إلهي وسيدي ومولاي أطعتك بمنتك علي فلك الحمد، وعصيتك بجهلي فلك الحجة علي، فبإظهار منتك علي وإقامة حجتك علي أسألك أن تغفر ذنوبي ولا تحرمني رؤية جدي وقرة عيني حبيبك وصفيك محمد ﷺ في دار كرامتك. قال الأصمعي: فكان يردد الأبيات حتى سقط على الأرض مغشياً عليه فدنوت منه فإذا هو زين العابدين علي بن الحسين، فرفعت رأسه في حجري وبكيت لبكائه فقطرت قطرتان من دموعي

على خده فأفاق فقال: من هذا الذي شغلني عن ذكر مولاي؟ فقلت له: أنا الأصمعي، فما هذا البكاء؟ وما هذا الجزع؟ وأنت من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أليس الله -عز وجل- قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣] فاستوى جالساً وقال: يا أصمعي هيهات إن الله خلق الجنة لمن أطاعه وإن كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه وإن كان حراً قرشياً، أما سمعت قول الله -عز وجل-: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١]. قال: فتركته على حاله ومضيت.

أبيات لإبراهيم بن أدهم

وقال إبراهيم بن أدهم -رضي الله عنه-:

قم الليل يا هذا لعلك ترشد ... إلى كم تنام الليل والعمر ينفد

أراك بطول الليل ويحك نائماً ... وغيرك في محرابه يتهجد

ولو علم البطال مانال زاهدٌ ... من الأجر والإحسان ما كان يرقد

فصام وقام الليل والناس نوم ... ويخلو برب واحد متفرد

بحزم وعزم واجتهاد ورغبة ... ويعلم أن الله ذا العرش يعبد

ولو كانت الدنيا تدوم لأهلها ... لكان رسول الله حياً يخلد

أترقد يا مغرور والنار توقد ... فلا حرها يطفى ولا الجمر يخمد

فيا راكب العصيان ويحك خلها ... ستحشر عطشاناً ووجهك أسود

فكم بين مشغول بطاعة ربه ... وآخر بالذنب الثقيل مقيد

فهـذا سـعيد في الجنـان مـنعم وهـذا شـقي في الجحـيم مخلـد
كـأني بنفـسي في القيـامة واقـف وقد فـاض دمعـي والمفاصـل ترعـد
وقد نصب الميزان للفـصل والقـضا وقـد قـام خـير العـالمين محمـد

حكاية من «تأريخ صنعاء»

مـن كتـاب «تـأريخ صـنعاء» للمـؤرخ أحمـد بـن عبـدالله الـرازي المتـوفى سنة٤٦٠هـ -رحمه الله تعالى- قال: ذكر فضل مقبرة غـربي صـنعاء، وهـي الآن تعرف بمقبرة خزيمة. حدث محمد التنوخي لما بات هنالك عن إبراهيم بن يزيد النعامي، قال: سمعت رجلاً قال لرباح بن زيد حين تحرك صبيح في المغرب: إنا نبقي على هذه القرية يعني صنعاء، فقال له رباح: كـلا سـمعت ابـن جـريج أن معمراً قال: إن لصنعاء لِحَمىً من نحو مغربها كحمى الحرم وليبعثن مـن مقـبرة غربيها سبعون ألف شهيد لا يحاسبون، ولا يعذبون، ويساقون إلى الجنة سـوقاً، وسمعت أبا علي الحسن بن علي الطرسوسي المقري يقول: سمعت شيخاً بالشام وهو يقول: ويل لصنعاء من ناحية شرقيها، يقول ذلك ثلاث مرات أحسبه قال لي: سمعته في مسجد بيت المقدس أو بدمشق، وقال عبدالله بن مسلم بن سليمان الصنعاني: خرجت في آخر الليل أريد ضُلعاً فلما خرجت من صـنعاء إذا حـول المقبرة في غربيها نورٌ فسرت فيه حتى خرجت من المقبرة، قال: والنور محيط بهـا وذلك بعدما أذن بالصبح.

وروي عن التنوخي قال: حدثني أبي قال: جئـت مـن ضـيعتي وعـلي ثيـاب وسخة فاستحييت أن أدخل القرية حتى المساء، فآويـت إلى قـبر فاضـطجعت

عليه، فغلبتني عيني فنمت فإذا كل قبر فتح فيه باب وإذا وُصفا مع كل جارية منهن طبق مغطى فيه هدية يدخلونها إلى كل قبر ما خلا القبر الذي أنا عليه، فنظرت إلى صاحب القبر فقلت له: لا أراه يدخل عليك شيء من هذه الهدايا، فقال لي: هؤلاء أهاليهم يدعون لهم وقد كانت هدايا تأتيني من قبل والدي ثم انقطعت عني؛ وذلك أنه شغل بتزويج أختي فلم يدع لي، قلت: ومن أبوك؟ فقال: هو فلان في موضع كذا وكذا من صنعاء، قلت: فتحب أن أكلمه في ذلك؟ قال: نعم وأَحسنْ ولم يكن لي معرفة بالرجل، ثم انتبهت فلما كان السحر خرجت حتى أتيت المنزل وإذا بالباب مفتوح والرجال يدخلون المنزل للوليمة، فقلت للخادم: قل لفلان إني على الباب، فخرج إلي فقال: ادخل مع القوم حتى تصيب معهم من طعامنا، فقلت: إني لم آتك لهذا، وقصصت عليه القصة فبكى وكثر بكاؤه، وقال: أما إنه قد كان ذلك، قال: ودعا بغلام له فأعتقه لابنه على المكان.

قلت: ومما يدل على بركة هذه المقبرة وفضلها وأنه يخرج منها سبعون ألف شهيد، ويفهم من ذلك والله أعلم أنه لا يخرج منها فاسق ما أخبرني به المقري العلامة شمس الدين أحمد بن حسن بن محمد بن إبراهيم الشاوري عن جده محمد بن إبراهيم المذكور وهو رجل عالم عامل، فاضل كامل، وليٌّ مشهور تقي مذكور، ذكره ونوه بذكره الشيخ جمال الدين محمد بن عمر العرابي في مناقب والده الشيخ عمر المذكور، قال: إنه خرج ذات يوم من الأيام للزيارة فوصل إلى مقبرة خزيمة المذكورة، فرأى ملكين قد أخرجا رجلاً من قبره وغلاه بالحديد، ورآهما يسحبانه نحو المنجل، وبلاد همدان، وهو يصرخ ويصيح، فتقدم إليهما، وقال لهما: بالله عليكما إلا ما تركتماه، ومد يده ليمنع عنه فوكزه أحدهما بيده في جنبه، وقال: أتنكر على ملائكة الله في شأن فاسق، قال : فما زالت تلك الوكزة تؤلمه حتى مات رحمه الله تعالى.

ومما يقوي ما ذكره ويؤيده أن مقبرة الرحمة بمكة المشرفة لا يقبر فيها كـافر أو فاسق إلا وأخرج منها، ولم يلبث: مـا روي أن رجـلاً وزوجتـه حجـا إلى مكـة المشرفة من أرض الشام فلما وصلا إلى مكة المشرفة حضرت الرجل الوفاة وكان معه دراهم من ذهب فابتلعهن إلى بطنه ،فأنكرت عليه زوجته فلم يقبل حـسداً لها أن تأخذ منهن شيئاً، فلما مات وقبرته في مقبرة الرحمة صبرت حتى جن الليل ونبشت عليه قبره ومرادها تفتح بطنه وتأخذ الذهب منه فأتت وفي وسط القـبر ولد صغير تعرفه لأختها، وأختها لم تنتقل من بلدها فاحتارت في نفـسها وردت القبر على ما كان عليه، فلما رجعت بلادها أخبرت أن ولد أختها قد مات فسألت أختها أن تريها قبر ولدها، فنبشته فإذا زوجها فيه وقد جعل الله بكل درهم كيـة من نار مثل الدرهم في جسده فعرفت أنه من أهل النار، وأنه لا يستحق أن يقـبر في مقبرة الرحمة، وهاتان الحكايتان تدلان على أنه إذا قبر في مقبرة الرحمة كـافر أو فاسق أخرج منها إلى مقبرة أخرى.

حكاية للعارف بالله الكينعي -رضوان الله عليه-

قال السيد يحيى بن المهدي منقول من خطه -رضي الله عنه-، يعني العـارف بالله إبراهيم بن أحمد الكينعي: روي أن بعض العارفين قـال: وجـدت في قلبـي قساوة فتوجهت إلى الخيل، وخرجت من بين الناس فرأيت رجلاً عليـه مدرعـة من صوف ورداء من شعر فصاح بي صيحة عظيمة وقال لي: يـا قـاسي القلـب، قلت: لبيك، قال: عليـك بـالجوع تـذهب قـسوة قلبـك. ثـم غـاب عنـي، ثـم استقبلني، ثم قال: يا كثير الحـزن، قلـت: لبيـك قـال: عليـك بـالخلوة تـذهب حزنك، ثم غاب عني، ثم استقبلني فقال: يا كثير الهم، قلت: لبيك قال: عليك

بالقناعة يذهب همك، ثم غاب عني، ثم استقبلني فقال: يا منغص العيش، قلت: لبيك قال: اقصر أملك ليطيب عيشك، ثم غاب عني، ثم استقبلني فقال: يا عبد الخلق، قلت لبيك، قال: اترك طمعك تعش حراً، ثم استقبلني فقال: يا طماع، قلت: لبيك، قال: اترك شهواتك تكن محبوباً، ثم غاب عني وقد شفى خاطري لله دره، لقد أرشد داءَ الداءِ إلى دوائه الشافي، لكن كيف السبيل إلى هذا الدواء مع تغلب الشهوات بجيوشها المردية؟ نسأل الله تعالى المعونة على مجاهدة الجيوش المجتاحة.

حكاية في فضائل الإمام زيد -عليه السلام-

من «تيسير المطالب» للإمام أبي طالب في فضائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام قال: حدثنا سعيد بن خثيم أن زيد بن علي عليهما السلام كتّب كتائبه، فلما خفقت رايته رفع يده إلى السماء، ثم قال: الحمد لله الذي أكمل لي ديني، والله ما يسرني أني لقيت محمداً صلى الله عليه وآله ولم آمر في أمته بالمعروف، ولم أنههم عن المنكر، والله ما أبالي إذا أقمت كتاب الله -عز وجل- وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله أنه أجججت لي نار، ثم قذفت فيها، ثم صرت بعد ذلك إلى رحمة الله -تعالى-، والله لا ينصرني أحد إلا كان في الرفيق الأعلى مع محمد صلى الله عليه وآله ، وعلي وفاطمة، والحسن والحسين عليهم السلام ويحكم أما ترون هذا القرآن بين أظهركم جاء به محمد صلى الله عليه وآله ونحن بنوه، يا معشر الفقهاء، ويا أهل الحجا أنا حجة الله عليكم هذه يدي مع أيديكم على أن نقيم حدود الله ونعمل بكتاب الله، ونقسم بينكم فيئكم بالسوية، فاسألوني عن معالم دينكم، فإن لم أنبئكم بكل ما سألتم عنه فولوا من شئتم ممن علمتم أنه أعلم مني، والله لقد

علمت علم أبي علي بن الحسين، وعلم جدي الحسين بن علي، وعلم علي بن أبي طالبعليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعيبة علمه، وإني لأعلم أهل بيتي، والله ما كذبت كذبة منذ عرفت يميني من شمالي، ولا انتهكت محرَّماً منذ عرفت أن الله يؤاخذ به. هلموا فاسألوني.

طرائف من حكم العارف بالله إبراهيم بن أحمد الكينعي
-رضوان الله تعالى عليه-

قال له بعض الإخوان: ما الملك والملكوت؟ فقال: الملك ما ظهر لنا، وما بطن فهو الملكوت، قال: وقيل: الملكوت خلق فوق السموات السبع وخلق تحت الأرضين السبع والله أعلم.

وقال: ما مرض قلب بأشد من القسوة، وما أصلحت نفسي بمثل الجوع، وقال: يا أخي،جدد السفينة فإن البحر عميق، وأكثر الزاد فإن الطريق بعيد، وأخلص العمل فإن الناقد بصير.

قال: ليكن حظ أخيك منك ثلاث خلال لتكون من المحسنين السالمين: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تسره فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه. وقال: قال حاتم الأصم: الكاذب كلب أهل النار، والحاسد خنزير أهل النار، والمغتاب والنمام قردة أهل النار، وقال: المروءة شيء هين: وجه طلق وكلام لين.

ومن «تيسير المطالب» للإمام أبي طالب قال: عن جابر الجعفي قال: قال لي محمد بن علي عليهما السلام: إن زيد بن علي خارج ومقتول وهو على الحق، فالويل لمن

خذله، والويل لمن حاربه، والويل لمن يقتله، قال جابر: فلما أزمع زيد بن علي عليه السلام الخروج، قلت له: إني سمعت أخاك يقول كذا وكذا فقال لي: يا جابر، لا يسعني أن أَسكن وقد خولف كتاب الله تعالى، وتُحوكم بالجبت والطاغوت، وذلك أني شاهدت هشاماً ورجل عنده يهودي يسب رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت للساب له: ويلك يا كافر أما إني لو تمكنت منك لاختطفت روحك، وعجلتك إلى النار، فقال لي هشام: مهِ [عن] جليسنا يا زيد، فوالله لو لم يكن إلا أنا ويحيى ابني لخرجت عليه وجاهدته. وقيل لجعفر بن محمد عليه السلام ما الذي تقول في زيد بن علي وخروجه على هشام؟ فقال جعفر عليه السلام: قام زيد بن علي مقام صاحب الطف يعني الحسين بن علي عليه السلام .

ومنها حكاية روى أهل الأخبار أن الزهري دخل على هشام بعد قتل زيد بن علي عليه السلام ، فقال له هشام: إني ما أراني إلا أوبقت نفسي، فقال الزهري: وكيف ذلك؟ فقال: أتاني آتٍ فقال: إنه ما أصاب أحد من دماء آل محمد شيئاً إلا أوبق نفسه من رحمة الله، قال: فخرج الزهري وهو يقول: أما والله لقد أوبقت نفسك من قبل ذلك وأنت الآن أوبق.

حكاية عن عيسى بن عبد الله

ومن «الأمالي» حكاية عن عيسى بن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي عن أبيه قال: كنت مع زيد بن علي عليه السلام حين بعث بنا هشام إلى يوسف بن عمر، فلما خرجنا من عنده وكنَّا بالقادسية، قال زيد بن علي: اعزلوا متاعي عن متاعكم، فقال له أبي: ما تريد أن تصنع؟ قال: أريد أن أرجع إلى الكوفة فوالله لو علمت أن

رضا الله -عز وجل- عني في أن أقدح ناراً بيدي حتى إذا اضطرمت رميت نفسي فيها لفعلت، ولكن ما أعلم شيئاً أرضى لله -عز وجل- عني من جهاد بني أمية. قال: فرجع فكان الخروج.

حكاية منها أيضاً بسنده إلى أبي عوانة أنه قال: كان سفيان الثوري زيدياً وكان إذا ذكر زيد بن علي عليهما السلام يقول: بذل مهجته لربه، وقام بالحق لخالقه، ولحق بالشهداء المرزوقين من آبائه، قال أبو عوانة: كان زيد بن علي يرى الحياة غراماً، وكان ضجراً بالحياة يعني مع أمراء الطاغوت.

وفيها قال: حدثنا عيسى بن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي عن رجل من أهل المدينة يقال له البانكي قال: خرجت أنا وزيد بن علي عليهما السلام إلى العمرة فلما فرغنا من عمرتنا أقبلنا، فلما كنا بالعرج أخذنا طريقاً فلما استوينا على رأس الثنية نصف الليل استوى الثريا على رؤوسنا، فقال لي زيد بن علي عليهما السلام: يا بانكي، أترى الثريا ما أبعدها، أترى أن أحداً يعرف بُعْدَها؟ قلت: لا، قال: والله لوددت أن يدي ملتصقة بها ثم أفلت حتى وقعت حيث وقعت، وأن الله أصلح بي أمر أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي «الأمالي» بسنده عن المغيرة الضبي قال: كان سلمة بن كهيل أشد الناس على زيد بن علي عليهما السلام ينهاه عن الخروج وينهى الناس عن الخروج معه، فلما قتل رأيته عند خشبته يبكي وقد انحنى ويقول: لو نصرته، لو قتلت معه، لو ذبيت عنه. قلت: يعني أنه يتأوه ويوبخ نفسه على عدم الخروج معه.

طرائف من «تيسير المطالب»

للسيد الإمام أبي طالب بسنده عن الحسن البصري قال: كنت جالساً بالبصرة وأنا حينئذٍ غلام أتطهر للصلاة، إذ مر بي رجل راكباً بغلة شهباء، متلثم بعمامة سوداء، فقال لي: يا حسن أحسن وضوءك يحسن الله إليك في الدنيا والآخرة، يا حسن أما علمت أن الصلاة مكيال وميزان، قال: فرفعت رأسي فتأملت فإذا هو علي بن أبي طالبعليه السلام فأسرعت في طهوري وجعلت أقفو أثره إذ حانت منه التفاتة، فقال لي: يا غلام ألك حاجة؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين تفيدني كلاماً ينفعني الله به في الدنيا والآخرة، قال: يا غلام إنه من صدق الله نجا ومن أشفق من ذنبه أمن الردى، ومن زهد في هذه الدنيا قرت عيناه بما يرى من ثواب الله غداً، ثم قال: يا غلام ألا أزيدك؟ قلت: بلى يا أمير المؤمنين، قال: إن سرك أن تلقى الله وهو عنك راضٍ فكن في هذه الدنيا زاهداً وفي الآخرة راغباً، وعليك بالصدق في جميع أمورك تنجح مع الناجين غداً، يا غلام إن تزرع هذا الكلام نصب عينيك ينفعك الله به، ثم أطلق عنان البغلة عن يده وفرص بطنها بعقبه، فجعلت أقفو أثره إذ دخل سوقاً من أسواق البصرة فسمعتهعليه السلام يقول: يا أهل البصرة، يا أهل البصرة، يا أهل المؤتفكة، يا أهل تدمر –أربعاً– إذا كنتم بالنهار الدنيا تخدمون، وبالليل على فراشكم تتقلبون، وفي خلال ذلك عن الآخرة تغفلون، فمتى تزوّدون الزاد؟ ومتى تفكرون في المعاد؟ فقام إليه رجل من السوقة فقال: يا أمير المؤمنين، إنه لا بد من طلب المعاش، فقال: أيها الرجل، إن طلب المعاش لا يصدك عن طلب الآخرة، ألا قلت: لا بد من طلب، فأعذرك إن كنت معذوراً، فتولى الرجل وهو يبكي فسمعتهعليه السلام يقول: أقبل عليَّ يا ذا الرجل

أزدك تبياناً إنه لا بد لكل عامل من أن يوفَّى في القيامة أجر عمله، وعامل الدنيا إنما أجره النار، ثم خرج من السوق والناس في رنة من البكاء؛ إذ مر بواعظ يعظ الناس فلما أبصر بأمير المؤمنين سكت ولم يتكلم بشيء. فقال عليه السلام: فكم وإلى كم توعظون فلا تتعظون، قد وعظكم الواعظون، وزجركم الزاجرون وحذركم المحذرون، وبلغكم المبلغون، ودلت الرسل على سبيل النجاة وقامت الحجة وظهرت المحجة، وقرب الأمر والأمد والجزاء غداً ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾[الشعراء:٢٢٧]. يا أيها الناس،إنه لم يكن لله تبارك وتعالى في أرضه حجة ولا حكمة أبلغ من كتابه، ولا مدح الله أحداً منكم إلا من اعتصم بحبله، وإنما هلك من هلك عنده من عصاه وخالفه واتبع هواه، إن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر، والله ما هو شيء قلته من تلقاء نفسي، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «ما من عبد جاهد نفسه فردها عن معصية الله إلا باهى الله به كرام الملائكة، ومن باهى الله به كرام الملائكة فلن تمسه النار» ثم قال: ﴿فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾[محمد:٢١].

طرفة من «نور الأبصار في مناقب بيت النبي المختار صلى الله عليه وآله وسلم» للشبلنجي المصري

عند ذكره للسيدة نفيسة بنت الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن السبط عليهم السلام قال: قَدِمَتْ مصر سنة ثلاث وتسعين ومائة على خلاف في ذلك. وفي تأريخ ابن خلكان: دخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق – رضي الله عنه–.

ولدت بمكة المشرفة سنة خمس وأربعين ومائـة، ونـشأت بالمدينـة المنـورة في العبادة والزهادة، تصوم النهار، وتقوم الليل، وكانت لا تفارق حرم النبي ﷺ ، وحجت ثلاثين أكثرها ماشية، وكانت تبكي بكاءً كثيراً، وتتعلق بأستار الكعبة، وتقول: إلهي وسيدي ومولاي متعني وفرحني برضاك عني، فلا سبب لي أتسبب به يحجبك عني.

قالت زينب بنت يحيى المتوج وهو أخو الـسيده نفيـسة -رضي الله عـنهم-: خدمت عمتي نفيسة أربعين سنة فما رأيتها نامت بليل ولا أفطرت بنهار، فقلت: أما ترفقين بنفسك؟ فقالت: كيـف أرفـق بنفـسي وقـدامي عقبـات لا يقطعهـا إلا الفائزون.

قال القضاعي: قيل لزينب بنت أخي السيدة نفيسة -رضي الله عنهم- ما كان قوت السيدة نفيسة؟ قالت: كانت تأكل في كل ثلاثـة أيـام أكلـة، ثـم ذكـر لهـا كرامات عظيمة، واستجابات لدعائها، منها: أن امرأة عجوزاً كان لها أربع بنات يتقوتن من غزلهن من الجمعة إلى الجمعة، وفي آخر الجمعة تأخذ العجوز غـزلهن وتمضي به إلى السوق فتبيعه وتشتري بنصف ثمنه كتاناً، وبنصفه الآخر ما يقتـتن به من الجمعة إلى الجمعة، فأخذته يوماً العجوز ولفته في خرقة حمراء، ومضت به إلى السوق، فبينما هي مارة في الطريق والغزل على رأسها إلا وقد انقض طائر على رزمة الغزل واختطفها وارتفع، فوقعت المرأة مغشياً عليها، فلما أفاقـت قالـت: كيف أصنع بالأيتام وقد أجهدهم الجوع، فبكت، فاجتمع الناس وسألوها عـن شأنها فأخبرتهم بالقصة، فدلوها على السيدة نفيـسة -رضي الله عنهـا- وقـالوا: امضي واسأليها الدعاء فإن الله -تعالى- يزيل ما بك، فمضت إلى السيدة نفيـسة

فأخبرتها بقصتها وما جرى لها، وسألتها الدعاء فرحمتها السيدة نفيسة وقالت: يامن علا قدرُه، وعظم شأنُه، اجبر من أمتك هذه ما انكسر، فإنهن خلقك وعيالك، ثم قالت: اقعدي فإنه على كل شيء قدير، فقعدت المرأة على الباب وفي قلبها من جوع الأولاد التهاب، فما كان إلا ساعة وإذا بجماعة قد أقبلوا عليها واستأذنوا في الدخول عليها، فأذنت لهم فدخلوا وسلموا عليها فسألتهم عن أمرهم؟ فقالوا إن لنا لأمراً عجيباً نحن قوم تجار ولنا مدة ونحن مسافرون في البحر ونحن بحمد الله سالمون، فلما وصلنا إلى قرب بلدكم انفتحت المركب التي نحن فيها ودخل الماء وأشرفنا على الغرق وجعلنا نسد المكان الذي انفتح بجهدنا فلم ينسد، فاستغثنا إلى الله –تعالى- وتوسلنا إليه فإذا بطائر ألقى إلينا خرقة فيها غزل فوضعناها في المكان المنفتح فانسد بإذن الله تعالى ببركتك، وقد جئنا بخمسمائة درهم فضة شكراً لله تعالى على السلامة، فعند ذلك بكت السيدة نفيسة -رضي الله عنها- وقالت: إلهي، ما أرأفك وألطفك بعبادك، ثم نادت العجوز فجاءت، فقالت لها السيدة: بكم تبيعين غزلك كل جمعة؟ فقالت: بعشرين درهماً، فقالت: أبشري فإن الله –تعالى- عوضك عن كل درهم خمساً وعشرين درهماً، ثم قصت القصة عليها ودفعت لها ذلك فأخذته وأتت بناتها فأخبرتهن بما جرى وكيف رد الله –تعالى- لهفتها ببركة السيدة نفسية -رضي الله عنها-.

قال القضاعي: إن السيدة انتقلت من المنزل الذي نزلت به إلى دار أبي جعفر خالد بن هارون السلمي وهي التي وهبها لها أمير مصر السري بن الحكم في خلافة المأمون فأقامت بها حيناً إلى زمن وفاتها، وحفرت قبرها بيدها في بيتها وكانت تصلي فيه كثيراً، وقرأت فيه مائة وتسعين ختمة، وفي رواية عنه ألفي

ختمة، قالت زينب بنت أخيها: تألمت عمتي في أول يوم من رجب، وكتبت إلى زوجها إسحاق المؤتمن كتاباً وكان غائباً بالمدينة تأمره بالمجيء إليها، ولا زالت كذلك إلى أول جمعة من شهر رمضان فزاد بها الألم وهي صائمة فدخل عليها الأطباء الحذاق وأشاروا عليها بالإفطار لحفظ القوة لما رأوا من الضعف الذي أصابها، فقالت: واعجباه! لي ثلاثون سنة أسأل الله -عز وجل- أن يتوفاني وأنا صائمة فأفطر؟ معاذ الله ثم أنشدت:

اصرفوا عني طبيبي ودعوني وحبيبي زاد بي شوقي إليه وغرامي في لهيب
طاب هتكي في هواه بين واشٍ ورقيب لا أبالي بفواتٍ حين قد صار
ليس من لام بعذل عنه فيه بمصيب جسدي راضٍ وجفوني بنحيبي

قالت زينب: ثم إنها بقيت كذلك إلى العشر الأواسط من شهر رمضان فاحتضرت واستفتحت بقراءة سورة الأنعام، فلا زالت تقرأ إلى أن وصلت إلى قوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ ﴾[الأنعام:١٢] ففاضت روحها الكريمة. وفي «درر الأصداف» عنها: فلما وصلت إلى قوله تعالى:﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[الأنعام:١٢٧] غشي عليها، فضممتها إلى صدري فتشهدت شهادة الحق، وقُبضت رحمة الله عليها، ووصل زوجها في ذلك اليوم، فقال: إني أحملها إلى المدينة وأدفنها بالبقيع، فاجتمع أهل مصر إلى أمير البلد واستجاروا به من إسحاق ليرده عما أراد، فأبى فجمعوا له مالاً كثيراً ووُسق بعيره الذي أتى عليه وسألوه أن يدفنها عندهم، فأبى فباتوا في مشقة عظيمة، فلما أصبحوا اجتمعوا عليه فوجدوا منه غير الذي عهدوه بالأمس، فقالوا: إن لك لشأناً، فقال: نعم

رأيت رسول الله ﷺ وهو يقول لي : «رد عليهم أموالهم وادفنها عندهم» . وذلك في سنة ثمان ومائتين بعد وفاة الإمام الشافعي رضي لله تعالى عنه بأربع سنين، ودفنت بمزار بدرب السباع، وكان يوم دفنها يوماً مشهوداً، وأتوها من البلاد والنواحي يصلون عليها بعد دفنها، وأوقدت الشموع تلك الليلة وسمع البكاء من كل دار بمصر وعظم الأسف عليها.

قال الدميري: كانت من أهل الخير والصلاح، وكانت في آخر عمرها إذا عجزت عن الصلاة قائمةً صلت قاعدة، وكانت من كثرة الصيام والقيام ضعفت قواها، وزار قبرها جماعة من الأولياء والصلحاء كالأستاذ الكبير أبي الفيض توبان ذي النون المصري أحد رجال الطريقة المعتبرين، وأبي الحسن الدينوري، وأبي علي الروزباري، وأبي بكر أحمد بن نصر الدقاق، وبنان بن أحمد بن محمد بن سعيد الحمال الواسطي، وشقران أبي عبدالله المغربي، وإدريس بن يحيى الخولاني، والفضل بن فضالة، والقاضي بكار بن قتيبة، وإسماعيل المزني صاحب الإمام الشافعي، وعبدالله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن المصري، وولده الإمام محمد صاحب «تأريخ مصر»، وعبدالرحمن بن الحكم، والإمام أبي يعقوب البوايطي، والربيع بن سليمان المرادي، وممن لا يحصي عددهم إلا الله.

وينبغي للزائر إذا دخل ضريحها بل وضريح كل من كان من أهل البيت أن يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]، ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود:٧٣] اللهم إنك ندبتني لأمر قد فهمته، وقلته، وسمعته، وأطعته، واعتقدته، وجعلته أجراً لنبيك محمد ﷺ إذ هديتنا به إليك، ودللتنا به عليك،

وكان كما قلت: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الاحزاب:٤٣] حبيباً إليه ما هديتنا، عزيزاً عليه عنتنا، وتلك الفريضة التي سألتها له وهي المودة في القربى، اللهم إني مؤديها مريدا بها النفع في ديني ودنياي، متوسلاً بها إليك يوم انقطاع الأسباب، اللهم زدهم شرفاً وتهذيباً، وهب لي بزيارتهم ثواباً ومغفرةً وأجراً عظيماً، السلام عليكم يا بني المصطفى، يا بني فاطمة الزهراء، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد، اللهم بلغني ما أملت وما رجوت، وأعد عليَّ وعلى المسلمين من بركاتهم يارب العالمين.

وكان بعض السلف يقول أيضاً: السلام والتحية والإكرام على أهل بيت النبوة والرسالة، السلام عليك يا بنت الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب –رضي الله عنهم – أجمعين، السلام عليك يا بنت فاطمة الزهراء، ويا سلالة خديجة الكبرى، أنتم يا أهل البيت غياث لكل قوم في اليقظة والنوم، فلا يحرم من فضلكم إلا محروم، ولا يطرد من بابكم إلا مطرود، ولا يواليكم إلا مؤمن تقي، ولا يعاديكم إلا منافق شقي، اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه الراشدين وسلم، وأعطني خير ما رجوت بهم، وبلغني خير ما أملت فيهم، واحفظني بذلك في ديني وآخرتي إنك على كل شيء قدير ثم يقول:

يا بني الزهراء والنور الذي ظن موسى أنه نور قبس

لا أوالي الدهر من عاداكم إنهم آخر سطر في عبس

تم مختصراً وفقنا الله تعالى لمحبتهم والكون معهم، واتباع ما أمرنا الله فيهم إنه ولي ذلك والقادر عليه.

مما قيل في كافات الشتاء

طرائف من كتاب «معاهد التنصيص على شواهد التلخيص» للشيخ عبدالرحيم بن أحمد العباسي المتوفى سنة ٩٦٣هـ عن ما قيل في الشتاء وكافات الشتاء، قال ابن سكرة الهاشمي في الشتاء من البسيط:

جاء الشتاء وعندي من حوائجه ... سبع إذا القطر عن حاجاتنا حبسا

كن وكيس وكانون وكأس طلا ... مع الكباب وكس ناعم وكسا

قال: وقد اتبع ابن سكرة في جادته هذه التي سلكها جماعة من الأدباء، فمنهم من جاراه ومنهم من كبا، فمن ذلك قول بعضهم من الوافر:

وكافات الشتاء تعد سبعاً ... وما لي طاقة بلقاء سبع

إذا ظفرت بكاف الكيس كفي ... ظفرت بمفرد يأتي بجمع

وقال الآخر من البسيط:

جاء الشتاء وما الكافات حاضرة ... وإنما حضرت منهن أبدال

قِلٌ وقرٌ وقلبٌ موجعٌ وقِلا ... وقادر هاجر والقيلُ والقال

وقول جمال الدين ياقوت الكاتب من البسيط:

جاء الشتاء ببرد لا مرد له ... ولم يطق حجر قاس يقاسيه

لا الكأس عندي ولا الكانون متقد ... كني ظلامي وكيسي قل ما فيه

دع الكباب وخل الكس وآأسفاً ... كِساً به أتغطى في دياجيه

ولمؤلفه في قريب له من مخلع البسيط:

قلت لذي صبوةٍ بكافا ... ت شتوة من عناك عني

وآلهف قلبي على كساءٍ يرد برد الشتاء عني

ومما جاء في الشتاء قول الأعرابي من الكامل:

جاء الشتاء وليس عندي درهم ولقد يصاب بمثل هذا المسلم

وتقسم الناس الجباب وغيرها وكأنني بفناء مكة محرم

وقول آخر من الأعراب من الكامل:

جاء الشتاء ومسَّنا قَرٌّ وأصابنا في عيشنا ضُرُّ

ضر وفقر ونحن بينهما هذا لعمر أبيكما الشر

وقول جحظة أيضاً من البسيط:

جاء الشتاء وما عندي له ورقٌ مما وهبت وما عندي له خِلَعُ

كانت فبددها جودٌ وُلعتُ به وللمساكين أيضاً بالندى ولع

وقول أبي نصر بن نباتة السعدي من البسيط:

جاء الشتاء وما عندي له عدد

إلا ارتعاد وتقريض بأسناني

ولو قضيت لما قصرت في كفني

هبني قضيت فهبني بعض أكفاني

ولعله يخاطب بعض أصدقائه .

ولما اطلعت على هذه المفاكهات الأدبية في شهر رجب سنة ١٤١٠هـ تطفلت عليهم ولا أقول مجاراة ولكن مكاباة، كما قال العباسي:

قد أكثر الناس كافات الشتا سرفا والكل في الكيس والكس النعيم شفا

الكيس والكس أصل الدفء أجمعه فاسأل به مولعاً يا صاحبي كلفا

فاضممهما في ليالي القر مشتتياً واطلب رضا الله والختم الجميل وفا

طريفة عن البدر محمد بن اسماعيل الأمير

يقولون: سئل البدر محمد بن إسماعيل الأمير عن السر في ذكر رسول الله ﷺ عند أن ينشر عرف الطيب وهل من سنة في ذلك؟ فقال:

يقولون: عند الطيب يذكر أحمد ... فهل عندكم من سنة فيه تؤثر

فقلت لهم: لا، إنما الطيب أحمد ... فنذكره والشيء بالشيء يذكر

ولغيره عن الأخ العلامة محمد الناصر شرف الدين إملاءً:

يقولون لي ما السر في ذكر أحمد ... إذا أطفئ المصباح هل ذاك يؤثر

فقلت أليس الظلم كفراً وعكسه ... سراج لنا والشيء بالشيء يذكر

ولغيره:

يقولون لي: ما السر في ذكر أحمد ... لدى الفتح للأبواب هل ذاك يؤثر

فقلت: أليس المصطفى كان فاتحاً ... لباب الهدى والشيء بالشيء يذكر

وللبدر الشهيد في بحر الحديدة -رحمه الله تعالى- عند أن نبزه أحد حاسديه بأنه مسرف للأموال وكان من كرام بني هاشم:

يقولون إني مسرف إذ يرونني ... أطوق أعناق الرجال بإحساني

فقلت لهم كفوا الملام أواكثروا ... فإني شريت المجد بالتافه الفاني

إذا كان يوم الحشر جئتم بكنزكم ... وجئت بعفو من إلهي وإحسان

حكاية للعائدين إلى الله

قال في كتاب «العائدون إلى الله»:

في قرية صغيرة في صعيد مصر ولد السيد قطب -رحمه الله-، ونشأ في أسرة متدينة متوسطة الثراء، وقد حرص والداه على تحفيظه القرآن الكريم في صغره فما أتم العاشرة إلا وقد حفظه كاملاً ولما بلغ التاسعة عشرة فترة الضياع وصفها بنفسه بأنها كانت فترة إلحاد حيث قال: ظللت ملحداً أحد عشر عاماً حتى عثرت على الطريق إلى الله وعرفت طمأنينة الإيمان.

وفي سنة ١٩٤٨م غادر سيد القاهرة متوجهاً إلى أمريكا في بعثة لوزارة المعارف آنذاك، فكانت تلك الرحلة هي بداية الطريق الجديد الذي هداه الله إليه، ووفقه لسلوكه والسير فيه.

كان سفره على ظهر باخرة عبرت به البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، وهناك على ظهر الباخرة جرت له عدة حوادث أثرت في حياته فيما بعد وحددت له طريقه، ولذلك ما إن غادر الباخرة في الميناء الأمريكي الذي وصل إليه وما إن وطئت قدماه أرض أمريكا حتى كان قد عرف طريقه وحدد رسالته ورسم معالم حياته في الدنيا الجديدة.

والآن لنترك الحديث لسيد قطب ليخبرنا عما حدث له على ظهر السفينة، يقول:

منذ حوالي خمسة عشر عاماً كنا ستة نفر من المنتسبين إلى الإسلام على ظهر

سفينة مصرية تمخر عباب المحيط الأطلسي إلى نيويورك من بين عشرين ومائة راكب وراكبة ليس فيها مسلم. وخطر لنا أن نقيم صلاة الجمعة في المحيط على ظهر السفينة! والله يعلم أنه لم يكن بنا أن نقيم الصلاة ذاتها أكثر مما كان بنا حماسة دينية إزاء مبشر كان يزاول عمله على ظهر السفينة وحاول أن يزاول تبشيره معنا، وقد يسر لنا قائد السفينة وكان إنجليزياً أن نقيم صلاتنا، وسمح لبحارة السفينة وطهاتها وخدمها وكلهم نوبيون مسلمون أن يصلي منهم معنا من لا يكون في الخدمة وقت الصلاة، وقد فرحوا بهذا فرحاً شديداً؛ إذ كانت هذه هي المرة الأولى التي تقام فيها صلاة الجمعة على ظهر السفينة، وقمت بخطبة الجمعة وإمامة الصلاة، والركاب الأجانب معظمهم متحلقون يرقبون صلاتنا، وبعد الصلاة، جاءنا كثيرون منهم يهنئوننا على نجاح القُداس فقد كان هذا أقصى ما يفهمونه من صلاتنا، ولكن سيدة من هذا الحشد عرفنا فيما بعد أنها يوغسلافية مسيحية هاربة من جحيم [تيتو] وشيوعيته، كانت شديدة التأثر والانفعال تفيض عيناها بالدمع ولا تتمالك مشاعرها.. جاءت تشد على أيدينا بحرارة، وتقول في إنجليزية ضعيفة: إنها لا تملك نفسها من التأثر العميق بصلاتنا هذه وما فيها من خشوع ونظام وروح..إلخ. وبعد ذلك كله وفي ظلال هذه الحالة الإيمانية راح سيد يخاطب نفسه قائلاً: أأذهب إلى أمريكا وأسير سير المبتعثين العاديين الذين يكتفون بالأكل والنوم أم لا بد من التميز بسمات معينة؟! وهل غير الإسلام والتمسك بآدابه والالتزام بمناهجه في الحياة وسط المعمعات المترفة المزودة بكل وسائل الشهوة واللذة الحرام..؟!

قال: وأردت أن أكون الرجل الثاني المسلم الملتزم وأراد الله أن يمتحنني هل أنا صادق فيما اتجهت إليه أم هو مجرد خاطرة؟!. وكان ابتلاء الله لي بعد دقائق من

اختياري طريق الإسلام إذ ما إن دخلت غرفتي حتى كان الباب يقرع.. وفتحت.. فإذا أنا بفتاة هيفاء، جميلة فارعة الطول شبه عارية، يبدو من مفاتن جسمها كل ما يغري، وبادأتني بالإنجليزية قائلة: هل يسمح لي سيدي بأن أكون ضيفة عنده هذه الليلة؟ فاعتذرت بأن الغرفة معدة لسرير واحد، وكذا السرير لشخص واحد، فقالت: وكثيراً ما يتسع السرير الواحد لاثنين!! واضطررت أمام وقاحتها ومحاولتها الدخول عنوة لأن أدفع الباب في وجهها لتصبح خارج الغرفة، وسمعتُ ارتطاماً بالأرض الخشبية في الممر، فقد كانت مخمورة، فقلت: الحمد لله هذا أول ابتلاء، وشعرت باعتزاز ونشوة إذ انتصرت على نفسي، وبدأتْ تسير في الطريق الذي رسمته لها.

ولقد واجه سيد قطب -رحمه الله تعالى- ابتلاءات كثيرة بعد ذلك ولكنه تغلب عليها وانتصر على نفسه الأمارة بالسوء، قلت: [حتى سلمها لحبل المشنقة سنة١٣٨٥هـ تقريبا].

ولما وصل إلى أمريكا يحدثنا عما رأى فيقول:

ولقد كنت أثناء وجودي في الولايات المتحدة الأمريكية أرى رأي العين مصداق قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[الأنعام: ٤٤] الآية. فإن المشهد الذي ترسمه الآية مشهد تدفق كل شيء من الخيرات والأرزاق بلا حساب لا يكاد يتمثل في الأرض كلها، كما يتمثل هناك! وكنت أرى غرور القوم بهذا الرخاء الذي هم فيه، وشعورهم بأنه وقف على الرجل الأبيض، وطريقة تعاملهم مع الملونين في عجرفة مرذولة، وفي وحشية كذلك بشعة، وفي صلف على أهل الأرض كلهم، كنت أرى هذا كله فأذكر هذه

الآية وأتوقع سنة الله... وأكاد أرى خطواتها وهي تدب إلى الغافلين.

وبعد سنتين قضاها سيد قطب في أمريكا عاد -رحمه الله تعالى- إلى مصر،ولكنه عاد رجلاً آخر، رجلاً مؤمناً ملتزماً صاحب رسالة، ودعوة، وغاية، رحم الله سيداً وأسكنه فسيح جناته، وعفا عنا وعنه.

وإلى أن يقول صاحب الكتاب المذكور: إن في بذل العلماء والدعاة والمصلحين أنفسهم في سبيل الله حياة للناس إذا علموا صدقهم وإخلاصهم لله -عز وجل-، ومن هؤلاء الدعاة والمفكرين سيد قطب -رحمه الله تعالى- فقد كان لمقتله أثر بالغ في نفوس من عرفوه وعلموا صدقه، ومنهم اثنان من الجنود الذين كلفوا بحراسته وحضروا إعدامه.

يروي أحدهما القصة فيقول:

هناك أشياء لم نكن نتصورها هي التي أدخلت التغير الكلي على حياتنا.. في السجن الحربي كنا نستقبل كل ليلة أفراداً أو مجموعات من الشيوخ والشباب والنساء، ويقال لنا: هؤلاء من الخونة الذين يتعاونون مع اليهود، ولابد من استخلاص أسرارهم، ولا سبيل إلى ذلك إلا بأشد العذاب، وكان ذلك كافياً لتمزيق لحومهم بأنواع السياط والعصي، كنا نفعل ذلك ونحن موقنون أننا نؤدي واجباً مقدساً إلا أننا ما لبثنا أن وجدنا أنفسنا أمام أشياء لم نستطع لها تفسيراً، لقد رأينا هؤلاء الخونة مواظبين على الصلاة أثناء الليل وتكاد ألسنتهم لا تفتر عن ذكر الله حتى عند البلاء!

بل إن بعضهم كان يموت تحت وقع السياط، أو أثناء هجوم الكلاب الضارية عليهم وهم مبتسمون ومستمرون على الذكر.

ومن هنا بدأ الشك يتسرب إلى نفوسنا، فلا يعقل أن يكون مثل هؤلاء المؤمنين الذاكرين من الخائنين المتعاملين مع أعداء الله،واتفقت أنا وأخي هذا سراً على أن نتجنب إيذاءهم ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً وأن نقدم لهم كل ما نستطيع من العون. ومن فضل الله علينا أن وجودنا في ذلك السجن لم يستمر طويلاً.. وكان آخر ما كلفنا به من عمل هو حراسة الزنزانة التي أفرد فيها أحدهم، وقد وصفوه لنا بأنه أخطرهم جميعاً أو أنه رأسهم المفكر وقائدهم المدبر، وكان قد بلغ به التعذيب إلى حدٍ لم يعد قادراً معه على النهوض، فكانوا يحملونه إلى المحكمة العسكرية التي تنظر في قضيته.

وذات ليلة جاءت الأوامر بإعداده للمشنقة، وأدخلوا عليه أحد الشيوخ!! ليذكره ويعظه!! وفي ساعة مبكرة من الصباح التالي أخذت أنا وأخي بذراعيه نقوده إلى السيارة المغلقة التي سبقنا إليها بعض المحكومين الآخرين..وخلال لحظات انطلق بنا إلى مكان الإعدام.. ومن خلفنا بعض السيارات العسكرية تحمل الجنود المدججين بالسلاح للحفاظ عليهم.

وفي مثل لمح البصر أخذ كل جندي مكانه المرسوم محتضناً مسدسه الرشاش، وكان المسؤلون هناك قد هيئوا كل شيء، فأقاموا من المشانق مثل عدد المحكومين، وسيق كل منهم إلى مشنقته المحددة ثم لفّ حبلها حول عنقه وانتصب بجانب كل واحدة – العشماوي – الذي ينتظر الإشارة لإزاحة اللوح من تحت قدمي المحكوم.. ووقف تحت كل راية سوداء الجندي المكلف برفعها لحظة التنفيذ.

كان أهيب ما هنالك تلك الكلمات التي جعل يوجهها كل من هؤلاء المهيئين للموت إلى إخوانه يبشره بالتلاقي في جنة الخلد مع محمد ﷺ وأصحابه الأبرار

-رضي الله عنهم - ويختم كل عبارة بالصيحة المؤثرة الله أكبر ولله الحمد.

في هذه اللحظات الرهيبة سمعنا هدير سيارة تقترب، ثم لم تلبث أن سكت محركها وفتحت البوابة المحروسة ليندفع من خلالها ضابط من ذوي الرتب العالية وهو يصيح بالجلادين مكانكم!

ثم تقدم نحو صاحبنا الذي لم نزل إلى جواره على جانبي المشنقة، وبعد أن أمر الضابط بإزالة الرباط عن عينيه ورفع الحبل عن عنقه جعل يكلمه بصوت مرتعش ياأخي.. يا سيد إني قادم إليك بهدية من الرئيس الحليم الرحيم!!! [يعني عبد الناصر] كلمة واحدة تذيلها بتوقيعك ثم تطلب ما تشاء لك ولإخوانك هؤلاء. ولم ينتظر الجواب وفتح الكراس الذي بيده وهو يقول: اكتب ياأخي هذه العبارة فقط: [لقد كنت مخطئاً وإني أعتذر] ورفع سيد عينيه الصافيتين وقد غمرت وجهه ابتسامة لا قدرة لنا على وصفها، وقال للضابط في هدوء عجيب: أبداً.. لن أشتري الحياة الزايلة بكذبة لن تزول! قال الضابط بلهجة يمازجها الحزن: ولكنه الموت يا سيد... وأجاب سيد: يا مرحباً بالموت في سبيل الله. الله أكبر!! هكذا تكون العزة الإيمانية، ولم يبق مجال للاستمرار في الحوار فأشار الضابط للعشماوي بوجوب التنفيذ، وسرعان ما تأرجح جسد سيد -رحمه الله تعالى- وإخوانه في الهواء.. وعلى لسان كل منهم الكلمة التي لا نستطيع لها نسياناً ولم نشعر قط بمثل وقعها في غير ذلك الموقف [لا إله إلا الله محمد رسول الله].

وهكذا كان هذا المشهد سبباً في هدايتنا واستقامتنا، فنسأل الله الثبات.

حكاية لحفيد الكاظم -عليه السلام-

ظريفة من «نور الأبصار» ما معناه: كان المأمون عزم أن يعهد إلى الإمام أبي جعفر محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم كما عهد إلى أبيه الإمام علي الرضا فتخوف بنو العباس من ذلك، ونازعوا المأمون في ذلك، ثم تواعدوا إلى أن يرسلوا إلى الإمام محمد الجواد من يختبره فأرسلوا إلى يحيى بن أكثم، ووعدوه بشيء كثير إن قطع لهم محمداً وأخجله، فحضر الخليفة وخواص الدولة ومعهم يحيى بن أكثم فأمر المأمون بفرش حسن لمحمد فجلس عليه وسأله يحيى مسائل فأجاب عنها بأحسن جواب وأوضحه، فقال له الخليفة: أحسنت يا أبا جعفر فإن أردت أن تسأل يحيى ولو مسألة واحدة، فقال له يحيى: يسأل فإن كان عندي جواب أجبت به وإلا استفدت الجواب، والله أسأل أن يرشدني للصواب، فقال له أبو جعفر محمد الجواد: ما تقول في رجل نظر إلى امرأة في أول النهار بشهوة فكان نظره حراماً عليه، فلما ارتفع النهار حلت له، فلما زالت الشمس حرمت عليه فلما كان وقت العصر حلت له، فلما غربت الشمس حرمت عليه، فلما دخل وقت العشاء الآخر حلت له، فلما انتصف الليل حرمت، فلما طلع عليه الفجر حلت له، فبماذا حلت هذه المرأة لهذا الرجل وبماذا حرمت عليه في هذه الأوقات؟ فقال يحيى بن أكثم: لا أدري فإن رأيت أن تفيد الجواب فذلك. فقال أبو جعفر: هذه أمة لرجل نظر إليها شخص في أول النهار بشهوة وذلك حرام عليه، فلما ارتفع النهار ابتاعها من صاحبها فحلت له، فلما كان وقت الظهر أعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء كفر عن الظهار فحلت له، فلما كان نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه، فلما كان وقت الفجر راجعها فحلت له.

فأقبل المأمون على من حضر من أهل بيته فقال: هـل فـيكم أحـد يستحـضر أن يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب؟ فقالوا: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فقال: قد عرفتم الآن ما تنكرون. وظهر في وجه القاضي يحيى الخجـل والتغـير، وعرف ذلك كل من في المجلس.

حكاية في أوصاف المؤمن

من «أمالي المرشد بالله» عن الحسن، قال: علامـات المـؤمن وطباعـه: قـوة في دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وعلم في حلم، وكسب في رفـق، وعطـاء في حق، وقصد في غنى، وتجمل في فاقة، وإحسان في تؤدة، وطاعة في نصيحة، ونهي عن شهوة، وتورع عن رغبة، وتعفف في جهد، وتحرج في طمع، وشغل في صبر، وشدة في شفق، وصلاة في شغل، وشفق في ثقة، ورحمة للمجهود، ويطرد فحشه بمعروفه، ويغلب شحه بعطائه، وهو في الزلازل وقور، وفي المكاره صـبور، وفي الرخاء شكور، ولا يغلبه الغضب، ولا يحمى به الحمية، ولا يختال ولا يفخر، ولا يتكبر، ولا يتعظم، ولا يقطع الرحم، ولا يضر بالجـار، ولا يـشمت بالمـصاب، وليس بفظ ولا غليظ، ولا واهن ولا مهين، ولا تغلبه شهوته، وتنزيه رغبته، ولا يبدره لسانه، ولا يسبقه بصره، ولا يغلبه فرحه، ولا يميل به هواه، ولا يفـضحه بطنه، ولا يستخفه حرصه، ولا يقصر به لينه، ولا يهمز ولا يلمز، ولا يبغـي ولا يحسد، ينصر المظلوم ويعين الغارم، ويرحم السقيم والـضعيف، ولا يبخـل ولا يبذر ولا يسرف، يعفو إذا ظلم، نفسه منه في عناء والناس منه في راحة، لا يرغب رغب الدنيا، ولا يجزع من ذلها، للناس هموم أقبلوا قبله وله هم قد شغل به، يهمه

ما هو صائر إليه، لا يرى في خلقه نقص، ولا في دينه دنس، ولا في إيمانه لبس، ولا في فرحه بطر، ولا في حزنه جزع، يرشد من استشاره، ويسعد بـه مـن صـاحبه، يتكرم عن الباطل، ويعرض عن الجاهل. فهذه أخلاق المؤمن وهي ثمانون خلقـا وأخلاق المنافق ضدها.

حكاية حاضر صاحب الإمام عيسى بن زيد -عليه السلام-

من «تيسير المطالب في أمالي الإمام أبي طالب» عن محمد بن أبي العتاهية قال: حدثني أبي قال: لما امتنعت من قول الشعر وتركته أمر المهدي العباسي بحبسي في حبس الجرائم، فأُخرجت من بين يديه إلى الحبس، فلما دخلـت دهـشت وذهـل عقلي ورأيت منه منظراً هالني، فرميت بطرفي أطلب موضعاً آوي إليـه، ورجـلاً أستأنس إليه، فإذا أنا بكهل حسن السمت نظيف الثوب بين عينيه سـيما الخـير، فقصدته فجلست إليه من غير أن أسلم عليه وأسأله عن شيء من أمره لما أنا فيـه من الجزع والحيرة فمكثت كذلك ملياً وأنا مطرق ومفكر في حالي، فأنشد الرجل هذين البيتين:

تعـودت مـس الـضر حتـى ألفتـه وأسـلمني حـسن العـزاء إلى الـصبر
وصيرني يـأسي مـن النـاس واثقـاً بحسن صنيع الله مـن حيـث لا أدري

فاستحسنت البيتين وتبركت بهما وثاب إليَّ عقلي فأقبلت على الرجل، وقلت له: تفضل أعزك الله تعالى بإعادة البيتين، فقال لي: ويحك يا إسماعيل، ولم يكنني، ما أسوأ أدبك وأقل عقلك، ومروءتك، دخلت إليَّ ولم تسلم عليَّ تسليم المـسلم على المسلم، ولا توجعت إليَّ توجع المبتلى للمبتلى، ولا تسألني مسألة الوارد على

المقيم، حتى إذا سمعت مني بيتين من الشعر الذي لم يجعل الله لك فيه خيراً ولا أدباً ولا جعل لك معاشاً غيره لم تتذكر ما سلف منك فتتلافاه، ولا اعتذرت مما قدمته وفرطت فيه من الحق حتى استنشدتني مبتدئاً كأن بيننا أنساً قديماً، ومعرفة سابقة، وصحبة تبسط المنقبض، فقلت له: تعذرني متفضلاً فدون ما أنا فيه يدهش، قال: وفي أي شيء؟ أنت إنما تركت قول الشعر الذي كان جاهاً لك عندهم، وسبيلك إليهم فحبسوك حتى تقول وأنت لابد من أن تقول فتطلق، وأنا يدعى بي الساعة فأطالب بعيسى بن زيد بن رسول الله ﷺ فإن دللت عليه فقتل لقيت الله بدمه، وكان رسول الله ﷺ خصمي فيه، وإلا قتلت مكانه فأنا أولى بالحيرة منك، وأنت ترى احتسابي وصبري، فقلت: يكفيك الله. وأطرقت خجلاً منه، فقال: لا أجمع عليك التوبيخ والمنع اسمع البيتين فاحفظهما، فأعادهما علي مراراً حتى حفظتهما، ثم دعي به وبي، فلما قمنا قلت: من أنت أعزك الله؟ قال: أنا حاضر صاحب عيسى بن زيد، فأدخلنا على المهدي فلما وقف بين يديه قال له: أين عيسى بن زيد؟ فقال: ما يدريني أين عيسى بن زيد طلبته وأخفته فهرب منك في البلاد، وأخذتني فحبستني فمن أين أقف على موضع هارب منك وأنا محبوس؟ فقال له: وأين كان متوارياً؟ ومتى كان آخر عهدك به؟ وعند من لقيته؟ فقال: ما لقيته منذ توارى ولا أعرف له خبراً، فقال: والله لتدل عليه أو لأضربن عنقك الساعة، فقال: اصنع ما بدا لك أنا أدلك على ابن رسول الله لتقتله، وألقى الله ورسوله وهما يطالبانني بدمه! والله لو كان بين ثوبي وجلدي ما كشفت عنه، فقال: اضربوا عنقه، فقدم فضرب عنقه، ثم دعا بي فقال: أتقول الشعر أو ألحقك به؟ فقلت: بل أقول الشعر فقال: أطلقوه. قال محمد بن القاسم بن مهرويه: والبيتان اللذان سمعهما من حاضر في شعره الآن، يعني أدرجهما بعض الجهلة مع شعر أبي العتاهية.

حديث شريف في المؤمن والكافر عند الموت

رواه الإمام المرشد بالله يحيى بن الحسين الجرجاني الشجري في ذكر عذاب القبر وثوابه بإسناده إلى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : «يقول الله تعالى لملك الموت عليه السلام: انطلق إلى وليي فاتني به فإني قد بلوته بالضراء والسراء فوجدته حيث أحب، قال: فيأتيه ملك الموت عليه السلام ومعه خمسمائة من الملائكة عليهم السلام يحملون معهم أكفاناً وحنوطاً من الجنة ومعهم ضبائر الريحان، أصل الريحانة واحد في رأسها عشرون لوناً لكل لون ريح سوى ريح صاحبه، والحرير الأبيض فيه المسك، فيأتيه ملك الموت عليه السلام فيجلس عند رأسه ويبسط ذلك الحرير والمسك تحت ذقنه ويفتح له باب إلى الجنة، فإن نفسه لتعلل هناك مرة بأرواحها ومرة بكسوتها ومرة بثمارها، قال: ويقول ملك الموت عليه السلام : اخرجي أيتها الروح الطيبة إلى سدر مخضود، وطلح منضود، وظل ممدود، وماء مسكوب، ولملك الموت أشد لطفاً به من الوالدة بولدها، فيعرف أن تلك الروح حبيبة إلى ربها يلتمس بلطفه تحبباً إلى ربه ورضاه عنه، فيسل روحه كما تسل الشعرة من العجين، قال الله -عز وجل-: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ [النحل:٣٢] وقال -عز وجل-: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة:٨٨، ٨٩] ويقول -عز وجل-: رَوح من جهة الموت، وريحان يتلقى به وجهه، ونعيم مقيله، فإذا قبض ملك الموت روحه قالت الروح للجسد: جزاك الله عني خيراً فقد كنت سريعاً إلى طاعة الله، بطيئاً عن معصية الله، فقد نجوت وأنجيت، ويقول الجسد للروح مثل ذلك، قال: وتبكي

عليه بقاع الأرض التي كان يطيع الله عليها وكل باب من السماء كان ينزل منه رزقه ويصعد منه عمله أربعين ليلة، فإذا وضع في قبره جاءته صلاته فكانت عن يمينه، وجاء صيامه فكان عن يساره، وجاء الذكر فكان عند رأسه، وجاء مشيه إلى الطاعة فكان عند رجليه، وجاء الصبر فقام ناحية من القبر، قال فيبعث الله عَنقا من العذاب فيأتيه عن يمينه فتقول الصلاة إليك عنه مازال عمره دائباً قائماً استراح الآن حين وضع في قبره، فيأتيه عن يساره فيقول الصيام مثل ذلك من كل ناحية يأتيه يخاطب بمثل ذلك، لا يأتيه من موضع إلا وجد ولي الله قد أخذ جُنَّتَهُ عند ذلك قال: فيقول الصبر لسائر الأعمال: أما إنه لم يمنعني أن أباشره أنا بنفسي فأما إذا أجزأتم فأنا ذخر له عند الميزان والصراط، قال: فيبعث الله ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف، وأصواتهما كالرعد القاصف، وأنيابهما كالصياصي وأنفاسهما كاللهب يطيان في أشعارهما بين منكبي كل واحد منهما مسيرة كذا وكذا قد نزعت منهما الرحمة والرأفة يقال لهما: منكر ونكير مع كل واحد منهما مطرقة من حديد لو اجتمع عليها ربيعة ومضر لم يقلوها من فيأتيانه فيقولان له: من كنت تعبد ومن ربك ومن نبيك؟ قالوا: يا رسول الله ومن يطيق الكلام عند ذلك وأنت تصف من الملكين ما تصف، فقال رسول الله ﷺ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[إبراهيم:٢٧] قال: فيقول: كنت أعبد الله لا أشرك به شيئاً والإسلام ديني الذي دانت به الأنبياء ونبيي محمد ﷺ خاتم الأنبياء، فيقولان له: صدقت فيدفعان القبر من بين يديه أربعين ذراعاً ومن خلفه كذلك، وعن يمينه كذلك وعن يساره كذلك، ثم يقولان له: ولي الله نجوت: آخر ما عليك، قال: فوالذي نفس محمد بيده إنه ليصل إلى قلبه عند ذلك فرحة لا

ترد أبداً، ثم يقولان له: ولي الله انظر فوقك فينظر فوقه فإذا باب مفتوح من الجنة، فيقولان له: ولي الله هذا منزلك، قال: فوالذي نفسي بيده إنه ليصل إلى قلبه فرحة لا ترد أبداً.

قال يزيد الرقاشي: وقالت عائشة: يفتح له تسعة وتسعون باباً من الجنة فيأتيه من رَوحِها وبردها حتى يبعثه اللهُ إليها.

قال أنس بن مالك في حديثه: فيقول الله لملك الموت: انطلق إلى عدوي فاتني به، فإني قد بسطت له رزقي وسربلته نعمتي فاتني به فلأنتقمن منه، قال: فيأتيه ملك الموت في أكره صورة رآها أحد من الناس له اثنا عشرة عيناً ومعه سفود من نار كثير الشوك، ومعه خمسمائة من الملائكة عليهم السلام يحملون معهم سياطاً من جمر جهنم، فيأتيه ملك الموت عليه السلام فيضربه بذلك السفود ضربة فتغيب كل شوكة من ذلك السفود في كل عرق منه فينزع روحه من أظفار قدميه فيلقيها في عقبيه ويسكر عدو الله سكرة فتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط ثم كذلك إلى صدره ثم كذلك إلى حلقه، ثم يقول ملك الموت عليه السلام: اخرجي أيتها الروح إلى ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤٢-٤٤] فإذا قبض ملك الموت روحه قال الروح للجسد: جزاك الله شراً فقد كنت سريعاً في معصية الله، بطيئاً في طاعة الله فقد هلكت وأهلكت، ويقول الجسد للروح مثل ذلك، قال: وتلعنه بقاع الأرض التي كان يعصي الله عليها، وكل باب من السماء ينزل منه رزقه ويصعد منه عمله أربعين ليلة، فإذا وضع في قبره ضيق الله عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه وتدخل اليمنى في اليسرى واليسرى في اليمنى قال: ويبعث الله عليه أفاعي دهم كأعناق الإبل فتأخذ بأرنبته وإبهامي قدميه فيقرضانه حتى يلتقيان في وسطه، قال: ويبعث الله

ملكين على تلك الصفة أبصارهما كالبرق وأنيابهما كالصياصي وأنفاسهما كاللهب، يطيان في أشعارهما بين منكبي كل واحد منهما مسيرة كذا كذا، وقد نزع الله منهما الرأفة والرحمة يقال لهما منكر ونكير، مع كل واحد منهما مطرقة من حديد لو اجتمع ربيعة ومضر لم يقلوها فيأتيانه فيضربانه ضربة يتطاير شرراً في قبره ثم يعود كما كان، فيقولان له عدو الله ما كنت تعبد؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري، فيقولان: عدو الله لا دريت ولا بليت ويضربانه ضربة يتطاير شرراً في قبره ثم يعود كما كان، ثم يقولان له: عدو الله انظر فوقك فإذا باب مفتوح إلى الجنة فيقولان له: عدو الله لو كنت أطعت الله لكان هذا منزلك قال: فوالذي نفس محمد بيده إنه ليصل إلى قلبه حسرة لا ترد أبداً، فيقولان له: عدو الله انظر إلى تحتك فينظر تحته فإذا باب مفتوح إلى النار فيقولان له: عدو الله هذا منزلك فوالذي نفس محمد بيده إنه ليصل إلى قلبه عند ذلك حسرة لا ترد أبداً.

قال يزيد الرقاشي: قالت عائشة: ويفتح له تسع وتسعون بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها حتى يبعثه الله إليها.

حكاية في أمارات الساعة

قال لي صاحبي: يا أخي ما أغبانا وأبعدنا من الله تعالى، وما أشغل قلوبنا بالترهات من الدنيا الفانية.

فقلت له: صحيح يا أخي ابتلينا بالحياة كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك:٢]

وقد افتتنا بها، وأخلدنا إليها، ولم ننظر إلى ما فيه نجاتنا من عذاب الله تعالى ومن غضبه، ولم ننظر إلى ما تجاهنا من المصائب والفتن ونحن في آخر الزمان وعلى مشارف أهوال القيامة. فقال: صاحبي ما المخرج يا أخي؟ وأجهش بالبكاء، فقلت: المخرج الرجوع إلى الله تعالى ومحاسبة النفس على كل دقيقة وجليلة في الليل والنهار، والاستقامة كما قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾[هود:١١٢] فأجاب صاحبي: اللهم اهدنا ووفقنا وأعنا يا من ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٥، ٦]، وقال لي: هل يحضرك من أخبار الملاحم شيء؟ فقلت: نعم شيء قليل، فقال: قد قرأت في أخبار الفتن كثيراً، ولكن مع تقديري لأخلاقك هل يمكن أن تسمعني شيئاً من ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله، فقلت: اسمع قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[الأنعام:١٥٨] وعن البراء بن عازب: كنا نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «ما تتذاكرون؟» فقلنا: نتذاكر الساعة قال: «إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات: الدخان، ودابة الأرض، وخسفاً بالمغرب، وخسفاً بالمشرق، وخسفاً بجزيرة العرب، والدجال، وطلوع الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى، ونار تخرج من عدن».

هذه هي العلامات الكبرى، أما العلامات الصغرى فمنها ما ذكره الإمام المرشد بالله في أماليه الخميسية بسنده عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن من اقتراب الساعة إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة، وأضاعوا الأمانة، واستحلوا الكبائر، وأكلوا الربا، وأخذوا الرشا، وشيدوا البنا، واتبعوا الهوى، وباعوا الدين بالدنيا، واتخذوا القرآن مزامير، واتخذوا جلود السباع صفوفاً، والمساجد طرقاً، والحرير لباساً، وكثر الجور، وفشا الزنا، وتهاونوا بالطلاق،

واتمن الخائن، وخون الأمين، وصار المطر قيظاً، والولد غيظاً، وأمراء فجرة، ووزراء كذبة، وأمناء خونة، وعرفاء ظلمة، وقلّت العلماء، وكثرت المصاحف والقراء، وقلت الفقهاء، وحليت المصاحف، وزخرفت المساجد، وطولت المنار وفسدت القلوب، واتخذوا القيان واستحلت المعازف، وشربت الخمور، وعطلت الحدود، ونقصت الشهود، ونقضت المواثيق، وشاركت المرأة زوجها، وركب النساء البراذين، وتشبهن النساء بالرجال، والرجال بالنساء، وحلف بغير الله، وشهد الرجل من غير أن يستشهد، وكانت الزكاة مغرماً، والأمانة مغنماً، وأطاع الرجل امرأته، وعق أمه، وأقصى أباه، وصارت الأمارة مواريث، وسب آخر هذه الأمة أولها، وأكرم الرجل اتقاء شره، وكثرت الشرط، وصعدت الحملان المنابر، ولبس الرجال الشيحان، وضيقت الطرقات، وشيد البناء، واستغنى الرجال بالرجال، واستغنى النساء بالنساء، وصارت خلافتكم في صبيانكم، وكثر خطباء منابركم، وركن علماؤكم إلى ولاتكم، فأحلوا لهم الحرام، وحرموا عليهم الحلال، وأفتوهم بما يشتهون، وتعلم علماؤكم العلم ليجلبوا به دنانيركم ودراهمكم، واتخذ القرآن تجارة، وضيعتم حق الله في أموالكم، وصارت أموالكم عند شراركم، وقطعتم أرحامكم، وشربتم الخمور في ناديكم، ولعبتم بالميسر، وضربتم بالكبر، والمعازف، والمزامير، ومنعتم محاويجكم زكاتكم، ورأيتموها مغرماً، وقتل البريء لتقصى العامة بقتله، واختلفت أهواءكم، وصار العطاء في العبيد والسقاط، وطففت المكاييل والموازين، ووليتم أمركم السفهاء».

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يبعث الله أمراء كذبة، ووزراء فجرة، وأعواناً خونة، وعرفاء ظلمة، وقراء فسقة، سيماهم سيما رهبان، قلوبهم أنتن من الجيفة، أهواءهم مختلفة، يفتح الله لهم

فتنة غبراء مظلمة، فيتهاوكون كتهاوك اليهود الظلمة، والذي نفس محمد بيده لينقض الإسلام عروة عروة حتى لا يقال: الله الله، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم شراركم فليسومنكم سوء العذاب، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم».

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ : «سيجيء في الزمان أقوام تكون وجوههم وجوه الآدميين، وقلوبهم قلوب الشياطين، أمثال الذئاب الضواري، ليس في قلوبهم شيء من الرحمة، سفاكين للدماء، يدعون عن قبيح، إن تابعتهم واربوك، وإن تواريت عنهم اغتابوك، وإن حدثوك كذبوك، وإن ائتمنتهم خانوك، صبيهم عارم وشابهم شاطر، وشيخهم لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، الاغترار بهم ذل، وطلب ما في أيديهم فقر، الحليم فيهم غاوٍ، والآمر بالمعروف فيهم متهم، والمؤمن فيهم مستضعف، والفاسق فيهم مشرف، والسنة فيهم بدعة، والبدعة فيهم سنة، فعند ذلك يسلط الله عليهم شرارهم، ويدعو خيارهم فلا يستجاب لهم».

فلما وصلت إلى هنا قال: حسبك، واستعد لصلاة المغرب. - رضي الله تعالى عنه - وأرضاه.

من طرائف الحكم

قال الحكماء: عشرة في عشرة هي أقبح منها في غيرهم: الضيق في الملوك، والغدر في ذوي الأحساب، والحاجة في العلماء، «وأظنها اللجاجة» والكذب في القضاة، والغضب في ذوي الألباب، والسفاهة في الكهول، والمرض في الأطباء،

والاستهزاء في أهل البؤس، والفخر في أهل الفاقة، والشح في الأغنياء.

سئل أمير المؤمنين علي عليه السلام عن الخير ما هو؟ فقال: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، وأن يعظم حلمك، وأن تباهي «يعني تباري» الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله، ولا خير في الدنيا إلا لرجلين: رجل أذنب ذنوباً فهو يتداركها بالتوبة، ورجل يسارع في الخيرات.

قصة الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها

قال الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الأعراف:١٧٥] وهو عالم من بني إسرائيل، وقيل: من الكنعانيين، علم بعض كتب الله وكفر بها ونبذها وراء ظهره ولم يقم بما فيها.

قال بعض المفسرين: اختلفوا في ذلك فقال أكثرهم: هو بلعام بن باعورا بن باعر من الكنعانيين، من مدينة بلقا، وهي مدينة الجبارين، وسميت بلقا لأن ملكها رجل يقال له بالق من صافوراء، وكان قصة بلعام على ما ذكره ابن عباس، وابن إسحاق، والسدي، والكلبي، وغيرهم أن موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام إلى بلعام وكان عنده اسم الله الأعظم فقالوا له: إن موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وإنه جاء ليخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني إسرائيل، وإنا قومك وبنو عمك وجيرانك وليس لنا منزل، وأنت رجل مجاب الدعوة فاقدم إلينا وأشر علينا في

هذا الرجل العدو الذي قد أرهقنا فادع الله أن يرد عنا موسى وقومه، فقال لهم بلعام: ويلكم هذا نبي الله، ومعه الملائكة والمؤمنون، كيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم، وإني إن فعلت ذلك ذهبت دنياي وآخرتي، فلم يزالوا به حتى قال لهم: اصبروا حتى أستأمر ربي، وكان لا يدعو حتى ينتظر ما يؤمر به في المنام، فتآمر في الدعاء عليهم في المنام فقيل له: لا تدع عليهم فقال لقومه: إني قد آمرت ربي في الدعاء فنهيت عن ذلك، فراجعوه فقال: أؤآمر ثانياً، فآمر فلم يجب فقال: قد آمرت فلم يجب لي شيئاً، فقالوا: لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما فعل في المرة الأولى، فلم يزالوا يرفقون به ويناشدونه ويضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن، فقالوا لبعضهم: أهدوا إليه، فيقال: أنهم أهدوا إليه هدية فقبلها، ويقال: إن بلعام بن باعورا لما أبى أن يدعو على موسى وقومه اجتمع آراء قومه أن يحملوا شيئاً إلى امرأته، قالوا: إنها فقيرة وإنه فقير وإنه يصغي إلى رأيها، فانطلق عشرة من عظمائهم، وحمل كل واحد منهم صحيفة من ذهب مملوءة وَرِقاً فأهدوها لها فأقبلت على صاحبها وألحت عليه حتى قالت له: ارجع إلى ربك فاسأله أن يأذن لك في مؤازرتهم والدعاء على عدوهم، فلم تزل به حتى استجاب، فلم يجب إليه بشيء، فقالت له: إنه قد خيرك في الدعاء عليهم، فلو لم يأذن لك لنهاك،، قالوا: فركب أتاناً له متوجهاً إلى جبل يطلعه على عسكر بني إسرائيل يقال له حسان، وكانت مراكب العباد الأولين الأُتن، فما سار عليها غير بعيد حتى ربضت به فنزل عنها وضربها حتى أذلقها، فقامت فركبها، فلم تسر به كثيراً حتى ربضت به، ففعل بها مثل ذلك، فقامت فركبها فلم تسر به كثيراً حتى ربضت به فضربها حتى أذلقها، وأذن الله تعالى لها في الكلام حجة عليه فقالت: ويحك يا بلعام أين تذهب؟ ألا ترى أن الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا؟ أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم؟ فلما سمع ذلك خر ساجداً فلم يزل

باكياً متضرعاً حتى غابت عنه الملائكة، ثم رفع وجهه، فجاء الشيطان وقال لـه: امض لوجهك فإن ربك يستجيب لك، ولو لم يرد ذلك لما برحت عنك الملائكة ولما خلوا سبيلك، فركب أتانه وخلى الله سبيلها فانطلقت به حتى أشرفت على جبل حسان، فجعل لا يدعو عليهم بشيء من الشر إلا صرف الله بـه لـسانه إلى قومه، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف الله به لسانه إلى بني إسرائيـل، فقـال لـه قومه: أتدري ما تصنع يا بلعام ؟ إنما تدعو لهم وتدعو علينا، فقال: هـذا أمـر لا أملك منه شيئاً، قد غلبني الله عليه، فاندلع لسانه فوقع على صدره، فعلم ما حل به فقال لقومه: قد ذهبت مني الدنيا والآخرة، ولم يبق إلا المكر والحيلة، فـسآمر لكم وأحتال، فجمِّلوا النساء وزينوهن وأعطـوهن الـسلع، ثـم أرسـلوهن إلى المعسكر يبعن فيه ويشترين، وأمروهن أن لا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادهـا، فإنهم لو زنى رجل منهم كفيتموهم ففعلوا ذلك، فلما دخلت النـساء المعـسكر مرت امرأةٌ كنعانية اسمها كبشا بنت صوريا برجل من عظماء بني إسرائيل يقال له: زمري بن سلوم من سبط شمعون بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، فقام إليها وأخذ بيدها حين أعجبه حسنُها وجمالها، ثم وقف عـلى موسـى وقـال: إني سأظنك أن تقول هذه حرام عليك؟ فقال: أجل هي حرام عليك لا تقربها، قال: والله لا أطيعك في هذا، ثم إنه دخل بها قبته فواقعها، فأرسل الله الطـاعون عـلى بني إسرائيل في الوقت، وكان فنحاص بن عيزار بـن هـارون صـاحب موسـى رجلاً قد أعطي بسطة في الخلق وقوة في البطش، وكان غائباً حين صنع زمري بن سلوم ما صنع، فجاء والطاعون يجوس في بني إسرائيل فأُخبر الخبر، فأخذ حربته وكانت حديداً كلها، ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فانتظمهما في حربته، ثم خرج بهما رافعهما بيده إلى السماء والحربة قد أخذها بذراعه وأعتمـد بمرفقـه على خاصرته، وأسند الحربة على لحيته، وكان بِكر العيزار وجعل يقـول: اللهـم

هكذا نفعل بمن يعصيك، فرفع الطاعون عنهم، فحسب من هلك من بني إسرائيل من الطاعون فيما بين أن أصاب زمري المرأة إلى أن قتله فنحاص فوجده قد أهلك منهم سبعين ألف نفس في ساعة واحدة، فمن هناك يُعطي بنو إسرائيل لبنيه من كل ذبيحة ذبحوها الخاصر والذراع واللحي، لاعتماده بالحربة على خاصرته، وأخذه إياها بذراعه، وإسناده إلى لحيته، والبكر من كل أموالهم،لأنه كان بكر العيزار بن هارون، وأنزل الله تعالى على رسوله محمد ﷺ : ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا...﴾ الآية [الأعراف:١٧٥]. قلت للتسلية والاعتبار.

وقال آخرون: هو من بني إسرائيل يقال له: بلعام أوتي النبوة فرشاه قومه [(١)] على أن يسكت ففعل، وتركهم على ما هم عليه. انتهى.

وقال بعضُهم : هي في أمية بن أبي الصلت الثقفي، وكان من قراء الكتب، وعلم أن الله تعالى مرسل رسولاً في ذلك الوقت، ورجا أن يكون ذلك، فلما أرسل الله تعالى محمداً ﷺ حسده وكذبه.

ومنهم من قال: أنها نزلت في البسوس، وكان رجلاً قد أعطي ثلاث دعوات مستجابات، وكان له امرأة وله منها ولد، فقالت له: اجعل لي منها واحدة، فقال: لك منها دعوةٌ فما تريدين؟ قالت: ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل، فدعا فجعلت أجمل امرأة في بني إسرائيل، فلما علمت أن ليس فيهم مثلها، رغبت عنه فغضب الرجل فدعا عليها فصارت كلبة نباحة، فذهبت دعوتان، فجاء بنوها فقالوا: ليس لنا على هذا قرار ولا صبر صارت أمنا كلبة نباحة، وإن الناس يعيرونا بها، فادع الله أن يردها إلى الحال التي كانت عليها، فدعا الله فصارت كما كانت، فذهبت فيها الثلاث الدعوات كلها.

---

(١) قد يكون من الصالحين فلا يمكن أن يعمل ذلك رجل آتاه الله النبوة.

قصة ثعلبة بن حاطب

ومن هذا الباب ما روى ابن جرير وابن أبي حاتم بالسند إلى أبي أمامة الباهلي عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري أنه قال لرسول اللهﷺ : ادع الله أن يرزقني مالاً، قال: فقال رسول اللهﷺ : ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه، قال: ثم قال مرة أخرى، فقال: أما ترضى أن تكون مثل نبي الله فوالذي نفسي بيده لو شئت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت. قال: والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقني مالاً لأعطين كل ذي حق حقه، فقال رسول اللهﷺ : اللهم ارزق ثعلبة مالاً، قال: فاتخذ غنماً فنمت كما ينمي الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها، فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما، ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة، وهي تنمى كما ينمي الدود حتى ترك الجمعة فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة ليسألهم عن الأخبار فقال رسول اللهﷺ : ما فعل ثعلبة؟ فقالوا: يا رسول الله اتخذ غنماً فضاقت عليه المدينة فأخبروه بأمره فقال: يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة، وأنزل الله جل ثناؤه ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً...﴾ الآية [التوبة:١٠٣] ونزلت فرائض الصدقة، فبعث رسول اللهﷺ رجلين على الصدقة من المسلمين رجلاً من جهينة ورجلاً من سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما: مرا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم فخذا صدقاتهما، فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول اللهﷺ فقال: ما هذه إلا جزية ما

هذه إلا أخت الجزية ما أدري ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلي، فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها، فلما رأوها قالوا ما يجب عليك هذا، وما نريد أن نأخذ هذا منك، فقال: بلى فخذوها فإن نفسي بذلك طيبة وإنما هي له، فأخذاها منه ومرا على الناس فأخذا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال: أروني كتابكما فقرأه فقال: ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي، فانطلقا حتى أتيا النبيﷺ فلما رآهما قال: يا ويح ثعلبة قبل أن يكلمهما ودعا للسلمي بالبركة، فأخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمي فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [التوبة:٧٥-٧٨] قال: وعند رسول اللهﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال: ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا، فخرج ثعلبة حتى أتى النبيﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته فقال: إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثو على رأسه التراب، فقال له رسول اللهﷺ : هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني، فلما أبى رسول اللهﷺ أن يقبل صدقته رجع إلى منزله فقبض رسول اللهﷺ ولم يقبل منه شيئاً، ثم أتى أبابكر حين استخلف فقال: قد علمت منزلتي من رسول اللهﷺ وموضعي من الأنصار، فاقبل صدقتي، فقال أبوبكر: لم يقبلها منك رسول اللهﷺ وأبى أن يقبلها، فقبض أبو

بكر ولم يقبلها، فلما ولي عمر أتاه فقال: يا أمير المؤمنين اقبل صدقتي، فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر وأنا أقبلها منك؟ فقبض ولم يقبلها، ولما ولي عثمان أتاه فقال: اقبل صدقتي فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر، وأنا أقبلها منك؟ فلم يقبلها فهلك ثعلبة في خلافة عثمان.

وقوله تعالى: ﴿ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ...﴾ الآية [التوبة:٧٧] أي أعقبهم النفاق في قلوبهم بسبب إخلافهم الوعد وكذبهم.

غض البصر

وقد ورد الأمر القطعي بغض البصر قال الله تعالى: ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾[النور: ٣٠، ٣١]

وعن النبي ﷺ : «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن غض بصره عن محاسن امرأة أورث الله قلبه حلاوة يجدها إلى يوم يلقاه » أو كما قال. وعنه ﷺ أنه قال: « يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليس لك الثانية».

وعن ابن عباس: « الشيطان من الرجل في ثلاثة: في نظره وقلبه وذكره، وهو من المرأة في ثلاثة: في بصرها وقلبها وعجزها».

وعن أسامة بن زيد أن النبي ﷺ قال: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء».

ولبعضهم وأجاد:

كل الحوادث مبدأها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فتك السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها في أعين الغيد موقوف على خطر
يسر مقلته ما ضر مهجته لا مرحبا بسرور عاد بالضرر

اللصوص الذين تابوا على يد الإمام مجد الدين -رضي الله عنه-

عن شيخ الإسلام الإمام مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي رضوان الله تعالى عليه وحفظه الله تعالى وأبقاه أنه خرج من صعدة في رحلة دعوية وإرشادية إلى جهات المغارب، وهي المدن والقرى والبوادي غرب مدينة صعدة، ولما وصل إلى تحت الظفير بحجة، فأراد أن يزور الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى الذي ملأت مؤلفاته الآفاق، منها الأزهار، والبحر الزخار، وغيرها، فالتقى تحت الجبل بمجموعة من اللصوص وقطاع الطرق، الذين أعيوا الدولة، وعجزت عن ضبطهم وملاحقتهم، وهم على عدة سيارات من التي انتهبوها، فلما وصل تحت جبل الظفير وكان على سيارة صالون جديد «آخر موديل» جاءوا إليه، قال لهم: أنتم قطاع الطريق المسبلة؟ قالوا: لا!، فقال: أنتم الذين أخفتوا عباد الله؟ قالوا: لا!، فقال : أنتم الذين اعتمدتم واسترزقتم الحرام؟ قالوا: لا، فقال: ماذا تصنعون هنا؟ تجمعتم على أذية الناس، انتظروا عقاب الله، انتظروا عذاب الله،

انتظروا نكال الله، ثم وعظهم وذكرهم حتى أنابوا، وأظهروا التوبة، ثم قال: عاهدوا الله تعالى على أن لا تخيفوا الطريق، ولا تؤذوا الناس، فعاهدوه، فأعطاهم من أكل معه وقال: هذه سيارتي انتبهوا لها وسأطلع الجبل لزيارة الإمام وسأعود غداً إن شاء الله، فحرسوها حتى عاد إليهم، وهم منتظرون له، فدعا لهم بالتوفيق، والهداية، والرزق الحلال، بعد أن تابوا وأنابوا.

حكاية عمرو بن مرة والمسترشد لدينه

الإمام عمرو بن مرة الجملي من رجال الجماعة متوفى سنة ١١٨هـ. قال فيه مسعر بن كرام ما أدركت من الناس من له عقل كعقل ابن مرة.

جاءه رجل فقال: عافاك الله جئت مسترشداً، إنني رجل دخلت في جميع هذه الأهواء فما أدخل في هوى منها إلا القرآن أدخلني فيه، ولم أخرج من هوى إلا القرآن أخرجني منه حتى بقيت ليس في يدي شيء، قال: فقال له عمرو بن مرة: آلله الذي لا إله إلا هو جئت مسترشداً؟ فقال: والله الذي لا إله إلا هو لقد جئت مسترشداً.

قال: نعم أرأيت هل اختلفوا في أن محمداً رسول الله وأن ما أتى به من الله حق؟ قال: لا، قال: فهل اختلفوا في دين الله أنه الإسلام؟ قال: لا، قال: فهل اختلفوا في الكعبة أنها قبلة؟ قال: لا، قال: فهل اختلفوا في الصلوات الخمس أنها خمس؟ قال: لا. قال: فهل اختلفوا في رمضان أنه شهرهم الذي يصومونه؟ قال: لا، قال: فهل اختلفوا في الحج أنه بيت الله الذي يحجونه؟ قال: لا، قال: فهل

اختلفوا في الزكاة أنها من مائتي درهم خمسة؟ قال: لا، قال: فهل اختلفوا في الغسل من الجنابة أنه واجب؟ قال: لا، قال مسعر: فذكر هذا وأشباهه ثم قرأ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾[آل عمران:٧] فهل تدري ما المحكم؟ قال: لا، قال: فالمحكم ما اجتمعوا عليه، والمتشابه ما اختلفوا فيه، شد نيتك في المحكم وإياك والخوض في المتشابه. قال: فقال الرجل: الحمد لله الذي أرشدني على يدك فوالله لقد قمت من عندك وإني لحسن الحال، قال: فدعا له وأثنى عليه.

قال بعض العلماء: يقصد من قوله ليس في يدي شيء أن من قرأ القرآن وهو يريد الانتصار لرأيه وشبهته فسيجد في متشابه القرآن ما يستدل به، فالمرجئة يستدلون بمتشابه القرآن، وكذلك الخوارج، والقدرية، والمشبهة، والروافض، والنواصب، وغيرهم فكل هؤلاء لا يتحاكمون إلى المحكم ولا ينطلقون منه ولا يرتكزون، عليه وإنما يبدأون بما تنازع الناس في دلالته، وإذا كان الحال هذا فلن يتفقوا ولن يجتمعوا تحت راية ولن يصلوا سوياً، وستبقى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، جزاء إهمالهم للقطعيات، وتوظيفهم للجزئيات المتشابهة، وسيظل أعداؤهم من اليهود والنصارى وغيرهم ظاهرين عليهم، مذلين لسوادهم، جانين لخيراتهم.. ما دام أنهم -أعني المسلمين- لم تفلح القطعيات في اجتماعهم وتوادهم، وتراحمهم، وتعاونهم، وتعظيمهم لأمر الإسلام وأهله.. إلخ. قلت ومما يؤيد هذا ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام عندما أرسل ابن عباس -رضي الله عنهما- لمحاجة الخوارج، قال: حاججهم بالسنة ولا تحاججهم بالقرآن فإنه حمال أوجه.

من رسالة للإمام الناصر محمد بن علي بن صلاح الدين إلى ولده علي

ثبت الله أحوال الولد جمال الدين علي ووفقه لمحاسن الخلال، وزينه بالإحاطة بعلم الحرام والحلال وأكرمه بالورع والتقوى، وألزمه سمت الحق في الصمت والنجوى، وهداه إلى الخيرات وذاده عن المكروهات والمحظورات ، وأتحفه بشريف السلام.

اعلم يا بني أنك في غرة اجتماع الشهوات، وقاموس دواعي اللذات، وعباب صولة الشيطان، نعوذ بالله منه، وقوة مضرة النفس المركبة في الإنسان، وارتفاع منار الهوى، وشدة اضطراب الأهواء، وضعف العقل المانع، وخَوَر الحجا الوازع، والأخطار العظيمة، والمخاوف الظاهرة الجسيمة، سيما في هذا الزمان، فإن الخير قد خَلَق، إن هذا الدين بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، وأنت الآن بين أمرين، إن صنت نفسك عن الهلاك وزممتها بعفاف الإمساك وقذعتها عن الزلل والارتباك فعسى أن تفوز بالحظ الأسنى، وتنال من الله الزيادة والحسنى، ويرجى لك مع ذلك ما يرجى للأبرار، وتعد في جملة المصطفين الأخيار، وإذا انتفعت في نفسك فربما نفع الله بك غيرك بدعاء يستجاب، وعمل يستطاب، وشفاعة مقبولة، ونفاعة مبذولة، وإن أوردت نفسك موارد التلف ولم تصنها عما نزهها آباؤك، وفضلاء السلف، وصُمّت أُذُناك عن أمور الآخرة، وعميت عيناك عن العترة الطاهرة، وهشتْ حواسك إلى جنى أمانيها ولم تعرج بين محاسنها ومساويها، وانجحفت في ميدان اللهو العنيد، حتى ﴿جَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ [ق:١٩] فاغرس يا بني كلامي هذا في

صدرك، واستثمره في عسرك ويسرك، واستصبح بـه في ديجـور أمـرك، وعليـك بطلب العلم وحفظه ودراسته ليلاً ونهاراً فإنه رأس الخـصال الدينيـة، فاجعـل العلم رأس مالك، وأقبل عليه بكلك، ولا تجعل له معه شريكاً فإن حصوله على خطر مع الاستبداد فكيف مع المشاركة، ولا دين لمن لا عمل له، ولا عمل لمن لا علم له، ولا إخلاص لمن لا ورع له، ثم التيقظ في المحاورة والمكاتبة والمراسلة، ثم اكتساب خصال الخير كلها لا تطرح شيئاً منها، فأنت في منصب شريف، ومحتد منيف ، وصن نفسك عن مساوي الأخلاق، وارفعها عن أن ترفع إلى الدني مـن الطباق، وكن ذكي الباطن نابه الفكـرة، ثاقـب الرؤيـة، حـاضر الجـواب سـالم الارتياب، صحيح الأركان والمباني، حلو المقاطف والمجاني، مُحسنٌ إلى القريـب والبعيد، مولعٌ بكل منيب.

من «الوسائل» للإمام يحيى بن المهدي الزيدي رضوان الله عليهم

قيل: خلق الله تعالى الحيوان على ثلاثة أقـسام: قـسم خلقـه مـن عقـل مجـرد كالملائكة وقسم خلق من عقل وشهوة فهم بنـو آدم، وقـسم خلقـه مـن شـهوة مجردة كالأنعام.

والإنسان متوسط بين هاتين من غلب عقله شهوته لحق الملائكة في أذكـارهم وأعمالهم، ومن غلبت شهوته عقله لحق بالبهائم وكان من جهلة الدواب المتقممة بل هو أضل سبيلاً. قال علي عليه السلام : العقل جيش الرحمن، والهوى قائـد جـيش الـشيطان، والـنفس متجاذبـة بيـنهما فـأيهما غلـب كانـت مـن جنـده، ولهــذا قال صلى الله عليه وآله وسلم: «الذكر مخ العبادة» وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «تفكر سـاعة خـير مـن عبـادة سـنة» مصداقه قوله تعالى: «وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْـصِرُونَ». ولهـذا قـال في إحيـاء علـوم

الدين: ينبغي للعبد المؤمن أن يجعل له ورداً عند صباحه ومسائه في التفكر في آلاء الله ونعمائه وشدة انتقامه، وفي مراد الله في العالم، وقيل الفكرة تحدث الخشية كما تحدث الأشجار إلى الأغصان وأوراقها الماء. وروي في «مناهج المهج» برواية آل محمد عليهم السلام قال: اعلم أن التفكر على خمسة أوجه:

الأول: في صنع الله وعظمته وقدرته فمنه تتولد المعرفة.

الثاني: في نعمائه وإحسانه، وتزايد مننه، فمنه يتولد الحب لله والطمأنينة بذكره.

الثالث: في ألطافه وحسن ضمانه وإرادته لصلاحك، فمنه يتولد الرجاء والرغبة والمواظبة على ما يقربه إليه.

الرابع: في سوء أدبك وهتك حرمات ربك، وتعدي حدوده، وقبح معاملتك، فمنه يتولد الحياء وذلة النفس.

الخامس: التفكر في وعده ووعيده وشدة انتقامه، فمنه يتولد الخوف والزهد في الدنيا والورع، وترك الاشتغال إلا بالطاعات الخالصة لوجهه الكريم.

حكاية من «سفينة الحكمة» باب الهواتف

روى الحاكم في «سفينة الحكمة» في باب الهواتف عن عبدالله بن عبد الواحد قال: أخذت حظاً من العلم فتزهدت فلحقني جهد في المعيشة فقدم علينا فلان الأمير، وكان يعرفني فكنتُ أكتب له فمررت يوماً بصومعتي فسمعت صوتاً ولا أرى شخصاً يقول:

نـــادت بـــك الدنيـــا فلبيتَهـــا تلبيـــةً بعـــثَ بهـــا الآخـــرهْ

آثـــرت دنيـــاك عـــلى حُبِـــهِ تلـــك لعمـــري صـــفقةٌ خـــاسرهْ

فـــافزع إلى التوبـــة مـــستأثراً فإنهـــا مرتبـــة فـــاخره

واضرع إلى الـــرحمن في ســـحرٍ واشـــكر عـــلى الـــنعم الـــوافره

فدخلت الصومعة فلم أر أحداً ففزعت فأقمت فيها وتبت. انتهى.

من «الوسائل» من كنوز القرآن الكريم

قال من خط الإمام المهدي علي محمد بن علي قال:

- للحوائج المهمات والدواهي الملمات قراءة يس أربعين مرة. مجرباً مجرباً مجرباً.
- سورة ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ إحدى وأربعين مرة لكل مهمة ومخافة وطلب الحوائج من الله تعالى. مجرباً مجرباً.
- سورة الكافرون للخوف والشدايد إحدى وأربعين مرة. مجرباً.
- سورة الفاتحة للمعضلات والهموم والكروب وبلوغ الآمال إحدى وأربعين مرة. مجرباً مجرباً.
- سورة المزمل أربعين مرة لهلاك الظالم وكل من يؤذي.
- سورة نوح ألف مرة على الجبار والضار المضيم يهلك بإذن الله تعالى.
- سورة النحل تقرأ بكرة وعشياً على باب الكافر مرة.
- سورة الواقعة تقرأ عند التوجه لقضاء الحاجة تقضى بإذن الله تعالى.
- سورة الإخلاص تقرأ عند ألم الجوع والعطش.

- سورة الضحى وألم نشرح وسورة القدر لتفريج الكروب.
- سورة الإخلاص والكافرون والمعوذتين تقرأ عند المخاوف العظام.
- سورة هود تقرأ عند الخوف من الغرق وطمو الماء.
- ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[المؤمنون:١١٥] إلى آخر السورة لإهلاك الظالم.
- ولإهلاك الظالم قوله تعالى: ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنعام:٤٥].

حكاية في حلم الإمام زين العابدين

عن أبي حازم قال: ما وجدت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين بن علي وقف عليه رجل يوماً فآذاه فلم يزل ساكتاً حتى فرغ ثم قال له: أسأل الله إن كنت صادقاً أن يغفر لي وإن كنت كاذباً أن يغفر لك.

وسمعته يقول لبعض ولده: يا بني عليك بلزوم المساجد والتضرع بالأسحار فإني سمعت عن رسول الله ﷺ أنه يقول : «المسجد بيت كل تقي» وقيل: من لزم المسجد رزقه الله خمس خصال: النصر على الأعداء، والرزق من حيث لا يحتسب، والجواز على الصراط، ورقة القلب، وتخفيف الذنوب إن شاء الله تعالى»، انتهى . وله عليه السلام :

ملوك الأرض حكام الرعايا ... ونحن عبيد خلاق البرايا
أدمنا عيشنا بجريش ملح ... إذا أكلوا الثرايد والقلايا

شــددنا وسطنـــا بحبــال ليــف إذا لبـــسوا الحـــوانص والجلايـــا
وإن لبـــسوا الـــشفوف معلـــمات فخرنــــا بـــالمرقع والعبايـــــا
وإن ســكنوا قــصوراً عاليـــات ســكنا في المــساجد والزوايــا
غـــداً يتبـــين الـــسادات منـــا وننظـــر أينـــا أوفى عطايـــا

الحسن بين يدي الحجاج

قال: روى الحاكم في «شرح العيون» قال: لما أزعـج الحجـاج الحـسن البـصري فأجلسه عنده وقال: ما تقول في علي وعثمان؟ قال: أقول: كما قال موسى عليه السلام حين سأله فرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥١، ٥٢] قال: أنت سيد العلماء، فقال له حاجبه [يعني لما خرج من عنده]: إني أراك تحرك شفتيك وقد رأيت السيف والنطـع، قـال الحـسن البصري: نعم قلت حين دخلت عليه: يا عدتي عند شدتي، ويا صاحبي عند كربتي، ويا وليي عند نعمتي، ويا إلهي وإله آبائي إبـراهيم، وإسـحاق، ويعقـوب، ارزقنـي مودته واعزف عني أذاه، ففعل ربي جل وعلا. انتهى.

قيل للحسن البصري - رضي الله تعالى عنه - : ما سر زهدك في الدنيا؟ فقال: علمت بأن رزقي لن يأخذه غيري فاطمأن قلبي له، وعلمت بأن عمـلي لا يقـوم به غيري فاشتغلت به، وعلمت أن الله مطلـع عـلي فاسـتحييت أن أقابلـه عـلى معصية، وعلمت أن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء الله. انتهى.

قال الأنطاكي: خمسة أشياء دواء القلوب: مجالسة الصالحين، وقراءة القرآن، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند الأسحار.

حكاية الخشبة التي صلب عليها الإمام زيد بن علي -عليه السلام-

من «الوسائل» عن محمد بن الحكم عن ابن القشيعة عن يزيد بن حبيب عن همام قال: بينما أنا أطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم اغفر لي وما أراك تفعل لي. قال: فأخذت بثوبه وقلت له: يا عبدالله ما تقول وهل علمت بفناء من أنخت؟ وبيت من حللت؟ وأي رب دعوت؟ إن الله يغفر اليسير ويغفر الذنب العظيم، فقال لي: أنا أعرف ما تقول، ولكن ذنبي عظيم. قال: فداريته أن يخبرني فأبى عليّ ، فأتيت طاووساً فأخبرته فقال: قم بنا إليه، فلقيناه فكلمه طاووس ووعظه، فلما عرفه الرجل قال له: إني كنت من أعوان هشام بن عبدالملك، وكنت ممن يحرس خشبة زيد بن علي عليه السلام، فلما كان ليلة الجمعة في آخر الليل وقد نام أصحابي وبقيت فيما بين النائم واليقظان إذ رأيت كأن خمسة نفر أو ستة أتوا حتى وقفوا بحذا الخشبة فقال أحدهم: يا زيد، فقال: لبيك يا رسول الله، فقال: أخرجت فقاتلت فقتلت، وقتل المسلمون معك؟ فقال: نعم رأيت الإسلام قد نبذ، وغيرت السنن، وعطلت الشرائع، وكثرت البدع، فغضبت لله ونصرت دينه وسنة نبيه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : صدقت، قم اسقه يا علي، فناوله عُسّا فيه شراب أشد بياضاً من اللبن، وأطيب رائحة من المسك، فجعل العس يدور بينهم، وهم على الخشبة فقلت: يا رسول الله مر علياً فليسقني، فقال: اسقه يا علي فناولني عُساً فيه قطران يغلي، فجرعت منه جرعة،

فانتبهت فإذا رائحة القطران تفوح من فمي، فهربت من الموضع الذي كنت فيه إلى هذا البيت، ولو استجاب الله لي لأذهب عني هذه الرائحة، قال همام: فاستنكهته فإذا رائحة القطران تفوح من فيه، وكان أهل مكة لا يدعونه يقف معهم من نتن القطران الذي يخرج من فيه.

دعاء الطائرالمشهور فضله

ومن «الوسائل العظمى» قال: دعاء الطائر، المشهور فضله منقول من كتاب الأدعية المكنونة والأسرار المصونة، روى صالح السمرقندي عن القاضي أبي عبدالله عن بعض الصالحين أنه غزا في بعض الغزوات إلى بلاد الروم فأُسر بها، فأقام فيها نحواً من عشرين سنة محبوساً، فبينما هو ذات ليلة من الليالي يدعو الله -عز وجل- متفكراً فيمن خلف من أهله وولده إذ سمع بوقع طائر على حائط الحبس وهو يدعو بهذا الدعاء، قال: فتعلمت الدعاء من الطائر ودعوت الله به ثلاث ليالٍ متتابعات، ثم نمت في الليلة الثالثة فلم أستيقظ من منامي إلا وأنا في سطح داري، فنزلت إلى عيالي ففرحوا وفزعوا مني من تغير حالي ولوني، ثم حججت من عامي الذي نويت في نفسي، فبينا أنا راكع في مقام إبراهيمعليه السلام وأدعو بهذا الدعاء إذ بشيخ حركني، قال: فأتممت الركعتين ثم قال لي: ياهذا من أين لك هذا الدعاء وهو لا يدعو به إلا طائر في بلاد الروم؟ فقلت: إني كنت في بلاد الروم أسيراً وتعلمت هذا الدعاء منه، فقلت: بالذي بعث محمداً نبياً من تكون؟ قال: أنا الخضر. وهذا الدعاء المشهور:

اللهم إني أسألك يا من لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون، ولا تغيره الحوادث والدهور، يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ما يظلم عليه الليل وما يشرق عليه النهار، ولا تواري منه سماء سماءً، ولا أرض أرضاً، ولا جبل إلا ويعلم ما في وعره، ولا بحر إلا يعلم ما في قعره، وساحله، اللهم إني أسألك أن تجعل خير أعمالي آخرها، وخير أيامي يوم ألقاك، وخير عمري آخره، وخير ساعاتي ساعة فراقي للأحباب، من دار الدنيا إلى دار البقاء، التي تكرم فيها من أحببت من أوليائك، وتهين فيها من أبغضت من أعدائك، استكانت لعظمتك الأمم، وتذللت لهيبتك السموات والأرضون، اللهم من عاداني فعاده، ومن أرادني بسوء فأرده، ومن كادني فكده، ومن بغى علي فأهلكه، ومن نصب لي فخذه، واطف عني نار من شب لي ناره، واكفني هم من أدخل علي همه، وادخلني في درعك الحصين، واسترني بسترك الواقي من شر خلقك أجمعين، واكفني مكر الماكرين، وادفع عني عتو الفجرة والكفرة المتمردين، يا من كفاني كل شيء اكفني ما أهمني من أمر الدنيا والآخرة، وصدق قولي وظني وفعلي بالتحقيق، يا شفيق، يارفيق، يا رحمن يا رحيم، فرج عني كل ضيق، ولا تحملني ما لا أطيق، إنك إلهي الحق الحقيق، يا ذا الجلال والكمال والإكرام، يا مشرق البرهان يا قوي الأركان، يا من رحمته في هذا المكان وفي كل مكان، ولا يخلو منه مكان، احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بكنفك الذي لا يرام، إنه قد تيقن قلبي أن لا إله إلا أنت، وأني لا أهلك وأنت معي، يا رجائي فارحمني بقدرتك علي، يا عظيم يرجى لكل عظيم، يا كريم يا حليم، أنت بحاجتي عليم، وعلى خلاصي قدير، وهو

عليك يسير، وأنا إليك فقير، فامنن علي بقضائها يا كريم يا أكرم الأكرمين، يا أجود الأجودين، يا أسرع الحاسبين، يا رب العالمين أرحمني وارحم جميع المذنبين من أمة محمدﷺ ، فإنك على كل شيء قدير، يا خير الغافرين، فارحمني واقض حاجتي وفرج عني، وسهل أمري، واحرسني بعينك التي لا تنام، فإنك على كل شيء قدير، يا أرحم الراحمين، اللهم استجب لنا كما استجبت لهم برحمتك، عجل علينا بفرج من عندك بجودك وكرمك يا أرحم الراحمين إنك على ما تشاء قدير، وصلي الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الراشدين .

اقرع الباب ونادِ يا لطيفاً بالعبادِ
أنا عبد وابن عبد وإلى الحفرة غادي
ليس لي زاد ولكن حسن ظنني خير زادي

ومن «الوسائل»

من قرأ هذه الخمس الآيات لم يحرم ما بعدها:

- قوله تعالى: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[آل عمران:١٧٣] .
- قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾[النمل:١٩] .
- قوله تعالى: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأنبياء:٨٧] .
- قوله تعالى: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[غافر:٤٤] .

- قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[البقرة:١٥٦].

- قوله تعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾[الأعلى: ٨].

ومن الوسائل في معنى قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[الأعراف:٢٣] قال: سُعِدَ آدم عليه السلام بخمس: أقر على نفسه، وندم، ولام نفسه، وأسرع في التوبة، ولم يقنط من الرحمة، وشقي إبليس بخمس: لم يقر بالذنب، ولم يندم، ولم يلم نفسه، ولم يتب، وقنط من الرحمة.

وقيل أمهات الخطايا ثلاث: الحسد، والحرص، والكبر. فأما الكبر فأصله من إبليس حين أمره الله -تعالى- بالسجود فأبى، وقال: ﴿ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينًا؟!﴾ [الإسراء:٦١] فطرد ولعن، والحرص أصله من آدم عليه السلام إذ قيل له: إن كل ما في الجنة لك مباح إلا هذه الشجرة، قيل: هي البر، وقيل: هي العنب، وقيل: التين، وقيل: التمر، فحمله الحرص على أكلها فأُهبط ﴿وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾[الأعراف:٢٢]، والحسد أصله من إبليس، وقابيل قتل أخاه هابيل فصار كافراً، ولله القائل:

يا راقداً يرنو بعيني راقد ... ومشاهداً للأمر غير مشاهد
منتك نفسك خلة فأبحتها ... سبل الرجا وهن غير قواصد
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي ... درج الجنان بها وفوز العابد
أنسيت أن الله أخرج آدماً ... منها إلى الدنيا بذنب واحد

وعن علي زين العابدين عليه السلام أنه قال: من جمع ست خصال لم يدع للجنة

مطلباً ولا عن النار مهرباً: الأول من عرف الله فأطاعه، وعرف عدوه فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الجنة فطلبها.

فائدة جليلة في آداب الدعاء

من «الوسائل» قال: وآداب الدعاء عشرة كلها مأثورة عن النبي ﷺ برواية الأئمة الهادين.

الأول: أن يرصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة وشهر رمضان من الشهور، وشهر رجب الأصب، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من ساعات الليل، ووقت غفلات أهل الدنيا بأسواقِهم وضِياعهم، وفي كل ذلك آثار عنه ﷺ .

الثاني: أن تغتنم الأحوال الشريفة عند زحف الصفوف في سبيل الله، ونزول الغيث، وعند إقامة الصلاة المكتوبة لأنها جعلت في خير الساعات لقوله ﷺ : «عليكم بالدعاء خلف الصلاة فإنها لا ترد» ولن يخلو العبد في دعائه من ثلاث: إما خير يعجل له، أو شر يدفع به عنه ،أو ثواباً يدخر له. وحالة الركوع والسجود.

الثالث: أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى باطن إبطيه كما كان رسول الله ﷺ يفعل وقال: «إذا رفع أحدكم يديه إلى الله تعالى إن ربكم حيي كريم فيستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً حتى يضع فيها خيراً» قال أبو الدرداء: ارفعوا هذه الأيدي بالابتهال إلى الله –تعالى- قبل أن تغل

بالأغلال، ويمسح بها وجهه وأينما نالت يداه، ولا يرفع بصره إلى السماء وإن كانت قبلة الدعاء، لحديث علي : يا هذا اكفف بصرك واغضض من صوتك فلست تدعو أصماً -سبحانه وتعالى.

الرابع: خفض الصوت بين المخافتة والجهر قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[الأعراف:٢٠٥] وقد أثنى الله تعالى على نبيه زكرياعليه السلام بقوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾[مريم:٣].

الخامس: أن لا يتكلف السجع في الدعاء فإن حال الداعي حال متضرع متبتل، قلبه ملآن من الهيبة، جذل بالرجاء، خائف من الطرد والحرمان، والتكلف لا يناسبه، والأولى الدعاء بالمأثور عن النبي ﷺ وقد قيل: ادعو الله بلسان الذل والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق. ودعوات الرسول ﷺ متوارثة لكنها غير متكلفة.

السادس: التضرع والخشوع والتباكي قال ﷺ : «اغتنموا الدعاء عند الرقة». وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠] وعنه ﷺ : «إذا أحب الله عبداً ابتلاه حتى يسمع تضرعه».

- **السابع**: أن يجزم بالدعاء، ويوقن بالإجابة، ويحسن ظنه بربه قال ﷺ : «ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب من قلب لاهٍ غافلٍ».

- **الثامن**: أن يلح في الدعاء كان ﷺ يكرر دعواته في الأكثر ثلاثا ولا يستبطئ الإجابة ويقول قد دعوت فما استجيب لي، لكن ليقل: الحمد لله على كل حال، وإذا استجاب الله دعاءه قال: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

- التاسع: أن يفتح الدعاء بذكر الله -تعالى-، وبالصلاة على رسول الله ﷺ قال سلمة بن الأكوع: ما سمعت رسول الله ﷺ يستفتح الدعاء إلا بقول: سبحان ربي الأعلى الوهاب، فإذا كانت الدعوتان ذكر الله تعالى والصلاة على رسوله استحى الله -عز وجل- أن يرفع إحدى الدعوتين ويرد الأخرى. وقال ﷺ : «إذا سألتم الله حاجة فابدؤا بالصلاة علي، فإن الله أكرم أن يسأل حاجتين فيقضي إحداهما دون الأخرى».

- العاشر: وهو الأدب الباطن وهو الأصل في إجابة الدعوة وهو التوبة وصدق الندم برد المظالم ثم الإقبال على الله سبحانه، وقطع الأسباب إلا عنه، وفي الحديث: إن إبراهيم الخليل عليه السلام اعترض له جبريل عليه السلام بعد رميه في كفة المنجنيق في حال هويه فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، فقال: فسل ربك، فقال: علمه بحالي يغني عن سؤالي.

حكاية عن الليث بن سعد -رحمه الله تعالى-

من «الوسائل» قال السيد العلامة يحيى بن المهدي: بالإسناد عن آبائي عليهم السلام عن الليث بن سعد أحد رجال التابعين -رضي الله عنهم- قال: حججت سنة ثلاث عشرة ومائة فأتيت مكة فلما صليت العصر يوم الجمعة رقيت جبل أبي قبيس فإذا إنا برجل جالس باسط كفيه يدعو الله تعالى، فقال: يا رب يا رب حتى انقطع نفسه، ثم قال: يا رباه يا رباه حتى انقطع نسمه، ثم قال: يا الله يا الله حتى انقطع نسمه، ثم قال: يا رحيم حتى انقطع نسمه، ثم قال: يا رحمن حتى انقطع نسمه سبع مرات، ثم قال: اللهم إني أشتهي العنب فأطعمنيه،

وإن برديَّ قد خلقا، قال الليث: فوالله ما استتم كلامه حتى رأيت سلة مملوؤة عنباً، وليس على وجه الأرض يومئذ عنب، وبردين موضوعين، فأراد أن يأكل، فقلت: أنا شريكك، قال: ولم؟ قلت: لأنك كنت تدعو وأنا أؤمن، فقال لي: تقدم فكل ولا تدخر، فأكلت حتى شبعت والسلة لم تنقص، ثم قال لي: خذ أي البردين أحب إليك، فقلت: أما البردان فلا حاجة لي فيهما، ثم لبسهما وأخذ الخلقين في يساره ونزل، فاتبعته حتى إذا كان في المسعى فلقيه رجل فقال: اكسني كساك الله يابن رسول الله فدفعهما إليه، فلحقت الرجل فقلت له: من هذا؟ قال: هذا جعفر بن محمد الصادق، فقلت: سبحان الله لن تكون هذه العجائب إلا لمثل هذا السيد أعاد الله علينا من بركات آل محمد ﷺ وبركات أدعيتهم وأسرار مناجاتهم المقبولة، ولله من جعفر ما أكرمه على ربه، ولله من ليث ما ألهمه في طاعة ربه، وقد قيل: أسرار الله لا يكشفها إلا الضعيف من عباده، عادت علينا بركاتهم إن شاء الله تعالى.

وعن أبيه الباقر عليه السلام أنه قال: إن الغنى والعز يجولان في قلب المؤمن فإذا وصلا إلى مكان فيه التوكل استوطنا، وإن لم يجدا فيه صدق الرجاء والتوكل رحلا عنه.

وعن جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: عزت السلامة حتى لقد خفي طلبها فإن تكن في شيء فيوشك أن تكون في الخمول ، فإن لم تكن فيه فيوشك أن تكون في التخلي وليس كالخمول، فإن لم يوجد فيوشك أن تكون في الصمت وليس كالتخلي، فإن لم توجد في الصمت فيوشك أن تكون في سيرة السلف الصالح.

وعنه أنه قال: من جعل الحلال قوتاً أجيبت دعوته، وعلمت مروءته، وحسنت سيرته، وعلت كلمته، وحصلت أمنيته، وطهرت ذريته، وتنورت

فكرته، ورقت دمعته، وظهرت حكمته، وقل غضبه، وخف ذنبه، ورق قلبه.

وقال أيضاً: من أناخ بباب الله وتوسل بأسماء الله إلى الله وبأوليائه واقتدى بالسلف الصالح اهتدى ووجد طعم العسل بعد العلقم، وتروح نسمات الفضل والإفضال، وأنس بذكر الكبير المتعال، وفتح له باب الأنس فوجد دواه، وفاض وعاه، وصدرت منه الحكمة، ومالت إليه القلوب، وتوالى عليه فتح الغيوب، وجال في طريق الصديقين، ومنح حالاً من أحوال المقربين من غير مكابدة وعناء بلذاذة وهناء، قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[الزمر:٢٣] وقال تعالى في الزبور: يا داود إذا رأيت لي طالباً فكن له خادماً، وقال النبي ﷺ: «أحب العباد إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده ويحببون عباد الله إلى الله، ويمشون في الأرض بالنصيحة».

وسئل علي بن موسى الرضا عليه السلام عن اسم الله الأعظم فقال: هو أن تقول: الله الله. بصدق اللجأ، فقال له: وما صدق اللجأ؟ قال: هو أن تمثل نفسك غريقاً في لجج البحار فلا يسمعك سواه، ولاتفر إلى غيره ولا ينجيك إلا هو، فحينئذٍ تقول يا الله.

أربعون هندوسياً أصيبوا بالعمى بعد هدمهم المسجد البابري، عن جريدة «الرياض» العدد ٩٠٩٦ عام ١٤١٣هـ.

من كتاب «نهاية الظالمين» للكاتب السيد إبراهيم بن عبدالله الحازمي قال: أصيب حوالي أربعون هندوسياً ممن شاركوا في الهجمة البربرية لهدم المسجد البابري في ٦ ديسمبر ١٩٩٢م بالعمى، بعد أن فشلت محاولات العلاج التي قام

بها كبار أطباء العيون في الهند لمعالجتهم، جاء ذلك في تقرير نشرته مؤخراً جريدة «أنصاري إكس برس» الهندية الأسبوعية، والتي أضافت بأن حملة الهندوس لهدم المسجد ضمت أعداداً كبيرة من المتعصبين الهندوس، من جميع أنحاء الهند الذين تلقوا تدريبات طويلة لهذا الغرض.

وذكرت الصحيفة أن ٣١شخصاً ممن فقدوا أبصارهم يسكنون في حي واحد في مدينة مهارينور، وسبق لهم أن حاولوا تدمير المسجد، ولكنهم لم ينجحوا في ذلك الحين.

وتعيش هذه المجموعة الآن على المعونات التي تقدمها لهم المنظمات الهندوسية، وإلى جانب هذه المجموعة يوجد تسعة أفراد آخرين من منظمة غازي بور في أتار براديش ممن فقدوا أبصارهم بعد مشاركتهم في عملية الهدم، وذكرت الصحيفة عن هؤلاء أنهم في ندم وأن إلههم قد غضب عليهم لأنهم دمروا المسجد البابري، وأنهم فقدوا أبصارهم عقاباً لهم، كما ذكر عن والد أحد هؤلاء الأشخاص من أن ابنه قد تلقى تدريباً من أجل المشاركة في عملية تدمير المسجد، ولكنه لم يكشف عن هوية من قاموا بتدريب ابنه، ويعتقد سكان المنطقة والمناطق المجاورة أن هؤلاء قد ارتكبوا إثماً كبيراً بتدمير المسجد، ولذا فقدوا أبصارهم نتيجة لهذا العمل.

حكاية منه أيضاً وهي غريبة عجيبة

أبو العباس طولون أمير الديار المصرية، وباني الجامع بها المنسوب إليه، وإنما بناه ابنه أحمد وقد ملك دمشق والعواصم والثغور مدة طويلة، وكان أبوه طولون من الأتراك أهداهم نوح بن أسد الساماني عامل بخارى إلى المأمون

في سنة ٢٠٠هـ، ويقال إلى الرشيد في سنة ١٩٠هـ، ولد في سنة٢١٤هـ، ومات طولون أبوه في سنة٢٣٠هـ وقيل في سنة٢٤٠هـ، وحكى ابن خلكان أنه لم يكن له ابن وإنما تبناه، والله أعلم، وحكى ابن عساكر أنه من جارية تركية اسمها هاشم، ونشأ أحمد في صيانة، وعفاف، ورياسة، ودراسة للقرآن العظيم مع حسن الصوت، وكان يعيب على أولاد الترك ما كانوا يرتكبونه من المحرمات والمنكرات، قال في «البداية والنهاية» ١١/ ٤٥:

الطريف ما حكاه ابن عساكر عن بعض مشائخ مصر أن طولون لم يكن أباه وإنما كان قد تبناه لديانته وحسن صوته بالقرآن، وظهور نجابته وصيانته من صغره، وأن طولون اتفق له معه أنه بعثه مرة في حاجة ليأتيه بها من دارالإمارة فذهب فإذا حظية من حظايا طولون مع بعض الخدم وهما على فاحشة فأخذ حاجته التي أمر بها، وكرَّ راجعاً إليه سريعاً ولم يذكر له شيئاً مما رأى من الحظية والخادم، فتوهمت الحظية أن يكون أحمد قد أخبر طولون بما رأى فجاءت إلى طولون فقالت: إن أحمد جاءني الآن إلى المكان الفلاني وراودني عن نفسي، وانصرفت إلى قصرها فوقع في نفسه صدقها فاستدعى أحمد وكتب معه كتاباً وختمه إلى بعض الأمراء ولم يواجه أحمد بشيء مما قالت الجارية، وكان في الكتاب أن ساعة وصول حامل هذا الكتاب إليك تضرب عنقه وابعث برأسه سريعاً إليّ.

فذهب بالكتاب من عند طولون وهو لا يدري ما فيه فاجتاز بطريقه بتلك الحظية فاستدعته إليها فقال: إني مشغول بهذا الكتاب لأوصله إلى بعض الأمراء، قالت: هلم فلي إليك حاجة، وأرادت أن تحقق في ذهن الملك طولون ما قالت له فحبسته عندها ليكتب لها كتاباً، ثم استوهبت من أحمد الكتاب الذي أمره

طولون أن يوصله إلى ذلك الأمير فدفعه إليها فأرسلت بـه ذلـك الخـادم الـذي وجده معها على الفاحشة وظنت أن به جائزة تريد أن تخص بها الخادم المـذكور، فذهب بالكتاب إلى ذلك الأمير، فلما قرأه أمر بضرب عنق ذلك الخادم، وأرسل برأسه إلى الملك طولون فتعجب الملك من ذلك وقال: أين أحمد؟ فطلب له فقال: ويحك أخبرني كيف صنعت منذ خرجت من عندي؟ فأخبره بما جرى من الأمر. ولما سمعت تلك الحظية بأن رأس الخادم قد أتي بـه إلى طولـون اسـقط في يـديها وتوهمت أن الملك قد تحقق الحال، فقامت إليه تعتذر مما وقـع منهـا مـع الخـادم واعترفت بالحق وبرأت أحمد مما نسبته إليه، فحظي عند الملك طولون وأوصى له بالملك من بعده. انتهى.

ومن كتاب «نهاية الظالمين» للحازمي أيضاً

قال: قال اللواء محمود شيت خطاب: اضطرتني ظروفي الصحية على دخـول أحد المستشفيات في بـيروت لإجـراء بعـض الفحـوص الطبيـة خـلال صـيف سنة ١٩٧٢م وقد حرصت على كتمان أمر استشفائي، ولكن الأخبـار الـسيئة لا تلبث أن تنتشر بسرعة، أما الأخبار الحسنة فلا تنتشر إلا بصعوبة، وعادني قـسم من أصدقائي معاتبين وكان معهم هدايا تقدم عادة للمرضى كالورد والحلـوى، وكان جيراني من المرضى قسم من الضباط المتقاعدين وغير المتقاعدين فآثرت أن أتعرف بهم فأعودهم وأواسيهم، وكان سبيلي إلى ذلك تقديم ما كان لـدي مـن هدايا إليهم مع الممرضين والممرضات، ومع كل هدية كلمة لطيفـة، أتمنـى لهـم الشفاء العاجل وأعدهم بزيارة قريبة.

وحرصت على أن أبعث باقة من باقات الزهور إلى ضابط لا ينام الليل ولا يُنِم أحداً وحين سألَتْ المرضة: ألكَ معرفة سابقة به؟ قلت: لا ولكنه لا ينام الليل ولا يتركني أنام، فلعله يحن على نفسه ويرفق بي بعد استلام هديتي، قالت الممرضة: هيهات...! وعلمت منها أنه في المستشفى منذ شهور وهو زبون دائم للمستشفى لا يخرج منه أياماً ليمكث بين أهله إلا ويعود إليه شهوراً ليمكث فيه، وقالت: ولكن الظاهر أنه سينتهي قريباً فيريح ويستريح.

وزرت العقيد المريض وكان يسمي نفسه الكولونيل، وكان الأطباء والمرضون والممرضات يسمونه الكولونيل، وكان ضابطاً قديماً عمل في الشرطة الفرنسية يوم كان الفرنسيون يحتلون لبنان ولم تكن المصطلحات العسكرية قد عربت وكانت المصطلحات الفرنسية هي السائدة وكانت المصطلحات العربية هي المسودة.

كان عقله حاضراً، وكان منطقه سليماً، وكانت ذاكرته واعية، وكان قلبه ينبض، وهذا كل ما بقي له في الحياة. أمراضه التي ابتلي بها كثيرة، الضغط والسكر وتصلب الشرايين وتسمم الدم وتليف الكبد والكلى، وتهري لحم الرجلين والجسم.....الخ.

وكان يصحو نهاراً حتى ليخيل أنه معافى، ولكنه كان ينهار ليلاً حتى ليخيل إليك أنه لا يعيش ساعات الليل، وكان في الليل يصرخ من الألم تارة، ويصرخ طالباً أحد المرضين والممرضات تارة أخرى، وكان يستعمل سلاحين في صراخه: صوته والجرس الكهربائي، فإذا جاء الممرض أو الممرضة لم يجدوا عنده مطلباً فيعودون من حيث أتوا، ولكن لا يكادون يصلون إلى مكانهم إلا

ويستدعيهم العقيد مرة ثانية وثالثة ورابعة...الخ. وحتى تشرق الشمس، وكان إذا خفت صوته استعمل الجرس الكهربائي فيضعه في جيبه ويضغط على زره بإلحاح شديد وتبقى يده على زر الجرس حتى بعد قدوم الممرض أو الممرضة، كان يريد أن تبقى الممرضة معه الليل كله ، وكان يريد أن يبقى معه الممرض الليل كله، فإذا بقيا تلبية لطلبه نسي بعد لحظات وجودهما في غرفته وانطلق ينادي وانطلق جرسه يرن. وحين زرته أجهش بالبكاء وحدثني بقصته فقال:

كنت في شرطة الفرنسيين وكنت برتبة عقيد أقود الشرطة المحلية، وكانت بيروت تخافني وكان اسمي يخيف أشجع الشجعان، وكان الفرنسيون يعتمدون علي، وكنت أخلص لهم كل الإخلاص، وكنت أؤدي واجبي على أحسن ما يرام، فإذا عجز الفرنسيون عن اكتشاف جريمة من الجرائم أحالوا المجرم إلي فكنت أستخلص منه الاعترافات بالقوة، كنت لا أرحم أحداً وكنت أمارس أنواع التعذيب، وكان المجرمون ينهارون فيعترفون بما أريد أو يريد الفرنسيون فيساقون إلى المحاكم لينالوا ما يستحقونه من عقاب، ومضى يسرد على مسمعي أربعة وثمانين نوعاً من التعذيب كان يمارسه مع المتهمين؛ فاقشعر بدني من هول سرده وتعذيبه.

ثم قال: ما أعانيه اليوم عذاب من الله فقد سقت إلى المحاكم كثيراً من الأبرياء، وعذبت كثيراً من الصالحين إرضاء لأسيادي الفرنسيين.

مضى الفرنسيون إلى غير رجعة وبقي العقيد تلاحقه اللعنات، حتى زوجته وأولاده وذوي قرباه لا يحبونه ويتمنون على الله أن يموت لأنه يعذبهم بصراخه وزعيقه، ولكنه يعذب نفسه أكثر مما يعذب الآخرين، رحل أسياده وبقي

مكروهاً من الناس مكروهاً من أهله، كان يعذب ضحاياه في الليل ويعذبه الله تعالى اليوم في الليل أيضاً.

وكانت أعضاء المعذبين تتساقط من تعذيبه، واليوم تتساقط أعضاؤه عضواً ، عضواً. أبقى الله لسانه ليحدث الناس عن أعماله الإجرامية ، وأبقى ذاكرته واعية ليعدد على الناس ما اقترف من الآثام، وأبقى عقله حاضراً ليتذكر ويندم ولات ساعة مندم، وأبقى قلبه ينبض حتى يتحمل عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأقسى.

هل يعتبر الناس؟ وصدق الله العظيم: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [سورة إبراهيم:٤٥].

قلت ويكفي في مثل من هذا حاله أفراداً وجماعات ممن له عقل قول العزيز الحكيم في محكم القرآن الكريم:﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ۝ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم:٤٢، ٤٣] وقول النبي ﷺ : «الظلم ظلمات يوم القيامة».

تكبروا فاستطالوا في تكبرهم	وعن قليل كأن الأمر لم يكن
لو أَنصفوا أُنصفوا لكن بغوا فبغى	عليهم الدهر بالآفات والمحن
فأصبحوا ولسان الحال يندبهم	هذا بذاك ولا عتبى على الزمن

حكاية عن الصوفي الكيلاني

قال الشيخ عبد القادر الكيلاني -رضي الله عنه-: بنيت أمري على الصدق، وذلك أني خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم فأعطتني أمي أربعين ديناراً وعاهدتني على الصدق، فلما وصلنا أرض همدان خرج علينا عرب فأخذوا القافلة، فمر واحد منهم وقال ما معك؟ قلت: أربعون ديناراً فظن أني أهزأ به فتركني، فرآني رجل آخر فقال: ما معك؟ فأخبرته، فأخذني إلى كبيرهم فسألني فأخبرته فقال: ما حملك على الصدق؟ قلت: عاهدتني أمي على الصدق فأخاف أن أخون عهدها؛ فصاح ومزق ثيابه وقال: أنت تخاف أن تخون عهد أمك وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله، ثم أمر برد ما أخذوه من القافلة، وقال: أنا تائب لله على يديك فقال من معه: أنت كبيرنا في قطع الطريق وأنت اليوم كبيرنا في التوبة، فتابوا جميعاً ببركة الصدق.

نعم الصدق من الإيمان فهو عماد الدين وبه تمامه، وفيه نظامه، وهو ثاني درجة النبوة، قال الله تعالى:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[التوبة:١١٩].

وقال ﷺ : «عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة، وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار» وعنه ﷺ : «عليكم بالصدق فإنه يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً».

وقال عيسى عليه السلام: «من كثر كذبه ذهب جماله، ومن ذهب جماله ساء خلقه، ومن ساء خلقه عذب نفسه». وعنه ﷺ: «الكذب ينقص الرزق» وعنه ﷺ: «إذا كذب العبد تباعد الملك عنه ميلاً من نتن ما جاء به» وعن أمير المؤمنين علي -رضي الله عنه-: أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب.

وعن ذي النون المصري: الصدق سيف فما وضع على شيء إلا قطعه.

في ذكر الموت

تعزية الرسول -عليه وآله أفضل الصلاة والسلام- لمعاذ -رضي الله عنه-

وفي «أمالي المرشد بالله» عن قتادة عن محمد بن لبيد عن معاذ بن جبل أنه مات له ابن فكتب إليه رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد: فأعظم الله لك الأجر، وألهمك الصبر، ورزقنا وإياك الشكر، فإن أنفسنا وأموالنا وأهالينا وأولادنا من مواهب الله عزوجل الهنية، وعواريه المستودعة، يمتع بها إلى أجل ويقبضها إلى وقت معلوم، وإنا نسأله الشكر على ما أعطى، والصبر إذا ابتلى، فكان ابنك من مواهب الله -عز وجل- الهنية، وعواريه المستودعة، متعك به في غبطة وسرور وقبضه منك بأجر كثير ...، الصلاة والرحمة والهدى والصبر ولا يحبطها جزعك فتندم واعلم أن الجزع لا يرد ميتا ولا يدفع حزناً وما هو نازل فكأن قد والسلام».

روي أن الله تعالى إذا أراد قبض روح المؤمن قال لملك الموت: اذهب فأتني

بروح وليي فحسبي من عمله أني قد بلوته بالسراء والضراء فوجدته حيث أحب، فيذهب ملك الموت ومعه مسك من الجنة وحرير أبيض، ويهبط في أثره خمسمائة ملك مع كل واحد ريحان من الجنة فيحدقون بالولي، ويقول له ملك الموت: يا ولي الله ارتحل من الدنيا الدنية فليست لك بموطن، فيقوم ملك الموت باستخراج روحه ألطف من الوالدة الشفيقة بولدها، ثم يرفعها لملائكة الرحمة فيصعدون بها إلى السماء فتفتح لها أبواب السموات، وتستغفر لها الملائكة، وتفوح لها رائحة كرائحة المسك، حتى توقف بين يدي الله تعالى فيقول الله تعالى: مرحباً بالنفس الطيبة، أَبشري برحمة، ثم يؤمر بها فيعرض عليها مقعدها من الجنة، ثم ترد إلى المبيت عند مسألة منكر ونكير فيعود حياً كما كان ويُسأل عن الإيمان بالله تعالى والرسول، فيثبته الله تعالى بالقول الثابت كما أخبر الله سبحانه، فإذا شهد الوحدانية والرسالة ناداه منادٍ صدق ونفعه الصدق، فيفسح له في قبره ويفتح له باب إلى الجنة يجد منه لذة النعيم، وتخرج الروح فتكون في عليين جنة المأوى عند سدرة المنتهى، في صدور طيور بيض وخضر تسرح حيث تشاء، وتزور القبر يوم الجمعة، فتكون عليه كالروح منعمة مدركة، والجسد في التراب، وإن فني وتلاشى فإن الله تعالى قادر أن يخلق فيه إدراكاً كما يشاء، وفي الحديث أن الملكين يقولان للمؤمن: «نم هنيئاً فقد كنت تقول ذلك من قبل » فوالله ما نومته تلك إلى أن ينفخ في الصور إلا كنومة نامها أحدكم ثم استيقظ قبل أن يرى رؤيا، وأما الفاجر فتحضره ملائكة العذاب ومعهم أغلالٌ ومسوح من النار، فتخرج روحه بعنف وشدة، وتدفع لملائكة العذاب، فيصعدون بها فتفوح لها رائحة خبيثة، وتلعنها الملائكة، وتغلق دونها أبواب السماء، وترد إلى الجسد عند سؤال منكر ونكير، فيفتن في قبره ولا يشهد بالحق، فيفتح له باب من النار، فيكون الجسد معذباً إلى يوم القيامة، والروح محبوسة في سجن صخرة سوداء على شفير

جهنم تحت الأرض السابعة، فإذا أراد الله تعالى أن يميت جميع الخلائق عند انقضاء الدنيا أمر إسرافيل -عليه الصلاة والسلام- ينفخ في الصور وهو قرن في فمه عرض القرن عرض السموات والأرض، فينفخ فيه نفخة فيموت كل من في السموات والأرض إلا ما شاء الله، وهم جبريل، وإسرافيل، وميكائيل، وعزرائيل -عليهم الصلاة والسلام - فإنهم لا يموتون بالنفخة، ولكن يميتهم الله تعالى بعد ذلك بقدرته، ثم تمكث الخلائق موتى أربعين سنة، ثم يحيي الله تعالى إسرافيل، فيأمره أن ينفخ ثانية وتجمع الأرواح جميعاً في الصور، لكل روح باب تخرج منه، ويعيد الله تعالى الأجساد كما كانت في الدنيا، فتكون على ظهر الأرض ملقاة، تنبت من الأرض نباتاً، فإذا نفخ فيه أخرى تخرج كل روح إلى جسدها، فإذا هم قيام ينظرون، فالسعيد من أيقظه الله تعالى للاستعداد وتحصيل الزاد، والغافل عن ذكر الله تعالى وعن ذكر الموت والمعاد، مصدق بقلبه مكذب بعمله، يهتم للشتاء والصيف قبل دخوله، وهو يغفل عن الموت وطوله، فهو كمن أخبره مخبر أن هذا الطعام مسموم، فقال: صدقت ومد يده فأكل منه، فهو مصدق بقلبه مكذب بفعله، فنسأل الله تعالى العافية، وأن يلهمنا رشدنا بمنه، وكرمه، وفضله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

حكاية من تنبه بموته

عن محمد بن على السرخسي قال: زاملت الفضل بن عطية إلى مكة فلما رحلنا من فَيْد أنبهني في جوف الليل قلت: ما تشاء؟ قال: أريد أن أوصي إليك الآن، قلت: غفر الله لي ولك أنت صحيح؟ فجزعت من قوله فقال: لتقبلن ما أقول لك، قلت: نعم،قلت: أما إذا قبلت وصيتك فأخبرني ما حملك عليها هذه

الساعة؟ قال: رأيت في منامي ملكين فقالا: إنا أُمرنا بقبض روحك، فقلت: لو أخرتماني إلى أن أقضي نسكي فقالا: إن الله تعالى قد تقبل منك نسكك، ثم قال أحدهما للآخر: افتح أصبعك السبابة والوسطى فخرج من بينهما ثوبان ملأت خضرتهما ما بين السماء والأرض، فقالا: هذا كفنك من الجنة ثم طواه وجعله بين أصبعيه فما وردنا المنزل حتى قبض فإذا امرأة قد استقبلتنا وهي تسأل الرفاق أفيكم الفضل بن عطية فلما انتهت إلينا قلت: ما حاجتك إلى الفضل هذا زميلي. قالت: رأيت في المنام أنه يصحبنا اليوم رجل ميت يسمى الفضل ابن عطية، من أهل الجنة فأحببت أن أشهد الصلاة عليه.

ويروى أن الملائكة يقولون للمؤمن: السلام عليك يا ولي الله أبشر بالجنة، فحينئذ يحب لقاء الله تعالى وهو قوله ﷺ : «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه».

وروي أن ملك الموت يقول: أنا بكل سخي رفيق.

وروي أن سليمان -عليه الصلاة والسلام- سأل ملك الموت عن عدله بين الناس في قبض الأرواح فقال: إنما هي صحف تلقى إلي فيها أسماء.

وروي أن الأرض بين يديه كالمائدة يتناول منها حيث يشاء، ويقال: أن ملك الموت يقبض الأرواح، ثم يسلمها لملائكة الرحمة أو لملائكة العذاب، فهو قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾[السجدة:١١] ثم قال: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾[الأنعام:٦١] قيل معناه أن الرسل تأخذ الروح من ملك الموت، والقابض على الحقيقة هو الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[الزمر:٤٢].

وفاة الشافعي وما أنشد في يوم وفاته

عن المزني قال: دخلت على الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى- غداة اليوم الذي توفي فيه، فقلت: كيف تجد يا أبا عبدالله؟ فقال: أجدني من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، وبكأس المنية شارباً، وعلى ربي -عز وجل- وارداً فلا أدري تصير روحي إلى الجنة فأهنيها، أم إلى النار فأعزيها وأنشد:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت الرجا مني لعفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما عدلته بعفوك ربي كان عفوك أعظما

فما زلت ذا عفو من الذنب راحماً تجود وتعفو منَّةً وتكرما

هذا هو الإمام العظيم إمام المذهب قال: إذا صح الحديث فهو مذهبي.

وهو القائل:

يا آل بيت رسول الله حبكم فَرْضٌ من الله في القرآن أنزله

يكفيكم من عظيم الشأن أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

وقالوا عنه: أنه توفي أبوه وهو صغير وكان مع أمه باليمن فجهزته وهو ابن عشر سنين وقالت له اذهب إلى الحجاز موطن أبيك. الحق بأهل أبيك تكن مثلهم. فحصل علما كثيراً حتى نبغ على أقرانه، -رضي الله عنه-.

في تفسير آية كريمة

قال الله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾[الذاريات: ٢٠-٢٣].

قال الشرفي في «المصابيح الساطعة الأنوار»، قال في «البرهان»: (إنه لحق) يعني ما عدد عليهم من آياته في هذه السورة، وروينا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قاتل الله أقواماً أقسم لهم ربهم فلم يصدقوه». قال الهادي عليه السلام: يريد -تعالى- أن في السماء ومن السماء ينزل الماء الذي منه وبه حياة كل شيء، وصلاح أرزاق كل شيء من الثمار والأشجار والزرع، مما يأكله الأنام، وتعيش به سوائم الأنعام، ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ يخبر أن من السماء ينزل عليهم كل وعيد من العذاب الفادح الشديد، المهلك العنيد، ثم أقسم -سبحانه- أن كل ما ذكر وعدد لنا وأخبر من البعث، والحساب، والثواب، والعقاب، وهبوط الأرزاق حق كما أنكم تنطقون حقاً لا شك فيه. انتهى.

وعن الأصمعي: أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابي على قعود، فقال: من الرجل؟ قلت: من بني أصمع، قال: من أين أقبلت؟ قلت: من موضع يتلى فيه كلام الرحمن، قال: اتل علي، فتلوت ﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾ فلما بلغت قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾[الذاريات:٢٢] قال: يا أصمعي هذا كلام الرحمن؟ قلت: إي والذي بعث محمداً بالحق نبياً، فقال لي: حسبك فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها على من

أقبل وأدبر، وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولى، فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف فإذا أنا بمن يهتف إلي بصوت دقيق فالتفت فإذا بالأعرابي قد نحل واصفر، فسلم علي واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح ، وقال: قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، ثم قال: هل غير هذا؟ فقرأت: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ فصاح وقال: يا سبحان الله من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف فلم يصدقوه بقوله حتى ألجأوه إلى اليمين قالها ثلاثاً وخرجت معها نفسه.

وقال في هامش «المصابيح»: ثم قال في «البرهان» وكان قس بن ساعدة الإيادي ينبه بعقله على هذه العبر، وهو في الجاهلية قد اتعظ واعتبر فروينا عن رسول الله ﷺ : «رأيته بعكاظ وهو يقول: أيها الناس اسمعوا وعوا من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ما لي أرى الناس يذهبون ولايرجعون أرضوا بالإقامة فأقاموا أم تركوا كما هم إلى نوم فناموا، إن في السماء لخبراً، وإن في الأرض لعبراً، سقفٌ مرفوع، وليلٌ موضوعٌ، ونجومٌ تحور ثم تغور. أقسم قس ما أثم أن لله ديناً هو أرضى من دين نحن عليه، ثم تكلم بأبيات شعر:

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر

لما رأيت موارداً للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومي نحوها يسعى الأكابر والأصاغر

لا يرجع الماضي ولا أحد من الحدثان عابر

أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

حكاية من «الأمالي الخميسية»

وفي «الأمالي الخميسية» عن ابن عباس قال: جاء رجل، فقال: يابن عباس إني أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، قال: أوبلغت ذلك؟ قال: أرجو، قال: إن لم تحسن أن تفتضح بثلاثة أحرف من كتاب الله فافعل، قال: وما هي؟ قال ابن عباس: قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[البقرة:٤٤] أحكمت هذه الآية؟ قال: لا، قال: فالحرف الثاني قوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[الصف:٢، ٣] قال: أحكمت هذه الآية؟ قال: لا، قال: فالحرف الثالث قول العبد الصالح شعيب: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾[هود:٨٨] أحكمت هذه الآية؟ قال: لا، قال: فابدأ بنفسك. انتهى.

وأنشد أبو الفضل يوسف بن محمد بن أحمد لبعضهم:

بينا تراه مصلياً فإذا بصرت به ركع
يبكي وجل بكائه ما للفريسة ما تقع

وقوله:

صلى وصام لأمر كان يطلبه
لما انقضى الأمر لا صلى ولا صاما

زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي -عليه السلام-

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على علي بن أبي طالب وهو لا يتقار على فراشه من شدة الحمى، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علي إن أشد الناس بلاءً في الدنيا النبيون ثم الذين يلونهم، أبشر فإن حظك من ثواب الله تعالى مع ما لك من الثواب والأجر، تحب أن يكشف الله ما بك؟ قال: نعم قال: قل: اللهم ارحم عظمي الدقيق، وجلدي الرقيق، وأعوذ بك من فورة الحريق، يا أم ملدم إن كنت آمنت بالله واليوم الآخر فلا تأكلي اللحم، ولا تشربي الدم، ولا تفوري على الفم، وانتقلي إلى من يزعم أن مع الله إلها آخر فإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» قال علي٪: فقلتها فعوفيت من ساعتي.

قال جعفر بن محمد عليه السلام ونحن أهل بيت نعلم بعضنا بعضاً حتى نساءنا وصبياننا، فما يقولها أحد منا إلا عوفي إذا كان في أجله تأخير.

من مواعظ الإمام زيد بن علي -عليه السلام-

روى الإمام المرشد بالله بإسناده قال: كان الإمام الشهيد زيد بن علي عليه السلام يقول: إنما سلامتك يا ابن آدم في الدنيا من الضلال مطيتك إلى رضوان ربك -تبارك وتعالى-، فتعاهد نفسك بالحساب، وناقشها فيما لها وعليها، ولا ترخص لنفسك فيما ليس لك حتى تحرزها لخالقها، وتخلصها لربها، حينئذ أنت عبد الله ووليه ومن أهل جنته، يا ابن آدم كم أشهدته من عملك على ما لا يرضى لك،

وإنما سعيت في هلكتك، وكدحت إلى بوارك، ثم ها أنت ذا تغتر بجهل الجاهلين بك، وتزهو بمدح المغترين بما ظهر من ريائك، يابن آدم من أعرف منك بنفسك، ومن هو الذي أولى بصلاح أمرك منك، بادر ثم بادر قبل اخترامك، وقبل زوالك، وقبل رحيلك، وقبل نزولك إلى قبر لم تمهد فيه معاداً، ولم توسد لنفسك فيه وساداً، إنما تسكنه فرداً خالياً تنوبك فيه بنات الأرض، وتزورك فيه هوامها، أيا غافلاً وما أغفلك، أخلت تكون سدى أتترك فيها هاهنا آمنا، انزعج إلى دار الخلود التي أعدت للمتقين.

حكاية عن كامل أهل البيت

حكي عن كامل أهل البيت الشهيد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه صلى الفجر بوضوء العشاء ستين سنة، فإذا كان آخر الليل سجد وقال: إلهي لم أعبدك حق عبادتك لكني لم أشرك بك شيئاً ولم أتخذ من دونك ولياً.

وكذا روي عن أبي حنيفة أنه صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة، فإذا كان آخر الليل تمثل بهذا البيت:

كفى حزناً أن لا حياة لذيذة ولا عمل يرضى به الله صالح

كان لا يقبل جوائز الدولة، وأريد على القضاء في الكوفة فامتنع، وأراده المنصور على القضاء ببغداد فأبى فحبس، عرف بمودته لأهل البيت، وسم لأجل ذلك ومات شهيداً.

حكاية الأعرابي الذي وفد على عمر

حكي أن أعرابياً أتى عمر بن الخطاب فقال:

يـا عمـر الخـير جزيـت الجنـة اكـسـس بنـاتي وأمهنـه

وكـن لنـا مـن الزمـان جنـة أقـسـم بـالله لتفعلنـه

فقال عمر: فإن لم أفعل يكون ماذا؟ فقال:

إذن أبا حفص لأذهبنه

فقال: فإذا ذهبت يكون ماذا؟ فقال:

تكـون عـن حـالي لتـسألنه يـوم تكـون الأعطيـات هنـه

وموقـف المـسئول بينهنـه إمـا إلى نـارٍ وإمـا جنـة

فبكى عمر حتى اخضلت لحيته ثم قال: يا غلام أعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره أما والله لا أملك غيره.

طريفة من جارية فصيحة

عن بعض علماء أهل اللغة أنه رأى في تطوافه بالبادية جارية خُماسية فصيحة فأعجبته فصاحتها وبراعتها، فقال لها: قاتلك الله ما أفصحك فقالت له: أوتعد هذا فصاحة بعد قول الله –سبحانه وتعالى– : ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٧] فجمع في آية واحدة بين أمرين، ونهيين، وخبرين، وبشارتين.

حكاية مع الإمام الحسين بن علي -عليهما السلام-

روي أن أعرابياً أتى الحسين بن علي عليهما السلام يستجديه بقوله:

لم يبق عندي ما يباع ويشترى   يكفيك ظاهر منظري عن مخبري
إلا بقية ماء وجه صنته   عن أن يباع ونعم أنت المشتري

فأعطاه عليه السلام ما بيده وقال:

عاجلتنا فأتاك عاجل برنا   نزراً ولو أمهلتنا لم نقتر
فخذ القليل وكن كأنك لم تكن   بعت المصون وأننا لم نشتر

حكاية في كرم عبد الله بن جعفر الطيار

حكي أن عبدالله بن جعفر الطيار عليهما السلام لما سمع قول الشاعر:

إن الصنيعة لا تكون صنيعة   حتى يصاب بها طريق المصنع

قال: أما أنا فأقول:

يد المعروف غُنمٌ حيث كانت   تلقاها كفور أو شكور
فعند الصالحين لها جزاء   وعند الله ما جحد الكفور

وكان من كرام بني هاشم -رحمه الله تعالى- ورضي عنه.

الكلام عن الدنيا وتقلبها بأهلها

حكي من توفيق المرء أن يصرف حب الدنيا عن قلبه ويروض نفسه على تركها لأنها تلهيه عن آخرته، وأن يتوق الركون إليها والأمان منها، فإن الركون إليها أشر، والأمان منها بطر، وروي عنه ﷺ: « من أشرب قلبه حب الدنيا وركن إليها التاط منها بشغل لا يفرغ عناه، وأمل لا يبلغ منتهاه، وحرص لا يدرك مداه ».

وقال عيسى بن مريم عليه السلام: الدنيا لإبليس مزرعة، وأهلها له حراث.

وقال الإمام علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: مثل الدنيا مثل الحية لين مسها، قاتل سمها، فأعرض عما أعجبك منها لقلة ما يصحبك منها، وضع عنك همومها لما أيقنت من فراقها، وكن أحذر ما تكون لها وأنت آنس ما تكون بها، فإن صاحبها كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصه عنها إلى مكروه، وإن سكن منها إلى إيناس أزاله عنها إلى إيحاش.

وقال بعض البلغاء: الدنيا لا تصفو لشارب، ولا تبقى لصاحب، ولا تخلو من فتنة، ولا تخلو من محنة، فأعرض عنها قبل أن تعرض عنك ، واستبدل بها قبل أن تستبدل بك، فإن نعيمها ينتل، وأحوالها تتبدل، ولذاتها تفنى، وتبعاتها تبقى.

وقال بعض الحكماء: انظر إلى الدنيا نظر الزاهد المفارق لها، ولا تتأملها تأمل العاشق الوامق بها.

وقال بعضهم:

ألا إنما الدنيا كأحلام نائم ... وما خير عيش لا يكون بدائم

تأمل إذا ما نلت بالأمس لذة فأفنيتها هل أنت إلا كحالم
فكم غافل عنه وليس بغافل وكم نائم عنه وليس بنائم

وروي عنه ﷺ أنه قال: «من هوان الدنيا على الله أن لا يعصى إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها».

وروى سفيان أن الخضر عليه السلام قال لموسى عليه السلام: يا موسى اعرض عن الدنيا وانبذها وراءك فإنها ليست لك بدار، وليس فيها محل قرار، وإنما جعلت الدنيا للعباد ليتزودوا منها للمعاد.

وقال عيسى عليه السلام: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها.

وقال علي كرم الله وجهه يصف الدنيا: أولها عناء، وآخرها فناء، حلالها حساب، وحرامها عقاب، من صحَّ فيها أمن، ومن مرض فيها ندم، ومن استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن، ومن ساعاها فاتته، ومن قعد عنها واتته، ومن نظر إليها أعمته، ومن نظر بها بصرته.

وقال بعض البلغاء: إن الدنيا تقبل إقبال الطالب، وتدبر إدبار الهارب، وتصل وصال الملوك، وتفارق فراق العجول، فخيرها يسير، وعيشها قصير، وإقبالها خديعة، ولذتها فانية، وتبعاتها باقية، فاغتنم غفوة الزمان، وانتهز فرصة الإمكان، وخذ من نفسك لنفسك، وتزود من يومك لغدك.

وقال وهب بن منبه: مثل الدنيا والآخرة مثل ضرتين إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى.

وقال عبد الحميد الكاتب: الدنيا منازل فراحل ونازل.

وقال بعض الحكماء: الدنيا إما نقمة نازلة، وإما نعمة زائلة.

وقيل في منثور الحكم: من الدنيا على الدنيا دليل .

وقال الشاعر:

تمتع من الأيام إن كنت حازماً ... فإنك منها بين ناه وآمر
إذا أبقت الدنيا على المرء دينه ... فما فاته منها فليس بضائر
فلن تعدل الدنيا جناح بعوضة ... ولا وزن ذر من جناح لطائر
فما رضي الدنيا ثواباً لمؤمن ... ولا رضي الدنيا جزاء لكافر

وروي عنه ﷺ : «الدنيا يومان: يوم فرح، ويوم هم، وكلاهما زايل عنك، فدعوا ما يزول، وأتعبوا نفوسكم في العمل لما لا يزول».

وقال عيسى عليه السلام: لا تنازعوا أهل الدنيا في دنياهم فينازعوكم في دينكم، فلا دنياهم أصبتم ولا دينكم أبقيتم.

وقال علي بن أبي طالب – رضي الله تعالى عنه – : لا تكن ممن يقول في الدنيا بقول الزاهدين، ويعمل فيها عمل الراغبين، فإن أعطي منها لم يشبع، وإن منع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي، وينهى الناس ولا ينتهي، ويأمر بما لا يأتي، يحب الصالحين ولا يعمل بعملهم، ويبغض الطالحين وهو منهم.

وقال الحسن البصري: الدنيا كلها غم فما كان منها من سرور فهو ربح .

وقال بعض العلماء: الدنيا كثيرة التغيير، سريعة التنكير، شديدة المكر دائمة الغدر، فاقطع أسباب الهوى عن قلبك، واجعل أبعد أملك بقية يومك، وكن كأنك ترى ثواب أعمالك.

وقال بعض الحكماء: الدنيا إما مصيبة موجعة،وإما منية مفجعة. ولله القائل

وهو أبو العتاهية:

هـي الـدار دار الأذى والقـذى ودار الفنـا ودار الغيـر
فلـو نلتهـا بحذافيرهـا لمـت ولم تقـض منهـا الوطـر
أيـا مـن يؤمـل طـول الخلـود وطـول الخلـود عليـه ضرر
إذا مـا كـبرت وبـان الـشباب فلا خيـر في العـيش بعـد الكـبر

انتهى مقتطف من «أدب الدنيا والدين».

أحاديث نبوية ومواعظ حكمية

وروي عنه ﷺ أنه قال: «اللهم إني أعوذ بك مـن علـم لا ينفـع ، ونفـس لا تشبع، وقلب لا يخشع، وعين لا تدمع»، «هل تنتظرون إلا غنى مطغياً، أو فقـرا منسياً، أو مرضـا مفـسداً، أو هرمـا مقيـداً أو الـدجال فهـو شر غائـب ينتظـر أو الساعة والساعة أدهى وأمر؟».

وحكي أن الله تعالى أوحى إلى عيسى بن مريم عليه السلام أن هـب لي مـن قلبـك الخشوع، ومن بدنك الخضوع، ومن عينك الدموع فإني قريب.

وقال عيسى عليه السلام أيضاً: أوحى الله إلى الدنيا: من خـدمني فاخدميـه، ومـن خدمك فاستخدميه.

وقال بعض البلغاء: زد من طول أملك في قـصير عملـك، فـإن الـدنيا ظـل الغمام، وحلـم النيام، فمن عرفها ثم طلبها فقد أخطأ الطريق وحرم التوفيق.

وقال بعض الحكماء: لا يؤمننك إقبال الدنيا عليك مـن إدبارهـا عنـك، ولا دولة لك من إدالة منك.

وقال آخر: ما مضى من الدنيا كما لم يكن، وما بقي منها كما قد مضى.

وقيل لزاهد: قد خلعت الدنيا فكيف سخت نفسك عنها؟ فقال: أيقنت أني أخرج منها كارهاً، فرأيت أن أخرج منها طائعا.

وقيل لحرقة بنت النعمان: مالك تبكين؟ فقالت: رأيت لأهلي غضارة ولم تمتلئ دار فرحاً إلا امتلأت ترحاً.

وقال ابن السماك: من جرعته الدنيا حلاوتها بميله إليها جرعته الآخرة مرارتها لتجافيه عنها. وقال صاحب «كليلة ودمنة»: طالب الدنيا كشارب ماء البحر كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً. وكان عمر بن عبدالعزيز يتمثل بهذه الأبيات:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والأسى لك لازم

تسر بما يفنى وتفرح بالمنى ... كما سر باللذات في النوم حالم

وشغلك فيما سوف تكره غبه ... كذلك في الدنيا تكون البهائم

وسمع رجل رجلاً يقول لصاحبه: لا أراك الله مكروهاً فقال: كأنك دعوت على صاحبك بالموت، إن صاحبك ما صاحب الدنيا فلا بد أن يرى مكروهاً ...إلخ.

وقال الإمام الناصر الحسن بن علي الأطروش - رضي الله تعالى عنهما-:

إذا كنت لا تدري متى أنت ميت ... وقبرك لا تدري بأي مكان

فلا تجعل الدنيا لنفسك بغية ... فتطلب منها كل ما هو فاني

ويكفيك قول الناس فيما ملكته ... لقد كان هذا مرة لفلان

حكاية امرأة تخلط اللبن بالماء

كان عمر بن الخطاب يمشي في المدينة ليتعرف أحوال الرعية فسمع امرأة تقول لابنتها: اخلطي اللبن بالماء قالت البنت لأمها: إن أمير المؤمنين قد نهى عن ذلك، قالت المرأة: إن أمير المؤمنين لا يرانا، قالت البنت: إذا كان عمر لا يرانا فإن رب عمر يرانا، فأعجب عمر بحسن خلق الفتاة وأمر ابنه عاصماً أن يذهب إليها فإن أعجبته تزوجها، وذهب عاصم فأعجبته وتزوجها وكان من ذريتها الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه-.

في الزهد الذي يحبه الله

حكي أن الله -تعالى- أوحى إلى إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام: أتدري لم اتخذتك خليلا؟ قال: لا يا رب، قال: لأني رأيتك تحب أن تعطي ولا تحب أن تأخذ.

وروى سهل بن سعد الساعدي -رضي الله عنه- قال: أتى رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله مرني بعمل يحبني الله عليه ويحبني الناس فقال: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس».

وقال أيوب السختياني: لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العفة عن أموال الناس، والتجاوز عنهم.

وقيل لسفيان: ما الزهد في الدنيا؟ قال: الزهد عما في أيدي الناس.

وكتب كسرى إلى ابنه هرمز: يا بني استقل الكثير مما تعطي واستكثر القليل مما تأخذ؛ فإن قرة عيون الكرام في الإعطاء، وسرور اللئام في الأخذ، ولا تعد الشحيح أميناً، ولا الكذاب حراً، فإنه لا عفة مع الشح، ولا مروءة مع الكذب.

وقال بعض الحكماء: السخاء سخاءان أشرفهما سخاؤك عما بيدك لغيرك.

وقال بعض البلغاء: السخاء أن تكون بمالك متبرعاً، وعن مال الناس متورعا. وقال بعض الصلحاء: الجود غاية الزهد والزهد، غاية الجود. وقال بعضهم:

إذا لم تكن نفس الشريف شريفة وإن كان ذا قدر فليس له شرف

في الفقر وأنه ثلاثة أصناف

عن بعض العارفين: الفقر ثلاثة أصناف: فقر إلى الله دون غيره، وفقر إلى الله مع غيره، وفقر إلى الغير دون الله. وقد أشار النبي ﷺ إلى الأولى بقوله: «الفقر فخري»، وإلى الثاني بقوله: «كاد الفقر أن يكون كفراً»، وإلى الثالث بقوله: «الفقر سواد الوجه في الدارين».

رجل يستأذن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الزنا

روي أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي في الزنا. فزجره الناس، فقال له النبي ﷺ : « اجلس. فجلس،فقال: أتحب الزنا لأمك؟ قال: لا والله، قال: أتحبه لابنتك؟ قال: لا والله، قال: أتحبه لأختك؟ قال: لا والله، قال:

أتحبه لعمتك؟ قال: لا والله، قال: أتحبه لخالتك؟ قال: لا والله، قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه» فلم يلتفت الشاب إلى شيء بعد ذلك.

وعنه ﷺ: «من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما ينزع الإنسان قميصه». وعنه ﷺ: «من زنى زني بأهله».

وعنه ﷺ: «عفوا عن نساء الناس يعف الناس عن نسائكم»

وعن ابن عباس قال النبي ﷺ: «من زنى بامرأة مسلمة حرة أو أمة فتح الله عليه في قبره ثلاثمائة ألف باب من النار يخرج عليه منها حيات وعقارب وشهب من النار فهو يعذب إلى يوم القيامة» وعن أبي هريرة: «للزاني ست عقوبات، ثلاث في الدنيا: قصر العمر، وطول الفقر، وذهاب نور الوجه، وثلاث في الآخرة، سخط الرب، وشدة الحساب، والخلود في النار».

حكاية موسى وحرب الجبارين

وحكي أنه لما قصد موسى عليه السلام حرب الجبابرة قال قوم بلعام بن باعورا له: إن موسى معه جنود كثيرة، فقال: جملوا النساء وأعطوهن السلع ثم أرسلوهن في عسكره ليبعن، ومروهن أن لا تمنع امرأة نفسها فلو زنى واحد كفيتموهم، ففعلوا فأرسل الله تعالى الطاعون على قوم موسى عليه السلام فمات منهم في يوم واحد سبعون ألفاً لأن الفاحشة إذا فشت في قوم فشا فيهم الطاعون، وإذا نقصوا الكيل والميزان جاءهم القحط وجور السلطان، وإذا منعوا الزكاة حبس عنهم المطر [1].

---

(١) وقد سرد بقية الحكاية في القصة السابقة التي بعنوان (قصة الذي آتاه الله آية فانسلخ منها).

حكاية البريطاني المطرب الذي أسلم وتاب

عن السيد إبراهيم عبدالله الحازمي من كتابه «من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه».

قال: الدول الكافرة عموما سواء الأوربيـة أم الغربيـة أم الـشرقية تعـيش في شقاء... نعم والله هذه هي الحقيقة لأن القلب الذي هو ملك الأعضاء الـسعادة والنعيم والعذاب والجحيم فيه، لا تغتر بنعيمهم، فجسومهم في جنة وقلوبهم في نار، هذه هي الحقيقة، ولذلك فإن الإنسان الكافر يعيش في ضيق ونكد كما قـال تعـالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾[طه:١٢٤].

أتدري ما هو الضنك يا عبدالله؟ إنه العذاب الداخلي، إنه الحسرة والـضيق، والنهاية الانتحار، وهذه الدول الاسكندنافية لما رأت كثرة الانتحارات قالـت: نضع لهم منحراً ينتحرون فيه حتى نستفيد من دمهم للمرضى والمصابين، وإليك أيها الأخ المسلم الحبيب قصة شاب ترك بهجة الدنيا وضجيجها ومغرياتها وأقبل قلبه على الله فانشرح وانفسح. إليك أيها القارئ المسلم قصة من ترك الغنى ومـا يصاحبه من شرب الخمور، وارتكاب الفـواحش والآثـام، ورقـص الديـسكو والمزامير بأنواعها.

إنه الإنسان الذي دخل الإيمان قلبه فوجد فيه الهناء والطمأنينة، ووجد فيه الراحة والسكينة، ووجد فيه الرفعة والعزة، ووجد فيه الخير والصلاح والفلاح. إنها قـصة

المطرب البريطاني الذي ضربت شهرته الآفاق _كات ستيفنز_ الذي أصبح اسمه فيما بعد «يوسف إسلام» ها هو يرويها بنفسه وما أجمل حديث النفس عن النفس بصدق، ها هو يرويها بهذه السطور البليغة التعبير، البالغة التأثير فيقول:

ولدت في لندن قلب العالم الغربي، ولدت في عصر التلفزيون وارتياد الفضاء، ولدت في عصر وصلت فيه التكنولوجيا إلى القمة في بلد معروف بحضارته في بريطانيا، ترعرعت في هذا المجتمع، وتعلمت في مدرسة كاثوليكية حيث علمتني المفهوم المسيحي النصراني للحياة والعقيدة، وعرفت ما يفترض أن أعرفه عن الله وعن المسيح عليه السلام والقدر والخير والشر. حدثوني كثيراً عن الله وقليلاً عن المسيح، وأقل من ذلك عن روح القدس. كانت الحياة حولي مادية تنصب من كل أجهزة الإعلام حيث كانوا يعلموننا بأن الغنى هو الثروة الحقيقية والفقر هو الضياع الحقيقي، وأن الأمريكي هو المثل للغنى، والعالم الثالث هو المثل للفقر والمجاعة والجهل والضياع!! ولذلك لا بد أن أختار طريق الغنى وأسلك مسلكه لأعيش حياة سعيدة وأفوز بنعيم الحياة، ولهذا فقد بنيت فلسفة الحياة على ألا علاقة لها بالدين، وانتهجت هذه الفلسفة لأدرك سعادة النفس، وبدأت أنظر إلى وسائل النجاح وكانت أسهل طريقة أن أشتري قيثارا وأؤلف بعض الأغاني وألحنها وأنطلق بين الناس، وهذا ما فعلته بالفعل بإسم -كات ستيفنز- وخلال فترة قصيرة حيث كنت في الثامنة عشرة من عمري كان لي ثمانية شرائط مسجلة، وبدأت أقدم الكثير من العروض وأجمع الكثير من الأموال حتى وصلت إلى القمة!! وعندما كنت في القمة كنت أنظر إلى أسفل خوفاً من السقوط، وبدأ القلق ينتابني، وبدأت أشرب زجاجة كاملة كل يوم لأستجمع الشجاعة كي أغني، كنت أشعر أن الناس حولي يلبسون أقنعة ولا أحد يكشف عن وجهه القناع قناع الحقيقة!! كان لا بد من النفاق حتى تبيع وتكسب وحتى

تعيش!! وشعرت أن هذا ضلال، وبدأت أكره حياتي، واعتزلت الناس وأصابني المرض فنقلت إلى المستشفى مريضاً بالسل وهكذا كل المغنين يصابون بالسل والسرطان أوالأورام، وكانت فترة المستشفى خيراً لي حيث قادتني إلى التفكير، كان عندي إيمان بالله ولكن الكنيسة لم تعرفني ما هو الإله وعجزتُ عن إيصال حقيقة هذا الإله الذي تتحدثُ عنه!! كانت الفكرة غامضة، وبدأت أفكر في طريقي إلى حياة جديدة وكان معي كتب عن العقيدة والشرق وكنت أبحث عن السلام والحقيقة. وانتابني شعور أن أتجه إلى غاية ما، ولكني لا أدرك كنهها ولا مفهومها، ولم أقنع أن أظل جالساً خالي الذهن بل بدأت أفكر وأبحث عن السعادة التي لم أجدها في الغنى ولا في الشهرة ولا في القمة ولا في الكنيسة، فطرقت باب البوذية والفلسفة الصينية فدرستها وظننت أن السعادة هي أن نتنبأ بما يحدث في الغد حتى نتجنب شروره فصرت قدرياً وآمنت بالنجوم والتنبؤ بالطالع ولكني وجدت ذلك كله هراء. ثم انتقلت إلى الشيوعية ظناً مني أن الخير هو أن نقسم ثروات هذا العالم على كل الناس، ولكن شعرت أن الشيوعية لا تتفق مع الفطرة، فالعدل أن تحصل على عائد مجهودك ولا يعود إلى جيب شخص آخر. ثم اتجهت إلى تعاطي العقاقير المهدئة لأقطع هذه السلسه القاسية من التفكير والحيرة وبعد فترة أدركت أنه ليست هناك عقيدة تعطيني الإجابة وتوضح لي الحقيقة التي أبحث عنها ويئست حيث لم أكن آنذاك أعرف شيئاً عن الإسلام فبقيت على معتقدي وفهمي الأول الذي تعلمته من الكنيسة حيث أيقنت أن هذه المعتقدات هراء وأن الكنيسة أفضل قليلاً منها، عدت إليها ثانية: وعكفت من جديد على تأليف الموسيقى وشعرت أنها هي ديني ولا دين لي سواها!!

وحاولت الإخلاص لهذا الدين حيث حاولت إجادة التأليف الموسيقي،

وانطلاقاً من الفكر الغربي المستمد من تعاليم الكنيسة الذي يوحي للإنسان أنه قد يكون كاملاً كالإله إذا أتقن عمله وأخلص له وأحبه!! وفي عام ١٩٧٥م حدثت المعجزة بعد أن قدم لي شقيقي الأكبر نسخة من القرآن الكريم هدية وبقيت معي هذه النسخة حتى زرت القدس في فلسطين، ومن تلك الزيارة بدأت أهتم بذلك الكتاب الذي أهدانيه أخي والذي لا أعرف ما بداخله وماذا يتحدث عنه، ثم بحثت عن ترجمة للقرآن الكريم بعد زيارتي للقدس وكانت المرة الأولى التي أفكر فيها عن الإسلام فالإسلام في نظر الغرب يعتبر عنصرياً عرقياً والمسلمون أغراب أجانب سواء كانوا عرباً أو أتراكاً ووالدي كانا من أصل يوناني واليوناني يكره التركي المسلم لذلك كان من المفروض أن أكره القرآن الذي يدين به الأتراك بدافع الوراثة، ولكن رأيت أن أطلع عليه أي على ترجمته فلا مانع من أن أرى ما فيه.

ومن أول وهلة شعرت أن القرآن يبدأ ببسم الله وليس باسم غير الله وعبارة بسم الله الرحمن الرحيم كانت مؤثرة في نفسي ثم تستمر الفاتحة فاتحة الكتاب﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] كل الحمد لله خالق العالمين ورب المخلوقات، وحتى ذلك الوقت كانت فكرتي ضئيلة عن الإله حيث كانوا يقولون لي: إن الله الواحد مقسم إلى ثلاثة كيف؟!! لا أدري.

وكانوا يقولون لي: إلهنا ليس إله اليهود!! أما القرآن الكريم فقد بدأ بعبادة الله الواحد رب العالمين جميعاً، مؤكداً وحدانية الخلق فليس له شريك يقتسم معه القوة وهذا أيضاً مفهوم جديد، ثم كنت أفهم قبل معرفتي بالقرآن الكريم أن هناك مفهوم الملائمة والقوى القادرة على المعجزات، أما الآن فبمفهوم الإسلام،

الله وحده هو القادر على كل شيء. واقترن ذلك بالإيمان باليوم الآخر، وأن الحياة الآخرة خالدة فالإنسان ليس كتلة من اللحم تتحول يوما مّا إلى رماد كما يقول علماء الحياة، بل ما نفعله في هذه الحياة يحدد الحالة التي سنكون عليها في الحياة الآخرة.

القرآن هو الذي دعاني للإسلام فأجبت دعوته، أما الكنيسة التي حطمتني وجلبت لي التعاسة والعناء فهي التي أرسلتني لهذا القرآن العظيم عندما عجزتْ عن الإجابة عن تساؤلات النفس والروح.

ولقد لاحظت في القرآن الكريم شيئاً غريباً هو أنه لا يشبه باقي الكتب ولا يتكون من مقاطع وأوصاف تتوافر في الكتب الدينية التي قرأتها، ولم يكن على غلاف القرآن الكريم اسم المؤلف، ولهذا أيقنت بمفهوم الوحي الذي أوحى الله به إلى هذا النبي المرسل، لقد تبين لي الفارق بينه وبين الإنجيل الذي كتب على أيدي مؤلفين مختلفين من قصص متعددة.

حاولت أن أبحث عن أخطاء في القرآن الكريم ولكن لم أجد كان كله منسجما مع فكرة الوحدانية الخالصة، وبدأت أعرف ما هو الإسلام. لم يكن القرآن رسالة واحدة بل وجدت فيه كل أسماء الأنبياء الذين شرفهم وكرمهم الله ولم يفرق بين أحد منهم، وكان هذا المفهوم منطقياً فلو أنك آمنت بنبي دون آخر فإنك تكون قد دمرت وحدة الرسالات. ومن ذلك الحين فهمت كيف تسللت الرسالات منذ بدء الخليقة وأن الناس على مدى التاريخ كانوا صنفين: إما مؤمن وإما كافر.

لقد أجاب القرآن على كل تساؤلاتي وبذلك شعرت بالسعادة سعادة العثور على الحقيقة. وبعد قراءة القرآن الكريم كله خلال عام كامل بدأت أطبق الأفكار

التي قرأتها فيه، فشعرت في ذلك الوقت أنني المسلم الوحيد في العالم، ثم فكرت كيف أكون مسلماً حقيقياً؟ فاتجهت إلى مسجد في لندن وأشهرت إسلامي وقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ، حين ذاك أيقنت أن الإسلام الذي اعتنقته رسالة ثقيلة وليس عملاً سهلاً ينتهي بالنطق بالشهادتين.

لقد ولدت من جديد! وعرفت إلى أين أسير مع إخواني من عباد الله المسلمين ولم أقابل أحداً منهم من قبل، ولو قابلت مسلما يحاول أن يدعوني للإسلام لرفضت دعوته بسبب أحوال المسلمين المزرية وما تشوهه أجهزة إعلامنا في الغرب، بل حتى أجهزة الإعلام الإسلامية كثيراً ما تشوه الحقائق الإسلامية وكثيراً ما تقف وتؤيد افتراءات أعداء الإسلام العاجزين عن إصلاح شعوبهم التي تدمرها الآن الأمراض الأخلاقية والإجتماعية وغيرها!!

لقد اتجهت للإسلام من أفضل مصادره وهو القرآن الكريم، ثم بدأت أدرس سيرة الرسول ﷺ وكيف أنه بسلوكه وسنته علّم المسلمين الإسلام فأدركت الثروة الهائلة في حياة الرسول ﷺ وسنته، لقد نسيت الموسيقى وسألت إخواني هل أستمر؟ فنصحوني بالتوقف فالموسيقى تشغل عن ذكر الله وهذا خطر عظيم.

لقد رأيت شباباً يهجرون أهلهم ويعيشون في جو الأغاني والموسيقى وهذا لا يرضاه الإسلام الذي يحث على بناء الرجال.

هذه قصة المغني البريطاني المشهور ـ كات ستيفنز ـ «يوسف إسلام» الذي رفض الشهرة والملايين لأنه وجد ما يبحث عنه منذ أمد بعيد، ألا وهو الحق

والهداية التي هي سبب السعادة الأبدية دنيا وأخرى، فعوضه الله الإيمان الذي لا يعادله شيء، نعم والله حياة بدون إيمان جحيم لا يطاق، وعوضه الله محبته -سبحانه وتعالى- فالله يحب المؤمنين والمتقين والمحسنين. عوضه محبة السماء والأرض له، عوضه الذكر الحسن بين عباده المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها، وعوضه نعيم الجنة الخالدة التي لا نهاية لخيرها ونعيمها.

حكاية من آنس بلاد الصالحين الطيبين

القاضي محمد بن مسعود عباد من آنس الثمامه كان رجلاً صالحاً عبّاده مجاب الدعوة لم يجمع بين إدامين، وهب حياته للدعوة والإرشاد والإصلاح بين الناس، له عدة مؤلفات منها: «تفسير سورة الفاتحة وسورة الإخلاص»، و«لوامع الأنوار على أدلة الأزهار» في عدة مجلدات وغيرها. أصلح أكثر أهل آنس رجالاً ونساء وجمعة وجماعة، وهو يتنقل في اليمن للإرشاد لا يدخل عند أحد ولا يقيم إلا في المساجد وإذا وجد المسجد مغلقاً نام على بابه ويقول: بيت الله أولى بالمساكين. يا لها من قناعة ويا لها من زهادة.

توفي سنة١٤١٩هـ تقريباً، شوهد النور على قبره، رزقه الله تعالى عدة بنات فاصطفى لكل واحدة رجلاً من ضعفاء المؤمنين وصرنَ مرشداتٍ وداعياتٍ بصعدة وصنعاء وآنس وغيرها في كثير من المجتمعات النسوية.

ومن نصائحه قوله: ينبغي لكل ملك ورئيس من ملوك ورؤساء المسلمين بل يجب عليهم نشر التوعية الإسلامية الصحيحة. كل واحد منهم عليه أن يهذب شعبه على الأخلاق الطيبة المرضية أخلاق محمد المصطفى ﷺ ويبتغي بذلك

وجه الله الواحد الأحد الصمد فيزيل من شعبه السينهات وكل ما يشبهها من التصويرات، وتمنع الصناديق والمسجلات التي فيها الطرب واللهو، وأن يرتب إذاعته بالأخلاق الطيبة، وأن يكون المدراء عليها من رجال الدين الذين ينشرون العلم والتعليم ويملؤها بالأخلاق الطيبة وينزهوها من أخلاق الشياطين من الطرب والمزامير إلى آخرها.

حكاية ملك الموت مع ملك متكبر ومع عبد مؤمن

عن وهب بن منبه: أنه ركب ملك من الملوك فأعجبه ما هو فيه من زينة الدنيا وكثرة الأعوان والغلمان والملابس الحسان فامتلأ تيهاً وكبراً، فبينما هو كذلك إذ جاءه شخص رث الثياب فسلم عليه فلم يرد السلام عليه فأخذ بلجام فرسه فقال له: ارسل اللجام فقد تعاطيت أمراً عظيماً أيها الرجل، فقال: إن لي إليك حاجة أسرها إليك، فأدنى إليه رأسه فساره وقال له: أنا ملك الموت، فتغير لونه واضطرب لسانه وقال: دعني حتى أرجع إلى أهلي فأودعهم فقال: لا والله لا ترى أهلك أبداً فقبض روحه فوقع كأنه خشبة، ثم مضى ملك الموت فرأى عبداً مؤمناً يمشي فسلم عليه فردا لسلام عليه فقال: إن لي إليك حاجة وساره وقال: أنا ملك الموت فقال: مرحباً وأهلاً بمن طالت غيبته والله ما من غائب أحب إلي أن ألقاه منك، فقال ملك الموت: اقض حاجتك التي خرجت إليها، فقال: والله ما من حاجة أحب إلي من لقاء الله تعالى، قال: فاختر أي حالة أقبض روحك عليها فقد أمرت بذلك فقال: دعني أصلي واقبض روحي في السجود، فصلى فقبض روحه وهو ساجد. اللهم إنا نسألك حسن الختام.

صورة مما كان عليه الصحابة من الصبر والجهاد

صورة مما كان عليه الصحابة الأبرار -رضوان الله تعالى عليهم- من الحب لدينهم والإخلاص له والتفاني في سبيله وفي تبليغه.

قال الدكتور: عبدالرحمن الباشا ملخصاً من السيرة النبوية الشريفة وأخبار الصحابة:

الإسلام العظيم أتاح لعبدالله بن حذافة السهمي أن يلقى سيدي الدنيا في زمانه كسرى ملك الفرس، وقيصر عظيم ملك الروم، وأن تكون له مع كل منهما قصة ما تزال تعيها ذاكرة الدهر ويرويها لسان التاريخ. أما قصته مع كسرى ملك الفرس فكانت في السنة السادسة للهجرة حين عزم النبي ﷺ أن يبعث طائفة من أصحابه بكتب إلى ملوك الأعاجم يدعوهم فيها إلى الإسلام. ولقد كان الرسول ﷺ يقدر خطورة هذه المهمة، فهؤلاء الرسل يذهبون إلى بلاد نائية لا عهد لهم بها من قبل وهم يجهلون لغات تلك البلاد ولا يعرفون شيئاً عن أمزجة ملوكها، ثم إنهم سيدعون هؤلاء الملوك إلى ترك أديانهم، ومفارقة عزهم وسلطانهم، والدخول في دين قوم كانوا إلى الأمس القريب من بعض أتباعهم، إنها رحلة خطيرة، الذاهب فيها مفقود، والعائد منها مولود، [ولكنه الفداء والتضحية والجهاد في تبليغ الرسالة] لذا جمع الرسول ﷺ أصحابه وقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ثم قال: «أما بعد فإني أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم فلا تختلفوا علي كما اختلفت بنو إسرائيل على عيسى بن مريم» فقال أصحاب رسول الله ﷺ : نحن يا رسول الله نؤدي عنك ما تريد فابعثنا حيث شئت.

انتدب -عليه الصلاة والسلام- ستة نفر من الصحابة ليحملوا كتبه إلى ملوك العرب والعجم وكان أحد هؤلاء الستة عبدالله بن حُذافة السهمي فقد اختير لحمل رسالة النبي ﷺ إلى كسرى ملك الفرس.

جهز عبدالله بن حذافة راحلته، وودع صاحبته وولده، ومضى إلى غايته ترفعه النجاد، وتحطه الوهاد، وحيداً فريداً ليس معه إلا الله حتى بلغ ديار فارس فاستأذن بالدخول على ملكها وأخطر الحاشية بالرسالة التي يحملها له. عند ذلك أمر كسرى بإيوانه فزُيّن، ودعا عظمآء فارس لحضور مجلسه فحضروا ثم أذن لعبدالله بن حذافة بالدخول عليه.

دخل عبدالله بن حذافة على سيد فارس مشتملا شملته الرقيقة، مرتدياً عباءته الصفيقة عليه بساطة العرب. لكنه كان عالي الهامة مشدود القامة تتأجج بين جوانحه عزة الإسلام، ويتوقد في فؤاده نور الإيمان، فما أن رآه كسرى مقبلاً حتى أومأ إلى أحد رجاله بأن يأخذ الكتاب من يده فقال: لا إنما أمرني رسول الله ﷺ أن أدفعه لك يدا بيد وأنا لا أخالف أمراً لرسول الله ﷺ . فقال كسرى لرجاله: اتركوه يدنو مني فدنا من كسرى حتى ناوله الكتاب بيده. ثم دعا كسرى كاتباً عربياً من أهل الحيرة وأمره أن يفض الكتاب بين يديه وأن يقرأه عليه فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى..» فما أن سمع كسرى من الرسالة هذا المقدار حتى اشتعلت نار الغضب في صدره فاحمر وجهه وانتفخت أوداجه لأن الرسول -عليه الصلاة والسلام- بدأ بنفسه.. فجذب الرسالة من يد كاتبه وجعل يمزقها دون أن يعلم ما فيها وهو يصيح: أيكتب لي بهذا وهو عبدي؟!! ثم أمر بعبدالله بن حذافة أن

يخرج من مجلسه فأُخرج. خرج عبدالله بن حذافة من مجلس كسرى وهو لا يدري ما يفعل الله به. أيقتل أم يترك طليقاً؟ لكنه ما لبث أن قال: والله ما أبالي على أي حال أكون بعد أن أديت كتاب رسول الله ﷺ وركب راحلته وانطلق. ولما سكت عن كسرى الغضب أمر بأن يدخل عليه عبدالله فلم يوجد.. فالتمسوه فلم يقفوا له على أثر. فطلبوه في الطريق إلى جزيرة العرب فوجدوه قد سبق. فلما قدم عبدالله على النبي ﷺ خبره بما كان من أمر كسرى وتمزيقه الكتاب فما زاد - عليه الصلاة والسلام- على أن قال: «مزق الله ملكه».

أما كسرى فقد كتب إلى باذان نائبه على اليمن أن ابعث إلى هذا الرجل الذي ظهر بالحجاز رجلين جلدين من عندك ومرهما أن يأتياني به.. فبعث باذان رجلين من خيرة رجاله إلى رسول الله ﷺ وحمّلهما رسالة له يأمره فيها بأن ينصرف معهما إلى لقاء كسرى دون إبطاء.. وطلب إلى الرجلين أن يقفا على خبر النبي ﷺ وأن يستقصيا أمره وأن يأتياه بما يقفان عليه من معلومات.

خرج الرجلان يغذان السير حتى بلغا الطائف فوجدا رجالاً تجاراً من قريش فسألاهم عن محمد ﷺ فقالوا: هو في يثرب، ثم مضى التجار إلى مكة فرحين مستبشرين، وجعلوا يهنئون قريشاً ويقولون: قروا عيناً فإن كسرى قد تصدى لمحمد وكفاكم شره. أما الرجلان فيمما وجهيهما شطر المدينة حتى إذا بلغاها لقيا النبي ﷺ ودفعا إليه رسالة باذان وقالا له: إن ملك الملوك كسرى كتب إلى مليكنا باذان أن يبعث إليك من يأتيه بك.. وقد أتيناك لتنطلق معنا إليه فإن أجبتنا كلمنا كسرى بما ينفعك ويكف أذاه عنك، وإن أبيت فهو من قد علمت سطوته وبطشه وقدرته على إهلاكك وإهلاك قومك.

فتبسم الرسول ﷺ وقال لهما: «ارجعا إلى رحالكما اليوم واتيا غدا» فلما غدوا على رسول الله ﷺ في اليوم التالي قالا له: هل أعددت نفسك للمضي معنا إلى كسرى؟ فقال لهما: «لن تلقيا كسرى بعد اليوم.. فلقد قتله الله حيث سلط عليه ابنه شيرويه في ليلة كذا.. من شهر كذا..» وفي رواية «إن ربي قتل ربكما هذه الليلة».

قلت: وقد عدت القصة من معجزاته ﷺ .

فحدقا في وجه النبي ﷺ وبدت الدهشة على وجهيهما وقالا: أتدري ما تقول؟! أنكتب بذلك لباذان؟! قال ﷺ : «نعم وقولا له: إن ديني سيبلغ ما وصل إليه ملك كسرى، وإنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك».

خرج الرجلان من عند رسول الله ﷺ وقدما على باذان وأخبراه الخبر فقال: لئن كان ما قال محمدٌ حقاً فهو نبي، وإن لم يكن كذلك فسنرى فيه رأياً. فلم يلبث أن قدم على باذان كتاب شيرويه وفيه يقول: أما بعد، فقد قتلت كسرى ولم أقتله إلا انتقاماً لقومنا فقد استحل قتل أشرافهم وسبي نسائهم وانتهاب أموالهم، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن عندك. فما أن قرأ باذان كتاب شيرويه حتى طرحه جانباً وأعلن دخوله في الإسلام، وأسلم من كان معه من الفرس في بلاد اليمن.

هذه قصة لقاء عبدالله بن حذافة بكسرى ملك الفرس. فما قصة لقائه لقيصر عظيم الروم؟ لقد كان لقاؤه لقيصر في خلافة عمر بن الخطاب وكانت له معه قصة من روائع القصص...

ففي السنة التاسعة عشرة للهجرة بعث عمر بن الخطاب جيشاً لحرب الروم فيه عبدالله بن حذافة السهمي.. وكان قيصر عظيم الروم قد تناهت إليه أخبار جند المسلمين وما يتحلون به من صدق الإيمان، ورسوخ العقيدة، واسترخاص النفس في سبيل الله ورسوله.

فأمر رجاله إذا ظفروا بأسير من أسرى المسلمين أن يبقوا عليه وأن يأتوه به حياً.. فوقع عبدالله بن حذافة السهمي أسيراً في أيدي الروم فحملوه إلى ملكهم وقالوا: إن هذا من أصحاب محمد السابقين إلى دينه قد وقع أسيراً في أيدينا فأتيناك به. نظر ملك الروم إلى عبدالله بن حذافة طويلاً ثم بادره قائلاً: إني أعرض عليك أمراً، قال: وما هو؟ فقال: أعرض عليك أن تتنصر.. فإن فعلت خليت سبيلك وأكرمت مثواك، فقال الأسير في أَنَفَة وحزم: هيهات.. إن الموت لأحب إلي ألف مرة مما تدعوني إليه. فقال: قيصر: إني لأراك رجلاً شهماً.. فإن أجبتني إلى ما أعرض عليك أشركتك في أمري وقاسمتك سلطاني. فتبسم الأسير المكبل بقيوده وقال: والله لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما ملكته العرب على أن أرجع عن دين محمد طرفة عين ما فعلتُ. قال: إذن أقتلك. قال: أنت وما تريد، ثم أمر به فصلب، وقال لقناصته بالرومية: ارموه قريباً من يديه، وهو يعرض عليه التنصر فأبى. فقال: ارموه قريبا من رجليه وهو يعرض عليه مفارقة دينه فأبى. عند ذلك أمرهم أن يكفوا عنه، وطلب إليهم أن ينزلوه من خشبة الصلب، ثم دعا بقدر عظيمة فصبت فيها الزيت ورفعت على النار حتى غلت، ثم دعا بأسيرين من أسارى المسلمين فأمر بأحدهما أن يلقى فيها فألقي فإذا لحمه يتفتت وإذا عظامه تبدو عارية.. ثم التفت إلى عبدالله بن حذافة ودعاه

إلى النصرانية فكان أشد إباءً لها من قبل. فلما يئس منه أمر به أن يلقى في القدر التي ألقي فيها صاحباه فلما ذُهب به دمعت عيناه، فقال رجال قيصر لملكهم: إنه قد بكى، فظن أنه قد جزع وقال: ردوه إلي، فلما مثل بين يديه عرض عليه النصرانية فأباها. فقال: ويحك فما الذي أبكاك إذاً؟!

قال: أبكاني أني قلت في نفسي تلقى الآن في هذا القدر فتذهب نفسك، وقد كنت أشتهي أن يكون لي بعدد ما في جسدي من شعر أنفس فتلقى كلها في هذا القدر في سبيل الله.

فقال الطاغية: هل لك أن تقبل رأسي وأخلي عنك؟ فقال له عبدالله: وعن جميع أُسارى المسلمين أيضاً؟ قال: وعن جميع أسارى المسلمين أيضا. قال عبدالله: فقلت في نفسي: عدو من أعداء الله أقبل رأسه فيخلي عني وعن أسارى المسلمين جميعاً لا ضير في ذلك علي. ثم دنا منه وقبّل رأسه، فأمر ملك الروم أن يجمعوا له أسارى المسلمين وأن يدفعوهم إليه فدُفعوا إليه.

قدم عبدالله بن حذافة على عمر بن الخطاب وأخبره الخبر فسر به أعظم السرور ولما نظر إلى الأسرى قال: حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبدالله بن حذافة.. وأنا أبدأ بذلك ثم قام وقبل رأسه.. فأين نحن أيها المسلمون من هؤلاء؟! يا حسرتا على ما فرطنا في جنب الله.

من «المصابيح» للشرفي في عبادة أمير المؤمنين

روي عن أنس بن مالك قال: يقول الناس إن قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر:٩] نزلت في علي بن أبي طالبعليه السلام، قال: فأتيته لأنظر عبادته قال: فأشهد لقد رأيته وقت المغرب فوجدته يصلي بأصحابه المغرب،فلما فرغ منها جلس في التعقيب إلى أن قام إلى العشاء الآخرة ثم دخل منزله فوجدته طول الليل يصلي ويقرأ القرآن إلى أن طلع الفجر، ثم جدد وضوءه وخرج إلى المسجد وصلى بالناس صلاة الفجر، ثم جلس في التعقيب إلى أن صلى بهم الظهر ثم حتى صلى بهم العصر، ثم أتاه الناس يختصمون وهو يقضي بينهم إلى أن غربت الشمس. فخرجت وأنا أقول: أشهد أن هذه الآية نزلت فيه.

وفيها أيضاً عن أَبي الدرداء -رضي الله عنه- شهدت علياًعليه السلام وقد اعتزل عن مواليه واختفى عمن يليه، واستتر بفسلان النخل فافتقدته وقلت: لحق بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين ونغمة شجي وهو يقولعليه السلام: إلهي كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنعمتك، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك، إلهي إن طال في عصيانك عمري، وعظم في الصحف ذنبي، فما أنا مؤمل غير غفرانك، ولا أنا راج غير رضوانك، قال أبو الدرداء -رحمه الله تعالى-: فشغلني الصوت واقتفيت الأثر فإذا هو علي بعينه، فاستترت منه وأخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغابر ثم فزع إلى الدعاء

والاستغفار والبكاء والبث والشكوى فكان مما ناجى به ربه أن قال:

إلهي أفكر في عفوك فتهون علي خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم علي بليتي، ثم قال: آهِ إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها فتقول: خذوه، فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته، ولا يرحمه الملأ إذا أذن فيه بالنداء. ثم قال: آهِ من نار تنضج الأكباد والكلى، آهِ من نزاعة للشوى، آهِ من ملهبات لظى. قال: ثم أمعن في البكاء فلم أسمع له حساً ولا حركة، فقلت: غلب عليه النوم لطول السهر أو قصد لصلاة الفجر، فأتيته فإذا هو كالخشبة الملقاة، فحركته فلم يتحرك، فزويته فلم ينزو، وقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون مات والله علي بن أبي طالب. قال: فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم، فقالت فاطمة عليها السلام: لهي والله الغشية التي تأخذه من خشية الله، ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق ونظر إلي وأنا أبكي فقال: مم بكاؤك؟ فقلت: بما أراك تنزله بنفسك. فقال: يا أبا الدرداء فكيف لو رأيتني وقد دعيت إلى الحساب، وأيقن أهل الجرائم بالعذاب، واحتوشتني ملائكة غلاظ وزبانية أفظاظ؛ فوقفت بين يدي الملك الجبار، وقد أسلمني الأحباء ورحمني أهل الدنيا لكنت أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية.

وفيها عن الباقر عليه السلام إن كان أمير المؤمنين علي عليه السلام ليأكل أكلة العبد، ويجلس جلسة العبد، وإن كان ليشتري القميصين السنبلانيين ويخير غلامه خيرهما ثم يلبس الآخر، فإذا جاوز كمه أصابعه قطعه، وإذا جاوز كفيه حذفه، ولقد ولي خمس سنين، ما وضع آجرة على آجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا قطع قطيعاً، ولا أورث بيضاء ولا حمراء، وإن كان ليعطي خبز البر واللحم وينصرف

إلى منزله فيأكل خبز الشعير والزيت والخل، وما ورد عليه أمران كلاهما رضا لله إلا أخذ بأشدهما على بدنه، ولقد أعتق ألف مملوك من كد يده، وما أطاق عمله أحد من الناس، وإن كان ليصلي في اليوم والليلة ألف ركعة،وإن أقرب الناس شبهاً به علي بن الحسين عليهما السلام ،ما أطاق أحد من الناس عمله. انتهى.

ومنه قال الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام في كتاب «الحكمة الدرية»: دخل أبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام على أبيه قال: فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم أر أحداً قط بلغه، وإذا به قد اصفر لونه، وومضت عيناه من البكاء ودبرت جبهته، وانخرمت أنفه من السجود، وورمت شفتاه وقدماه من الصلاة، فرأيته بحال فلم أملك أن بكيت من رحمته، فإذا به ينظر إلي ثم قال: يا بني أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي فأعطيته بعضها فما قرأ منها شيئاً حتى رمى به تضجراً وقال: من يقوى على عبادة علي صلوات الله عليه.

طريفة من سعة علم أمير المؤمنين

قالوا: من بحر علم علي عليه السلام اغترف جهابذة العلماء من كبار التابعين ومن بعدهم. ويذكر شيخ الإسلام الإمام العالم القدوة جعفر بن أحمد ابن عبدالسلام: أن الحجاج أحضر الحسن البصري، وواصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وعامر الشعبي وسألهم عن القضاء والقدر -يعني الخلق لأفعال العباد- فأجابه أحدهم: لا أعرف فيه إلا ما قاله أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه وهو قوله: أتظن أن الذي نهاك دهاك، إنما دهاك أسفلك وأعلاك، والله بريء من ذاك.

وأجابه الآخر فقال: لا أعرف فيه إلا ما قاله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –

رضي الله عنه-: أتظن الذي فسح لك الطريق لزم عليك المضيق.

وأجابه الثالث فقال: لا أعرف فيه إلا ما قاله أمير المؤمنين علي عليه السلام: إذا كانت المعصية حتماً كانت العقوبة ظلماً.

وأجابه الرابع فقال: لا أعرف فيه إلا ما قاله علي عليه السلام ما حمدت الله عليه فهو منه، وما استغفرت الله منه فهو منك. فقال الحجاج: قاتلهم الله لقد أخذوها من عين صافية.

حكاية رجل أوروبي أسلم

يحكى أن رجلاً أسلم من الأوروبيين وحسن إسلامه، وكان صادقا في أفعاله وأقواله، وحريصاً أن يظهر إسلامه ويعتز به أمام الكفار دون خجل ولا حياء ولا خوف أو تردد حتى ولو لم يكن هناك مناسبة فإنه يحرص على ذلك. يقول: فأعلن في إحدى المؤسسات الحكومية الكافرة عن فرصة وظيفية فتقدمت لها بين العديد من الكفار وكنت فخوراً بإسلامي، وكان لا بد من المقابلة الشخصية والتنافس قائم على هذه الوظيفة، فلما بدأت المقابلة سألته اللجنة الخاصة بالمؤسسة عدة أسئلة كان منها: هل تشرب الخمر؟ فأجاب قائلاً: لا أشرب الخمر لأنني أسلمت وديني يمنعني من معاقرة الخمر وشربها، قالت اللجنة: هل لك خليلات وصديقات؟ قال المسلم: لا لأن ديني الإسلام الذي أنتسب إليه وأدين به يحرم علي ذلك ويقصر علاقتي على زوجتي التي نكحتها بمقتضى شريعة الله - عز وجل-. وخرج من القاعة وهو شبه يائس من أن ينجح في هذه المسابقة،

ولكن النتيجة أن جميع هؤلاء المتسابقين وكان عددهم كبيراً فشلوا ونجح هو وحده في هذه المسابقة، فذهب إلى مسؤل اللجنة وسأله قائلاً: كنت أنتظر أن تحرموني من هذه الوظيفة عقاباً لي على مخالفتي لكم في دينكم وعلى اعتناق الإسلام، ولكن فوجئت بقبولي على إخوانكم من النصارى فما سر ذلك؟ قال: إن المرشح لهذه الوظيفة كان يشترط فيه أن يكون شخصاً منتبهاً في جميع الحالات حاضر الذهن، والإنسان الذي يتعاطى الخمر لا يمكن أن يكون كذلك فكنا نترقب شخصاً من الذين لا يشربون الخمر؛ ونظراً لتوفر هذا الشرط فيك فلقد وقع الاختيار عليك في هذه الوظيفة. فخرج حامداً شاكراً مولاه -عز وجل- على ما أولاه من نعمه وآلائه العظيمة وهو يردد: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾[الطلاق: ٢، ٣]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾[الطلاق: ٤]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا﴾[الطلاق: ٥].

حكاية العاشق المؤمن

ذكر المبرد عن أبي كامل عن إسحاق بن إبراهيم عن رجاء بن عمرو النخعي قال: كان بالكوفة فتى جميل الوجه، شديد التعبد والاجتهاد، فنزل في جوار قوم من النخع فنظر إلى جارية منهم جميلة فهويها وهام بها عقله، ونزل بالجارية ما نزل به فأرسل يخطبها من أبيها، فأخبره أبوها أنها مسماة لابن عم لها، فلما اشتد عليهما ما يقاسيانه من ألم الهوى أرسلت إليه الجارية: قد بلغني شدة محبتك لي وقد اشتد بلائي بك، فإن شئت زرتك، وإن شئت سهلت لك أن تأتيني إلى منزلي، فقال

للرسول: ولا واحدة من هاتين الخلتين ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾[الأنعام:١٥] أخاف ناراً لا يخبو سعيرها ولا يخمد لهيبها. فلما أبلغها الرسول قالت: وأراه مع هذا يخاف الله، والله ما أحد أحق بهذا من أحد وإن العباد فيه لمشتركون، ثم انخلعت من الدنيا وألقت علائقها،خلف ظهرها، وجعلت تتعبد وهي مع ذلك تذوب وتنحل حباً للفتى وشوقاً إليه حتى ماتت من ذلك، فكان الفتى يأتي قبرها فيبكي عنده ويدعو لها، فغلبته عيناه ذات يوم على قبرها فرآها في منامه في أحسن منظر فقال: كيف أنت وما لقيت بعدي؟ قالت:

نعم المحبة يا سؤلي محبتكم حب يقود إلى خير وإحسان

فقال: على ذلك إلام صرت؟ فقالت:

إلى نعيم وعيش لا زوال له في جنة الخلد ملك ليس بالفاني

فقال: اذكريني هناك فإني لست أنساك، فقالت: ولا أنا والله أنساك ، ولقد سألت مولاي ومولاك أن يجمع بيننا فأعني على ذلك بالاجتهاد، فقال لها: متى أراك؟ فقالت: ستأتيني عن قريب فترانا، فلم يعش الفتى بعد الرؤيا إلا سبع ليال حتى مات رحمه الله تعالى.

حكاية المؤثرين على أنفسهم

وحكي عن الواقدي أنه قال: أُضقت إضاقة شديدة وهجم شهر رمضان وأنا بغير نفقة فضاق ذرعي لذلك فكتبت إلى صديق لي علوي أسأله أن يقرضني ألف درهم، فبعث إلي بها في كيس مختوم فتركتها عندي، فلما كان عشيُّ ذلك اليوم وردت عليّ رقعة صديق لي يسألني إسعافه لنفقة شهر رمضان بألف درهم

فوجهت إليه بالكيس بخاتمه، فلما كان في الغد جاءني صديقي الذي اقترض مني والعلوي الذي اقترضت منه فسألني العلوي عن خبر الدراهم فقلت: صرفتها في مهم.

فأخرج الكيس بختمه وضحك وقال: والله لقد قرب هذا الشهر وما عندي إلا هذه الدراهم فلما كتبت إلي وجهت بها إليك، وكتبت إلى صديقي هذا أقترض منه ألف درهم فوجه إلي بالكيس فسألته عن القصة فشرحها، وقد جئناك لنقتسمها وإلى أن ننفقها يأتي الله تعالى بالفرج. قال الواقدي فقلت لهما: لست أدري أينا أكرم!! فقسمناها ودخل شهر رمضان فأنفقت أكثر ما حصل منها وضاق صدري وجعلت أفكر في أمري فبينما أنا كذلك إذ بعث إلي يحيى بن خالد البرمكي في سَحرة يوم فصرتُ إليه فقال: يا واقدي رأيتك البارحة فيما يرى النائم وأنت على حال دلتني على أنك في غم شديد وأذى فاشرح لي أمرك، فشرحته إلى أن بلغت حديث العلوي وصديقي والألف درهم فقال: ما أدري أيكم أكرم وأمر لي بثلاثين ألف درهم ولهما بعشرين وقلدني القضاء.

حكاية المتصدق بدرهم خرج به ليشتري دقيقا

عن الفضيل بن عياض - رضي الله تعالى عنه - قال: حدثني رجل أن رجلاً خرج بغزل فباعه بدرهم ليشتري به دقيقاً، فمر على رجلين كل منهما آخذ برأس صاحبه، فقال: ما هذا؟ فقيل: يقتتلان في درهم، فأعطاهما ذلك الدرهم وليس له شيء غيره. فأتى إلى امرأته فأخبرها بما جرى له، فجمعت له أشياء من البيت، فذهب ليبيعها فكسدت عليه، فمر على رجل ومعه سمكة قد أروحت [يعني

تغير ريحها] فقال له: إن معك شيئاً قد كسد ومعي شيء قد كسد فهل لك أن تبيعني هذا بهذا فباعه، وجاء الرجل بالسمكة إلى البيت وقال لزوجته قومي فأصلحي أمر هذه السمكة فقد هلكنا من الجوع، فقامت المرأة تصلحها فشقت جوف السمكة فإذا هي بلؤلؤة قد خرجت من جوفها، فقالت المرأة: يا سيدي قد خرج من جوف السمكة شيء أصغر من بيض الدجاج وهو يقارب بيض الحمام، فقال: أريني فنظر إلى شيء ما رأى في عمره مثله فطار عقله وحار لبّه فقال لزوجته: هذه أظنها لؤلؤة، فقالت: أتعرف قدر اللؤلؤ؟ قال: لا ولكني أعرف من يعرف ذلك، ثم أخذها وانطلق إلى أصحاب اللؤلؤ إلى صديق له جوهري فسلم عليه فردعليه‌السلام وجلس إلى جانبه يتحدث وأخرج تلك البيضة وقال: انظر كم قيمة هذه قال: فنظر طويلاً ثم قال: لك بها عليَّ أربعون ألفاً فإن شئت أقبضتك المال الساعة وإن طلبت الزيادة فاذهب بها إلى فلان فإنه أثمن بها لك مني، فذهب بها إليه فنظر إليها واستحسنها وقال: لك بها علي ثمانون ألفاً وإن شئت الزيادة فاذهب بها إلى فلان فإني اراه أثمن بها لك مني ، فذهب بها إليه فقال: لك بها علي مائة وعشرون ألفاً ولا أرى أحداً يزيدك فوق ذلك شيئاً، فقال: نعم، فوزن له المال، فحمل الرجل في ذلك اليوم اثنتي عشرة بدرة في كل بدرة عشرة آلاف درهم، فذهب بها إلى منزله ليضعها فيه فإذا فقير واقف بالباب يسأل، فقال: هذه قصتي التي كنت عليها، ادخل فدخل الرجل فقال: خذ نصف هذا المال، فأخذ الرجل الفقير ست بدر فحملها ثم تباعد غير بعيد ورجع إليه وقال: ما أنا بمسكين ولا فقير وإنما أرسلني إليك ربك -عز وجل- الذي أعطاك بالدرهم عشرين قيراطا فهذا الذي أعطاك قيراطٌ منه وذخر لك تسعة عشر قيراطاً، انتهى من الفرج بعد الشدة.

حكاية المسكي بائع القماش

عن السيد إبراهيم بن عبد الله الحازمي من كتاب من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.

قال: كان هناك شاب يبيع البز «القماش» ويضعه على ظهره ويطوف بالبيوت ويسمونه «فرَّقنا» وكان مستقيم الأعضاء، جميل الهيئة من رآه أحبه لما حباه الله من جمال ووسامة زائدة على الآخرين، وفي يوم من الأيام وهو يمر بالشوارع والأزقة والبيوت رافعاً صوته «فرَّقنا» إذْ أبصرته امرأة فنادته فجاء إليها وأمرته بالدخول إلى داخل البيت، وأعجبت به وأحبته حباً شديداً، وقالت له: إنني لم أدْعُكَ لأشتري منك وإنما دعوتك من أجل محبتي لك ولا يوجد في الدار أحد، ودعته إلى نفسها فذكرها بالله وخوفها من أليم عقابه ولكن دون جدوى، فما يزيدها ذلك إلا إصراراً، وأحب شيء إلى الإنسان ما منعا، فلما رأته ممتنعاً من الحرام قالت: إنه إذا لم تفعل ما آمرك به صحت في الناس وقلت لهم: دخل داري ويريد أن ينال من عفتي وسوف يصدق الناس كلامي لأنك داخل بيتي. فلما رأى إصرارها على الإثم والعدوان قال لها: هل تسمحين لي بالدخول إلى الحمام من أجل النظافة، ففرحت بما قال فرحاً شديداً وظنت أنه قد وافق على المطلوب فقالت: وكيف لا يا حبيبي وقرة عيني إن هذا لشيء عظيم. ودخل الحمام وجسده يرتعش من الخوف والوقوع في وحل المعصية فالنساء حبائل الشيطان وما خلا رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما، يا إلهي ماذا أعمل دلني يا دليل الحائرين. وفجأة جاءت في ذهنه فكرة فقال: أنا أعلم جيداً أن من الذين يظلهم

الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، وأعلم أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، ورب شهوة تورث ندماً إلى آخر العمر وماذا سأجني من هذه المعصية غير أن الله سيرفع من قلبي نور الإيمان ولذته لا..لا . لن أفعل الحرام، ولكن ماذا سأفعل هل أرمي نفسي من النافذة لا أستطيع ذلك فإنها مغلقة جداً ويصعب فتحها. إذاً سألطخ جسدي بهذه القاذورات والأوساخ فلعلها إذا رأتني على هذه الحال تركتني وشأني... وفعلاً صمم على ذلك الفعل الذي تقزز منه النفوس، مع أنه يخرج من النفوس ثم بكى وقال: رباه إلهي وسيدي خوفك جعلني أعمل هذا العمل فاخلف علي خيراً، وخرج من الحمام فلما رأته صاحت به: اخرج يا مجنون فخرج خائفاً يترقب من الناس وكلامهم وماذا سيقولون عنه وأخذ متاعه والناس يضحكون عليه في الشوارع حتى وصل إلى بيته، وهناك تنفس الصعداء وخلع ثيابه ودخل الحمام واغتسل غسلاً حسناً. ثم ماذا؟ هل يترك الله تعالى عبده ووليه هكذا؟ لا أيها الأحباب فعندما خرج من الحمام عوضه الله شيئاً عظيماً بقي في جسده حتى فارق الحياة، وما بعد الحياة لقد أعطاه الله سبحانه رائحة عطرية زكية فواحة تخرج من جسده يشمها الناس على بعد عدة أمتار وأصبح ذلك لقبا له المسكي، فقد كان المسك يخرج من جسده، وعوضه الله بدلاً من تلك الرائحة التي ذهبت في لحظات رائحة بقيت مدى الوقت، وعند ما مات ووضعوه في قبره كتبوا على قبره هذا قبر المسكي وقد رأيته وأصبح يزار زيارة شرعية . وهكذا أيها الإنسان المسلم الله سبحانه لا يترك عبده الصالح بل يدافع عنه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[الحج:٣٨] الله سبحانه يقول: ولئن سألني لأعطينه فأين السائلون، أيها العبد المسلم؟.

من كل شيء إذا ضيعته عوض   وما من الله إن ضيعته عوض

إن الله سبحانه يعطي على القليل الكثير، فأين الذين يتركون المعاصي ويقبلون على الله حتى يعوضهم خيراً مما أخذ منهم؟ ألا يستجيبون لنداء الله ونداء رسوله ونداء الفطرة؟.. يا ليت.

علي العابد -عليه السلام-

قال في «الدامغة»: علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وكان يسمى العبد الصالح، وعلي الأغر، وعلي الخير، ودخلت حية بين ثيابه وهو يصلي فلم يخرج من الصلاة ولا خاف منها، وكان كثير العبادة والتلاوة للقرآن الكريم، تزوج ابنة عمه عبدالله بن الحسن بن الحسن فلما زفت إليه قال لها: هل لك أن نصلي هذه الليلة شكراً لله حيث جمع بيننا قالت: نعم، فباتا كذلك فلما دنا طلوع الفجر قالت له: هل لك أن نصوم هذا اليوم شكراً لله تعالى حيث جمع الله بيننا قال: نعم، فصاما، ثم أقبلت الليلة الثانية فباتا يصليان، ثم صاما ثانياً كذلك ليلهما يقومان ونهارهما يصومان سنة كاملة، فقال له عمه عبدالله بن الحسن: رغبت عن سنة جدك ﷺ ؟ أقسمت عليك إلا ما تركت هذا الأمر[قلت وكان يقال لهما: الزوج الصالح] فولد لهما الحسين بن علي صاحب فخ عليه السلام الإمام الشهيد، وكان علي بن الحسن بن الحسن كثير التلاوة للقرآن الكريم، وكان من جملة المحبوسين هو وعمه عبدالله بن الحسن بن الحسن في عشرين رجلاً من بني الحسن فكانوا في مطبق مظلم لا يهتدون لأوقات الصلاة إلا بقراءته لما كان يعتاده من الورد. ولما اشتد عليهم البلاء وعظم عليهم الأمر قال عبد الله بن الحسن: قد ترى يا بني ما نزل بنا فادع الله تعالى [وكان مجاب الدعوة] ففكر ثم قال: يا عم إن لأبي الدوانيق منزلة في النار لم يكن ليبلغها

إلا بما فعل بنا، وإن لنا منزلة في الجنة لم نبلغها إلا بما نحن فيه فإن شئت أن أدعو الله تعالى أن يقصر بنا عن منزلتنا في الجنة ويقصر به عن منزلته في النار فعلت، فقال: لا. فصبروا واحتسبوا حتى استشهدوا جميعاً رضوان الله عليهم.

عجيبة من سيرة الزاهدين عن الولاية

لما توفي الإمام المهدي علي بن محمد رضوان الله عليه اضطرب الناس بعده وصار ولده الناصر صلاح الدين إلى ظفار للاجتماع والنظر فيمن يصلح للقيام، وكان علماء الظاهر لا يعدلون عن السيد صلاح الدين إلا إلى السيد العلامة عبدالله بن محمد بن الإمام يحيى بن حمزة، ويقولون: لا يصلح لهذا الأمر سواه، لما يتحلى به من العلم والحلم، والورع والنبل والشجاعة والتدبير وحسن التصرف.

فلما فهم ذلك اعتذر من المسير إلى ظفار مع ولده وأعمامه ومن معهم من هجرة حوث من العلماء والفضلاء، فاعتذر فلم يعذروه، وهو يتنصل من ذلك الأمر من حمل مسئولية الأمة فصار معهم وهو يتأوه ويتضرع إلى الله -سبحانه وتعالى- أن يجعل له مخرجاً ويقول: اللهم خر لي في هذه السيرة.

وأمسوا تلك الليلة في محل الكساد من بلاد مرهبة، وكان طيلة الليل في تضرع وابتهال إلى الله -تعالى- أن يصرف عنه هذا الأمر ويجعل له مخرجاً منه.

فحدث له في آخر الليل ألم في بطنه منعه عن القيام والقعود، فلما صلوا الفجر جميعاً حملوه في شقدف وردوه إلى حوث، وتوفي في تلك الليلة بعد صلاة العشاء وعمره دون الثلاثين سنة، وشوهد وهو يحمد الله -تعالى- ويشكره على استجابة دعائه وتعجيل فرجه فتعجب الناس من علماء وغيرهم.

إن لله عبـــــــاداً فطنــــــــا طلقـــوا الـــدنيا وخـــافوا الفتنـــا
ســـبروا الـــدنيا فلـــما علمـــوا أنهـــا ليـــست لحـــي وطنـــا
جعلوهـــــا لجـــــة واتخـــــذوا صـــالح الأعـــمال فيهـــا ســـفنا

حكاية طريفة لشاب مع عروسته

روي أن شاباً من طلبة العلم رغب في الزواج وبعد جهد جهيد استطاع أن يخطب امرأة، فاجتمع إليه زملاؤه قبل الدخول يهنئونه ويباركون له زواجه وكلهم شعلة من الرغبة في الزواج، فصاروا ينصحونه ويعلمونه بما يصنع إذا دخل عليها، فقالوا: لتضع يدك على ناصيتها وتقول: اللهم إني أسالك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه، اللهم بارك لي في أهلي، وبارك لأهلي فيّ، اللهم ارزقهم مني وارزقني منهم، اللهم اجمع بيننا ما جمعت في خير، وفرق بيننا إذا فرقت في خير، فتحفظها ونقلها في جيبه، فلما دخل على العروسة كان الحياء والخجل قد أخذ منه كل مأخذ، فوضع يده وهي ترتجف ونسي ما علمـوه الـزملاء فقـال: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾[الزخرف:١٣].

حكاية طريفة لرجل فركته زوجته فطلقها وهام فيها

قال السيد العلامة محمد بن حيدر النعمي -رحمه الله تعالى- في كتابه الـشهير «الجواهر اللطاف في أنساب الأشراف بالمخلاف السليماني».

أفاد القاضي العلامة شيخ الإسلام محمد بن سعد الشرقي رواية عن المحقـق البليغ حسين بن أحمد جغمان أن السبب في إنشاء هذه القصيدة البليغة[الآتية] أن

الأديب محمد الهبي كان طالباً للعلم بصعدة، وكان لأحد مياسيرها من الغنى والثروة بنت رائعة الجمال، كاملة الأوصاف، عديمة الشكل والمثال، فأراد أبوها أن يزوجها بمن يكون في بيته لئلا تنتقل عنه لشغف الأب بها، فاختار لتلك الجوهرة المصونة والدرة المكنونة الأديب الهبي، فمنحه إياها والمواهب من الله -جل وعلا- فدخل عليها، وتمتع بريّاها، واحتسى كأس حميّاها ــ ولم يخرج عنها من البيت نحو السنة على الحالة الحسنة مع والٍ كفاها كل عناها وهي تظن زوجها في غنى، وأن ما تلبسه من الرياش والمجوهرات من ذلك الشخص الذي لاحظه السعد ونال المنى، فكان منها في بعض الأيام السبق إلى المغتسل [أي الحمام] ففاجأها وهي مخلوعة الثياب فاعتراها الخجل فأرسلت ذوائبها التي أسود من غداف الغراب وكالثعابين، فغطت جميع بدنها، فبهت ذلك الأديب وغلط في العد وضاع الحساب، لما شاهد من العجب العجاب، فقال: ما كنت أحق بك لجمالك الرائع، ولضعف حالي عن المكافأة لمن هي أجمل من البدر الطالع، فأنفت تلك الدمية وحلت تلك المطارحة في المفصل بأعظم من الرمية، ففارقها مكرهاً مفارقة الفرزدق نوار، وندم ندامة الكسعى حين بان له النهار، ولم يزل يشبب بها حتى خرج هائماً على وجهه محتاراً، ولم يزل يعمل السير مجداً إلى أبي عريش وقد انقطع منه الخوافي والريش، فلاذ بالمهدي القطبي الحسني ومدحه بالقصيدة التي مستهلها : «يا مربع الحي بذات الرندي»، فلما سمع القطبي ما وصفها به الهبي قال: هل هذا الوصف يوجد لغيداء في هذا الزمان؟ فقال: إي وحياة رأسك يا تاج آل عدنان، ثم أفهمه القصة وبما ناله من الغصة، وظن أنها قد فاتت الفرصة، فقال القطبي: إن كانت تلك الدمية كما وصفت فعلي المساعدة بما أردت فقال: هي فوق الوصف، ولساني لا يفي بالثناء عليها وقد عاملني الدهر بالعسف، فلم يسع المهدي إلا مشاهدتها بنفسه فتوجه من أبي عريش، والهبي من الفرح قد كاد يذهب حسه ويطيش، فلما وافى والدها ذلك المليك ، وأفهمه أنه

يريد زواج ابنته فصار منه التمليك، فدخلت إليه كـالظبي النـافر، فـشاهد مـن جمالها الباهر فطلقها لحينها قبل الدخول، وكلم والدها في إنكاحها بالهبي فاحتار كيف يقول فبذل لتلك النافرة من النقود والرياش وسكن فيها الجأش ، وتكفل بجميع ما يلزم من مظنونها وضاعف لهـا الرغائـب حتـى رضـيت لحينهـا فـتم الوصل، واجتمع الشمل بالشمل. وهذه من القضايا العجيبة والفتوة العربية وما أعظمها من منقبة، وأبقاها للذكر الحسن وليس كل الشعر أرقه أكذبه بل ما زاد في المبالغة ينال به المطالب.

وهذه هي القصيدة الفايقة، وبلسان الفصاحة والبلاغة ناطقة:

يـا مربـع الحـي بـذات الرنـدي بـالله خـبّر كيـف كنـت بعـدي

هـل وقفـة فيـك الغـداة تجـدي واحـر أكبـادي وطـول وجـدي

نـوحي وحـزني فيـك أقـصى جهـدي

كنـت لريـا ولعليـا ملعبـا وكـل رعْنـا ذات ثغـر أشـنبا

أصـبحت مـأوى للنعـام والـضبا وفيـك طـير البـوم ليـلاً نعبـا

جـادك هطـال صـدوق الرعـد

أصـبحت بعـد الظـاعنين مقفـرا مغبـرّا منـكّرا مـدعثرا

فيـك النعـام والـضباء والفِـرا فـدمع عينـيّ لمـا نلـتُ جـرى

سـقاك مـن مجلجـل مـسوّدِ

ينبـت فيـك الـشيح والينـوفرُ ويضحك الآس ضحى والعَبْهـرُ

إذا غـدا يـركض فيـك الـسنبرُ والزهـر فيـك أبـيضٌ وأحمـرُ

وعـانق البـان غـصون الرنـدي

فليت شعري هل يعـود مـا مـضى ويرجع العيش الـذي قـد انقـضى

رعيـــاً وســقياً لأثــيلات الغــضا هيهات قــد عــاد ســوادي أبيــضا

وأبيـــضي قـــد عـــاد كالمـــسود

فــرب هيفــا كالقــضيب قــامة ظـــاهرة النعمـــة والوســـامة

مليـــحة في ثغرهــــا المدامـــة عانقـــت في نجـــد وفي تهـــامة

محبيـــا غـــير مـــضاع الـــود

يا عــاذلي دع عنـك عــذلي واعــذر في حــب غيـدا كــالغزال الأعفــر

تريـك كعبـا مثــل حــق المرمــر ابنـــة عـــشر وثـــلاث معـــصر

طــوع العنــاق غــير ذات نهــد

جبينهــا مثـــل الهـــلال يـــزهر وشعرهــــا إن أرســـلته يـــستر

وثغـرهـــــا ممـــسك معنبـــر معطـــــر مكــــوثر مـــسكر

فيـــه مـــدام عــــاتق بـــشهدِ

إن بـــسَمَتْ تريــك برقــاً رفرفــا أو لثَمَــتْ أعطتــك خمــراً قرقفــا

أو لَحَظَــتْ أرتــك حــسناً شــنفا أو خطـرَتْ أرتـك غـصناً أهيفـا

أخفـــي هواهـــا تـــارة وأبـــدي

حوت من الحسن عجيبـاً في عجيـب أنالهـــا رب الـــسما أوفى نـــصيب

لـيلاً وشمـــساً وقــضيباً في كثيـــب بي ألم لـــيس لـــه اليـــوم طبيـــب

إلا التـــي ملمـــسها كالزبـــد

مــن الخراعيـــب الرعابيـــب رداح إن صَـمَت الحجـل لقرطهـا صـياح

أو أشـبعت دملجهـا جـاع الوشـاح تغــار منهــا الحاجريـــات المـــلاح

تفـــاخر البـــان بلـــين القـــد

تريـــك مـــن مبـــسمها زمـــردا ولؤلـــؤاً وفي الخـــدود عـــسجدا

دعجـاء نعـسا مـا تريـد الأثمـدا كـن لهـا البـيض الهراكيـل فـدا
أيـضاً أنـا مـن كـل سـوء أفـدي

الثغـر منهـا أشـنب مفلـج والطـرف ساج أدعـج مـا أدعـج
والجيـد سـام والجبـين أبلـج كـأنهـا بـين النـساء عـوهج
أتلـع أدمـاء مـن ضـباء نجـدِ

لعـساء نعـساء لم تمخـض بولـد وكعبهـا غـضَّةٌ ليـم مانهـد
كـأنها أنيـابها مـاء جمـد أو جـوهر أو طلـع نخـل أو بـرد
أو لؤلـؤ رطـبٌ مليـح الـسردِ

كـأنهـا حمـامة في غـصنها يـضرب منهـا الخـد هـدب جفنهـا
تائهـة عـلى النـسا بحـسنهـا رشـيقة يـا بعـد قـرط أذنهـا
حـين تمـيس في مجـال العقـدِ

تعطيـك مـا تهـوى لـصغرِ سنِّهـا يـنهل عقـلي حـين قطـر مزنهـا
قـد صـار فنِّـي في الهـوى مـن فنهـا ومـوج بحـري قـد غـدا مـن دنهـا
ومـصطلاها مـن شرار زنـدي

مـشيتها في الأرض مـشية القطـا ليست مـن الغيـد الطـويلات الخطا
يعجبنـي التخمـيش منهـا والخطـا إن المحـب لا يـذُم إن سطـا
حبيبـه إذ لم يجـد بوعـدِ

في ثغرهـا السلـسال منهـا يرشـف كـسلا مـن المـضجع لا تنحـرف
حتـى إذا كـاد النهـار ينـصف قامـت كمـن قـد دب فيـه القرقـف
إلى سـواك الـراك لا للكـدِّ

وشـادن أشرف لي مـن كلكلـه ذو حمـرة في خـده مـن خجلـه
قبّلتـه فـصدني عـن قبلـه لمـا وضـعت سـكري في عـسله

أعاضني أنساً بذاك الصدِّ

لم أنس أيام أبي عريش حيث رياشي قد نما وريشي
حيث انتهت خلاعتي وطيشي ما لذلي نومي وطاب عيشي

إلا بأنعام الإمام المهدي

القُطُبي الخالدي الغانمي الحيدري الأزهري الفاطمي
القرشي النبوي الهاشمي حديث كل الناس في المواسم

ونقطة البيكار في معدِّ

غضنفر الهيجا طعان الثّغَر فارس عدنان إذا النقع انتشر
القمر التم لنا وابن القمر الواهب الخيل صحيحات الغرر

المقربات الصافنات الجردِ

محمد المهدي وما محمدُ إلا همام وخِضَمٌ مُزْبِدُ
وعارض يغنيك حين يرعدُ يفيض منه ورق وعسجدُ

فرداً بذاك العصر أي فردِ

سنانه يهوى النحور والكلا وسيفه يهوى الرؤوس والطلا
من آل قطب الدين أرباب العلا دع غيرهم فإنهم هم الملا

أهل المعالي ورجال المجدِ

نال من المجد منالاً لا ينال هو الزلال العذب والحلو الحلال
حاز البهاء والجمال والكمال وإن غدا في درعه يوم النزال

فدونه العباس وابن معدي

فاق ملوك الدهر بالجود فطال تشخص أبصار النساء والرجال
لوجهه كناظر إلى هلال كأنما الناس له طراً عيال

يلبس مذ شبّ برود الحمدِ

تلتفـــت الغيـــد إذا مـــا التفتـــا وترهـــب الأســـد إذا مـــا صمتـــا

هـــو لي ربيـــعٌ ومـــصيفٌ وشـــتاء هـــو النقـــي هـــو التقـــي هـــو الفتـــى

لعقـــــد حَـــــلٍّ ولحـــــل عقـــــدِ

محمـــد لا زلـــت في عيـــد جديـــد في كـــل وقـــت لـــك مجـــد لا يبيـــد

إذا بـــديت في الخيـــول والعبيـــد نوديـــت ذا المـــأمون أو هـــذا الرشـــيد

ومـــا الرشـــيد أنـــت رب الرشـــدِ

لا زال خفـــاقاً عليـــك العلـــم سـيفك مـــاضٍ في الـــورى والقلـــم

فأنـــت في النـــاس جميعـــاً حكـــم يـــا حاكـــم المجـــد ويـــا غشمـــشم

لـــواؤه فـــوق جبـــاه الأســـدِ

مـــا هـــذه الخيـــل ومـــا هـــذا العـــدد مـــا هـــذه البـــيض ومـــا هـــذا الـــزرد

لـــو رمـــت بغـــداد أتـــى مـــن غـــير كـــد إني لأقـــرأ «قـــل هـــو الله

عليـــك أبقـــاك المعيـــد المبـــدي

أختـــم وأبـــدي مـــا الطيـــف سرى ومـــا شـــدا القمـــري ومـــاذاق الكـــري

إن لنـــا منـــك وثيقـــات العـــرى لا زال شعـــري أبـــداً محبـــرًّا

فيـــك فأنـــت غـــايتي وقـــصدي

انتهى الموجود من هذه القصيدة بحمد الله تعالى، والممدوح هو الأمير الكبير قطب الدين المهدي محمد بن أحمد بن دريب بن خالد بن قطب الدين الحسني – رحمه الله تعالى–، وكان عون المسلمين وشحاك الظالمين، وعون المعوزين، تـأوي إليه الوفود من كل جهة فيعطي ما يفي، ويكفي عطاء من لا يخاف الفقر، حتـى ضرب بكرمه الأمثال، استشهد سنة ٩٢٥هـ.

حكاية التاجر المؤمن المتصدق

يروى أن تاجراً متوسط الثراء وكان يعمل بشراء الأبقار من العراق أو من إيران، ثم ينتقل بها هو ورجاله مرحلة مرحلة حتى يصل إلى سورية ولبنان، وقد يصل إلى مصر ليبيع ما لديه من الأبقار، ثم يشتري بثمنها أقمشة ومصنوعات أخرى ويعود بها إلى العراق، وكان الرجل مسلماً حقاً، قواماً، صواماً، منفقاً على الفقراء، قائماً بواجباته نحو ربه ونحو الناس، ورعاً، تقياً، نقياً، ماله ليس له وحده، بل للمحتاجين من أقربائه وأهل بلدته، ولكل طالب محتاج، وفي إحدى سفراته بتجارته، وكان ذلك قبل الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٩م هطل ثلج كثير فسد الطريق وقتل الأعشاب فماتت أبقاره عدا أربعة منها، فصرف رجاله وأخذ ينتقل بها من مكان إلى آخر، وكان في نيته أن يصل إلى حلب الشهباء يؤدي ما عليه من ديون هناك حسب طاقته ويطلب تأجيل ما بقي عليه منها إلى العام القادم لأن تجارته في هذا العام لم تربح، وإن مع العسر يسراً.

وفي مساء ذات يوم وصل إلى قرية صغيرة في طريقه من الموصل الحدباء إلى حلب الشهباء، فطرق باب أحد بيوتها، فلما خرج إليه رب الدار أخبره بأنه ضيف الله وأنه يريد أن يبيت ليلته في داره، فإذا جاء الصباح سافر إلى قرية أخرى، ولم تكن حينذاك فنادق يأوي إليها المسافرون، ولم تكن يومئذ مطاعم يتناول الغرباء فيها طعامهم، لقد كان الغريب أو المسافر يطرق أي دار من دور المكان الذي يصل إليه ثم يحل ضيفاً بين ظهراني أهله ينام كما ينامون ويتناول من طعامهم بدون أجر أو مقابل كما هي عادة العرب، ورحب صاحب الدار بضيفه

وأدخل أبقاره صحن داره وقدم الطعام للضيف والعلف للأبقار، كان صاحب البيت معدماً، وكان قد أصابه ما أصاب الناس من هطول الثلج بكثرة، ولمدة طويلة فماتت مواشيه وتضرر زرعه، وكان متزوجاً وله ولد واحد في العقد الثاني من عمره، وكان في داره غرفتان غرفة يأوي إليها هو وزوجه وغرفة يأوي إليها ولده، واجتمعت العائلة حول الضيف الجديد، وابتدأ السمر شهياً طلياً عرف المضيف من خلاله أن ضيفه يحمل مبلغاً من المال، وفي الربع الثاني من الليل أوى المضيف مع زوجه إلى غرفتها، وأوى الضيف إلى غرفة ولد المضيف فنام الولد على فراشه في الزاوية اليمنى من الغرفة وأوى الضيف إلى فراشه في الزاوية اليسرى من الغرفة، وبعد أن سأل المضيف ضيفه عما إذا كان يحتاج إلى شيء ما واطمأن إلى راحته وتأكد حتى من وجود الماء لديه غادر إلى غرفته لينام هو أيضاً، وفي غرفته همست له زوجته: يا فلان إلى متى نبقى في عوز شديد؟ هذا الضيف غني ونحن بأشد الحاجة إلى ماله وأبقاره، إننا مقبلون على مجاعة لا يستطيع الأغنياء أن يتغلبوا عليها إلا بمشقة بالغة وسنموت نحن بدون ريب، إننا نأكل يوماً ونجوع أياماً فكيف بنا إذا حلت بالقرية المجاعة المترقبة ولا مال عندنا ولا طعام؟ إن الفرصة سانحة اليوم ولن تعود مرة أخرى في يوم من الأيام، هلم إلى الضيف فاسلبه ماله وخذ أبقاره حتى نبقي على حياتنا وحياة ولدنا الوحيد، فقال لها الرجل: كيف وهو ضيفنا؟! كيف أسلبه ماله وأبقاره؟ كيف يسمح لنا بسلبه؟ قالت له زوجته: اقتله ثم نرميه في حفرة قريبة في بطن هذا الوادي ومن يعرف بخبره؟ من!! وتردد الرجل وألحت المرأة وكان الشيطان ثالثهما فزُين للرجل قول امرأته، وألح هو أيضاً في الإقدام على قتل الضيف.. ولكي تقطع

المرأة على زوجها داء تردده، ولكي يقطع عليه الشيطان قالت المرأة لزوجها: إن ما تفعله ضرورة لإنقاذنا من الموت الأكيد والضرورات تبيح المحظورات!.

واقتنع الرجل أخيراً وعزم على قتل الضيف وسلب ما لديه من مال ومتاع، كان الوقت في الثلث الأخير من الليل وكان كل شيء هادئاً ساكناً، وكانت الأنوار مطفأة ولم تكن أنوار المنازل في حينه غير سراج يوقد بالزيت، وقصد الرجل خنجره وشحذه ثم يمم شطر غرفة الضيف وابنه ومن ورائه زوجته تشجعه...

ومشى رويداً رويداً على رؤوس أصابع رجليه واتجه شطر الزاوية اليسرى من الغرفة حيث يرقد الضيف، وتحسس جسمه حتى تلمس رقبته ثم ذبحه كما يذبح الشاة.. وجاءت إلى الرجل زوجته وتعاونا على سحب الجثة الهامدة إلى خارج الغرفة حيث اكتشفا هناك أنهما ذبحا ابنهما الوحيد وشهق الرجل شهقة عظيمة وشهقت المرأة فسقطا مغشياً عليهما، وعلى صوت الجلبة استيقظ الضيف واستيقظ الجيران ليجدوا ابن الرجل قتيلاً وليجدوا أمه وأباه مغشياً عليهما راقدين إلى جانب الجثة الهامدة على الأرض، وسارع الضيف وسارع الجيران إلى الرجل وامرأته بالماء البارد يرشونه على وجهيهما ، وسارع هؤلاء إلى تدليك جسدي الرجل وامرأته، فلما أفاقا أخذا يبكيان بكاءً مراً، وطلبا إلى الجيران إبلاغ الحادث إلى الشرطة فجاءت على عجل وألقت القبض على الجانيين.

ما الذي حدث في غرفة نوم الضيف وابن المضيف..؟

لقد قام الابن إلى فراش الضيف بعد أن غادر أبوه الغرفة وأخذ الرجلان

يتجاذبان أطراف الحديث، وكان الحديث ذا شجون فطال أمده حتى نـام الولـد على فراش الضيف بعد أن غلبه النعاس، ولم يشأ الضيف أن يوقظ ابن مـضيفه، فترك فراشه له بعد أن أحكم عليه الغطاء ثم آوى إلى فراش ابن المضيف.

وحين قدم المضيف إلى غرفة الضيف وابنه كان متأكداً من موضع فراش كل واحد منهما، فذبح ابنه وهو يريد الضيف، فكان كالخـارجي الـذي أراد اغتيـال عمرو بن العاص في عماية الفجر فاغتال بدله خارجة بن حذافة، فلما علم بالخبر هتف من صميم قلبه أردت عمراً وأراد الله خارجة، ودفن الجيران الولد القتيـل واستقر أبوه في السجن.

على شجر الخابور على نهر الفرات قرب قرقيسياء كانت يمامتان تتناجيان بـما يتناجى به الناس من خبر قصة الضيف والمضيف وقصة عدالة الله العزيز الحكيم قالت الأولى: إن الله هو الغني والناس فقـراء والله هـو الـرزاق العلـيم ورزقـه مكتوب لكل ذي روح، فليطلب المرء رزقه حلالاً.

وقالت الثانية: لا حارس كالأجل والله هو الرقيب الحسيب، فإذا نام الخلـق فالخالق لا ينام، ولن تموت نفس حتى تستوفي أجلها. ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾[الطلاق:٢] والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

وقالت الأولى: الظلـم لا يـدوم وإن دام لا يـدوم، والعـدل يـدوم ويزدهـر، والظلم ظلمات، ومن بعض ظلماته السجون، والعدل نور ومن بعض نوره راحة الضمير، والوقوف أمام الله تعالى بقلب سليم.

قال الحازمي في «عدالة السماء» ص٤٦ : والقصة أصلها في كتاب المحـاضرة للقاضي التنوخي.

حكاية من مجالس الطبري

من مجالس أبي الحسين الطبري -رحمه الله- من أصحاب الإمام الهادي يحيى بن الحسين -رضوان الله تعالى عليهم-، سمعت من مشائخنا بوقش -رحمهم الله- فيما يعيدون من أخبار أبي الحسين أحمد بن موسى الطبري ويتواعظون به أنها أصابت الناس سنة شديدة وكان لأبي الحسين رحمه الله قطعة أرض قد صارت إليه فتبلغ بثمرها في الوقت بعد الوقت، وكان بها زرع -وأحسبه كان يومئذ بصنعاء- فخرج هو ورجل شريف كان من خواص إخوانه في الله إلى تلك الأرض، لينظر هل صار فيها شيء يتبلغ به فوجد زرعها متأخر الحصاد، فساء ذلك الشريف وغمه، وأبو الحسين صابرراضٍ شاكر لله، فلما رجعا لقيهما قبل أن يصلا رجلٌ فدفع إلى أبي الحسين عشرة دنانير لوجه الله لينفقها على نفسه، فقبلها وسارا، فبينما هما في الطريق إذ لقيهما رجل من أولياء الله وأوليائهما، فشكا إلى أبي الحسين الإعدام وضيق الحال وأن له امرأة تتزحر بولد ولا يعلم لها مما يصلح شأنها مثقال حبة من خردل من متاع الدنيا، فرق له أبو الحسين ورحمه فدفع إليه تلك الدنانير العشرة، فأخذها وانصرف مستريحاً، فأقبل الشريف على أبي الحسين وقال: ألم تكن لتعطيه بعضه وتفرج علينا وعلى أولادنا ببعضها، قال: إني نظرت في أمره فإذا هو يحتاج إلى فراش بكذا ويحتاج طعاماً بكذا أو دهناً بكذا وذكر ما يصلح شأن القوم في تلك الحال فإذا هو يستغرق الدنانير، قال: فلم أر بداً مما صنعت لكن الله لنا ومعنا، فسكت الشريف وانصرفا، فلما صارا إلى منازلهما أتى

آتٍ فقرع على أبي الحسين -رحمه الله- بابه، فخرج إليه فسلم عليه، فقال له الرجل: أنا المولى الذي مررت به بناحية الخشب في سنة كذا وهو يرعى غنماً ويزمر ويغني فنهيته ووعظته وتوّبته، ونفع وعظك وتعليمك، وقد أعتقني من كنت مملوكاً له وأجازني بشيء من ماله فأصلحته وبارك الله فيه، وقد جاءت هذه السنة فرأيت شدتها فذكرتك فرأيت أن أعينك على أمرك بشيء وقد قدمت به، وإذا معه دابتان تحملان براً وكبشان يتبعانها، فسلم ذلك إلى أبي الحسين فحمد الله وأثنى عليه وصرف إلى الشريف حمل دابة وكبشاً وأخذ حمل دابة وكبشاً وتقدم فذبح الكبش الذي صار إليه وأمر فطبخ وعمل من الطعام ما أكلوا وأطعموا ضيفهم.

حكاية أخرى

ومن أخباره -رضي الله عنه- قالوا: كان الطبري -رحمه الله- قد اجتمع له بصنعاء عيال من ولد وأهل وأصحاب فقراء من آل رسول الله ﷺ وغيرهم، وكان إذا جاءه أحد برفد أعانهم مما يرزق ويواسيهم، ويؤثر على نفسه في كثير من الأمور، وكان له إخوة باليمن وأصدقاء يرون له حقاً عليهم فخرج زائراً لهم ملتمساً من فضل الله ما يعين به من خلفه، فلبث في سفره حتى أصاب خيراً كثيراً وراح بشيء ينفعهم به ويفرحهم، من كسوة وغيرها من نقد وعرض، فلما صار عند طرف الحمراء وهو الجبل الذي يتصل بجبل نقم المطل على صنعاء مما يلي عَلِب من أرض الأبناء، خرج عليه لصوص فأخذوا ما معه، فلما حازوه قال: يا إخوة العرب هل لكم في شيء من المروءة والكرم؟ قالوا: وما هو؟ قال: قد

صرت في أيديكم وليس لي عليكم يد، فيقال خفتموني وقد جئت بها ترون أهوي به إلى الفقراء ومساكين خلفي، أعينهم إليه ممدودة، فهل لكم في خير؟ قالوا وما هو؟ قال: تفوزون بشرف الذكر وبالشكر مني ما بقيت، تقسمون لي معكم نصيباً من هذا آتي به من خلفي فلعل الله يثيبكم على ذلك وتأخذون نصيبكم حلالاً ويشكركم الناس. فرقّوا لكلامِه وأجابوه إلى ما طلب، فقَسموا له نصف المتاع، وكانوا قد أبقوا عليه ثيابه إما حياءً وتكرماً من أهل ذلك الزمان أو لما رأوا عليه من سيما الدين والحياء ونحو ذلك، فلما فعلوا أخرج إليهم ما كان معه من دنانير وقال: قد بقي معي نصيبكم من هذه الدنانير، فأعجبهم ذلك، ثم بايعهم بنصيبه منها في نصيبهم من الثياب وتلك العروض التي ينتفع بها أولئك الذين يعول أكثر من نفع الدنانير، فبقي عليه منها ثلاثون ديناراً فقال: لو تبعني لها أحدكم إلى صنعاء ما كان عليه بأس ولشكر صحابتي فقد لزمني لكم ولزمكم لي حق الصحابة في نحو هذا الكلام، فقال أحدهم: ليس ما يأتيني من هذا الشيخ بعد هذا سوء. فسار معه وخلوه يتبعه، فأتيا صنعاء فتلقاه إخوانه فسلموا عليه وأخبر بعضهم بعضاً حتى اجتمع منهم من أغنيائهم فسألهم تلك الدنانير الثلاثين، ففعلوا وعمدوا إلى كبش فأمر به فذبح وعمل طعاماً ودفع إلى الرجل الدنانير والطعام، وقال: احمل هذا لأصحابك فلا أشك أن عهدهم بالطعام بعيد في ذلك الجبل، فلما أتاهم الطعام والدنانير وأثنى الرجل على أبي الحسين خيراً رقت قلوبهم وخشعوا، وعلموا أنه الإيمان والصدق لله وفي الله، فأناب إلى الله تعالى من أناب، وصار أولئك من أصحاب الطبري.

حكاية صاحب شرطة بغداد واللصوص والملاح

عن محمد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي قال: حدثني صاحب الربع بباب الشام وأسماه لي، قال: كنت أعمل في أصحاب الشرط مع أبي الحسن الأبزاعجّي صاحب شرطة بغداد، فأخرج لصوصاً من الحبس واستأذن معز الدولة في صلبهم وقتلهم عند الجسر، فأذن في صلبهم عشياً وكانوا عشرين رجلاً، ووكل بهم جماعة كنت فيهم والرئيس علينا فلان. وقال: كونوا عند خشبهم بقية يومكم وليلتكم حتى إذا كان من غد ضربتم أعناقهم هنا. وقضينا الليل نوماً فثقل رئيسنا في نومه وجماعتنا فاحتال بعض اللصوص في أن قطع الحبل ونزل من الخشبة فما انتبهنا إلا بصوت وَقْعِهِ وعَدْوِهِ، فعدا رئيسنا خلفه وأنا معه فما لحقناه وخفنا أن يتشوش الرجال الباقون فيفلت إنسان آخر فرجعنا مسرعين وجلسنا مغمومين مفكرين ماذا نعمل. فقال رئيسنا: إن الأبزاعجّي لا يقيل لي عثرة ولا يقبل مني عذراً ويقع له أنني قد أخذت من أحد اللصوص مالاً وأفلته فيضربني للتقرير فلا أقر فيقع له أنني أتجلد عليه فيمر الضرب علي إلى أن أتلف فما الرأي؟ فقلت: تهرب، قال: فمن أين أعيش؟ فقلت: هذا نصف الليل ولم يعلم بما جرى أحد فقم حتى نطوف فلا يخلو أن يقع في أيدينا مشؤوم قد حانت منيته فنوثقه ونصلبه ونقول له: سلمت إلينا عشرين رجلاً فإنه ما أثبت حلاهم [يعني ما يرى من لونه ظاهر وهيأته] فقال: هو صواب. فقمنا نطوف وسلكنا طريق الجسر لنعبر إلى الجانب الغربي فرأينا في أسفل كرسي الجسر رجلاً يبول فعدلنا إليه فقبضنا عليه فصاح: يا قوم ما لكم؟ أنا رجل ملّاح صعدت من

سمريّتي أبول وهذه سمريّتي -وأومأ إليها- أي شيء بيني وبينكم؟فضربناه، وقلنا: أنت اللص الذي هرب من الخشبة، وجبناه[يعني أحضرناه] ورقيناه إلى الخشبة وصلبناه مكان اللص الهارب وهو يصيح طول الليل ويبكي، فتقطعت قلوبنا رحمة له، وقلنا: مظلوم ولكن ما الحيلة؟ فلما كان من الغد ركب الأبزاعجّي إلى الحبس وجآء وقد اجتمع الناس ليضرب أعناق القوم فصاح به الملاح أيها الأستاذ -وكذا كان يخاطب وهو اسم لكل من يتقلد رياسة الشرطة ببغداد-بوقوفك بين يدي الله ادعني واسمع مني كلامي فلست من اللصوص الذين أخرجتهم وأمرت بصلبهم وأنا مظلوم وقد وقعت بي حيلة- فأنزله وقال: ما قصتك؟ فشرح له حديثه على حقيقته، فدعا بنا وقال: ما هذا الرجل؟ فقلنا ما نعرف ما يقول سلمت إلينا عشرين رجلاً وهؤلاء عشرون رجلاً، فقال: قد أخذتم من أحد اللصوص دراهم وأطلقتموه واعترضتم هذا من الطريق رجلاً غريباً بريئاً فأخذتموه، فقلنا: ما فعلنا، اللص الذي سلمته إلينا هو هذا.

فضرب أعناق الجماعة وترك الملاح وقال: هاتم السجانين والبوابين فجاءوا، فقال لهم: هذا من جملة العشرين الذين أخذناهم، فتأملوه بأجمعهم، وقالوا: لا، ففكر ساعة ثم أمر بإطلاقه. ثم قال: هاتوه إلي فرددناه، فقال: اشرح لي قصتك، فأعاد عليه الحديث فقال له: في نصف الليل أي شيء كنت تعمل هناك في ذلك الموضع؟ فقال: كنت قد بت في سماريتي فأخذتني بولة فصعدت أبول، قال: ففكر ساعة، ثم قال له: اصدقني على الحقيقة حتى أطلقك، أي شيء كنت تعمل هناك؟ فلم يخبره بغير ذلك، قال: وكان من رسمه إذا أراد أن يقرر إنساناً قرره، وهو قائم بين يديه نفسين ووارئه جماعة بمقارع، فإذا حك رأسه ضُرب المقرّر

واحدة جيدة عظيمة، فيقول للذي ضربه قطع الله يدك ورجلك يا فاعل يا صانع من أمرك بضربه؟ ولم ضربته؟ تقدم يا هذا، لا بأس عليك اصدق فقد نجوت، فإن أقر وإلا حك رأسه ثانية وثالثة أبداً على هذا وكذا كانت عادته في جميع الجناة وهو رسم له معروف عند المتصرفين بحضرته.

قال: فلما أطال عليه الملاح حك رأسه فضرب قفاه بعض القائمين بمقرعة ضربة عظيمة فصاح الملاح. فقال الأبزعجّي من أمرك بهذا يا فاعل يا صانع قطع الله يدك، ثم قال الملاح: أيها الأستاذ الله شاهد عليك أنني آمن على نفسي وأعضائي حين أصدق؟ فقال له: نعم. قال: أنا رجل ملاح أعمل في المشرعة الفلانية يعرفني جيراني بالستر وقد كنت سرّحت سماريتي إلى سوق الثلاثاء البارحة بعد العتمة أتفرج في القمر فنزل خادم من دار لا أعرفها فصاح: يا ملاح. فقدمت سماريتي بالشاطئ فسلم إلي امرأة نظيفة حسنة ومعها صبيتان، وأعطاني دراهم صحاحاً وقال: احمل هؤلاء إلى المشرعة الفلانية بباب الشماسية، فصعدت بهم قطعة من الطريق فكشفت المرأة وجهها فإذا هي من أحسن الناس، وجهها كالقمر فاشتهيتها فعلّقت مجاديفي في الكرك وهو تثبيت القارب، وأخرجت السفينة إلى وسط دجلة وتقدمت إلى المرأة فراودتها عن نفسها، فأخذت تصيح فقلت لها: والله لئن صحت لأغرقنك الساعة فسكتت وأخذت تمانعني عن نفسها واجتهدت بأن أقدر عليها فما قدرت، فقلت لها: من هاتان الصبيتان منك؟ فقالت: بنتاي. فقلت لها: أيما أحب إليك تمكنيني من نفسك أو أغرق هذه؟ وقبضت على واحدة منهن، فقالت: أما أنا فلا أطيعك اعمل ما شئت، فرميت إحدى الصبيتين في الماء فصاحت فضربت فاها وصحت معها: والله لا

طلّقتك ولو قتلتني. ليشتبه ذلك على من عساه يسمع الصياح في الليل . فسكتت وأخذت تبكي، ثم تركتها ساعة وقلت لها: دعيني أفعل بك وإلا أغرقت الأخرى، فقالت: والله لا فعلت، فأخذت الصبية الأخرى فرميت بها في الماء فصاحت وصحت معها، ثم قلت لها : ما بقي الآن إلا قتلك فدعيني وإلا قتلتك وأخذت بيدها وشلتها لأرمي بها إلى الماء. فقالت: أدعك فرددتها إلى السمارية فمكنتني من نفسها فوطئتها، وسرت لأمضي بها إلى المشرعة. فقلت في نفسي: هذه الساعة تصعد إلى دارها وإلى الموضع الذي تأوي إليه فتنذر بي فأؤخذ وأقتل وليس الوجه إلا تغريقها فجمعت يديها ورجليها ورميت بها إلى الماء، فحين غرقت فكرت فيما ارتكبته وعظم ما جنيته فندمت وكنت كرجل كان سكراناً فأفاق، فقلت: أي شيء أعمل؟ ليس إلا أن أنحدر إلى البصرة أغوص في أنهارها فلا أعرف، فانحدرت فلما صرت حذاء الجسر أخذتني بطني وقلت أصعد وأتفسح وأعود إلى سماريتي فصعدت، فأنا جالس أتغوط فما أحسست حتى قبض هؤلاء علي، قال: فقال له الأبزاعجّي مطايباً: يا هذا أي معاملة بين مثلك وبيني انصرف بسلام، فظن بجهله أن ذلك حقيقة فولى لينصرف فصاح به وقال: يا فتى هو ذا! تنصرف وتدعنا من حَقًا (عاميه عراقيه) فلا أقل من أن ترجع لنحلفنك أنك لا تعود إلى مثل هذا. فرجع فقال: خذوه، فأخذوه، فقال: اقطعوا يده، فقال: يا سيدي أليس قد أمّنتني؟ فقال: يا كلب وأي أمان لمثلك؟ قد قتلت ثلاثة أنفس وزنيت وأخفت السبيل.

قال: فقطعت يداه ورجلاه ، ثم ضربت عنقه، وأحرق جسده بالنار في مكانه.

حكاية الرجل الصالح وعائلته القانعة بما كتب الله تعالى

وحكى الحازمي في كتابه عن اللواء الركن محمود شيت خطاب (عراقي متقاعد) قال:

كان رجلاً معدماً ولكنه سعيد، وكانت له عائلة مكونة من زوجة وخمسة أولاد وأختين ووالدة طاعنة في السن. له حانوت يبيع فيه الخضروات، اليقطين، والباذنجان، والسلق، والفجل، والطماطم .. إلخ، حانوته هذه في طريق فرعية يبيع فيه سلعته على جيرانه من الفقراء فلم يكن له من المال ما يؤجر به حانوتاً في موقع ممتاز أو يشتري به سلعة ممتازة. أما داره الخربة فتسمى من باب المجاز داراً فليست في حقيقتها إلا غرفة واحدة حولها ركام من الأنقاض، وفي هذه الغرفة ينام أفراد العائلة يطبخون ويستحمون، وإذا ما عاد الرجل إلى داره بعد غروب الشمس ومعه الخضرة واللحم والخبز تستقبله العائلة كلها بالفرح، والتصفيق، والأغاني والأهازيج، ويتناولون منه ما بيديه من طعام، ويهرعون إلى القدر لإعداد العشاء، ولم يكن في كل يوم يحضر اللحم، فإذا كان مبيعه اليومي رابحاً استطاع أن يشتري لحماً وإلا فعشاء عائلته من بقايا ما كسد من خضرة حانوته، وكانت تلك العائلة تسكن إلى جوار حاكم في المحكمة العليا، وكان ذلك الحاكم يعطف على تلك العائلة ويزورها بين حين وآخر، وهذا الحاكم كثيراً ما حدثني عن عائلة جاره، قائلاً: لم أر في حياتي عائلة سعيدة مثل هذه العائلة، ولم أر فرحاً غامراً كالفرح الذي يشيع في العائلة عندما يعود ربها من عمله مساءً، وكنت كثيراً ما أحب أن أعيش وقتاً سعيداً بينها حين يصل جاري إلى داره فتستقبله

العائلة كلها بالتهليل والتكبير، ثم يبدأ عملها الدائب في إعداد العشاء فإذا نضج الطعام بدأوا يتناولونه من إناء كبير، فإذا انتهوا من عشائهم حمدوا الله تعالى وشكروه وأكثروا من حمده وشكره ثم أووا إلى فراشهم الخلق البسيط فرحين قانعين لا يتمنون على الله غير الستر والعافية وألاَّ يحتاجوا إلى إنسان.

وفي يوم من أيام الخريف كانت العائلة تنتظر رجلها مساءً على باب الدار ، فإذا بهم يرون بعض الشرطة يحملون نعشاً، فلما تبينت العائلة الأمر وجدت معيلها الوحيد هو المحمول في النعش. كان قد أغلق حانوته وقصد القصاب المجاور فاشترى لحماً، وقصد الخباز القريب فاشترى خبزاً وحمل بقايا خضرته من دكانه، فلما أراد عبور الشارع دهسته سيارة طائشة فمات الرجل فوراً وتبعثر ما كان معه من زاد، وتجمع الجيران حول النعش، وجمعوا من سراتهم بعض المال وأنفقوا على تجهيز الجثة الهامدة ما جمعوا، وقدموا ما تبقى من مال زهيد إلى العائلة، وفي صباح اليوم التالي واروا الفقيد إلى مقره الأخير، وكان أكبر أولاده في سن الخامسة عشرة يدرس في الصف الثاني في المدرسة المتوسطة الشرقية ليعد نفسه ليكون موظفاً صغيراً بعد تخرجه من الإعدادية فيعاون أهله، وبعد يومين من موت والده نفذ آخر ما جمعه الجيران من مال للعائلة، وفي اليوم الثالث قصد حانوت والده، وبدأ يعمل فيه كل يوم بعد غروب الشمس كما كان يفعل والده ولكن الإبتسامات غاضت إلى غير رجعة... والفرح مات إلى الأبد، وكان الطعام الذي تتناوله العائلة ممزوجاً بالدموع، لقد دفنت العائلة سعادتها مع فقيدها الحبيب.

ومر ت الأيام ثقيلة بطيئة، ودار الزمن دورته فانقضت ثلاث سنوات ، ودعي الولد إلى الخدمة في الجندية بعد أن استكمل الثامنة عشرة من عمره.. واجتمعت

العائلة تتداول الرأي هل يترك الابن الثاني مدرسته وقد أصبح في الصف الرابع الإعدادي ولم تبق له غير سنة ليتخرج من الإعدادية ليتولى إدارة حانوت أخيه؟ وإذا لم يفعل فمن يعيل أهله، واستقر رأي العائلة على بيع الدار ولو أن الخروج منها كخروج الشاة من جلدها لا يسمى إلا موتاً أو سلخاً...! والتحق الابن الأكبر بالجندية في بلد مجاور يتدرب على استعمال السلاح وكان معلم التدريب العسكري يلاحظه فيجد فيه ذهولاً وانصرافاً عن التدريب، فكان ينصحه تارة ويعاقبه بالتعليم الإضافي تارة أخرى، دون جدوى، لقد كان حاضراً كالغائب، وكان جسمه فقط مع إخوانه الجنود في التدريب ولكن عقله كان بعيداً..بعيداً.. هناك عند عائلته. واستدعاه معلمه يوماً وسأله عن مشكلته ففتح له قلبه وأخبره بأمره فبادله المعلم الإنسان حزناً بحزن، وأسى بأسى، وكف عن ملاحقته في أمر إتقان التدريب وعرض المعلم مشكلته، على آمر الفيصلة، فأمر بتعيينه في مطبخ الجنود يغسل القدور، ويقطع اللحم، ويوقد النار، ويوزع الطعام.

أما أمه..فكانت هي أيضاً حاضرةً كالغائبة، استقرضت بعض المال من أحد سماسرة بيع الدور لتطعم العائلة به ورهنت سند الدار عند السمسار وعرضت الدار للبيع، واستمر عرض الدار أياماً على الراغبين بشرائه، وأخيراً بعد مرور عشرين يوماً باعت الدار بأربعمائة دينار، ثم قضت تسعة أيام في معاملات حكومية رتيبة لنقل ملكيتها إلى المالك الجديد. وبقي يوم واحد على موعد إعطاء البدل النقدي ولدها، وكان عليها أن تسافر إلى المدينة التي استقر فيها ولدها في الجندية مساء اليوم التاسع والعشرين، لتسلم البدل النقدي، صباح يوم الثلاثين، فإذا تأخرت عن ذلك الموعد ساعة فلن يقبل من ابنها البدل النقدي، وقصدت الأم مأوى السيارات التي تنقل الركاب من بلدتها إلى بلدة ولدها فوجدت السيارات ولم تجد الركاب.

كان الوقت قبيل المغرب من أيام الصيف وانتظرت ساعة في مأوى السيارت دون أن يحضر مسافر واحد. وانتظرت على أحر من الجمر وقد غابت الشمس والمسافة بين المدينتين حوالي أربعين ومأتين كيلو متر تقطع بالسيارة في ساعتين ونصف، فإذا لم تسافر ليلاً ضاع عليها الوقت ولن تصل إلى مدينة ولدها إلا في صباح اليوم التالي، وعرضت على سائق إحدى السيارات أن تستأجر وحدها سيارته على أن يسافر بها فوراً وقبض السائق أجرة سيارته كاملة من المرأة، وتحركت السيارة في طرق جبلية وفي الطريق تحدث السائق إلى المرأة فعلم منها قصة بيع الدار وقصة دفع البدل النقدي عن ولدها، وتدخل الشيطان بينهما فلعب دوره في تخريب ضمير السائق فعزم على تنفيذ خطة لاغتصاب المال من المرأة المسكينة. وفي إحدى منعطفات الطريق حيث يستقر إلى جانب الطريق الأيمن وادٍ صخري سحيق أوقف السائق سيارته فجأة، وسحب المرأة قسراً من السيارة إلى خارجها ونزلا إلى مسافة عشرين متراً في الوادي السحيق، وهناك طعن المرأة بخنجره عدة طعنات فلما تراخت وظن أنها فارقت الحياة، سلبها مالها وعاد إلى سيارته تاركاً المرأة في مكانها تنزف الدماء من جروحها. وقصد المدينة التي كان متجهاً إليها فقد خشي أن يعود إلى المدينة التي خلفها وراءه لئلا ينكشف أمره إذ يعود إليها بدون مسافرين وقبل الوقت المعقول لذهابه وإيابه..!

وعندما وصل إلى المدينة أوى إلى مأوى السيارات، فزعم لأصحابه أن المسافرين الذين كانوا معه قد غادروا سيارته بعد عبور الجسر ووجد ركاباً ينتظرون السفر إلى البلد التي غادرها مساءً فسافر بهم عائداً من نفس الطريق، وحين وصل إلى المكان الذي ارتكب فيه جريمته الشنعاء أوقف سيارته وادّعى

لركابها أنه يريد أن يقضي حاجته ثم يعود إليهم فوراً.. وانحدر إلى الوادي فسمع أنيناً خافتاً فقصد المرأة السابحة ببركة من الدم وقال لها: ملعونة، لا تزالين على قيد الحياة حتى الآن، وجمدت المرأة في مكانها وانتظرت مزيداً من الطعنات..! وانحنى السائق إلى صخرة ضخمة ليحطم بها رأس المرأة الجريحة، وما كاد يضع يديه تحت الصخرة إلا وصرخ صرخة عظيمة هزت الوادي الصخري السحيق ورددتها جنباته الخالية إلا من الوحوش والأفاعي والهوام، وسمعها ركاب السيارة فهرعوا لنجدته، كانت تحت تلك الصخرة الضخمة التي أراد السائق المجرم رفعها ليقذف بها رأس المرأة الجريحة حية سامة لدغته حين كان يهم بحمل الصخرة العاتية فسقط إلى جانب المرأة يستغيث ويتألم..! وحمل المسافرون السائق وحملوا المرأة، وانتظروا حتى قدمت سيارة أخرى فاستوقفوها وطلبوا من سائقها حمل المرأة والسائق إلى المستشفى التي كانت في المدينة التي يستقر فيها ولد المرأة الجريحة. وفي الطريق فارق الحياة ذلك السائق المجرم متأثراً بالسم الزعاف. وفي المستشفى قدم الشرطة والمحققون العدليون فعرفوا القصة كاملة وانتزعوا مال المرأة من طيات جيوب السائق اللعين، وطلبت المرأة حضور ولدها فحضر في الهزيع الأخير من الليل وراحت المرأة في غيبوبة عميقة، فظن الأطباء والممرضون أنها تعاني سكرات الموت، وعمل الطبيب على نقل الدم إليها، وفي ضحى اليوم التالي فتحت عينيها لتقول لولدها: إدفع البدل النقدي سريعاً، ثم أغمضت عينيها وراحت في سبات عميق، ودفع الولد بدله النقدي وسرح من الجيش... وتحسنت صحة أمه يوماً بعد يوم حتى تماثلت للشفاء، حيث غادرت المستشفى إلى أهلها، وذهبت قصة نجاتها وقصة موت السائق وقصة الحية المنقذة شرقاً وغرباً، وأصبح حديثها حديث الناس جميعاً...ولقد كان الوادي الذي ارتكب السائق فيه جريمته والذي قذف بين صخوره المرأة الجريحة من الوديان الموحشة

الخالية من الماء والكلأ، فلا يسلكه الناس ولا يطرقونه حتى الرعاة لا يجدون فيه ما يفيد ماشيتهم، فأصبح موطناً آمنا للذئاب والأفاعي. وما كانت المرأة الجريحة لتسلم من الموت الأكيد لو لم يعد إليها الجاني مدفوعاً بغريزة حب الاستطلاع، وما كان المسافرون مع الجاني ليعرفوا موضع المرأة لو لم يصرخ الجاني صرخة مدوية بدون شعور ولا تفكير، متألما من لدغة الأفعى السامة.

وما كان ولدها ليدفع البدل النقدي لو قدمت أول سيارة من المدينة التي كان فيها، لأنها ستنقل أمه ولضاع عليه الوقت المحدد لدفع البدل النقدي، لقد كان ذلك كله من تدبير العلي القدير... قال الحاكم الذي هو جار لتلك العائلة: سمعت قصة جارتنا كما سمعها الناس فاشتركت مع الجيران الآخرين لجمع ثمن دارها حتى تستعيدها من صاحبها الجديد. وسمع صاحب الدار الجديد هو الآخر بقصتها فأعاد إليها سند الدار وملكيتها، وبقي المبلغ الذي جمعه لها الجيران مع ثلاثمائة دينار من أصل ثمن الدار، فجددت بذلك المبلغ بناء الدار، وأقبل الناس على حانوت ولدها يشترون سلعته ويتسابقون على معاونته.. وفي خلال سنة واحدة تضخم عمله، وأقبلت عليه الدنيا، فانتقل إلى حانوت كبير في شارع عام في موقع محترم.. ومرت السنون وفي كل عام كان في الدار بناء جديد، وتخرج الأولاد من مدارسهم واحداً بعد الآخر فأصبح أحدهم مهندساً والآخر طبيباً والثالث ضابطاً في الجيش .. ولم يعد طعامهم اليومي من الشاي والخبز، أو من الخبز والخضرة، بل كان لهم لحم في كل يوم مع ألوان شهية أخرى من الطعام، وفتح الله تعالى عليهم باب بركاته وأغدق عليهم رعايته، وجعلهم مثالا للخلف الكريم بين الناس متعاونين في السراء والضراء، وعلى ضفاف دجلة قرب الجسر الكبير في بغداد دار عامرة بالخير، والوفاق، والسعادة هي الدار الجديدة التي

انتقلت إليها العائلة الصابرة المحتسبة عام١٣٨٥هـ وقد تضاعف عـدد العائلـة فأصبحت أربع عائلات، فقد تزوج الأولاد الكبار الثلاثة وأخصبوا، ولكن رباط العائلة ما زال قويا وأم الأولاد لا تزال سيدة البيت بدون استثارة ولا إزعاج. لقد سمعت قصة هذه العائلة من صديقي الحاكم الكبير فأردت أن أسمعها من أحد أفرادها. وسألت الابن الأكبر الذي كان خضرياً فقيراً فأصبح تاجراً كبـيراً، أن يحدثني حديث أمه فقال: ولماذا لا تسمع حـديثها منهـا؟ وكنـت ذات مـساء في دارهم العامرة على ضفاف دجلة أسرح النظر في انعكاس نور القمـر عـلى المـاء الرائق المتدفق وأنا أصغي إلى أغاني ملاحي السفن الشراعية، والسفن التجارية، وترديد ركابها منتظراً انقضاء صلاة الوالدة، وجاءت الأم وقد أحاطت شعرها الأبيض بغلالة بيضاء وفي وجهها نور وعلى قسماته ابتسامة، وعلى لسانها ذكر الله تعالى.. وروت لي قصتها كاملة، فقلت لها: وماذا كان شعورك حين تركك الجاني وحيدة تشخب جروحـك دمـا في بطـن الـوادي الـسحيق؟ فقالـت: والإيـمان الصادق يشع من كلماتها كنت أخاطب الله -عز وجل- بقولي: يا جبار السموات والأرض أنت أعلم بحالي فهيء لي بقدرتك القادرة أسباب دفع البدل النقـدي عن ولدي ليعود إلى أهله ويعيلهم..يا رب..

واستجاب الله دعاءها وأعاد إليها مالها وولدها، وانـتقم لهـا مـن خـصمها، وبدّل حال العائلة الفقيرة إلى أحسن حال.

تلك قصة من الواقع .. ولكن حوادثها أغرب من الخيال.

إن الناس يغفلون وينامون والله وحده لا يغفل ولا ينـام، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾[هـود:٦] والله لاينــسى رزق النملـة في الـصخرة

القاسية وسط عباب المحيط فكيف ينسى أرزاق الأرامل واليتامى؟!

والناس يخشون الناس والله أحق أن يخشوه، والله يمهل ولكن لا يهمل، دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب.

فعليك أيها المسلم أن تبتعد عن الظلم ودوافعه وتذكر قدرة الله عليك، تذكر من لا تخفى عليه غائبة في السماء ولا في الأرض. تذكر أن الظلم ظلمات في الدنيا والآخرة... اللهم جنبنا الظلم وأهله واكفنا شر الأشرار، وعمل الفجار اللهم آمين اللهم آمين.

الملاح القاتل للطفل وأمه

حكم عليه بالإعدام شنقاً حتى الموت، فنفذ فيه الحكم علناً في ساحة من أكبر ساحات بغداد فمضى إلى ربه كما مضى غيره من الناس.

ولكن القصة لا تبدأ هكذا.

كان يعمل جزاراً وكالعادة قصد المجزرة في الهزيع الأخير من الليل، وذبح في تلك المجزرة أغنامه قبل الفجر، وأوكل أمر نقلها إلى حانوته التي يبيع فيها الأغنام المذبوحة إلى شريكه.

وعاد مع الفجر إلى داره التي تقع على جانب طريق ضيقة متعرجة مسدودة من تلك الطرق التي كانت شائعة في الأحياء القديمة من بغداد قبل أربعين عاماً، وفي طريق عودته من المجزرة إلى داره وعلى بعد أمتار معدودات منها في تلك الطريق الضيقة المتعرجة المسدودة سمع صرخة مستغيث فهرول مسرعاً باتجاه

الصوت المستغيث، وعثر الرجل وهو يهرول بجثة قتيل يلفظ أنفاسه الأخيرة يسبح ببركة من دمه النازف فتلطخت يداه وثيابه بالدماء، وسقطت سكينة من وسطه على صدر القتيل، فتلوثت هي الأخرى بالدماء، وأصيب بصدمة عنيفة، ولكنه لم يكد يصحو من هول هذه الصدمة إلا وأصيب بصدمة أخرى أشد هولاً من سابقتها، فقد أحاطت به جماعة من الحراس الليليين المسلحين بالهراوات، والبنادق، والمسدسات، فأمروه بالنهوض، ورفع يديه فنهض عن جثة القتيل، ورفع يديه وهو في حالة يرثى لها من الفزع والهلع، فالتقط أحد الحراس الليليين سكين الجزار الملوثة بالدماء والتي سقطت على جثة القتيل، واجتمع عدد من الناس حول الحراس، وتطلع قسم من الجيران ليعرفوا حقيقة الأمر، واقتيد الجزار إلى مخفر من مخافر الشرطة القريبة.

وبدأ فوراً التحقيق في قضية مقتل الرجل، وشهد الحراس الليليون بأنهم كبسوا على الجزار وهو على صدر القتيل، وأن سكينه التقطت من فوق القتيل ولم يجدوا غيره بالقرب من مصرع القتيل في ذلك الوقت المبكر من الفجر.

وأيد قسم من الشهود الذين تجمعوا وتطلعوا شهادة الحراس الليليين فاقتنعت المحكمة بأن الجزار هو القاتل، فحكمت عليه بالإعدام شنقاً حتى الموت، ولم يسمع أحد لإنكاره بأنه ليس القاتل، ولم يصدق أحد قصته الحقيقية بأنه عثر بالقتيل وهو في طريقه إلى داره فجراً، وذهبت أقواله وتشبثاته أدراج الرياح، ولكنه بعد صدور الحكم عليه، قال لقضاته الذين تولوا محاكمته على مسمع من الحاضرين: إن أقوالي صادقة، وأقوال الشهود كاذبة، ولكنني أستحق الحكم علي بالإعدام لأنني قتلت طفلاً رضيعاً وأمه قبل سنوات، ففتشوا عن

القاتل الأصلي الذي ارتكب جريمة القتل وأفلت من العقاب.. ونفذ فيه حكم الإعدام شنقاً حتى الموت، وكان بالإمكان أن يمر إعدام الجزار كما مر إعدام غيره من المجرمين دون أن يترك أثراً في المجتمع أو يترك أثراً محدوداً في المجتمع يزول بمرور الأيام، ولكن إعدام هذا الجزار ترك أثره العميق في المجتمع، بحيث لا يزال يتردد حديثه حتى اليوم، وسرُّ هذا الأثر يكمن في أنه كان بريئاً من دم القتيل الذي أعدم بسببه، ولكنه لم يكن مظلوماً في الحكم عليه بالإعدام؛ لأنه كان مديناً بقتل طفل ووالدته، عجز البشر في حينه عن اكتشاف قاتلهما ولكن الله كان له بالمرصاد.

نشأ في عائلة فقيرة جداً لا تكاد تحصل على قوتها اليومي إلا بشق الأنفس، في حي من أحياء الرصافة من بغداد، وفي السادسة عشرة من عمره عمل في قارب من قوارب العبور ملاحاً في نهر دجلة بين جانبي بغداد- الرصافة- والكرخ، ومرت عليه ست سنوات في عمله الدائب الذي قد يستمر في بعض الأحيان ليلاً ونهاراً لا يعرف للراحة طعماً إلا حين يأوي إلى فراشه لينام قليلاً، وكان ما يجمعه يومياً لا يكاد يسد رمق عائلته الكبيرة المؤلفة من أبوين شيخين، وخمسة إخوة، وست أخوات، وكان هو بكر والديه.

وذات صباح من أيام الصيف في بغداد كان على ضفة دجلة اليمنى حيث جانب الكرخ من بغداد جاءته فتاة مع أمها يبلغ عمر الفتاة ستة عشرة سنة، ونقل الأم وابنتها إلى جانب الرصافة، فتحرك قلبه للفتاة من أول نظرة ولأول مرة في حياته، فلم يبق له الفقر وإعالة أبويه وأشقائه وشقيقاته قلباً يخفق، حتى ظن أن قلبه أصيب بالشلل المزمن، فلا تحركه العواطف بقدر ما يحركه الخبز، والظاهر

أن دقات قلبه حرَّكت لا إرادياً دقات قلب الفتاة، وبمـرور الوقـت عـرف أنهـا تصاحب أمها من جانب الكرخ لزيارة خالتها في جانـب الرصـافة صـباح يـوم الخميس من كل أسبوع، فأخذ ينتظر قدومها وينقلها على الجانب الآخر، وينتظر عودتها فيعيدها إلى الكرخ، وفي كل مرة تمتطي الفتاة وأمهـا قاربـه ذهابـاً وإيابـاً يرفض تقاضي الأجور الزهيدة فتأبى والدة الفتاة إلا أن تدفع الأجر كاملاً، فيسر هذا التنازل والرفع التعارف بين الطرفين، وتبادل الكلـمات القـصيرة كالتحيـة والسؤال عن الصحة والعافية، وهمس مرة في أذن الفتاة منتهزاً فرصة مغادرة الأم القارب أولاً إلى اليابسة قائلاً: أحب أن أتزوجك فقالت: اطـرق بـاب والـدي فتسمع الجواب، ومضت الأم والفتاة إلى سبيلهما، وبقى الفتى يفكر في أسـلوب عرض زواجه بالفتاة على أبويه، وفي طريقة إقناعهما بهذا العرض، ومرت أسابيع عدة وهو غارق في تفكيره يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، وكـان يلاقـي فتاتـه كـل خميس رائحة غادية تلاحقه بنظرات العتاب، وعتاب العينـين أبلـغ مـن عتـاب الشفتين، فكان يغض الطرف خجلاً تارة، ويقابل نظراتها بالإبتسامة تارة أخرى، وهمست في أذانه ذات صباح طرق باب والدي غيرك، ثم مضت متعثرة لخطوات خجلة متلعثمة كأنها قد اقترفت ذنباً عظيماً، وعاد الفتى إلى أهله مساءً فأخبر أمه بقصته وفتاته، فوعدته أن تحمل له الجواب وشيكاً، وكلمت أمـه أبـاه بالـدموع فليس في دارها كساء، ولا غذاء، ولولا حب الوطن لهجرته فئرانه إذ ليس فيه ما تأكله، وليس لديهم درهم ولا دينار، وفي الدار غرفة واحدة يطلق عليهـا اسـم الغرفة مجازاً، لأنها لا تقي من مطر الشتاء، ولا من شمس الـصيف، وتـدخلها الريح من مواضع وشقوق شتى بدون استئذان.

كان قلب الأم والأب مع ولدهما، ولكن عقليهما كانا بعيدين عنه، فقد كانت لدى الوالدين أسباب كثيرة تحول بين ولدهما والزواج، لعل من تلك الأسباب الفقر، والفاقة، وغياب المال،والفلوس تأتي بالعروس وضيق المسكن، والعروس لا بد لها من غرفة تخلو فيها إلى زوجها، واختلت الأم بولدها تحدثه بالبكاء لا باللسان، ففهم الفتى منطق الدموع والعبرات، ومضى إلى سبيله دون أن يبسط عذره أو يحتج.

وجاء يوم الخميس من جديد فعاتبته نظراتها عتاباً مراً، فلما عادت من زيارة خالتها قبيل المغرب عاد بها إلى جانب الكرخ ثم تعقبها خلسة إلى دار أهلها، وكانت تلتفت إليه كلما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ومع التفاتها ابتسامة مشجعة. ووصلت إلى دار أبيها فدخلته وأوصدت خلفها الباب وحيته قبل أن تتوارى، وتوقعت أن يزور أباها بصحبة أهله، وطال انتظارها لزيارته دون أن يفعل ما توقعته.

وأصيبت الفتاة بيأس قاتل كما أصيب الفتى، يئست الفتاة من إقدام الفتى على خطبتها فقد طال انتظارها فماذا بعد أن تنتظر؟! ويئس الفتى من الزواج بالفتاة التي أحبها من كل قلبه، فقد وجد أن أهلها على درجة من الغنى والثراء وهو المعدوم الفقير. وطرق باب الفتاة طارق فاستجاب له أهلها وتزوجت.

وسلا قلب الفتاة بعد زواجها ونسي، ولكن قلب الفتى لم يسل ولم ينس، وانزاح قنوط الفتاة عن نفسها رويداً رويداً وبقي قنوط الفتى في نفسه وأصبح شيئاً بعد شيء حقداً. وعلم الفتى بزواج فتاته فلم تعد ترافق والدتها يوم الخميس من كل أسبوع لزيارة خالتها في جانب الرصافة.ولم يعد الفتى ينتظر الفتاة وأمها

يوم الخميس من كل أسبوع ليحملهما من جانب النهر إلى الجانب الآخر في غدوهما ورواحهما.

ومضى عامان حسبها الفتى قرنين، فقد ظل حزيناً ساهماً يفكر في فتاته لم يستطع الزواج بها لظروفه الاقتصادية القاسية، وفي يوم من الأيام حمل في قاربه فتاة وطفلاً وكان الضباب كثيفاً والجو غائماً وشرع يحرك مجدافيه وابتعد بقاربه عن جانب الرصافة، حتى أصبح في وسط النهر، وفجأة رأى فتاته تحمل طفلها الرضيع من زوجها الذي زفت إليه قبل سنتين، فأمعن النظر في وجهها طويلاً حتى تأكد من أنها فتاته التي هام بها، وكانت في شغل شاغل عنه بطفلها فناداها وذكرها، ولم تكن ناسية فقالت له: لست لك اليوم فأنا بذمة زوج وهذا طفلي، ولكنه تمادى في غيه وقد تقمصه الشيطان فأصبح نسخة طبق الأصل منه، وزاد عليه ما يعتلج في نفس الإنسان الأمارة بالسوء.

وراودها عن نفسها فاستعصمت، وهددها بإغراق طفلها في النهر فما استكانت ونفذ وعيده فأغرق طفلها حتى ابتلعه اليم فما هانت، وهاجمها بخنجره فاستأسدت، وطعنها بضع طعنات فما ضعفت، وجرجرها إلى صدره ليضمها إلى صدره فقاومت وغلب عليها النزيف، فما استسلمت، ولفظت أنفاسها الأخيرة وهي تدافع عن شرفها وعرضها، فحمل الجاني جثتها وقذفها في الماء الجاري. وانحدر إلى ركن قصير من ساحل دجلة وغسل قاربه من الدماء وتخلص من آثار الجريمة بهدوء وروية، وذهبت الجريمة، وسجل أن المجرم مجهول الهوية.

ولكن المجرم لم يصبر على عمله ملاحاً في قاربه فقد كان يخيل إليه كلما مر في وسط النهر بالقرب من الموضع الذي ارتكب فيه جريمته بأن الطفل الذي أغرقه

في اليم يبكي ويستغيث، ويسمع الصوت الذي انطلق منه باكيا حين جذبه من بين أحضان أمه قبل أن يقذفه في اليم، ويسمع صوت أمه وهي تهدد، وتتوعد، وتزمجر، وكأنها وهي في جوار الله تهاجم قاربه هجوماً لا هوادة فيه، فيعلو الموج لبكاء الطفل واستغاثته وتهديد أمه وتوعدها، فإذا أقبل الليل أصبح من المستحيل على الملاح المجرم أن يعبر النهر فإن شجي الطفل وأمه يطاردانه في الظلام ومعهما أشباح لا تعد ولا تحصى، وهجر الملاح قاربه وأصبح جزاراً.....

وطالت جلسة الليلة الأخيرة من حياة الملاح القاتل وهو يحدث أباه وأمه وإخوانه وأخواته حديثه الأخير.

واقترب موعد تنفيذ حكم الإعدام بالملاح فانضم إلى أهله جماعة من الرسميين الذين جاءوا ليشهدوا تنفيذ الحكم فيه شنقا حتى الموت، وجاء من يذكر الأهل والموظفين بأن الوقت قد آن للتنفيذ.

وكان الجميع مأخوذين بما سمعوا يتمنون أن تطول حياة الملاح ولو دقائق معدودات، وجاء من يضع فوق رأس ووجه المحكوم عليه كيساً أسود ويقوده إلى المشنقة. وصاح المجرم قبل أن تسحب اللوحة من تحت رجليه: فتشوا عن قاتل صاحبكم فأنا أشنق لقتلي الطفل الرضيع وأمه، والحكم الذي صدر بحقي ليس من عدل البشر بل من عدل رب البشر. وانتهى أمره، ولكن قصته بقيت عبرة لمن يعتبر.

ولله القائل:

هي الأيام دائرة فلا تفرح ولا تأسى
وكن بالله ذا ثقة فإن الله لا ينسى

حكاية رجل صالح يحفر القبور ويصلحها

عجيبة نقلت من خط السيد العلامة شيخ آل رسول الله محمد بن منصور المؤيدي رضوان الله عليهم قال: وجدت ما لفظه:

الحمد لله رب العالمين، روي عن صالح بن مقبل -رحمه الله تعالى- وكان يحفر القبور في سبيل الله -تعالى- قال: أتيت بعض النواحي فتخيرت موضعاً أحفر فيه قبراً لا أثر فيه لقبر قديم فإذا أنا ببعض المقابر، فحفرت قبراً فانتهيت إلى اللحد، فعرضت لي حجر فقلعتها وإذا تحتها موضع فيه رجل قاعد وحواليه نور ساطع وهو في موضع فسيح قد صارت لحيته بيضاء عليه ثياب بيض وكأني أحس عنده هواءً خفيفاً حتى كان شعر لحيته يهتز من ذلك الهواء فرفع رأسه إلي وقال: قامت؟ قلت: لا، قال: فأعد الحجر كما كانت، فقلت له: سألتك بالله تعالى بما أوتيت ما أنت فيه؟ فقال لي: لا تسأل، فأعدت عليه المسألة فقال: بخمس كلمات كنت أقولها في حياتي، وذكر الخمس الأول من التهليل الآتي ذكره، قال: فرددت الحجر ورحت وحفرت قبراً آخر حتى انتهيت إلى اللحد فوجدت شيخاً مثل الأول، إلا أنه زاد في هذه الرواية قال: وجدته على سرير فسألته عن عمله كما سألت الأول فقال: ست كلمات وذكر الكلمة السادسة من التهليل الآتي.

ثم ذكر أنه حفر قبراً آخر في بلاد أخرى فلقي شيخاً قاعداً على سرير، وزاد في الرواية وعنده نهر جار فلازمته كما لازمت الأولين، فقال بكلمات وذكر السابعة، وهذا هو التهليل المذكور:

«لا إله إلا الله أرضي بها ربي، لا إله إلا الله أفني بها عمري، لا إله إلا الله أقطع

بها دهري، لا إله إلا الله آنس بها قبري، لا إله إلا الله ألقى بها ربي، لا إلـه إلا الله عدة لكل شيء، لا إله إلا الله على كل حال من الأحوال».

قال فيه: انتهى من خط القاضي العلامة شرف الدين الحسن بن يحيى سـيلان -رحمه الله تعالى-.

معجزة باهرة لنبيئنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم

عن عثمان بن حنيف -رضي الله عنه- قال: جاء أعمى إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ادع الله لي أن يعافيني، قال: «إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك» قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ وأن يحسن الوضوء ويصلي ركعتين ثم يدعو: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يـا محمـد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم شفِّعه فيَّ، فدعا بهـذا الـدعاء فقام وقد أبصر. أخرجه ابن الجزري في «عدة الحصن الحصين».

وفي المستدرك عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، فقال: «إن شئت أخرت ذلك وهو خير لك وإن شئت دعـوت» قال: فادعه قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويصلي ركعتين ويـدعو بهـذا الدعاء فيقول: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمـد إني توجهت بك إلى ربي في حـاجتي هـذه فتقـضى لي، اللهـم شـفعه فيَّ». قـال: على شرطهما.

وأخرج ابن السني عن عثمان بن حنيف -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ وجاء إليه رجل ضرير فشكا إليه ذهاب بصره فقـال ﷺ : «ألا تبـصر»

قال: يا رسول الله ليس لي قائد وقد شق علي، فقال النبي ﷺ: «إئت الميضأة فتوضأ وصل ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيي محمد ﷺ يا نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي -عز وجل- فتجلي عن بصري، اللهم شفعه في وشفعني في نفسي. قال عثمان: وما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل كأنه لم يكن ضريراً قط.

حكاية

روى الدينوري أن رجلاً من الصالحين دخل قرية من القرى في المساء وسأل أهلها أن يستضيفوه تلك الليلة ابتغاء وجه الله فلم يلتفت إليه أحد، وإذا برجل أعمى يجتاز الطريق فسمع سؤال الرجل للناس، فقال له: أنت ضيفي، واصطحبه إلى منزله وأكرمه، فلما كان نصف الليل قام الأعمى من نومه وسمع الرجل يناجي الله تعالى بهذه الكلمات: اللهم رب الأرواح الفانية، والأجساد البالية، أسألك بطاعة الأرواح الراجعة إلى أجسادها، الملتمة بعروقها، ودعوتك الصادقة فيهم، وأخذ الحق منهم، وقيام الخلق كلهم من مخافتك، وشدة سلطانك، ينتظرون قضاءك، فيخافون عذابك، أسألك أن تجعل النور في بصري، والإخلاص في عملي، والشكر في قلبي، وذكرك في لساني بالليل والنهار، ما أبقيتني يا الله، يا رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الراشدين وسلم تسليماً كثيراً آمين، فألهم الله الأعمى أن يحفظ الدعاء فما أصبح الصبح إلا وقد رد الله تعالى بصره، فطلب الأعمى ذلك الرجل الفقير فلم يجده فعلم أنه من أولياء الله تعالى.

أبو عبد الله سعيد بن جبير الأسدي

من أعلام التابعين أبو عبد الله سعيد بن جبير الأسدي بالولاء الكوفي ، كان أسود أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وعبدالله بن عمر -رضي الله عنهم - وكان عالماً كبيراً ومفسراً.

قال له ابن عباس: حدث، فقال: أحدث وأنت هاهنا، فقال: أليس من نعمة الله عليك أن تحدث وأنا شاهد، فإن أصبت فذاك وإن أخطأت علمتك. قال خصيف: كان أعلم التابعين بالطلاق سعيد بن المسيب، وبالحجج عطاء، وبالحلال والحرام طاووس، وبالتفسير أبو الحجاج مجاهد بن جبير، وأجمعه لذلك كله سعيد بن جبير، وكان يحب زين العابدين ويخدمه، وبايع للرضا من آل محمد ﷺ تحت قيادة ابن الأشعث، فلما قتل في معركة دير الجماجم هرب فلحق بمكة المكرمة، وكان واليها يومئذ خالد بن عبد الله القسري، فأخذه وهو متستر بأستار الكعبة المشرفة وأرسله إلى الحجاج بن يوسف الثقفي مع إسماعيل بن واسط البجلي، فقال له الحجاج وهو يعرفه وفضله وعلمه: ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير، قال: بل أنت شقي بن كسير قال: بل كانت أمي أعلم باسمي منك، قال: شقيت أمك وشقيت أنت، قال: الغيب يعلمه غيرك، قال: لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى، قال: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهاً، قال: فما قولك في محمد؟ قال: نبي الرحمة وإمام الهدى، قال: فما قولك في علي أهو في الجنة أو هو في النار؟ قال: لو دخلتها وعرفت من فيها عرفت أهلها، قال: فما قولك في الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوكيل؟ قال: فأيهم أعجب إليك؟ قال: أرضاهم لخالقي،

قال: فأيهم أرضى للخالق؟ قال: علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم، قال: أحب أن تصدقني، قال: إن لم أجبك لن أكذبك، قال: فما بالك لم تضحك؟ قال: وكيف يضحك مخلوق خلق من طين والطين تأكله النار. قال: فما بالنا نضحك، قال: لم تستو القلوب.

ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والياقوت فجمعه بين يديه فقال سعيد: إن كنت جمعت هذا لتتقي به فزع يوم القيامة وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت، ولا خير في شيء جمع للدنيا إلا ما طاب وزكا، ثم دعا الحجاج بالعود والناي فلما ضرب بالعود ونفخ في الناي بكى سعيد، فقال: ما يبكيك هو اللعب؟ قال سعيد: هو الحزن، أما النفخ فذكرني يوماً عظيما ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾[الأنعام:٧٣]، وأما العود فشجرة قطعت في غير حق، وأما الأوتار فمن الشاء تبعث معها يوم القيامة، قال الحجاج: ويلك يا سعيد، قال: لا ويل لمن زحزح عن النار وأدخل الجنة، قال الحجاج: اختر يا سعيد أي قتلة أقتلك. قال: اختر لنفسك يا حجاج فوالله لا تقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة. قال: أفتريد أن أعفو عنك؟ قال: إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر، قال الحجاج: اذهبوا به فاقتلوه، فلما خرج ضحك فأُخبر الحجاج بذلك فرده وقال: ما أضحكك؟ قال: عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك؛ فأمر بالنطع فبسط وقال: اقتلوه، فقال سعيد: وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، قال: وجهوا به لغير القبلة، قال سعيد: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾[البقرة:١١٥] قال: كبوه لوجهه، قال سعيد : ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[طه:٥٥] قال الحجاج: اذبحوه، قال سعيد: أما إني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله خذها مني حتى تلقاني بها يوم القيامة، ثم دعا سعيد

فقال: اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي. وكان قتلـه في شـعبان سـنة خمـس وتسعين للهجرة بواسط ودفن في ظاهرها مشهوراً مزوراً وعمره تسع وأربعون سنة رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وألحقه بأوليائه الصالحين، وكان سـعيد يقـول يوم أخذ: وشى بي واشٍ في بلد الله الحرام أكله إلى الله تعالى. يعني خالد بن عبد الله القسري، ولما قتل سال منه دم كثير فاستدعى الحجاج الأطباء وسـألهم عنـه وعمن كان قتله قبلهم فإنه كان يسيل منهم دم قليل فقالوا له: هذا قتلته ونفسه معه والدم تبعا للنفس، ومن كنت قتلته قبله كانت نفسه تـذهب مـن الخـوف فلذلك قل دمهم، وقيل للحسن البصري: إن الحجاج قد قتل سـعيد بـن جبـير فقال: اللهم ائت على فاسق ثقيف، والله لو أن ما بين المشرق والمغرب اشتركوا في قتله لكبهم الله -عز وجل- في النار.

مات الحجاج بعده بخمسة عشر يوماً في شهر رمضان من السنة ولم يسلط على أحد بعده، وقيل: إن الحجاج قال بعد قتله: فكوا قيودي أخرجوا قيـودي، ولمـا حضرته الوفاة كان يغيب ويفيق، ويقول: ما لي ولسعيد بن جبير، وقيل: إنـه في مدة مرضه كان إذا نام رأى سعيد بن جبير آخذاً بمجامع ثوبه ويقول له: يا عدو الله فيم قتلتني؟ فيسقط مذعوراً ويقـول: مـا لي ولـسعيد بـن جبـير، وفي ذلـك أخبار كثيرة.

أما خالد القسري فقد عزله هشام وأبدله بيوسف بن عمر الثقفي وعهد إليه بحبس خالد وعماله، ومحاسبته، وعذَّبه، ثم قُتل في أيام الوليد بن يزيد، قيل: إنه أدخل سيخ في فمه وأخرج من دبره وشواه على تنور، وقيل : وضـع قدميـه بـين خشبتين وعصرهما حتى انقصفتا، ثم رفع الخشبتين إلى سـاقيه وعـصرهما حتـى انقصفتا ثم إلى وركيه إلى صلبه.

ويوسف بن عمر هذا هو قاتل الإمام زيد بن علي عليه السلام لما دعا إلى الله سنة ١٢٢هـ.

وسلط الله على يوسف بن عمر من البلاء ما هو مشهور في التواريخ ما جعله عبرة للمعتبرين.

حكاية الإمام سعيد بن المسيب مع تلميذه وبني أمية

أبو محمد سعيد بن المسيب القرشي، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث، والفقه، و الزهد، والعبادة، والورع، لقي جماعة من الصحابة وسمع منهم، ودخل على أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخذ عنهن قال عبدالله بن عمر -رضي الله عنه-: لو رأى هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسره، وروي عنه أنه قال: حججت أربعين حجة، وعنه أنه قال: ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة، وما نظرت إلى قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة لمحافظته على الصف الأول، وقيل إنه صلى الصبح بوضوء العشاء خمسين سنة، وكان يقول: ما أعزت العباد نفسها بمثل طاعة الله ولا أهانت نفسها بمثل معصية الله، ودعي إلى نيف وثلاثين ألفاً ليأخذها فقال: لا حاجة لي فيها ولا في بني مروان حتى ألقى الله فيحكم بيني وبينهم.

قال أبو وداعة لأحد تلامذته: كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياماً فلما جئته قال: أين كنتَ؟ قلت: توفيت أهلي فاشتغلت بها، فقال: هلا أخبرتنا فشهدناها، قال: ثم أردت أن أقوم فقال: أحدثتَ امرأة غيرها؟ فقلت: يرحمك

الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة، فقال: إن أنا فعلتُ تفعل؟ قلتُ: نعم، ثم حمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ وزوجني على درهمين أو قال: على ثلاثة، قال: فقمتُ وما أدري ما أصنع من الفرح فصرتُ إلى منزلي وجعلتُ أتفكر ممن آخذ وأستدين، وصليتُ المغرب وكنت صائماً فقدمت عشاي لأفطر، وكان خبزاً وزيتاً وإذا الباب يقرع فقلت : من هذا؟ قال: سعيد، ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب فإنه لم ير منذ أربعين سنة إلا ما بين بيته ومسجده، فقمت وخرجت وإذا بسعيد بن المسيب فظننت أنه قد بدا له فقلت: يا أبا محمد هلا أرسلت إلي فآتيك، قال: لا أنت أحق أن تؤتى، قلت: فما تأمرني، قال: رأيتك رجلاً أعزب قد تزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك فإذا هي قائمة خلفه في طوله ثم دفعها في الباب ورد الباب فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب ثم صعدت إلى السطح فناديت الجيران فجاءوني وقالوا: ما شأنك؟ فقلت: زوجني سعيد بن المسيب اليوم ابنته وقد جاء بها على غفلة وها هي في الدار، فنزلوا إليها وبلغ أمي فجاءت وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها ثلاثة أيام، فأقمت ثلاثة أيام، ثم دخلت بها فإذا هي من أجمل الناس وأحفظهم لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج، قال: فمكث شهراً لا يأتيني ولا آتيه، ثم أتيته بعد شهر وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي ولم يكلمني حتى انفض من في المسجد ، فلم يبق غيري، قال: ما حال ذلك الإنسان؟ قلت هو على ما يحب الصديق ويكره العدو قال: إن رابك شيء فالعصا، فانصرفت إلى منزلي. وكانت بنت سعيد المذكور قد خطبها عبدالملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه

العهد فأبى سعيد أن يزوجه، فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه في يوم بارد وصب عليه الماء.

قال يحيى بن سعيد: كتب هشام بن إسماعيل والي المدينة إلى عبدالملك بن مروان أن أهل المدينة قد أطبقوا على البيعة للوليد وسليمان إلا سعيد بن المسيب، فكتب: اعرضه على السيف فإن مضى فاجلده خمسين جلدة، وطف به أسواق المدينة، فلما قدم الكتاب على الوالي دخل سليمان بن يسار وعروة بن الزبير وسالم بن عبدالله على سعيد بن المسيب، وقالوا: جئناك في أمر، قد قدم كتاب عبدالملك إن لم تبايع ضربت عنقك ونحن نعرض عليك خصالاً ثلاثاً فأعطنا إحداهن، فإن الوالي قد قبل منك أن يقرأ عليك الكتاب فلا تقل: لا ولا تقل: نعم، قال: يقول الناس: بايع سعيد بن المسيب. ما أنا بفاعل، وكان إذا قال: لا. لم يستطيعوا أن يقولوا: نعم، قالوا: فتجلس في بيتك ولا تخرج إلى الصلاة أياماً فإنه يقبل منك إذا طلبك من مجلسك فلم يجدك، قال: فأنا أسمع الأذان فوق أذني حي على الصلاة حي على الصلاة! ما أنا بفاعل، قالوا: فانتقل من مجلسك إلى غيره فإنه يرسل إلى مجلسك فإن لم يجدك أمسك عنك، قال: أَفَرقاً من مخلوق! ما أنا بمتقدم شبراً ولا متأخر، فخرجوا وخرج إلى صلاة الظهر فجلس في مجلسه الذي كان يجلس فيه، فلما صلى الوالي بعث إليه فأُتي به فقال: إن أمير المؤمنين كتب يأمرنا إن لم تبايع ضربنا عنقك، قال: نهى رسول الله ﷺ عن بيعتين، فلما رآه لم يجب أخرج إلى السدة فمدت عنقه وسلت السيوف، فلما رآه قد مضى أمر به فجرد فإذا عليه ثياب شعر، فقال: لو علمت ذلك ما اشتهرت بهذا الشأن، فضربه خمسين سوطاً ثم طاف به أسواق المدينة، فلما ردوه والناس منصرفون من صلاة العصر قال: إن هذه لوجوه طالما نظرت إليها منذ أربعين سنة، ومنعوا

الناس أن يجالسوه فكان من ورعه إذا جاء إليه أحد يقول لـه: قـم مـن عنـدي، كراهية أن يضرب بسببه.

قال مالك -رضي الله عنه-: بلغني أن سعيد بن المسيب كان يلزم مكاناً مـن المسجد لا يصلي من المسجد في غيره، وإنه ليالي صنع به عبدالملك ما صنع، قيل له: أن يترك الصلاة فيه فأبى إلا أن يصلي فيه. وكان يقول لا: تملأوا أعينكم مـن أعوان الظلمة إلا بإنكار قلوبكم لكي لا تحبط أعمالكم، وقيل له وقد نزل الماء في عينه: ألا تقدح عينك؟ قال: حتى على من أفتحها.

وتـوفي بالمدينـة سـنة إحـدى وتـسعين وقيـل غـير ذلـك -رحمـه الله تعـالى ورضي عنه-.

فائدة من «الوسائل» في آداب الأكل

قال: روي في «علوم آل الرسول» ﷺ قال جعفر الـصادق عليه السلام: في المائـدة اثنتا عشرة خصلة أربع منها فرض: الأولى: المعرفة أنهـا مـن نعـم الله. والثانيـة: الرضا بقسم الله، والثالثة: التسمية، والرابعة: الشكر باللسان والقلب والأركان، للواحد المنعم الرحيم الرحمن.

وأربع سنة: الأولى: الوضوء قبله لقوله ﷺ : «الوضـوء قبـل الطعـام ينفـي الفقر ويصح البصر، والوضوء بعد الطعام ينفي الهم والغم». والثانية: الجلوس على الجانب الأيسر من غير اتكاء، كان رسول الله ﷺ يقعد كهيئته في الـصلاة، ويضع ساعد يساره على ركبته، ويقول: «أقعد كما يقعد العبد، وآكل كما يأكـل

العبد»، الثالثة: الأكل بثلاث أصابع، الرابعة: لعق الأصابع فإنه تواضع لله.

وأربع أدب: الأكل مما يليه، وتصغير اللقمة، والمضغ الشديد، وقلة النظر إلى وجوه الآكلين.

وإذا كان على المائدة ألوان قال في تناول أول لون: بسم الله الرحمن الرحيم، ولا يقطع اللحم بالسكين فإنه فعل الأعاجم، وانهشه نهشاً فإنه أهنى وأمرى، ولا تستعن بالخبز في حمل إناء أو يمسح به شدقه فمن فعل ذلك سلط عليه الجذام، وأكل ما تساقط من المائدة فإنه ينفي الفقر وهو مهور الحور العين، ومن أكله حشي قلبه حلماً وعلماً وإيماناً ونوراً، ولا يتناول الآكل طعاماً بيساره، ويتخلل.

قال الصادق عليه السلام نزل جبريل عليه السلام على جدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسواك والحجامة والخلال، ولا يتخلل بالقصب، ولا بالآس، ولا بالرمان، ولا بشيء من طعامنا، ولا قوت دوابنا.

وروي أنه أُتي إلى النبي صلى الله عليه وآله بطعام حار، فقال: «دعوه حتى يبرد، فإن البركة نزعت عن الحار حتى يبرُد، والغالي حتى يرخص، ومالم يذكر اسم الله عليه، وقل عند أول لقمة أو شربة: «بسم الله والحمد لله الذي يُطعِم ولا يُطعَم، ويجير ولا يجار عليه، ويستغني ونفتقر إليه، اللهم لك الحمد على ما رزقتني من طعام وإدام في يسر منك وعافية من غير كد مني ومشقة، بسم الله خير الأسماء رب الأرض والسماء، بسم الله الشافي ، بسم الله المعافي، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم»، فمن قاله أمن من السموم، وسوء الحرشات، ودواهي العاهات، وأمنه الله من البردة.

الحمد لله الذي أطعم من الطعام، وسقى من الشراب، وكسا من العُري ،

وهدى من الضلاله، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا اللهم اجعله هنيئاً مريئاً لا وبياً ولا دوياً، وأبقني بعده سوياً قائماً بشكرك، حافظاً لأمرك، عاملاً بطاعتك، وارزقني رزقاً داراً، وأعشني عيشاً قاراً، واجعلني باراً. اللهم هنِّ آكليه، واغفر لباذليه، وتقبل منا جميعاً كما تقبلت من إبراهيم خليلك وموسى كليمك ومحمد صفيك».

فإذا شرب الماء فليتجنب موضع العروة من القدح، ولا يشرب بنفس واحد، بل بثلاثة أنفاس، ويقول عند كل نفس بسم الله الحمد لله، فإذا فرغ قال: الحمد لله منزل الماء من السماء، مصرف الأمور كيف يشاء، بسم الله خير الأسماء، الحمد لله الذي سقاني عذباً فراتاً ولم يجعله ملحاً أُجاجاً، الحمد لله الذي سقاني فأرواني، وأعطاني، وكساني، وكفاني، وآواني، اللهم أطعمتني وسقيتني من غير حول لي ولا قوة طيباً هنيئاً مريئاً فاستعملني صالحاً، واجعله عوناً لي على طاعتك، وشكرك، وحسن عبادتك، اللهم اسقني من حوض نبيك محمد ﷺ شربة لا أظمأ بعدها أبداً ، وصل هذه النعم الوافرة بنعيم الآخرة وبما أعددت لعبادك الصالحين في الجنة، وأسعدني بمرافقة نبيك محمد ﷺ برحمتك يا أرحم الراحمين.

قال جعفر عليه السلام من حافظ على هذه الأدعية المأثورة عن النبي ﷺ كان شريفاً عند الله وملائكته وعند عباده.

اللهم كما جعلتنا من أمة محمد ﷺ اجعلنا ممن يقتفي آثاره ويتبع أخباره يا كريم.

حكاية دخول سفيان الثوري على الإمام جعفر الصادق

من «الوسائل في علوم آل محمد» ﷺ أن سفيان دخل على جعفر الصادق فقال جعفر: يا سفيان تخرج منا غير مطرود فإنك رجل يطلبك الولاة وعلينا منهم عيون، فقال سفيان: جعلت فداك يابن بنت رسول الله دخلت عليك تحدثني بحديث عن جدك رسول الله ﷺ، فقال جعفر: نعم أحدثك بحديث إن عملت به نفعك. يا سفيان إذا أنعم الله عليك بنعمة وأحببت دوامها والزيادة عليها من الله فأكثر من حمد الله عليها فإن الله جل وعلا يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧] وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار فإن الله تعالى يقول: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح:١٠ - ١٢].

وإذا نزلت بك يا سفيان بلية وأحببت أن يكشفها الله عنك فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإنها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة.

فخرج سفيان وهو يقول: كلمات أي كلمات.

وعنه عليه السلام:

إلهي لك الحمد الذي أنت أهله ... على نعم ما كنت منك لها أهلا

إذا ازددت تقصيرا تزدني تفضلا ... كأني بالتقصير أستوجب الفضلا

ولآخر:

إذا كان شكري نعمة الله نعمة ... علي له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الأيام واتصل العمر

حكاية صلاة لأحد الصالحين بمفازة

الحمد لله الواحد العدل، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله.حدثني أبو محمد عبدالكريم بن أحمد آل ناجي قال: أخبرني بعض الثقات وهو الشريف علي بن حسن الهندي قال: أخبرني بعض المؤمنين من أهل اليمن أنه كان في بعض ضواحي صعدة رجل صالح عابد كثير العبادة من الشيعة الأخيار يقال له أبو صالح، وكان يجاهد نفسه أن يسير بسيرة العارف بالله إبراهيم بن أحمد الكينعي -قدس الله تعالى سره-، فاتفق له أنه في بعض الليالي في الثلث الأخير من الليل اغتسل وتوضأ وأحسن الوضوء من بئر بمفازة، وداهمه الوقت فخشي أن تفوته صلاة الفجر جماعة والمسجد الجامع بعيد، فأذن وتسنن وأقام لنفسه فلما كبر تكبيرة الإحرام سمع التكبير من ورائه لجماعة كثيرة، فلما أن وصل إلى التسليم سلم وسمع التسليم ثم التفت فلم ير أحداً - رضي الله تعالى عنه - وأرضاه.

حكاية ملازمة الإمام الكينعي للجوع

كان للعارف بالله الولي إبراهيم بن أحمد الكينعي - رضي الله تعالى عنهم - أوراده التي يلازمها الصيام والقيام، وكان إذا سئل ليفطر تكرمة لأخيه في الله أفطر، وتغيرت حالته وانكسر قلبه، وجدد الطهارة لكل صلاة، وقال: كل هذا من بطني، وكان يقول لو وجدت رخصة في أيام التشريق لصمت، وقال له

بعض إخوانه: أما أنا فإن الصوم يشق بي فقال -رضي الله عنه-: وأنا الإفطار يشق بي، سبحان الله أليس الذي أنت تأكله بالنهار تأكله في الليل وتنال درجة الصائم الذي ليس له جزاء إلا الجنة كما في الخبر.

قال مؤلف سيرته السيد الإمام يحيى بن المهدي - رضي الله تعالى عنه - : كنت معه في سفره إلى خُبان مذحج لزيارة إخوانه، فسرنا إلى بلد يقال لها دَمْت وبالقرب منه عين حارة يقال لها بربرة وهي آية من آيات الله تعالى جبل شاهق على شكل القدر، فطلعنا إلى أعلاها فأشرفنا عليها وهي تفور وتغلي وزوّها يأخذ الوجه واستدارة الماء في رأس الجبل قدر «المرجام»، قيل: إن الطير إذا مر عليها سقط فيها، وينبع في عرض هذا الجبل عيون كثيرة تفور وتغلي وإذا وضع الإنسان يده أو رجله رفعها سريعاً من شدة حر الماء، والزمنى والمرضى يقصدونها ويتحممون فيها، فوقفنا معه ثلاثة أيام، نشاهد هذه الآية العظيمة ونغتسل فيها مراراً، فطلعنا إلى أسفل خبان فأصابنا العطش، وربما خف علينا العشاء فَقِلْنَا تحت شجرة ففتح لنا بشيء من الخبز والماء البارد، فعولنا عليه كثيراً لأجل الحمى[أي الحر] الذي اعترانا فما ساعدنا بل قال : عرضت على نفسي ألوان الطبايخ هذه الساعة حتى الزبرناخ، وألوان الفاكهة، وألوان الطعام، والشراب، فما رغبت في شيء مرة واحدة فالحمد لله. وقصده والله أعلم يخفف علينا اشتغالنا بحاله.

وروي لي يوماً أن طفلة خرجت من بيت قوم صالحين فرأت رجلاً يأكل بالنهار في غير شهر رمضان فقالت لأهلها: إني رأيت رجلاً يأكل بالنهار لعله يهودي، فقالوا لها: مهلاً نستغفر الله العظيم، يعني هذا غير شهر رمضان ومن أراد أن يفطر فليفطر.

أنكرت الطفلة ذلك لأن أهلها لا يفطرون في النهار بل يصومون الدهر ولم يضفها إلى اسم رجل ولا إلى كتاب؛ لأنه -رحمه الله تعالى- كان ما يروي شيئاً إلا بسنده إلى رجل أو كتاب فظننت والله أعلم أن الطفلة من أهل بيتهم.

وسمعته يقول: قال ﷺ : «من صام لله يوماً محتسباً بعّده الله من النار خمسمائة عام» وقال لي يوماً: يايحيى كم من مرة أسابق الفجر على عشائي. وقد ظهر لي أنه طوى مرة ثلاثة أيام ومرة خمسة أيام لا يذوق فيها طعاماً ولا غيره لمسابقته لطلوع الفجر كما قدمت، وقال لي يوما: كان سهل القشري -وفي نسخة: التستري- يطوي نيفاً وعشرين يوماً، لايأكل فيها، قال: وأقسم عبد الواحد بن زيد -رحمه الله تعالى- بالله: أن ما صافى الله عبداً إلا بالجوع، ولا والاهم إلا بالجوع، ولا طويت لهم الأرض إلا بالجوع، ولا مشوا في الهواء إلا بالجوع. انتهى.

ولله القائل:

لهم أحاديث من ذكراك تشغلهم عن الشراب وتلهيهم عن الزاد

إبراهيم بن الإمام المهدي الحوثي الحسيني

السيد العلامة الزاهد إبراهيم ابن الإمام المهدي محمد بن القاسم -رضوان الله تعالى عليهم- كان من الأخيار الأبرار، يقطع الليل عبادة، والنهار صياماً، وحج قبل وفاته بسنة فحصل له الالتباس في بعض أعمال الحج وهو في طريق العودة، ولم يستطع مفارقة أصحابه أو تأخيرهم وذلك في أيام والحج على الرحال، فبقي محرماً إلى السنة القابلة صبراً، وشكراً، وذكراً، إلى أن توفي محرماً، في شهر القعدة سنة١٣١٨هـ.

قال القاضي العلامة عبدالرحمن بن الحسين سهيل -رحمه الله تعالى-: كان إبراهيم ابن الإمام عالماً عاملاً فاضلاً زينة الزمن وحسنة من حسنات اليمن، علاّمة المعقول والمنقول، محققاً للفروع والأصول، جامعاً للفنون العلمية، والمعارف الدينية، والآداب اللطيفة، والشمائل الطريفة مع ديانة وورع، وحسن خلق، وسكينة، ووقار، وألمعية..الخ.

له «منسك في الحج» استصحبه وله كتاب في الزهد سماه «إلهاب ذوي الألباب»، خاطب به نفسه مع إلزامه لها بالحجج والبراهين القطعية والعقلية، وله أشعار رائقة في الإلهيات وله «نصيحة النفس» جاء فيها:

أيها القَلب القُلب، والفؤاد المذبذب، الذي تميل به عواطف الأهواء، وتتلعب به كواذب المنى، ويصده عن طريق النجاة محبة الدنيا، إن كنت تبتغي الملك العظيم، وتطلب الصراط المستقيم، وتفر من العذاب الأليم، وتشتاق إلى مقام كريم، فاصغ إلى الناصح الشفيق، واقبل وصيتي ونصيحتي لك قبول عمل وتفكر وتصديق، فهذه ست خصال أعملت فيها فكري فوجدتها دواء الداء الدوي، والطريقة التي أراها تليق بكل ذي عقل سوي،وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وهو حسبي ونعم الوكيل:

الأولى: معرفة حق الله عليك ونعمه السوابغ لديك، والتفكر في عظمة شأنه وسعة ملكه وسلطانه، فقد استبان لك سبيل الهدى، وتقشعت عنك سحائب العمى، وتبرهنت لك دلائل برهانه، لو لزمتها وعرفتها حق معرفتها، وحرست نفسك عن تضييعها، للحقت بالسبّاق، وعُددت في سلك أحباب الملك الخلاق.

الثانية: حراسة نفسك عن أن تتعمد معصيته طرفة عين، أو أن يراك حيث

نهاك فيكتبك في ديوان أهل الحين والمين، وتسلب عن قلبك أنواره، وتبدل عنها ناره، ويعرف الشيطان أن له فيك مراحاً ومغداً، فيعمل فيك حيله الدقيقة، ويشحذ لك فظيعات المُدى، فتكون قد استبدلت بالنور الظلام، وبالتبر الرغام، وبمحبة الرحمن التي إن نلتها نلت كل محبوب، وسعى إليك كل مطلوب، وأحبك كل شيء، وهابك كل شيء، وإن منعتها منعت الخير كله، وصرت ثقيلاً بغيضاً، شقياً مريضاً، مستبدلاً عن الفرات ببولة، وعن البحر ببلة، كل ذلك محبة ألاعيب الشيطان الكاذبة، ومخائله الخائبة، وعن قريب يتبرأ منك، وتعرف مكره لك وركونك منه على عظيم الإفك ولات حين فكاك.

الثالثة: ترك التفكير في معصية الله الولي الحميد، فإنه يعلم ما توسوس نفسك وهو أقرب إليك من حبل الوريد، وإن التفكر فيها هو الداعي إليها والملقي بك فيها، ولا يكاد وجود معصية منك إلا وقد تقدمتها فكرة شيطانية، وذلك سر الحديث المأثور: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ....» الحديث. أو معناه. ومنع النفس عن الفكرة أهون عليك من منعها عن نفس المعصية بعد التفكر فيها، وما إمساك الفرس الشرود والدابة العنود بأشد عليك من منع النفس عن الوقوع بعد الفكرة، وأشد من ذلك من منعها بعد الكرة، وأشد وأشد منعكها من الكرة بعد الكرة، فاعرف الدواء والزم التداوي به فإنه الشفاء وأي شفاء، هو والله النور لا العمى والصراط السوي لمن اهتدى.

الرابعة: خف النار وتدبر معناها، وما أدراك؟! ما النار النار هي التي لا يقوم لها شيء ولا يعدلها شيء، هول مهيل، لو عرفنا معناها لفارقت الأرواح الأجساد

بمجرد ذكرها في الفؤاد، فكيف رؤيتها بالعيان؟! أم كيف دخولها يا إخوان؟! أم كيف الخلود فيها يا رحمن؟! هو والله أشد منها وأشد، وغضب الله -نعوذ بالله- أشد من الأشد، وارج الجنة التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، كفى بهذه الأوصاف النبوية، والأسرار المصطفوية، على صاحبها وآله أفضل الصلاة والسلام، وأشرف التحية، وغاية ذلك أن فيها كل محبوب، خالداً فيه ساكنها أبداً، ومماطاً عنها كل مكروه، فلا يراه مقيمها سرمداً، رزقنا الله سكناها، وحشرنا في زمرة أهلها وأوليائها، وأولانا الهداية إلى أقوم طريق وأولاها.

الخامسة: نَزِّل هذه الدنيا في قلبك منزلة العدم، فإنها هي العدم وأي شيء أحقر منها؟ لا شيء، خيرها عما قليل ينقضي، إلا أنها تبقى تبعاته، وتضمحل لذاته، وشرها عن قريب يزول، إلا أنه يبقى أجره وحسناته، فاستبان لك خيرها، وهو نعيمها الفاني، وحظوظها ومحبتها والركون إليها هو عين الشر، ومحض الضر، وإن خجلها وشرها وضيقة العيش بها والتجرع لغصصها، والصبر على صَبِرِها هو عين الخير، فما تصنع بدار شرها خير، وخيرها شر، هذا محض أمرها، وغاية سرها، وإنما ضربها الله لنا مثلاً ليبلونا أينا أحسن عملاً. إلى أن قال:

السادسة: وهي عدم انقيادك لهوى النفس في استعظام أي بلوى نزلت بك وعدم التواجد والتحازن الداعيين إلى اشتغال الخاطر، وإتعاب النواظر، واشتعال نيران الأسف الذي هو الموت الحاضر، إذا أحكمت عقلك فاعددها من أكبر النعم عليك، وأجل هبات الله لديك إذ هي من أسباب الثواب ومن الدواعي إلى

الرجوع إلى رب الأرباب، والتحصن بمنيع المتاب، من أليم العقاب، فإن الإنسان لا يعرف قدر نعمة الله عليه إلا إذا انتزعت من يديه، ولا يرعوي عن التيه المُشين، ومباهات المكثرين، والإزراء بالمقلين، إلا إذا ابتلي وصارت المحن إليه، فعند ذلك يفوز إن سلّم الأمر بأوفر الأجر لمكان الصبر على الضر، ويعرف قدر النعمة فيحظى من الله بالرحمة ...الخ.

ومن شعره – رضي الله تعالى عنه – في حكاية حاله مع النفس ومجاهدتها:

كيف صبري لا كيف إلا أداري ... أنا صبٌ قد قل فيه اصطباري

ليس إلا إذا تداركني الله ... بلطف منه يقيل عثاري

ليس لي ملجأ وليس لنفسي ... من خلاص من غير باري

أسلمتني نفسي وميل هواها ... وذنوبي إلى الدواهي الكبار

أحتسي علقماً وأشرب رنقا ... من بحار الذنوب والأوزار

رحل العمر والمشيب تجلى ... وفؤادي في حلية الغي جاري

والجديدان أبليا جدة العمر ... وقادا نحوي صعاب الطواري

...إلخ وهي أكثر من أربعين بيتاً.

ومن شعره مربعة ابتهالية لما حج –رضوان الله تعالى عليه– ودعا بها في الحجر الشريف زاده الله تشريفا وتعظيماً. منها:

هجع الرقود وأنت لِمَ لَمْ تهجع ... أمن الصبابة أم لداء موجع

أم من حريق فؤادك المتقطع ... أرق الجفون ونار دمعي مهيع

قال النصيح: دع التشكي والبكا ... واصبر فإن الصبر يكشف ما بك

والله أعلم منك أنك نابك ... أمر أمر عليك نوم المضجع

دنــــف ألم بــــه ألــــيم عذابــــه — وشــماتة الأعــداء أعظــم مــا بــه

ولهــان هــان عليــه كــشف نقابــه — لمــا تــصاغر عظــم كــشف البرقــع

داء القلــوب دهــاه فاشــتغل الحــشا — فــالغم يحكــم في الفــؤاد بــما يــشا

والله يعلــم أن هــذا مــا نــشاء — إلا لأمــر منــه فاســمع لي وعِ

فــارجع إليــه وخــل عمــن غــيره — والــزم دعــاه وكــن مــسلم أمــره

وارض القــضا لتنــل بــه مــن أجــره — فاســأله فهــو الله يــسمع إن دعــي

قل ياخفي اللطــف يــا مــولى الــورى — يا سامع الأصــوات يــا مــن لا يــرى

يــا كاشــف البلــوى إن هــم عــرى — العبــد بالبــاب الــشريف الأرفــع

يــا مالــك الأمــلاك رقــك بالفنــا — يــا عــالم الأسرار يــا مــولى الغنــى

يــا أكــرم الكرمــا ذا الــرزق الهنــا — لا كــان إن يمــم ســواك بمطمــع

يــا جــابر العظــم الكــسير لمــن دعــا — يــا فــاتح الأبــواب مالكنــا معــا

أنــا عبــدك العــاصي أتيتــك مقلعــا — فــارحم إلهــي خيفتــي وتــضرعي

يــا عــدتي يــا عمــدتي يــا وســلتي — يــا منتهــى رجــواي أمــن وحــشتي

يا كاشــف الــضراء وارحــم غربتــي — قبــل الهــلاك وقبــل ســوء المــصرع

إلى آخرها وله غير ذلك -رضي الله عنه- وأرضاه.

ولما توفاه الله تعالى كانت أخته أم هاني بنت المهدي تدعو الله تعالى أن يلحقها به من الصالحين فتوفيت بعده بثمانية عشر يوماً، وكانت تدارسه القرآن الكريم في الليل والنهار وزميلة له في الدراسة لدى والدهما الإمام رضوان الله عليهم آمين. اللهم ألحقنا بهم صالحين غير ضالين، ولا مضلين، وارزقنا مـن الـصالحات مـا تسعدنا بها في الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين.

الحياة الطيبة

من كتاب «الوافد على العالم» للإمام القاسم بن إبراهيم الرسي عليه السلام.

قال الوافد وهو ابنه الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم الرسي: صف لي الحياة الطيبة؟

قال العالم: أقول لك: إن الحياة الطيبة لا تدركها إلا بخمسة أشياء: أول ذلك العقل، ثم المعرفة، ثم اليقين، ثم العلم، ثم الغناء بما عند الله، فهذه الحياة الطيبة، فإذا أردت أن تنالها فعليك بمنازعة النفس ومعاداتها، ومخالفة الهوى، فإن لك في ذلك كله كفاية، فإذا أردت أن تكون من أهل الصدق في الحياة الطيبة فإنك تنفي العادة الخبيثة، ولبس نفسك الصبر والخلق الحسن، وأزل عن قلبك الذكر الرديء، ولا تشغل قلبك بغير ذكرالله وطاعتة وأمت حرارة الشهوة من نفسك، وليكن الموت عندك أحب إليك من الحياة، فإن الصالحين من قبلك تناسوا قلوبهم بالحزن الطويل والجهد الثقيل يريدون بذلك رضا ربهم، والتقرب إليه، فإن أحببت أن تسلك طريقهم وتقفو آثارهم، فحول نفسك عن الدنيا وزهرتها، وأدب نفسك بالجوع، وأذلها بالفقر، وموتها بقرب الأجل، وابصر بعينيك إلى عرصة القيامة، حتى كأنك تحاسب فيها، فحاسب نفسك قبل ورودك إليها، واقطع نيتك عن كل شغل يشغلك عن الله، وتأدب بآداب الصالحين الذين من قبلك، رموا بقلوبهم نحو خالقهم، وكلما تحولت قلوبهم إلى غيره حملوا عليها بالزجر، ورجعوا إلى مقامهم، وقصدوا بأبدانهم نحو قلوبهم جهداً منهم، وأيأسوا أنفسهم عن الدنيا وراحتها، وعودوا قلوبهم الجهد وكدوها في طاعة الله

خالقهم، فعندما عرف الله منهم الصدق والثبات أثابهم بالفرح والسرور من عنده، وصرف عنهم العادة الردية، فإذا أردت أن تكون مثلهم فغمض عينيك عن الدنيا، واختم أذنيك عن أقاويل أهلها، واصرف قلبك عن زهرات بهجتها، وانقطع إلى ربك واعمر قلبك بذكره، واستعمل لسانك في شكره واجعل قلبك مملوءاً من محبته وتلذذ بطاعته، فإنه يغنيك عن الخلق كلهم، ويهون عليك الصعوبة ويخفف، عليك المؤونة، وتصير حُراً عن عبودية الدنيا إذا وصلت حبلك بحبل خالقك، وتسلم من الاشتغال، وتصبح منير القلب، كثير الذكر، لذيد المنجاة حريصاً على الطاعات، قليل الزلل والخطأ، قليل الغفلة، حسن الفعال صافي الذكر، قليل الكلام والفضول، واسع الصدر، خلوتك مع الله لا تزول، وأنسك بالله، لا تستوحش إن كنت في القفرة، ويكثر يقينك في قلبك، فبدنك مطيع، ولسانك ذاكر، وكلامك حق، وعملك زين، وسعيك مشكور، وكل شيء منك نور، وكل حركة وسكون منك محمود، قد أعد الله لك النعيم في جنات النعيم.

طرائف من التأريخ من مقدمة «الأحكام»

قال السيد العلامة محمد بن قاسم بن عبدالله الهاشمي في مقدمة «كتاب الأحكام» للإمام الهادي إلى الحق:

يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب -عليهم الرحمة والرضوان من الله الكريم المنان-، عند أن ذكر نبذة عن الإمام الهادي، فقال: قال الأديب العلامة

الشهيد أحمد محمد المطاع في كتابه «تأريخ اليمن الإسلامي» عند ذكره لسنة ٢٩٨هـ، فيها مات الإمام الهادي بصعدة يوم الأحد لعشر بقين في ذي الحجة من السنة المذكورة، ودفن يوم الإثنين قبل الزوال بمسجده المشهور بصعدة، ومولده بالمدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام سنة٢٤٥هـ، وهو بلا شك أكبر مصلح، ارتفع اسمه في أفق التأريخ اليمني، ونال من الاحترام والحب في قلوب اليمنيين مكانة لم يتبوأها أحد بحيث أصبحت آثاره وأعماله وصفاته العالية قبلة الأبصار ومهوى الأفئدة، فإنه بمكانة عليا من العلم، والفضل، والورع، ومكارم الأخلاق، والحلم، والتواضع، كثير الصفح والتجاوز عن سيئآت الناس وهفواتهم... إلى أن قال: وكان شجاعاً مقداماً ثابت الجأش ماضي العزيمة.

يباشر في الحرب المنايا ولا يرى ... لمن لم يباشرها من الموت مهربا
أخو غمرات ما يروع جأشه ... إذا الموت بالموت ارتدى وتأزرا

دائم الحركة جم النشاط، قوي الشكيمة، شديد الشعور بواجب الزعامة.

على خير ما كان الرجال خلاله ... وما الخير إلا قسمة ونصيب

حريصاً على مصالح الناس الدينية والدنيوية، كثير العناية بشؤونهم الاجتماعية والأخلاقية، كان يصلي بالناس الجماعة، ثم يقعد للإرشاد وفصل الخصومات، ثم ينهض فيدور في الأسواق والسكك فإن رأى جداراً مائلاً أمر أهله بإصلاحه، أو طريقاً فاسداً أصلحه، أو خلفاً مظلماً أمر أهله أن يضيئوا فيه للمارة، وإن رأى امرأة أمرها بالحجاب، وإن كانت من القواعد أمرها بالتستر.

ومن آثاره الإصلاحية إحداث البراقع للنساء باليمن، وإلزامهن بذلك، وكان يقف على أهل كل بضاعة ويحذرهم من الغش، ويسعر لهم بضاعتهم ،

وينهاهم عن التظالم، وكان يقول: إنما ورد النهي عن التسعير على أهـل الوفـاء، وأهل التقوى، فإذا ظهرت الظلامات وجب على أولياء الله أن ينهوا عن الفساد كله، ويردوا الحق إلى موضعه، ويزيحوا الباطل من مكانـه ويأخـذوا عـلى يـدي الظالم فيه.

كان يتفقد السجون بنفسه ويسأل عن ذنوب المسجونين فمن كان في دين نظر في جدته وإفلاسه، ومن كان في ذنب تفقد جرمه وأمره. وفحـص عـن أحوالـه، وكان رحيماً بالفقراء والأيتام.

وقال العلامة المؤرخ عبدالله الشماحي: لقد كان الهادي يحيى بن الحسين مثلاً لصفات القائد والقدوة الحسنة لأتباعه، مترفعاً عن سفاسف الأمور وعن المتع، شجاعا في المعارك والأهوال، وفي تطبيق ما يؤمن به ويدعو إليـه، معتـدلاً حتـى مع أعدائه.

وقال أيضاً في وصف المذهب الزيدي: الهادي الذي أرسى قواعده هذا الإمام المجاهد الصابر. وهو وصف صادر من رجل عرف المذهب كل المعرفة، وعرف علاقته وارتباطه الكامل بما أنزل الله –سبحانه- وما جاء به رسول هـذه الأمـة، وأن هذه الصلة لن يزعزعها المتفيهقون الذين يحاولون الدس والتفرقة للـصف الإسلامي الموحد، وهو قول خبير منصف وذي معرفة واسـعة بـشتى المـذاهب الإسلامية، وشتى الملل والنحل، فقال موجزاً وملخصاً لما ورد في سيرة الهـادي، ورسائله، ومؤلفاته، ومؤلفات العلماء السائرين على نهجه:

إن المذهب الهادوي أو الزيدي كما يشاع أقوى المذاهب الإسـلامية فـيما أرى وأكملها بقوانين المعاملات والعلاقات والحياة، وأوضحها تمشياً ولصوقاً بالروح

الإسلامية التي أعطت الحياة متطلبات نموها وانسجامها، إنه مذهب واقع وحقائق لا خيالات وأوهام، ولا تصورات شاطحة وأحلام، ولا مذهب ألغاز ومعميات، ولا مذهب كرامات وأولياء ومعجزات وعصمة أئمة، ولا مذهب واسطة بين العبد وربه إلا عمل العبد وإيمانه، إنه مذهب عبادات ومعاملات، بلغت قوانينها من الدقة الفقهية والتشريعية ما لم تبلغه أدق القوانين المعاصرة شمولاً وقبولاً للتطور وتقبل كل جديد صالح، إنه مذهب دين، ودنيا، وإيمان، وعمل، وجد، ونشاط، وعدل، وإيثار، وجهاد، واجتهاد، فيه الإنسان مخير لا مجبر، مكلف لما فيه الطاعة لله والمصلحة لعباده، مذهب يدعو إلى التحرر الفكري وإلى التعمق في العلوم النافعة، ويحرم التقليد في العقائد والقواعد العلمية الدينية، ويوجب الاجتهاد على ضوء القرآن والسنة في العبادات والمعاملات، ويدعو إلى القوة والتضحية، ويفرض الطاعة والنظام والتعاون كما يفرض الخروج على أئمة الجور، والثورة على الظلم الاجتماعي والطغيان الفردي، ولا يرضى لأتباعه بالمذلة والكسل ولا بالخضوع والاستسلام لغير الله وما شرعه. مذهب يحترم السلف في حدود أنهم من البشر عرضة للنقد بما فيهم الصحابة وأبناء فاطمة ... إلخ.

على أننا لو تتبعنا كلام العلماء والمؤرخين لاستغرق الكثير من هذه العجالة.

أقول: حقاً لو أرخى عنان القلم لملأ الدفاتر من ثناء الأباعد والأقارب والأصدقاء والأعداء من الأولين والآخرين.

يقول الشيخ محمد أبو زهره في كتابه الإمام زيد عن الإمام الهادي: إن أعظم مقاصده إقامة حكم إسلامي وجمع المسلمين على كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وقد كان يسعى جهده لجمع شمل المسلمين وإصلاح أمورهم فيما بينهم. ويروى

أنه كان يقول: لوددت أن الله أصلح هذه الأمة وأني جعت يوماً وشبعت يوماً. وبهذا يتبين أنه ما كان يطلب الملك، ولكنه كان يطلب إصلاح أمر المسلمين وإحياء الشريعة وفرض سلطانها.انتهى.

ومن كتاب دعوته إلى قبائل اليمن: أيها الناس أدعوكم إلى ما أمرني الله أن أدعوكم إليه، أدعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فما جاءنا به الكتاب اتبعناه، وما نهانا عنه اجتنبناه، وإلى أن نأمر نحن وأنتم بالمعروف ونفعله وننهى، نحن وأنتم عن المنكر جاهدين ونتركه، أيها الناس إني أشترط لكم على نفسي الحكم بكتاب الله وسنة نبيه، والأثرة لكم على نفسي فيما جعله الله بيني وبينكم أؤثركم ولا أتفضل عليكم، وأقدمكم عند العطاء قبلي، وأتقدمكم عند لقاء عدوي وعدوكم بنفسي. وأشترط لنفسي عليكم اثنتين: النصيحة لله سبحانه ولي في السر والعلن، والطاعة لأمري في كل حالاتكم ما أطعتُ الله فيكم، فإن خالفت طاعة الله -عز وجل- فلا طاعة لي عليكم، وإن ملت وعدلت عن كتاب الله فلا حجة لي عليكم.

رضي الله -تعالى- عن الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم وعن آبائه وعن أجداده وأهل البيت أجمعين، وعن محبيهم وشيعتهم ومن اقتفى أثرهم، وعن من نظر بعين الإنصاف والتأمل إلى كنوز مؤلفاتهم، وأقوالهم، وأعمالهم، وعلومهم، في مرضاة رب العالمين.

فوائد العزلة وأدلتها كتاباً وسنة

فوائد العزلة عن أهل هذا الزمان الذي ملأت فتنتهم الآفاق في الدنيا والدين.

قال السيد العلامة شيبة الحمد علي بن محمد العجري في «فتاواه» وقد سئل عن الانفراد: ورد عن النبي ﷺ وعن علي عليه السلام وعن السلف الصالح من أهل البيت وغيرهم من الترغيب في العزلة ما فيه دلالة ظاهرة على ترجيحها وتفضيلها، سيما في مثل زماننا هذا الذي هو بالنسبة إلى الأزمنة التي اختار كثير من صالحي أهلها فيها العزلة حثالة الحثالة. قال في «الإرشاد» للعنسي ما معناه: أن الانفراد والوحدة هو الأسلم والأفضل. قال: ولهذا سلكه كثير من الصالحين مع معرفتهم لفضل الأخوة وكونها من جملة الشريعة، وليس ذلك إلا لعدم شرائطها وانتقاض روابطها فصار من السنة ترك هذه السنة.

وقال -رحمه الله تعالى- بعد أن ذكر فضل الصحبة وحقوقها: فأما في زماننا هذا فقد قل الوفاء، وكثر الجفاء، واستبيحت الأمانات، وظهرت الخيانات، وألسنة عذبة حلوة، وأفئدة من الغل مملوءة، ولا يتميز الحسود من الودود، ولا السليم من السقيم، ولا الولي من العدو، إخوان العلانية أعداء السريرة. وفي حديث النبي ﷺ «يكون في آخر الزمان قوم إخوان العلانية أعداء السريرة» قالوا: وكيف يكون ذلك؟ قال: «ذلك لرغبة بعضهم في بعض ورهبة بعضهم لبعض».

قال -رحمه الله تعالى-: وصدق رسول الله ﷺ فإن الأخوة من الأكثر في هذا

الزمان إنما هي باللسان لا بالقلب والجنان ثم رجح العزلة والانفراد وهذه شكواه من زمانه.

وقد شكا من قبله ومن بعده، ومالوا إلى ما مال إليه من تفضيل العزلة على الخلطة فكيف بزماننا هذا وإنه للزمان الذي قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام: «يوشك للناس أن ينقصوا حتى لا يكون شيء أحب إلى امرئ مسلم من أخ مؤمن أو درهم حلال وأنّى له به وأنى له به» رواه في «المجموع» ومعناه أن الأخ الذي تنفعك أخوته في دينك ودنياك يقترب وقت نقصه شيئاً فشيئاً، وحيث أنه قرب نقصه في زمن علي عليه السلام ففي زماننا قد تم النقصان وعليه شاهد الحال، فإن الأخ الصادق في وداده، المعوان على النوائب قد صار أعز من الكبريت الأحمر.

والأحاديث في الترغيب في العزلة إن لم تدل على وجوبها فأقل الأحوال أن تدل على تفضيلها، منها ما رواه المرشد بالله من طرق عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج عليهم، فقال: «ألا أخبركم بخير الناس منزلة؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: «رجل يمسك بعنان فرسه في سبيل الله حتى يموت أو يقتل، ألا أنبئكم بالذي يليه؟ امرؤٌ معتزل في شعب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعتزل شرور الناس، ألا أنبئكم بشر الناس منزلة؟ الذي يسأئل بالله ولا يعطي»، وأخرجه النسائي والترمذي وحسنه، وابن حبان في «صحيحه» وابن أبي الدنيا في «كتاب العزلة»، وأخرجه الطبراني من حديث أم مبشر بأطول منه. وعن أبي سعيد الخدري نحوه رواه في «سلوة العارفين» للموفق بالله عليه السلام وأخرجه البخاري ومسلم والحاكم وغيرهم، إلا أنه قال في رواية: يتقي الله ويدع الناس من شره.

وفي «السلوة» عن سهل بن سعد الساعدي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

يقول: «إن أعجب الناس إليّ رجل يؤمن بالله ورسوله، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويعمر ماهن ويحفظ دينه، ويعتزل الناس» وأخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة».

وفي «السلوة» أيضاً عن حذيفة قال رسول الله ﷺ: «من اعتزل من الشر سقط في الخير» وعن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال: «خمسة كلهم ضامن على الله: الحاج إلى بيت الله، والغازي في سبيل الله، والماشي إلى بيت من بيوت الله، وعائد المريض لوجه الله، والجالس في بيته ليسلم الناس منه ويسلم منهم» رواه الموفق بالله في «السلوة» ورواه المرشد بالله بلفظ «عهد إلينا رسول الله ﷺ في خمس من فعل منهن واحدة كان ضامنا على الله -عز وجل- أن يدخله الجنة: من عاد مريضاً، أو خرج مع جنازة، أو خرج غازيا في سبيل الله، أو دخل على إمام يريد تعزيره، وتوقيره أو قعد في بيته» الخبر. وأخرجه أحمد وأبو داود، والطبراني، وابن خزيمة في «صحيحه» وابن حبان بنحوه، ورواه الطبراني في «الأوسط» من حديث عائشة ولفظه قال: «خصال ست ما من مسلم يموت في واحدة منهن إلا كان ضامناً على الله أن يدخله الجنة»، وفيه «رجل في بيته لا يغتاب مسلما ولا يجر إليهم سخطاً ولا نقمة».

وعن عقبة بن عامر قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «املك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك» وأخرجه الترمذي وابن أبي الدنيا والبيهقي، وفي «الإحياء» عن ابن مسعود قال: ذكر رسول الله ﷺ أيام الفتنة، وأيام الهرج، قلت: وما الهرج؟ قال: «حين لا يأمن الرجل جليسه» قلت: فبما تأمرني إن أدركت ذلك الزمان، قال: «كف نفسك ويدك وادخل دارك»، قال: قلت : يا رسول الله أرأيت إن دخل علي داري قال: «فادخل بيتك» قال: فإن

دخل علي بيتي قال: «فادخل مسجدك واصنع هكذا -وقبض على الكوع- وقل: ربي الله حتى تموت».

وفي «أمالي المرشد بالله» عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ : «ليسعك بيتك وابك من ذكر خطيئتك واملك عليك لسانك» وأخرجه الطبراني.

وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ويشهد أني رسول الله فليسعه بيته، وليبك على خطيئته، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ويشهد أني رسول الله فليقل خيراً ليغنم أو ليسكت عن شر فيسلم» رواه المرشد بالله وأخرجه الطبراني والبيهقي.

وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ : «نعم صومعة الرجل بيته» رواه المرشد بالله. وعن ثوبان قال رسول الله ﷺ : «طوبى لمن ملك لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته» أخرجه الطبراني في «الصغير» و«الأوسط» وحسّن إسناده.

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودُهم وخفت أمانتُهم وكانوا هكذا -وشبك بين أصابعه-» قال: فقمت إليه فقلت: كيف أفعل عند ذلك جعلني الله تبارك وتعالى فداك؟ قال: «الزم بيتك وابك على نفسك، واملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة» أخرجه أبو داود والنسائي ورواه المرشد بالله.

وعن علي عليه السلام طوبى لمن لزم بيته رواه في «النهج»، وفي «سلوة العارفين» عن علي عليه السلام: لا تواخ من يظهر وداً ويضمر حقداً وعن عمر: خذوا بحظكم من العزلة، وقال ابن عباس: أفضل المجالس مجلس في قعر بيتك، وكان سعد بن

أبي وقاص وسعيد بن زيد قد لزما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا يأتيان المدينة لجمعة ولا غيرها.

وقال سفيان الثوري: قال لي جعفر بن محمد الصادق: يا سفيان فسد الزمان، وقل الإخوان، وتقلبت الأعيان، فاتخذ الوحدة. أمعك شيء تكتب فيه؟ فقلت: نعم، فقال:

لا تجزعن لوحدة وتفرد ... ومن التفرد في زمانك فازدد
ذهب الإخاء فليس ثمة إخوة ... إلا التملق باللسان وباليد
وإذا كشفت ضميره عن قلبه ... وافيتَ منه نقيع سم الأسود

فقلت: يا سيدي زدني فقال: اعمل بهذا طول عمرك فإنه ينفعك.

وقال الإمام إبراهيم بن عبدالله بن الحسن: طوبى لمن كان منطقه ذكراً، ونظره اعتباراً وسكوته تفكراً ووسعه بيته وبكى على خطيئته.

وسكن الإمام القاسم بن إبراهيم عليهما السلام جبال الرس بين المدينة وينبع وهي بلاد لا يهتدي إليها إلا أهل تلك البلاد العارفون لها، ولا يصل إليها إلا بدوي يتنقل إليها وإلى غيرها، ومن شعره عليه السلام قوله:

أنستُ إلى التفرد طولَ عمري ... فما لي في البريةِ من أنيس
وجانبتُ اللئامَ وطابَ عيشي ... وجانبني لذلك كلُّ بؤس
لأنَّ الحرَّ في الدنيا قليلٌ ... ونفسي لا تميلُ إلى الخسيس
وأغناني قنوعِي عن لئيم ... أمدُّ إليه ضُرِّي أو رئيس

وكان السيد علي بن عبدالله بن الحسين عليه السلام مشغولاً بالعبادة والخلوة والاعتزال لا يصل إليه أحد ولا يأذن له. واختار العزلة وارتضاها الإمام المرتضى محمد بن يحيى عليه السلام وله في ذلك خطبة بليغة.

وقال سفيان الثوري: هذا وقت السكوت وملازمة البيوت، وقال: والله لقد حلّت العزلة. وحبس طاووس في بيته فقيل له في ذلك فقال: فساد الزمان وحيف الأئمة.

وعوتب بعضهم على ترك المخالطة فأجاب: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾[الأعراف:١٠٢].

وقيل لرجل: تركت مجالسة الناس وقد عرفت فضلها! فقال: وهل بقي إلا حاسد على نعمة أو شامت بنكبة؟.

وعن الفضيل: إن الزمان فسد أهله فرحم الله من لزم بيته وتخلى بربه وبكى على خطيئته.

وفي هذا القدر كفاية في إثبات تفضيل العزلة على الخلطة، والكتاب العزيز يشير إلى اختيارها عند غلبة الفساد كما في قصة أصحاب الكهف وحكايته عن إبراهيم عليه السلام في قوله ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾[مريم:١٦] فإن قيل: أليس قد ذكرت في جواب سؤال آخر قد سبق ذكره في هذا الكتاب أن المراد من العزلة إنما هو اعتزال الأشرار دون الأبرار وظاهر ما قررته في هذا الموضع أنك ترجح العزلة وتفضلها على الإطلاق، وظواهر الأدلة تقضي بذلك؟! قيل: من المعلوم أنه ليس المقصود من العزلة إلا البعد من الذنوب وأسبابها، وعن شرار الخلق الذين يحملون على الدخول في المعاصي وارتكابها، ومع غلبة الفساد وأهله قد لا يتميز الودود من الحسود، ولا المصلح من المفسد، ولا يتمكن من مخالطة الصالحين خاصة لقلتهم، وكثرة أهل الفساد وغلبتهم، حتى ينزل وجود الأخ الصالح الذي تحسن مخالطته كالعدم، وقد نبه النبي صلى الله عليه وآله على ذلك حيث قال: «إن الناس

شجرة ذات جني، ويوشك أن يعودوا شجرة ذات شوك إن ناقدتهم ناقدوك، وإن تركتهم لم يتركوك، وإن هربت منهم طلبوك» قال: فكيف المخرج من ذلك يا رسول الله؟ قال: «تقرضهم من عرضك ليوم فاقتك» رواه المرشد بالله عن أبي أمامة وله شواهد معنوية ومثله قول علي عليه السلام: وأنى له به؟!، يعني الأخ المؤمن، وذلك يقتضي ما قلنا من أنه ينزل وجود الصالحين كعدمهم في آخر الزمان لقلتهم وكثرة غيرهم، إذ ليس المراد عدم وجود أحد من أهل الصلاح بدليل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء» وفي بعض الروايات قيل: يا رسول الله ومن الغرباء؟ قال: «النزاع من القبائل» وفي بعضها قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس» فأمر صلى الله عليه وآله وسلم بالعزلة مع وجود الصالحين اعتبارا لغلبة أهل الفساد وكثرتهم، ولم يرد الأمر بالعزلة إلا لذلك وجعل ذلك كالرخصة في ترك الخلطة مع فساد الزمان، كما رخص في العزبة في ذلك الوقت وهي ترك النكاح مع ما ورد من الترغيب فيه، ومن النهي عن التبتل، فأخرج الحاكم عن ابن مسعود مرفوعاً: «إذا أتت على أمتي ثلاثمائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والترهب على رؤوس الجبال». قيل: وفيه سليمان بن عيسى تكلموا فيه، لكن قال السيوطي له طرق أخرى ذكرها في «اللوالي» بسنده إلى الحسن بن أبي الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا أتت على أمتي ثمانون ومائة سنة فقد حلت لهم الغربة والعزلة والترهب في رؤوس الجبال».

وقال العنسي -رحمه الله تعالى- في «الإرشاد»: وإنما زالت هذه السنة، -يعني مخالطة الإخوان- في الأغلب والأكثر في زماننا هذا لأنه الوقت الذي أذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الغربة وأحل الانفراد والوحدة.

قال حذيفة: سألت رسول الله ﷺ عن الغربة فقال: «خير أمتي أولها المتزوجون، وآخرها العزاب وإني أحللت لهم الغربة في ذلك الزمان والترهب» فقلت: يا رسول الله فالجماعة يومئذٍ فريضة واجبة. فقال: «كونوا كالفارين بدينكم من بلد إلى بلد فإنه يوشك أن يُصَلُّوا في ذلك الزمان في مساجدهم فلا يكون فيهم مؤمن».

وعنه ﷺ: «سيأتي على أمتي زمان تحل لهم فيه الغربة ولا يسلم لذي دين دينه إلا من فر بدينه من شاهق إلى شاهق ومن حجر إلى حجر كالطير بفراخه أو كالثعلب بأشباله».

وعن سفيان الثوري قال: دخلت على جعفر بن محمد الصادق فقلت: يابن رسول الله مالي أراك قد اعتزلت الناس؟ فقال: يا سفيان فسد الزمان وتغير الإخوان، فرأيت الانفراد أسكن للفؤاد، وأنشأ يقول:

ذهب الوفاء ذهاب أمس الذاهب فالناس بين مخاتل وموارب

قلت: وفي العزلة الأنس بالله وسقوط وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال الإمام الموفق بالله عليه السلام لاسيما ومن تعرض لهما عرض نفسه للذل والهوان، فهذا زمان السكوت ولزوم البيوت ليسلم في نفسه ويسلم الناس منه، ويسقط عنه وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقل من قام بهما، وسلم الضرر بسببهما.

قال في «الإحياء»: ومن جرب الأمر بالمعروف ندم عليه غالباً فإنه كجدار مائل يريد الإنسان أن يقيمه فيوشك أن يسقط عليه، فإذا سقط عليه يقول: يا ليتني تركته مائلاً، ولو وجد أعواناً أمسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة لاستقام،

وأنت اليوم لا تجد أعواناً فدعهم وانج بنفسك. ولا ينبغي لأحد أن يعرض نفسه للذل فقد قال النبي ﷺ : «ليس للمسلم أن يذل نفسه» قالوا: يا رسول الله كيف يذل نفسه؟ قال: «يتعرض من البلاء لما لا يطيق». أخرجه الطبراني من حديث علي عليه السلام ولله القائل:

أنست بوحدتي حتى لو أني رأيت الإنس لاستوحشت منه
ولم تدع التجارب لي صديقاً أميل إليه إلا ملتُ عنه

وقال آخر:

أنست بوحدتي وقصدت ربي فدام العز لي ونما السرور

حكاية الشعراء وأبو جعفر والأصمعي

كان أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي يحرص على الأموال حتى كان أعطيته لجنده دانقاً فسمي أبو الدوانيق، فاشترط شرطاً على جماعة الأدباء والشعراء أنه لا يعطي مالاً للشعراء إلا لقول شاعر أما إن كان من منقوله محفوظ من قبل فلا يعطي عليه شيئاً، والخليفة يحفظ القصيدة من أول مرة، وعنده غلام يحفظ القصيدة من مرتين، وعنده جارية تحفظ القصيدة من ثلاث مرات، فيأتي الشاعر المسكين وقد نظم قصيدة طويلة طول الليل فيسلم، ويقول للخليفة: قد نظمت قصيدة طويلة، فيقول له الخليفة: إن كانت من قولك أجزناك عليها، فيقول: نعم من قولي، فيقول له الخليفة: قل، فيقول قصيدته، فيقول الخليفة: أنا أحفظها منذ زمن بعيد ويقولها له من أولها إلى آخرها فيتعجب الشاعر من توارد الأفكار في

بيت أو بيتين أما القصيدة كلها فكيف يحدث هـذا طبعـاً يكلـم نفـسه، فيقـول الخليفة: لا وهناك غيري يحفظها أحضروا فلاناً فيحـضرون الغـلام مـن خلـف الستار من الباب السري، ثم يـدخل فيقـول المنـصور: تعـرف قـصيدة فـلان؟ فيقول: نعم فيقولها. فيقول الشاعر: هه فيشك أنـه شـاعر، فيقـول: لا، وهنـاك غيري، أحضروا فلانة فتأتي فلانة فيقول لها: تحفظين؟ فتقول: نعم. فـإذا قالتهـا قال الشاعر: أنا لست بشاعر ويذهب صفر اليدين.

فاجتمع الشعراء يتشاكون وفي أعماق الحزن يتبـاكون ويتلاومـون فجـاءهم الأصمعي وشكوا له حالهم، وأنهـم يكتبـون القـصيدة ثـم يكتـشفون أن ثلاثـة يحفظونها قبلهم. فقال لهم: أين يحدث هذا؟ قالوا عند الخليفة، فعرف أن هنـاك حيلة. فقال: دعوا الأمر لي. فقام ونظم قصيدة ملونة الموضـوعات الـتقط فيهـا بعض الكلمات المعقدة، ثم تنكر حتى لا يعرف، ولبس لبس الأعـراب وجعـل على رأسه جدائل وأوقفها كالقرون، ثم ربطها بعصابة ولبس جلد شاة وجر ناقة خلفه ودخل المجلس حافياً فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال له الخليفة: وعليكم السلام، فقال: أنا شاعر من أعراب الموصل، قـال: تعـرف الـشروط؟ قال: نعم، إن كانت من قولي أعطيتني وزن الذي كتبته عليها ذهبـاً، وإن كانـت من منقولي لا تجيزني عليها شيئا، قال: صدقت، فقال:

صـــوت صـــفير البلبـــل هـــيج قلـــب الثمـــل

المـــاء والزهـــر معـــا مـــع زهـــر لحـــظ المقـــل

فيقول الخليفةفي نفسه: إلى الآن سهلة

وأنـــت يـــا ســـيد لـــي وســـيدي ومـــوللي

فكـــــم وكـــــم تـــــيملي غزيـــــــل عقـــــــيقلي

قطفتـــــه مـــــن وجنـــــة مـــــن لـــــثم ورد الخجـــــلِ

فقـــــــــــال لا لا لا لا وقـــــد غـــــدا مهـــــرول

أراد الخليفة أن يحسب اللآت فإذا هي أكثر من ثلاث

والخـــــود مالـــــت طربـــــا مـــــن فعـــــل هـــــذا الرجـــــل

فولولـــــت وولولـــــت ولي ولي يـــــا ويلـــــلي

فقلـــــت لا تولـــــولي وبـــــين اللـــــؤ لـــــؤلي

قالـــــت لـــــه حـــــين كـــــذا انهـــــض وجـــــد بالنقـــــلِ

وفتيـــــة ســـــقونني قهـــــوة كالعـــــسللي

شـــــممتها بـــــأنفي أزكـــــى مـــــن القرنفـــــل

في وســـــط بـــــستان حـــــلي بـــــالزهر والـــــسرور لي

والعـــــود قـــــد دنـــــدن لي والطبـــــل طبطـــــب طـــــب لي

والـــــرقص قـــــد طـــــاب إلي والـــــسقف سـق سـق سق لي

شـــــوا شـــــوا وشـــــاهدوا عـــــلى ورق ســـــفرجل

وغـــــرد القمـــــري يـــــصيح مـــــن ملـــــل في ملـــــل

ولـــــو تـــــراني راكبـــــاً عـــــلى حمـــــار أهـــــزل

يمـــــشي عـــــلى ثلاثـــــة كمـــــشية العرنجـــــل

والنـــــاس تـــــرجم جمـــــلي بالـــــسوق بالقـــــل قلـــــلي

والكـــــل كَعْكَـــــعْ كَـــــعِ كَـــــعْ خلفـــــي ومـــــن حـــــويللي

لكـــن مـــــشيت هاربـــاً ... مـــن خـــشية العقـــنقلي
إلى لقــــــاء ملـــــك ... معظـــــم مبجـــــل
يــــأمر لي بخلعـــــة ... حمـــــراء كالـــــدم دم لي
أجـــــر فيهـــا ماشــــياً ... مبغـــــدداً بالـــــذيل
أنـــا الأديـــب الألمعـــي ... مـــن أرض حـــي الموصـــل
نظمـــت قطعـــا زخرفـــت ... يعجـــز عنهـــا الأذبـــل
أقـــــول في مطلعهـــــا ... صـــوت صـــفير البلبـــل

عصر الخليفة ذاكرته فلم يطلع بشيء إلا طنطنلي فقال: يا غلام، وإذا الغلام لم يحفظ شيئاً، فنادى بالجارية يا جاريه: قالت لا والله ما سمعت بها قط، عند ذلك قال الخليفة: يا أعرابي أحضر ما كتبته عليها نزنه ونعطيك وزنه ذهباً، قال: ورثت عمودَ رخامٍ عن أبي نقشت عليه القصيدة نقشاً وهو على ظهر الناقة لا يحمله إلا أربعة من الجنود، فانهار الخليفة وجيء بالعمود والناس تنظر، ووضع في الميـزان وأخذ كل ما في الخزنة ووضعه على خرج الناقة وانصرف، فقال وزيره: أوقفه يا أمير المؤمنين والله ما أظنه إلا الأصمعي، فقال له الخليفة: أمط اللثام عن وجهك يا أعرابي، فأماط اللثام فإذا هو الأصمعي، فقال: أتفعل هـذا بـأمير المـؤمنين يـا أصمعي؟ قال: نعم،إنك بذاكرتك قطعت أرزاق الشعراء يا أمير المؤمنين . قال له: أعد الخزنة، قال: لا أعيدها إلا بـشرط أن تعطـيهم عـلى قـولهم أو منقـولهم فأعادها ففرج الله عليهم.

سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري والإيمان الذي لا يخاف معه في الله لومة لائم

أبو عبدالله عالم عصره، وزاهد زمانه، الإمام الثبت الحجة من الشيعة المحبين، زيدي المذهب ذكره الأصفهاني في «المقاتل»، والإمام أبو طالب، وكان من أتباع الإمام زيد بن علي عليهما السلام وممن أيد الإمام النفس الزكية محمد بن عبدالله وأخاه الإمام إبراهيم بن عبدالله والإمام عيسى بن زيد، ذكر أنه لما قتل الإمام إبراهيم بن عبدالله قال: ما أظن الصلاة تقبل إلا أَنَّ فعلها خير من تركها، وكان متشدداً على الظلمة الجائرين، وعاش متخفياً خائفاً على نفسه ودينه منهم، مثل أهل البيت - رضي الله تعالى عنهم - توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة وعمره أربع وستون سنة.

وفي «حياة الحيوان» للدميري قال: وذكر ابن السمعاني وغيره أن المنصور كان يبلغه عن سفيان الإنكار عليه في عدم إقامة الحق فطلبه المنصور فهرب إلى مكة فلما حج المنصور بعث الخشابين أمامه وقال: حيثما وجدتم سفيان فاصلبوه، فوصل الخشابون ونصبوا الخشب فأتى الخبر بذلك وسفيان نائم ورأسه في حجر الفضيل بن عياض، ورجلاه في حجر سفيان بن عيينة، فقالا له خوفاً عليه وشفقة: لا تشمت بنا الأعداء، فقام ومشى إلى الكعبة والتزم أستارها عند الملتزم، ثم قال: ورب هذه البنية لا يدخلها -يعني المنصور- فزلقت به راحلته في الحجون فوقع من على ظهرها فمات لوقته فخرج سفيان وصلى عليه.

وفيها أن الرشيد لما ولي الخلافة زاره العلماء بأسرهم إلا سفيان الثوري فإنه لم

يأته، وكان بينه وبينه صحبة، فشق عليه ذلك، فكتب إليه الرشيد كتاباً يقول فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى أخيه في الله سفيان بن سعيد الثوري أما بعد يا أخي، فقد علمت أن الله آخى بين المؤمنين وقد آخيتك في الله مؤاخاة لم أصرم فيها حبلك ولم أقطع منها ودك، وإني منطو لك عليأفضل المحبة، وأتم الإرادة، ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله -تعالى- لأتيتك ولو حبواً لما أجد لك في قلبي من المحبة،وإنه لم يبق أحد من إخواني وإخوانك إلا زارني وهنأني بما صرت إليه، وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتُهم المواهب السنية ما فرحت به نفسي، وقرت به عيني، وقد استبطأتك وكتبت كتاباً مني إليك أعلمك بالشوق الشديد إليك، وقد علمت يا أبا عبدالله ما جاء في فضل زيارة المؤمن ومواصلته، فإذا ورد عليك كتابي هذا فالعجل العجل»، ثم أعطى الكتاب لعباد الطالقاني وأمره بإيصاله إليه وأن يصغي عليه بسمعه وقلبه دقيق أمره وجليله ليخبره به. قال عباد: فانطلقت به إلى الكوفة فوجدت سفيان في مسجده، فلما رآني على بعد قام، وقال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير، قال: فنزلت عن فرسي بباب المسجد فقام يصلي ولم يكن وقت الصلاة فدخلت وسلمت فما رفع أحد من جلسائه رأسه إلي، فبقيت واقفاً ما منهم أحد يعرض علي الجلوس وقد علتني من هيبتهم الرعدة، فرميت بالكتاب إليه فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له في محرابه فركع وسجد وسلم وأدخل يده في كمه وأخذه وقلبه بيده ورماه إلى من كان خلفه، وقال: ليقرأه بعضكم فإني أستغفر الله أن أمس شيئاً مسه ظالم بيده، قال عباد: فمد بعضهم يده إليه وهو يرتعد كأنه حية تنهشه، ثم قرأه فجعل سفيان يتبسم تبسم المتعجب، فلما فرغ من قراءته قال: اقلبوه

واكتبوا للظالم على ظهره، فقيل له: يا أبا عبد الله إنه خليفة فلو كتبت إليه في بياض نقي لكان أحسن، فقال: اكتبوا للظالم في ظهر كتابه، فإنه إن كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به وإن كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ولا يبقى شيء مسه ظالم بيده عندنا فيفسد علينا ديننا، فقيل: ما نكتب إليه؟ قال: اكتبوا له: «بسم الله الرحمن الرحيم من العبد الميت سفيان إلى العبد المغرور بالآمال هارون الذي سلب حلاوة الإيمان ولذة قرآءة القرآن أما بعد؛ فإني كتبت إليك أعلمك أني قد صرمت حبلك، وقطعت ودك، وإنك قد جعلتني شاهداً عليك بإقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت على بيت مال المسلمين فأنفقته على غير حقه، وأنفذته بغير حُكْمِهِ ، ولم ترض بما فعلته وأنت ناء عني حتى كتبت إلي تشهدني على نفسك، فأما بعد: فإني قد شهدت عليك أنا وإخواني الذين حضروا قراءة كتابك وستؤدى الشهادة غداً بين يدي الله الحكم العدل، يا هارون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم؟ والعاملون عليها في أرض الله؟ والمجاهدون في سبيل الله؟ وابن السبيل؟ أم رضي بذلك حملة القرآن؟ وأهل العلم؟ يعني العاملين أم رضي بفعلك الأيتام والأرامل؟ أم رضي بذلك خلق من رعيتك؟ فشد يا هارون مئزرك وأعد للمسألة جواباً وللبلاء جلباباً، واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم العدل فاتق الله في نفسك إذ سلبت حلاوة العلم والزهد، ولذة قراءة القرآن، ومجالسة الأخيار، ورضيت لنفسك أن تكون ظالماً وللظالمين إماماً، يا هارون قعدت على السرير، ولبست الحرير، وأسبلت ستوراً دون بابك، وتشبهت بالحجبة برب العالمين، ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون! ويشربون الخمر! ويحدون الشارب! ويزنون ويحدون الزاني! ويسرقون ويقطعون السارق!

ويقتلون ويقتلون القاتل! أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن يحكموا بها على الناس؟! فكيف بك يا هارون غدا إذا نادى المنادي من قبل الله: احشروا الظلمة وأعوانهم؟! فتقدمت بين يدي الله ويداك مغلولتان إلى عنقك لا يفكهما إلا عدلك وإنصافك، والظالمون حولك وأنت لهم إمام، أو سائق إلى النار، وكأني بك يا هارون وقد أخذت بضيق الخناق، ووردت المساق، وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك، وسيئآت غيرك في ميزانك على سيئآتك، بلاء على بلاء، وظلمة فوق ظلمة، فاتق الله يا هارون في رعيتك واحفظ محمداً ﷺ في أمته، واعلم أن هذا الأمر لم يصر إليك إلا وهو صائر إلى غيرك، وكذلك الدنيا تفعل بأهلها واحداً بعد واحد، فمنهم من تزود زاداً نفعه، ومنهم من خسر دنياه وآخرته، وإياك ثم إياك أن تكتب إلي بعد هذا فإني لا أجيبك والسلام»، وألقى الكتاب منشوراً من غير طي ولا ختم، فأخذته وأقبلت به إلى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة بقلبي، فناديت: يا أهل الكوفة من يشري رجلاً هرب إلى الله فأقبلوا إلي بالدراهم والدنانير فقلت: لا حاجة لي بالمال ولكن جبة صوف وعباءة قطوانية فأتيت بذلك فنزعت ما كان علي من الثياب التي كنت أجالس بها أمير المؤمنين وأقبلت أقود الفرس الذي كان معي إلى أن أتيت باب الرشيد حافياً راجلاً فهزأ بي من كان على الباب ثم استؤذن لي،فلما رآني على تلك الحالة قام وقعد وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحرب ويقول: انتفع الرسول وخاب المرسل، مالي وللدنيا والملك يزول عني سريعاً؟! فألقيت الكتاب إليه مثل ما دفع إلي، فأقبل يقرؤه ودموعه تنحدرعلى وجهه وهو يشهق فقال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين قد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت إليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن فجعلته عبرة لغيره، فقال هارون: اتركوا سفيان وشأنه يا عبيد

الدنيا، المغرور من غررتموه، والشقي والله حقا مـن جالـستموه، إن سـفيان أمـة وحده ولم يزل كتاب سفيان عنـده يقـرؤه دبـر كـل صـلاة ويبكـي حتـى تـوفي كما قال الدميري.

طرائف إيمانية يمانية مباركة

عن السيد العلامة العابد الزاهد صلاح بن يحيى بن إبراهيم بن صلاح عامر الحسني المتوفى سنة ١٤٠٥هـ، كان مثالاً للزهادة والعبـادة، لم يـنم ليلـة واحـدة متهيأً للنوم ولم ينم على سرير ولم يهيأ له وطاء ولا غطاء لا يهم شيئاً في حياتـه إلا ملازمة الذكر والعبادة.

حكى لي ولده الأخ العلامة القاسم بن صلاح عامر أن والده لم ينم ليلة واحدة وهو ممتد على ظهره أو أحد جنبيه بل على جزء من ظهـره مركيـا إلى الجـدار أو متكيا إليه حتى لا يغفل عن ذكر الله –تعالى- وكان كثيرا ما ينشد:

ومـا المـال والأهلـون إلا ودائـع ولا بـد يومـاً أن تـرد الودائـع

وقبل هذا البيت:

تـزود مـن الـدنيا فإنـك راحـل وسـارع إلى الخـيرات في مـن يـسارع

وكثيراً ما كان ينشد:

الـبهم يزجرهـا الراعـي فتنزجـرُ والطير يردعها مـن وردهـا الحـذرُ
والآدميون سكرى لـيس يـردعهم خوف الوعيـد ولا تنهـاهم العـبرُ

وقال لي: في حجته الثانية كنت برفقته حـول سـنة اثنـين وسـبعين وثلاثمائـة

وألف، وفي ليلة من الليالي وبحضرتنا سيدي العلامة إبراهيم بن علي الـشهاري وسمع منه هو وغيره من الحاضرين وهو يتلو سورة الصمد في الليل لم يفتر لحظة واحدة حتى قال سيدي إبراهيم: لا إله إلا الله كم قد دبغ سورة قل هو الله أحد يريد كم قد أكثر من تلاوتها.

لم يزل لسانه رطباً من ذكر الله –تعالى– ليلاً ونهاراً قاعداً وماشياً حتى في حال النزع ولسانه يذكر الله –تعالى– فرآه الطبيب الألماني «وليد» مـشهور بالطـب في مدينة صعدة قال وهو يتعجب منه وهو يذكر الله حتى في حال النزع: هذا راهب سيموت وهو يتكلم.

وكان رضوان الله عليه يحض أولاده على السكوت ويقـول: الفـم المغلـق لا يدخله الذباب.

وكان يردد:

فكـم دقــت ورقــت واســترقت فــضول الــرزق أعنــاق الرجــال

حكاية عن الإمام باقر علم الأنبياء محمد بن علي زين العابدين –عليهم السلام–

قال: لما رأت فاطمة ابنة الحسين بن أمير المؤمنين علي عليهما السلام ما يفعل ابن أخيها علي بن الحسين بنفسه من الـدأب في العبـادة، أقبلـت عـلى جـابر بـن عبـد الله الأنصاري، فقالت له: يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله إن لنا عليكم حقوقاً ومن حقنا عليكم أن إذا رأيتم أحدنا يهلك نفسه اجتهاداً أن تذكروه الله وتدعوه إلى البقيـا على نفسه، وهذا علي بن الحسين بقية أبيه الحسين قد انخرم أنفه ونقبـت جبهتـه

وركبتاه وراحتاه، مما دأب على نفسه في العبادة، فانطلق جابر -رضي الله عنه- إلى الإمام زين العابدين عليه السلام فوجده في محرابه قد أضعفته العبادة وأجهدته الطاعة، ولما رآه الإمام استقبله وأجلسه إلى جنبه وسأله سؤالاً حَفيا عن حاله فالتفت إليه جابر قائلاً: يا بن رسول الله أما علمت أن الله -تعالى- إنما خلق الجنة لكم ولمن أحبكم، وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم، فما هذا الجهد الذي كلفته نفسك؟ فأجابه الإمام برفق وبلطف: يا صاحب رسول الله أما علمت أن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فلم يدع الاجتهاد له وتعبد بأبي وأمي حتى انتفخ ساقه وورم قدمه، وقد قيل: له أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: أفلا أكون عبداً شكوراً.

ولما نظر جابر إلى الإمام لا يغني معه قول يميل به من الجهد والتعب، طفق يقول له: يابن رسول الله البقيا على نفسك فإنك من أسرة بهم يستدفع البلاء، وبهم يستكشف الأدواء، وبهم تستمطر السماء، فأجابه الإمام بصوت خافت: لا أزال على منهاج أبوي متأسياً بهما، حتى ألقاهما، وبهر جابر وأقبل على من حوله، قائلاً: ما رؤي في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين إلا يوسف بن يعقوب، والله لذرية الحسين أفضل من ذرية يوسف بن يعقوب إن منهم من يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

ثُلا المدينة العامرة بالصالحين

في ثلا المدينة العامرة بالعلم والعلماء والمدارس، فيها اثنان وعشرون مسجداً عامرة بالصلوات في أوقاتها، وبالذكر، ودرس العلم، والمدينة كثيرة الصالحين، والعلماء وطلبة العلم، والفضلاء والعباد والزهاد، منهم القاضي العزي نقاد،

والسيد محمد أحمد القاسمي، والحاج حمود بن محمد الأكوع، حفروا قبورهم بأيديهم، ولهم أوقات ينزلون فيها، ويدرسون القرآن الكريم ليكون أنساً لهم في قبورهم، وقد توفي الحاج حمود محمد الأكوع سنة١٤١٩هـ تقريباً.

وبعض مدارسها ومساجدها من تأسيس الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة الحسيني رضوان الله عليه صاحب المؤلفات المفيدة، والمجموعات الفريدة، والسيرة الرضية المرضية، -رضي الله عنهم - .

وممن جهز له ضريحا من الحجارة قبل وفاته وهو في حال الصحة السيد العلامة الزاهد علي بن حسن بن علي الحجازي الحسني المتوفى سنة١٣٦٣هـ وكتب عليه هذه الأبيات:

إذا صرت يا ربي بقبري فأولني ... من العفو والغفران ما أنت أهله
وكن بي حفياً يا إلهي تفضلاً ... وإن كنت خطاءً فإني محله
ومثواي أكرمه من النار نجه ... ففي يدك الإحسان والخير كله

هدية المسلم

عن أمير المؤمنين عليه السلام يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ما أهدى المسلم إلى أخيه المسلم هدية أفضل من حكمة سمعها فانطوى عليها ثم علمه إياها يزيده الله بها هدى ويرده عن ردى ، وإنها لتعدل إحياء نفس، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا».

وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «أيما مؤمن مات

فترك أربعين حديثاً مما ينتفع به المؤمنون جعل الله مكافأته الجنة، وكتب له بكل حديث ثواب ألف شهيد».

وعن الهادي يحيى بن الحسين -رضوان الله تعالى عليه- قال: نعمت الهدية الكلمة من الحكمة، يحفظها الرجل حتى يهديها إلى أخيه المسلم، وأفضل الفائدة حديث سمعه الرجل فيحدث به أخاه». فإليك أيها الأخ في الله هذا الحديث القدسي الشريف لتقرأه وتحفظه وتتأمله ومعانيه ثم تعمل به موفقاً إن شاء الله -تعالى-.

عن أبي ذر - رضي الله تعالى عنه - عن النبي ﷺ فيما يروي عن الله -تبارك وتعالى- أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم. يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا اغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

كان أحد العلماء إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه مهابة، ورهبة، وخوفاً من الله -تبارك وتعالى-، اللهم ارزقنا الهدى، والتقى، والعفاف، والغنى، والعمل لما تحب وترضى، اللهم إني أسألك العفو، والعافية، واليقين، والسداد، وحسن الختام، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على محمد النبي الأمي وآله وصحبه الراشدين آمين.

فهرس الموضوعات